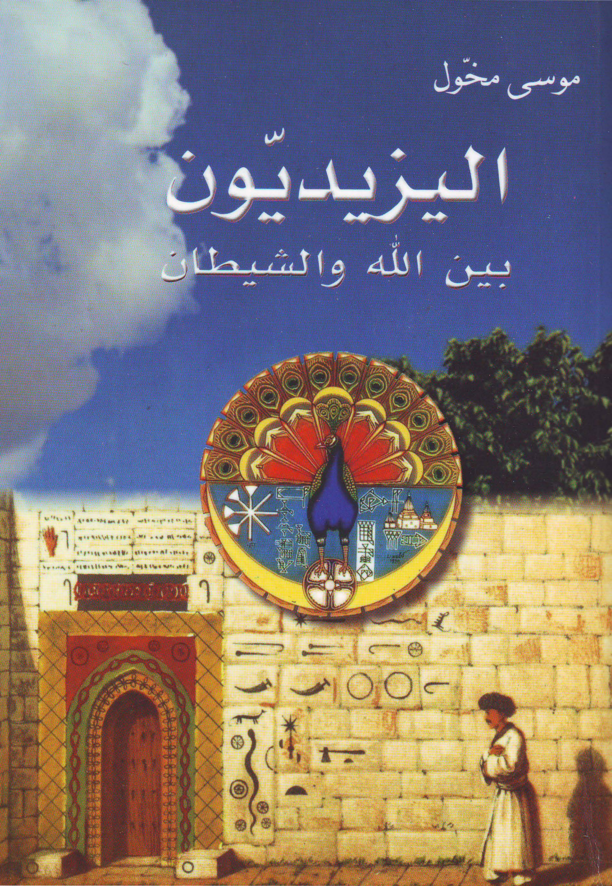

موسى مخّول
اليزيديّون
بين الله والشيطان

اليزيديّون

بين الله والشيطان

تأليف

موسى مخّول

توزيع
مكتبة بيسان
بيروت

دار صادر
بيروت

الطبعَة الأولى

2017 م



تأسست سنة 1863

ص. ب 10 بيروت، لبنان

© DAR SADER Publishers
P. O. B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4. 910270 Tel: 910340
e-mail: darsader@darsader.com
http:www.darsader.com

Al-Yazīdīyūn
bayna Allāh wa-l-Shayṭān
(Mūsā Makhūl)

p. 352 - s. 17.5 x 25 cm

ISBN 978-9953-13-861-9



الإهداء

إلى روح ابنتي

ميرنا



إلى الأب أنطوان خضرا لمساهمته بتنضيض هذا الكتاب

وإلى القيمين على دار صادر لمساهمتهم في اخراج هذا الكتاب وطبعه

مُقَدِّمَة

نشأت العقيدة الدينية عن نظرة الإنسان، بما فيها من تساؤل لا ينقطع، وخوف وقلق وامل وشعور بالعزلة. وليس الدين اساس الاخلاق، لكنه عون لها.

يقول ويل ديوارنت «يمكن تصور الاخلاق بغير دين، ففي الجماعات الأولى وفي بعض الجماعات المتأخّرة، كانت الاخلاق فيما يظهر على اتم استقلال عن الدين. وفي مثل هذه الحالة لا يعنى الدين بقواعد السلوك».

ونحن وان كنا نجهل كيف نشأت فكرة الآلهة في اذهان الناس أول ما نشأت، نستطيع ان نتبيّن العوامل الرئيسية التي وجّهت تاريخهم. وليس يكفينا ان نقسم الآلهة والارواح والشياطين وما إليها أقساماً نافعة أو ضارّة أو محايدة لا تنفع ولا تضرّ. ذلك ان الارواح الخيّرة في رأي جماعة ما قد تكون نافعة ومفيدة، وفي رأي جماعة اخرى قد تكون أرواحاً شرّيرة ومؤذية.

وان الآثار المكتوبة على الطقوس الخاصة بالوثنية في عهدها المتأخّر قد ضاعت أكثرها أو كادت. ولو اننا استطعنا ان نستعيد الكتب المقدّسة لذلك العهد، فلربما وجدنا فيها الشيء الكثير والمثير للعاطفة والإعجاب، ولربما وجدنا أيضاً تراتيل وصلوات على جانب عظيم من الجمال الروحاني. لكن آثار الوثنية التي نحن بصددها قد فقد الكثير منها إلى الابد، شأنها في ذلك شأن جميع ما عداها تقريباً في شؤون ذلك العهد.

وبغض النظر عن المصادر المتاحة للدين أمام الأفراد والجماعات، فإنها دونما شك محفوظة في هذا العالم، في لغة وصيغ رمزية، وترتيبات اجتماعية. ويشمل الدين، أو على الاقل محتواه المحدّد صوراً واستعارات وتشبيهات، يستخدمها معتنقوه لوصف وتحديد الحقيقة. وفي الحقيقة لا يمكننا ان نقارن أو نغوص ونناقش في دين ما إذا لم نكن نفهم كنه هذا الدين ونضع أنفسنا في ذاته. فليس من السهل فهم المسيحية والاحاطة بها دون فهم الإنجيل وأعمال الرسل، ولا يمكن فهم الإسلام بدون العلماء، كما لا يمكننا فهمه دون النبي محمد، أو ان نفهم الهندوسية دون ان نفهم الفيدا ونظام الطوائف فيها، ولا يمكننا فهم البوذية دون ان نفهم بوذا وإنجيله. وهكذا الأمر بالنسبة للأديان الأخرى. وليست اليزيدية إلا من هذه الأديان.

لقد أراد الإنسان أن يعرف من صنع هذا الكون، ومن الذي يدير شؤونه، وبمن يرتبط مصيره. وقد خطى هذا الإنسان خطوات بطيئة على الطريق التي تقرّبه من الحقيقة، مع العلم أنه بقي ولما يزل يسعى إلى هذه الحقيقة. وفي سعيه هذا، كان يسعى دائماً إلى العدالة، ويؤمن ان العالم لا يقوم إلاّ عليها، وإنها لا بدّ أن تسود في نهاية المطاف. وإذا لم تتحقّق هذه العدالة على الأرض، فانها لا بدّ أن تتحقّق في الآخرة.

وإذا أمعنّا النظر في صلب الديانات، فلن نجد التباين الجوهري بينها، إنما التباين هو في الشكل والطقوس والعبادات. ولكن قبل ان نتحقّق من هذا يجب علينا ان نغوص في الأعماق حتّى نقترب من الحقيقة، وندرك بأننا سائرون على طريق واحدة مهما اختلفت معتقداتنا. فنحن لا بدّ أننا سائرون وساعون إلى الخير والمحبة، ساعون لنكون في قلب هذا الخير وقلب هذه المحبّة لندرك «أن الله محبة، وإن محبة الله تبدأ بمحبة القريب» كما يقول الإنجيل.

وهذا الكتاب الذي يتناول الديانة اليزيدية هو جزء من سلسلة موسوعة الأقلّيات في المشرق، والتي أواظب على كتابتها منذ سنوات عدة، لتبيان أوضاع هذه الأقلّيات من الناحية التاريخية والدينية والأتنية من جميع جوانبها. لأن موضوع الأقلّيات ولا سيّما منها الدينية هو موضوع متشعّب ومتداخل وشائك ومعقّد، اخضع لدراسات كثيرة وأضيفت إليه تصويبات وشروح وآراء قد تكون متناقضة. وقد يكون البعض فيها قد أصاب والبعض الآخر قد أخفق أو كان في منزلة بين المنزلتين. إنما الحقيقة تبقى متشابكة بين الفريقين اللذين يعملان على توضيح هذا الموضوع.

من هنا فإن دراسة واقع الأقليّات في مجتمع معيّن يعني توجيه النور الكاشف على إشكالية هذا المجتمع من الناحية التاريخية والأتنية والدينية والحضارية، وما قدّمه هذا المجتمع في يوم ما إلى البشرية من علم وثقافة وبناء حضاري لاتزال الأكثرية الحالية اليوم تنعم بخيراته، باعتبار أن بعض هذه المجتمعات كانت تشكّل في الماضي البعيد والوسيط الأكثرية المسيطرة التي تراجعت أمام الموجات الدينية والأتنية الوافدة، التي تمّت لها الغلبة بالنهاية، وعملاً بالقول الإنجيلي المسيحي: «كثيرون من الأولين يصيرون آخرين، وكثيرون من الآخرين يصيرون أولين».

ولكن هذا لا يعني أن كل الأقليّات كانت أكثرية في السابق، وأنتجت حضارة على المستوى العالمي والمحلّي. فقد كان بعض هذه الأقليّات ولما يزل حتّى الآن يعيش في دائرة التخّلف والاضطهاد، وفي عالم لا ينظر إلاّ إلى القوي. وليس اليزيديون إلا من هذه الفئة،

التي رافقها القهر والاضطهاد والملاحقة منذ نشأتها، ممّا جعل الغالبية العظمى منها تلوز بالجبال الوعرة والوديان السحيقة، والمغاور والكهوف المظلمة، هرباً من الاضطهاد، وتخفياً عن أعين السلطة التي لم تكن ترحمهم، والتي اعتبرتهم كفرة وزنادقة ومارقين على الدين. وقد صدرت عدة فتاوى وخاصة في العهد العثماني تجيز قتلهم وإهراق دمهم ومصادرة أملاكهم ومقتنياتهم وهدم منازلهم وقراهم وتشريدهم.

وهذا إذا دلّ على شيء فيدلّ على أن السلطة الحاكمة في ذلك الوقت لم تكن تعامل الرعية بالسوية، وإن هذا الإنسان مشابه للحاكم والمتسلّط في التكوين والخلق، وإن مصدر البشرية واحد.

ومع أن الفتح العربي - الإسلامي فرض على المنطقة نظاماً سياسياً دينياً يُخضع في جميع الأمبراطوريات الإسلامية كافة تلك الأقلّيات العرقية والدينية الموجودة من قبل وفق معاييره ومقاييسه الخاصة، إلا أنه في النتيجة ما لبثت أن تولّدت من الإسلام نفسه جرّاء اختلاف الآراء جماعات أخرى تحوّل بعضها فيما بعد إلى أقليّات.

واليزيديون كانوا من هذه الفئة مثل غيرهم من الأقلّيات الذين لوحقوا واضطهدوا حتّى الإبادة لا لشيء إلا لأنهم يختلفون في معتقدهم وعاداتهم وطقوسهم عن معتقدات وعادات وطقوس الحاكم والسلطة.

وإذا كانت الغالبية العظمى من اليزيديين قد تأكردت أو أُكردت اليوم، وأنهم يقدمون أنفهسم كجزء من الشعب الكردي، فإن قضية أصولهم البعيدة لا تزال تشكّل موضوع فرضيات متضاربة. ولكن الشيء المسلّم به أنهم موجودون في العراق وأرمينيا منذ القدم. ويتحدث كاثوليكوس الأرمن في أرمينيا، فاسكين الأول: في إحدى مقالاته: «أنهم موجودون في أرمينيا منذ القدم، وهم من أهل أرمينيا المنسجمين مع بقيّة الديانات، ومن المشتهرين بالنزوع نحو الخير».

واليزيدية هي إحدى الطوائف التي تكتّمت في اظهار معتقداتها تكتّماً شديداً فهي تعتمد التخفّي في إقامة الشعائر الدينية، والتستّر في إداء فروضها التعبّدية والطقوسية والتظاهر بغير المعتقد الأصلي أحياناً، مجاراة لمجاوريها، أو لمن تعيش في ظهرانيهم ممّا تفرضه الديانة اليزيدية. لهذا نرى الباحثين في هذا المذهب يختلفون في نتائج بحوثهم اختلافاً يجعل دارس تاريخ هذه الديانة غير مطمئن أحياناً إلى ما وصلت إليه تحقيقاته علمياً.

فبينما نرى جماعة من الباحثين المسلمين ينسبون اليزيدية إلى يزيد بن معاوية الأموي، نجد إلى جانبهم جماعة من الباحثين المحليّين والمستشرقين يرجعونهم إلى الزرادشتية

والسومرية والآشورية والكلدانية في حين ينسبهم البعض الآخر إلى «يزيد بن أنيسة الخارجي». ممّا أدّى إلى خليط عجيب من الأديان والمعتقدات، تبعاً لتمايز الظروف والأصول الاجتماعية والسياسية والتاريخية.

فالتناقضات التي تعجّ بها هذه البحوث تدعو إلى الحيرة، ممّا جعل الكتّاب يستخدمون عموماً بلا مبالاة كل المعلومات التي جمعوها صحيحة كانت أم غير موثوقة، لعدم قدرتهم على التحكّم بها. وممّا زاد في الشك والحيرة أن اليزيديين يجهلون القراءة والكتابة إلى وقت قريب. وكل مأثورهم الديني انتقل إليهم مشافهة، رغم وجود بعض الكتيبات التي تعتبر الأدب المقدّس لهذه الطائفة: «كتاب الجلوة، والكتاب الأسود أو مصحف رش».

إلا أنه لا أحد منهم يعرف حالياً عن وجود هذين الكتابين إلا ما وصله بالمشافهة لا غير. وهذه الكتب المزعومة غالباً ما أعيدت كتابتها، ولكن في كل مرّة مع تغييرات تفتح مجالاً للشك في مصداقية مضمونها.

ونحن نعلم أن التاريخ هو أصعب صنوف التأليف والكتابة، لأنه يتطلّب جمعاً بين المناهج التاريخية والمناهج الأدبية، ممّا لا يتوفّر في أكمل صوره في مؤرّخ واحد.

وما دمنا نعجز عن بلوغ هذه الغاية، فلا بدّ لنا من صنوف متباينة من التواريخ وصنوف المؤرّخين، بحيث تكون الغاية إعطاء سلسلة من الصور الصحيحة المنتزعة من ألوان الحياة الإنسانية المختلفة قبل العهد الذي نعيش فيه.

ولإيضاح هذا، حاولت أن تكون دراستي لموضوع اليزيدية وروايتي لأحداث هذه الديانة ومعتنقيها، مدعّمة بمراجع موثوقة ومأخوذة من أمهات الكتب التاريخية والدينية والموسوعات، والدوريات والمخطوطات والوثائق، التي أنتجتها عقول وأفكار كبار الباحثين والمؤرّخين والكتّاب والأدباء، كما حاولت أن أظهر الحقيقة، بأسلوب علمي وأدبي في آن واحد، مبتعداً عن جفاف الأسلوب العلمي البحت، الذي يشكو منه الكثير من القرّاء.

وفي الختام، آمل أن أكون قد قدمت معلمة صغيرة عن اليزيدية للقارئ الذي سيقوّم فعلاً هذا الكتاب ويحكم عليه، كما أرجو أن أكون قد وضعت لبنة صغيرة في المكتبة العربية. وشكراً.

موسى مخول

توطئة

الدين هو عبادة القوى الكائنة فوق الطبيعة. ولكن هناك بعض الشعوب ليس لها ديانة كبعض قبائل الأقزام في أفريقيا. في حين اعترفت بعض الشعوب باحتمال وجود آلهة وخلود الروح. كقبيلة «فيدا» في سيريلينكا، لكنهم لم يجوزوا ذلك الحد. بحيث يؤدّون الصلاة، أو يقدّمون القرابين. وعندما سئل أحدهم عن الله، أجاب في حيرة: «إني لم أرى قط إلهاً». وهنود أميركا الشمالية، تصّوروا إلهاً، لكنهم لم يعبدوه، ويقول الكثير منهم: «أن آباءنا وأجدادنا كانت تعنيهم هذه الأرض وحدها». إنهم لم يشغلوا أنفسهم بما يجري في السماء، وبمن ذا عسى أن يكون خالق النجوم وحاكمها.

على أن هذه حالات نادرة الوقوع، ولا يزال الاعتقاد القديم أن الدين ظاهرة تعمّ البشر جميعاً اعتقاداً سليماً. وقد تعاونت عدة عوامل على خلق العوامل الدينية منها: الخوف من الموت، والدهشة، من الحوادث التي تأتي مصادفة، والأحداث التي ليس في مقدور الإنسان فهمها، ثم الأمل في معونة الآلهة، والشكر على ما يصيب الإنسان من حظ سعيد، والأثر الذي تحدثه أجرام السماء في الأرض والإنسان وغيرها...

مثل هذه الأفكار والأحداث، كانت تصادف الإنسان البدائي في حياته، أقنعته بأن كل كائن حي له نفس، أو حياة دفينة في جوفه، يمكن إنفصالها عن الجسد إبان المرض والنوم والموت. جاء في كتاب من كتب «يوپانشاد» في الهند القديمة: «لا يوقظن أحدنا نائما إيقاظاً مفاجئاً عنيفاً، لأنه من أصعب الأمور علاجاً، أن تصل الروح فلا تعرف طريقها إلى جسدها».

وإن فكرة إله بشري لم تظهر في مراحل التطور الطويلة إلا أخيراً، وقد برزت في صورة واضحة، بعد إجتيازها لمراحل كثيرة، أخرجتها من تصوّر الإنسان لمحيط خضّم أو لحشد من الأرواح غامضة المعالم، مبهمة الحدود إلى تمجيد القوى السماوية والنباتية والجنسية. لهذا لا نجد في اللاهوت البدائي حداً فاصلاً متميزاً من حيث النوع بين الآلهة والناس.

والدين دعامة، أخلاقية من شأنها أن تضمن بقاء أنواع من السلوك يريده المجتمع أو رجال الدين بقاءها. فما يرجوه الفرد في السماء من ثواب، أو ما يخشاه لديها من عقاب يضطر إضطراراً أن يذعن للقيود التي يفرضها عليه سادته أو جماعته. فالإنسان ليس بطبعه مطيعاً رقيقاً طاهراً، وليس شيء يرعبه كالخوف من الآلهة.

وليس الدين أساس الأخلاق، لكنه عون لها، فيمكن تصوّر الأخلاق بغير دين، وليس بالأمر النادر ان تتطوّر الأخلاق في طريقها إلى التقدم. بينما يبقى الدين لا يأبه لها، أو يقاومها أحيانا مقاومة عنيدة. والدين بصفة عامة لا يرعى الخير المطلق، بل يرعى معايير السلوك التي وطدّت نفسها بحكم الظروف الإقتصادية والإجتماعية وهو كالقانون يلتفت إلى الماضي ليستمد منه أحكامه.

ويقول هيغل: «إن الإنسان وحده هو الذي يمكن أن يكون له دين. وإن الحيوانات تفتقر إلى الدين بمقدار ما تفتقر إلى القانون والأخلاق[1] ذلك لأن التديّن عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان».

والحس الديني قد يكون جزءاً أساسياً في تكوين الإنسان، وإنه موجود بدرجة متفاوتة عند الناس جميعاً. فقد يكون مطموراً عند من يحاول أن يحجبه أو يمنعه من الظهور، بل ربّما يجحد وجوده. وقد يكون عارماً وطاغياً عند النساك والمتصوّفين.

ومن هنا نشأت كثرة الديانات منذ وجود الإنسان[2]. فكانت الأساطير والخرافات والسحر، والشعوذة ومحاولة السيطرة على القوى الخفيّة، والتقرّب إليها بالأضاحي والقرابين. ثم ظهرت الديانات البشرية، الهندوسية، والبوذية، والكونفوشيوسية، والجينية، والطاوية وغيرها من الديانات. ثم كانت الديانات الموحّدة اليهودية والمسيحية، والاسلام[3].

---

(1) ول ديورانت قصة الحضارة. نشأة الحضارة الجزء الأول. ص 98 - 99.
- Ibid. P. 510.
- تاريخ الحضارات العام. الجزء الأول: أندريه إيمار - جنين ابوبواية 99,84. ص 161 وما بعد. ص 214. منشورات عويدات. بيروت - باريس. الطبعة الثانية 1981.

(2) هيغل. موسوعة العلوم الفلسفية ص 47 - 48. ترجمة د. إمام عبد الفتاح دار التنوير بيروت 1983.

(3) ولتر. ستيس. الزمان والأزل. ترجمة دكتور زكريا إبراهيم. ص 40 المؤسّسة الوطنية للطباعة والنشر. بيروت 1967.

الفصل الأول

الإنسان والدين والشيطان

الدين إصطلاح من العسير تحديده تحديداً دقيقاً، لتباين تأويله، لدى كل البدائيين وأصحاب الديانات السماوية، أو لاختلاف طبيعته من شخص لآخر، ولإتصاله بأعمق المشاعر والمعتقدات التي تدفع الإنسان نحو الكمال. ويشتمل الدين على الدوافع التي تحكم سلوك الإنسان بدائياً كان أم متحضّراً. ويختلف تصور ماهية الدين لدى الأفراد، بل لدى الفرد الواحد في مراحل حياته المختلفة. وتخضع علاقات الإنسان بالطبيعة، وما وراء الطبيعة لاعتبارات دينية. ويصبح الدين عاملاً هاماً في حياة الإنسان عندما يشعر بقوة عليه أن يخضع لها. وتؤثر في جوانبه وأفكاره وآرائه وأحكامه وسلوكه وأعماله. وترتبط قيم الإنسان كلها بالدين.

وتتلّخص الرسالة الكبرى للحركات الدينية، في أن الإنسان يجهل ذاته. فهو يجهل في آن واحد، جوانب ضعفه وإمكانيات عظمته. لذا نجد في صلب جميع التقاليد الدينية في العالم أفكاراً وطرائف تبدو أنها ترمي إلى تعريف الإنسان بكلا: «الحيوان» و«الإله» الكامنين فيه. فالمسيحيون الأوائل مثلاً، حين إنصرفوا إلى حياة التأمل وسط صحراء إفريقيا الشمالية، يمارسون الصلاة المسيحية البحت والصلاة القلبية، قد إختبروا مدى شرود ذهنهم وإمتلائه بأوهام تدور على الذات، لكنهم عندما واجهوا هذا الجانب الضعيف فيهم وسلّموا، إكتشفوا أيضاً أنهم مستودع لأسمى الطاقات الإلهية. كما أن التصوّف في الإسلام هو طريق إستسلامي يشجّع على إستكانة المشاعر وإنهيار القوى في الوقت الذي فيه الإنسان هو بأمس الحاجة للروح الوثّابة والمشاعر الثائرة والفكر النيّر والحلول التي تريحنا في الأعماق.

وتفقد جميع الأساليب والطرق الخاصة بالتقاليد الدينية هدفها الديني الأصيل، عندما تُستعمل خطأ كوسائل نفعية لبلوغ أغراض أنانيّة. لذا أدان الأنبياء في جميع العصور أعظم

الطقوس قدسية، حين كانت تمارس من أجل مظاهرها فقط، دون إقرار باطني بالعجز الشخصي وبفضل مصدر الحياة.

والتقليد الديني هو وسيلة لاستمرار الأفكار وأنماط الحياة التي تستطيع إرشاد بني البشر إلى إختراق صميم الأوهام التي أصبحت طبيعة ثانية فيهم، وإلى تبديدها.

ويقدّم الدين في أعمق أشكاله للإنسان أكثر من إدراك لطبيعته المتعارضتين. فإذا دقّقنا بالعبادات الخاصة بتراث عظيم إلى حدّ كاف، يتبين لنا أنها ترمي إلى تحقيق تحوّل فعلي للطبيعة البشرية على أعمق مستوى. ولعلّ الاسم الذي يطلق على حالة الكائن المتحوّل يختلف عادة من تراث إلى آخر، بل من درجة أو جانب من التحول إلى آخر. ففي العالمين المسيحي والإسلامي، تدعى هذه الحالة الخلاص، أو الخلود، أو الجنة، أو بلوغ ملكوت الله. أمّا في الشرق الأقصى وفي الديانة البوذية فتدعى «النيرڤانا» أو التحرّر أو الإستنارة. لكن مهما اختلفت الألفاظ التي تستجمع للدلالة على هذه الحالة، فالعامل المشترك بين جميع الأديان يكمن في فكرة التحول[1].

أما إذا عدنا إلى المنحى التاريخي في الدين، فنرى أن المشاعر السياسية أو الدينية كانت هي السبب الحقيقي في الاضطهاد، ولم تكن القسوة المجرّدة من الشعور هي الدافع إليه. ولذلك كان الذين يضطهدون الساحرات يرون أنهم يتقرّبون إلى الههم بالقضاء على من كانوا يعبدون إلهاً أقدم من إلههم.

وهكذا يصبح إله الدين القديم في كثير من الأقطار شيطان الدين الجديد، ولا سيّما من تخلّى منهم عن اعتقاداته القديمة. ومن ثم فإن أهل الديانة الجديدة يرون أنفسهم مضطرين بحكم المحافظة على النفس إلى اضطهاد أتباع الديانة القديمة. وتبريراً لعملهم نراهم يسبّون الإله القديم وجميع من يعبدونه. وتاريخ الديانات السماوية زاخر بالأمثلة الكثيرة على ذلك، إذ لم يكونوا يتورّعون عن أن يلمزوا إتباع الإله القديم، بكل كلمة

(1) الموسوعة العربية الميسّرة. مؤسّسه فرنكلين للطباعة والنشر. دار الشعب. القاهرة. ص 1106.
- بهجة المعرفة جـ 2. الإنسان والمجتمع ص 102 - 105 الطبعة الثانية. المجموعة الثانية الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. دار المختار. جنيف سويسرا.
- توراندريه. التصوّف الإسلامي. ترجمة عدنان عباس علي. المقدمة ص 5 منشورات الجمل. الطبعة الأولى - كولونيا. ألمانيا سنة 2003.

مهما تكن قبيحة وينعتون هذا الإله بأنه قوة الشر والشيطان[1] الدنس، وعدو الخلاص والوسواس، وعدو الله الحق الذي لا إله إلا هو. ويعتبرون كل من يعبده خطراً على الدين الجديد، وبالتالي على المجتمع، ويجب القضاء عليه، حتّى لا يسري الفساد منه إلى غيره، وحتى لا تصبح الديانة الجديدة مرّة أخرى هدفاً للاضطهاد بدلاً من أن تكون هي القائمة بالاضطهاد.

وكان أهل الديانات الغالبة، هم الذين سجّلوا في جميع الحالات أعمال الشياطين ولم ينل أعداء هذه الديانات أي نوع من الرحمة، سواء بالقول أو بالفعل، من مضطهديهم الذين كانوا فيما يبدو يجدون لذّة خاصة في تصوير الشياطين والسحرة بصورة الشخص الذي يمثل الشر المحض دون أن تكون له حسنة واحدة تكفّر عن سيّئاته.

وكان أصحاب الشأن الديني يحتّمون على قضاة المحاكم، أن يلمّوا بكافة التفاصيل المتعلقة بأية بدعة دينية، يناط بهم، استئصالها، وكان عليهم أن يحصلوا على البيّنات المطلوبة ممن إرتدّوا عن دينهم، وأن يستخدموها ضد كل شخص منهم أو مشتبه في أمره، وأن يطلعوا القضاة وكبار رجال الدين على مقتضاها. وبهذه الطريقة كاد يصبح من المستحيل على أي إنسان يدين بغير دينهم، أن يفلت من العقاب، متى وقع في قبضة القائمين على تنفيذ قوانين هذه الديانة ومبادئها.

وقد ذكرت في تعليل ذلك أقوال كثيرة، منها إن ضروب الخداع والأوهام التي كان الشرير يبثّها في نفوس أتباعه، كانت تطمس بصائرهم وتقوّي من بأس قلوبهم. بيد أن المشاعر التي أعرب عنها ضحايا الاضطهاد تكشف لنا عن إيمانهم بإلههم إيماناً يعادل في شدّته وقوّته ما يمكن أن نجده بين شهداء الديانات الجديدة.

---

(1) شيطان لفظ عبري الأصل، ومعناه لغة العدو، ويدلّ في اليهودية والمسيحية والإسلام على مبعث الشر، ممثّلا في شخص بذاته. وكان في الأصل ملاكاً تمرّد فسقطت منزلته، وأصبح من أهل النار أو جهنّم. له سلطان في جهنّم، ويأتمر بأوامره عدداً من صغار الشياطين. ورد ذكره في العهد القديم في مراجع عدّة منها: سفر الأخبار الأول الاصحاح 21 الآية 1. سفر زكريا الاصحاح الثالث الآية 2. سفر الحكمة الاصحاح 22 الآية 24. وفي رؤيا يوحنا الاصحاح 12 الآية 12. وفي رسالة يعقوب الاصحاح الرابع الآية 7. وفي انجيل متّى الاصحاح الرابع الآية 1 و 5 و 10. وتقرّر المسيحية أن الشيطان يستطيع أن يغري الإنسان، ويقوده إلى فعل الشر. غير أن الإنسان لا يعدم حريته أثناء التجربة، ويستطيع أن يدفعها بنعمة الله. والشيطان مثل كل كائن لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلا بإذن الله، ولا تذكر قدرته في شيء بالنسبة للقدرة الإلهية. وفي الترجمات الحديثة للكتاب المقدّس، استبدل البعض كلمة شيطان بكلمة ابليس.

وعلى ذلك، فالقضاء على الشيطان هو عبارة عن الصراع بين الديانات القديمة والجديدة، ولا سيّما السماوية منها. وإن هذه الديانات الأخيرة في تطوّرها الحكيم، وجّهت همها إلى هداية القائمين على سنّ القوانين وتنفيذها. ولذلك، فعندما وقع الصراع، كتب الفوز لا محالة للديانة الجديدة. وحينما كانت هذه الديانات تسدّد ضرباتها إلى الديانات القديمة، كان يناصرها الحكّام الزمنيون والروحيون.

وكان كل عقد يمرّ من الزمن يزيد قوة الديانة الجديدة، ويوهن من قوة الديانة القديمة. وكانت الطبقات الرامية والمتعلّمة تزداد تمسّكاً بأهداب الدين الجديد تاركة القديم للطبقات الفقيرة والجاهلة. وأصبح مرشدو هذه الطبقات مجرد كهنة من الأميّين يمارسون طقوسهم الدينية في أماكن نائية بعيدة عن العمران، وكان أتباعهم يأتون إليهم سرّاً ليعبدوا الله الذي حرّمت عبادته.

وكان المبدأ الأساسي في الديانات القديمة، هو الاعتقاد الشائع في كثير من هذه الديانات، وهو حلول الإله في الإنسان أو الحيوان أو الأشجار، وكان الإله في جميع هذه الأحوال، هو الخالق وواهب الخصب. وإن الطقوس التي تمارسها الشعوب البدائية في عبادة مثل هذا الإله، تملأ قلوب أهل الديانات السماوية رعباً وفزعاً. ولكن هذه الديانات كانت تستهوي أفئدة هؤلاء الناس التائهين في بيداء الجهالة، لأنهم كانوا يشاهدون إلههم بين ظهرانيهم بالفعل، ويستطيعون أن يتحدّثوا معه، ويسمعوا صوته، وأن يتوجهوا إليه في أفراحهم وأتراحهم، وعندما يدركهم الموت فإنه يحضر إليهم بالنعيم الأخروي.

وقد اضطُهدت الديانات القديمة الوثنية بقسوة كبيرة، وبشجاعة فائقة من قبل أصحاب الديانات السماوية، إذ كانوا يؤمنون بأن جميع قوى الشر كانت تتحفّز للإنقضاض عليهم، ولم يواجهوا الأخطار الروحية التي كانت تصيب أرواحهم فحسب، بل كانوا يواجهون أخطار الإغتيال الحقيقية بالسم والحراب والخناجر. وقد كان هذا الشعور بالخوف هو الذي زاد في عنف الاضطهاد. فقد كانت الساحرات في سبيل النضال عن مقدّساتهن يتذرّعن في قتل أعدائهن بالوسائل الخبيثة، كالرقي والتعاويذ التي كانت بلا شكّ ذات أثر فعّال في نفوس من يؤمنون بها. وإذ ما فشلت الوسائل السحرية، كنّ يلجأن إلى وسائل أخرى من الأعشاب السامة التي يعرفنها ويقتنيها رؤساؤهن هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان إتباع الديانات السماوية يثأرون بإستخدام سلاح القانون،

لا سيّما المسيحية منها، وهو سلاح لا يقهر، فإذا ثبت أن إنساناً أو حيواناً أصيب بضرر، أعدم المتهم حتّى لو إنتفت عنه تهمة السحر. وكان القانون التوراتي اليهودي، الذي يقول: «لن نسمح للساحرة بأن تعيش» هو السبب في موت الألوف من أهالي أوروبا الغربية الذين كانوا يتمسّكون بالديانة الوثنية القديمة.

وقد كانت المسيحية هي الظافرة في ذلك الصراع الطويل. ولكن لا تزال في مناطق متعدّدة من العالم، لا سيّما في أفريقيا، وأميركا الجنوبية، وأوقيانيا، وبعض مناطق آسيا شعوب تؤمن بالوثنية، وبمثل هذه المعتقدات. في حين زالت الديانة القديمة بطقوسها الفظيعة وإخلاصها في عبادة آلهتها ومريديها وشهدائها في البلدان الحضرية، وعفى الزمن عليها في هذه البلدان[1].

فالتديّن عنصر أساسي في تكوين الإنسان، والحس الديني، إنما يكمن في أعماق كل قلب بشري، بل هو يدخل في صميم ماهية الإنسان. مثله في ذلك مثل العقل سواء بسواء[2].

---

(1) مارغاريت أ. مودي. السحر والقضاء عليه. تاريخ العالم: اشرف على ترجمته ادارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم. مصر الفصل الثامن والعشرون بعد المائة صفحة 716. الناشر السير جون. أ. هامرتن.
- الموسوعة العربية الميسّرة - . راجع الدين - الشيطان - التصوّف.
- بهجت المعرفة - راجع الطقوس - علم الادراك اللاحسي. التنجي - علم الغيب.
- معنى الاسطورة ووظيفتها - الاسطورة والعلم والدين - اليهودية والمسيحية.
- تور آندريه - التصوّف الفصل الأولى - التصوّف والمسيحية 25 - 27.

(2) ولتر ستيس - الزمان والازل - ص40 ترجمة الدكتور زكريا إبراهيم - المؤسّسة الوطنية للطباعة والنشر - بيروت 1971.
-جفري برندر - المعتقدات الدينية لدى الشعوب - ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام.

الفصل الثاني

الفلسفات والديانات الشرقية

ينظر في الغرب إلى الفلسفة عادة من خلال فلاسفة العالم الغربي التقليديين، ولكن ليست هناك ميزة خاصة في فهم طبيعة الفلسفة والمشكلات الفلسفية، أن يدرس الإنسان فلاسفة تصادف أنهم عاشوا في نصف الكرة الغربي من الأرض، فالموقع الجغرافي لا أهمّية له هنا.

ولكن هناك في نصف الكرة الشرقي من الأرض فلاسفة أيضاً، عبّروا عن أفكارهم. وعمّا يدور في عقولهم ويختلج في قلوبهم بما لا يقل عما عبر عنه الفلاسفة الغربيون. وهناك للسبب نفسه ميزة في دراسة الفلاسفة الشرقيين، ذلك أنه بالإضافة إلى تعّرف المرء على طبيعة الفلسفة، فإنه يكتسب كذلك فهماً للوضع الراهن للإنسان في الشرق، ولماذا تفرض التعريفات الفلسفية الغربية على الشرق؟. إذ لم يقم أحد، على قدر علمي بالبرهنة على تفوّق المفاهيم الغربية للفلسفة على نظرياتها الشرقية. وإلى أن يتم ذلك، فإن الفكر الشرقي ينبغي أن تتم دراسته في إطار معاييره الخاصة.

وإذا كانت نشأة الفلسفة، قد صارت منذ عصور بعيدة مشكلة بين المشكلات التي تدرسها الفلسبفة، وأين نشأت، عند اليونان، أو عند الشرقيين؟ فقد إنقسم الباحثون والمؤرّخون في هذا المجال إلى فريقين.

- **الأول**: يرى أنها نشأت في بلاد اليونان. ويرى أن الشرقي لم يكن له سوى فكر لاهوتي فقط. وقد ظل فكر هذا الفريق سائداً أو مزدهراً حتّى «برتراندراسل» في القرن العشرين[3].

- **الثاني**: رأى أن هناك فلسفة شرقية خاصة ترتبط بالدين أحياناً وتنفصل عنه أحياناً أخرى. وما يؤكّد على هذا، البحوث الجديدة التي كشفت عن حضارات مزدهرة، وأفكار جديدة، تقترب من ميتافيزيقية الفكر الغربي، إنما غيّر الفكرة القديمة، التي غلّبت الفكر الديني.

ويرى «جون كولر» أن هناك فلسفات شرقية لا تقّل في عمقها ودقّتها وأصالتها عن فلسفات الغرب. وهو يدعو إلى فهم هذه الفلسفة على نحو ما فهمها أصحابها، بمعنى

(3) جون كولر: الفكر الشرقي القديم - عالم المعرفة عدد 199 ص 15.

عدم محاولة فرض عليها مفاهيم جاهزة ومستمدة من الفلسفات الغربية، ويجب أن تدرس هذه الفلسفة في إطارها ومعاييرها الشرقية. وقد عمل الفلاسفة الشرقيون على استمرار التواصل بينهم وبين مسائل الحياة، عائدين بصفة مستمرة إلى محك التجربة الإنسانية[1].

إن هؤلاء الفلاسفة لم يركّزوا فلسفاتهم ومذاهبهم على مشكلات السلوك البشري والقيم الأخلاقية وحدها، بل تعدّوها إلى التركيز على المشكلات الميتافيزيقية وإن هناك مدارس واقعية، ومدارس مثالية ذاتية. وإن العقل الشرقي من هذه الناحية لا يقل عمقا وأصالة عن العقل الغربي، إذا صح إن كانت هناك مثل هذه القسمة للعقل البشري.

في الغرب إعتاد الناس إلى حدّ كبير، على النظر إلى الفلسفة باعتبارها شيئا مستقلاً عن الحياة. مفرّقاً في التجريد وفي الطابع الأكاديمي بالنسبة للشخص العادي. أما في الشرق فإن الهوّة بين الفلاسفة الشرقيين والناس العاديين ليست على هذا القدر من الإتساع، ذلك أن الفلاسفة الشرقيين، يستمرّون في التواصل عن كثب مع الحياة، عائدين إلى محك التجربة الإنسانية لإختبار نظرياتهم. والناس العاديون يمتدون بإهتماماتهم إلى ما يتجاوز حياتهم العادية، ويكافحون لرؤية الوضع الصحيح لوجودهم ولفهم هذا الوجود، من خلال المفاهيم الفلسفية.

ويميل الشرقيون إلى تجنّب تجزئة وعزل الحياة والمعرفة، والنتيجة المترتبة على ذلك. هي أنهم لا يفصلون بين ميادين الفلسفة المختلفة مثل: نظرية المعرفة، ونظرية الوجود، ونظرية الفن، ونظرية السلوك، ونظرية التنظيم السياسي وغيرها...

فليس هناك تمييز قاطع بين الفلسفة الشرقية والديانة الشرقية، أو بين الفلسفة وعلم النفس، أو بين الفلسفة والعلم. فالفلسفة في الشرق ليست أمراً مجرداً متّسماً بالطابع الأكاديمي ولا تربطه كبير صلة بالحياة اليومية، وإنما ينظر إليها باعتبارها المشروع الأكثر أهمّية وجذرية في الحياة. وتنعكس المشكلات الجوهرية للفلسفة الشرقية الصينية في هذين السؤالين:

1 - كيف يمكنني تحقيق التناغم مع الإنسانية بـأسرها؟

2 - كيف يمكنني التناغم مع الطبيعة؟

فهناك ميل متزايد إلى التوحيد بين الطبيعة المادية وطبيعة الإنسان. وبقدر حدوث

---

(1) جون كولر: الفكر الشرقي القديم. ترجمة كامل يوسف حسين ص9-10 عالم المعرفة عدد 199. الكويت - تموز 1995.

هذا التوحيد تصبح مشكلة تحقيق التناغم مع الطبيعة هي مشكلة التناغم مع المرء نفسه. وبالتالي، فإن كون المرء في حالة تتناغم مع نفسه. قد نظر إليه باعتباره الأساس الضروري لتحقيق التناغم مع الآخرين. وكون المرء في حالة تتناغم مع نفسه وبقية الإنسانية هو الخير الأسمى في الفلسفة الصينية.

وتشتهر الهند بالإحترام الكبير الذي تكنّه لمن ينشد الحكمة، بإجلالها وتوقيرها للحكماء، وتتخذ الحكمة العملية المتراكمة في الهند شكل ترويض النفس «اليوغا» الذي يهدف إلى تحقيق التكامل المطلق للحياة. ودروب ترويض النفس هذه هي الحكمة الفلسفية، التي تناهت عبر العصور. وقد وضعها الناس موضع الممارسة. وقد وصل فلاسفة «الأوبينشاد» الهنود في تأملهم في طبيعة الذات وطبيعة الواقع المطلق إلى إدراكه: «أننا في أعمق أغوار وجودنا متّحدون مع الطبيعة المطلقة للواقع»[1].

وقد اعتنق الملايين من الناس في المناطق البوذية من آسيا تعاليم «غوتاما سدهارتا» المعروف بـ«البوذا» أو «المستنير».

والبوذية باعتبارها طريقاً للحكمة، يتم تعليمها وممارستها من أجل تحسين نوعية الحياة من خلال إزالة منابع المعاناة، هي في تفاصيلها، ظاهرة معقدة تتضمّن تغيرات تاريخية عظيمة ومتعدّدة. غير أنها في جوهرها، وعلى نحو ما قال بوذا: «هي تعاليم بسيطة نسبيا، يسهل إستيعابها». ولكن على المرء أن يسارع إلى القول، إن فهم الخطوط العامة لطريق الحكمة هو أمر مختلف تماماً عن إتباع هذا الطريق، فإتباع الطريق أمر صعب، بل أنه من الصعوبة البالغة، بحيث أنه لم يتّم تملّك ناحيته من خلال الإنضباط، والسيطرة على

---

(1) جون كولر: الفكر الشرقي القديم المقدمة ص 19 - 24 عالم المعرفة العدد 199. تموز 1995.
- جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح مكتبة مد بولي - القاهرة 1996.
- انجيل بوذا: ترجمة سامي سليمان شيّا. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى بيروت 1991.
- فاروق الدملوجي: تاريخ الاديان. الالوهية وتاريخ الآلهة. الاهلية للتوزيع والنشر بيروت 2004.
- بهجة المعرفة. المجموعة الثانية. الإنسان والمجتمع. الطبعة الثانية. الإنسان وعالم الغيب ص 50. الشركة العالمية للنشر والتوزيع والاعلان. تنفيذ دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان جنيف. سويسرا 1976.
- بريديل كيت: الاديان الناشئة في الشرق الاقصى. تاريخ العالم. الجزء الثاني الفصل الأربعون ص 524 نشره بالانكليزية السير جون هامرتن. ترجمة وزارة المعارف المصرية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- القس د. ر.أينج: الوثنية والفلسفات. تاريخ العالم الجزء الثالث. الفصل السابع والستون ص 583.

النفس من جانب غالبية البشر، والحديث عنه. فلكي تتبع الطريق، ليس هناك بديل عن الممارسة. وفي حقيقة الأمر فإنه دون ممارسة الطريقة ليس من المحتمل أن يصل المرء إلى فهم عقلي كاف لطبيعة الطريقة.

لكن فلسفات البوذية، التي تعكس المحاولات لتنظيم طريقة الحياة البوذية، ولتقديم أساس عقلي لهذه التعاليم الأخلاقية - الدينية، قد تعرّضت لتغيير وتطور هائلين مع مرور الزمن.

وتندرج المضامين الفلسفية الرئيسية للتعاليم الأخلاقية - الدينية البوذية في مذهبي «اللانفس» «اناتا» و «الزوال» «انيكا» وكل من هذين المذهبين يدعمه بدوره مبدأ النشؤ المعتمد على غيره «باتيكا ساموبادا» والذي وفقا له، فإن كل ما هو موجود يتغير على نحو مستمر، ويعتمد على شيء آخر. والفارق الأساسي بين مذهبي «اللانفس والزوال» هو أن المذهب الأول يشير إلى جوهرية الأشياء في العالم. ويفترض كل من المذهبين بصورة مسبقة نظرية النشوء المعتمد على غيره.

ومع تطوّر البوذية، أخضع مبدأ النشوء المعتمد على غيره لتفسيرات مختلفة، ثم إستخدمت هذه التفسيرات لدعم النظريات المختلفة الخاصة بلا جوهرية الأشياء والنفس[1].

وفي الفلسفة البوذية، إن الحياة قصيرة، وإنها معرّضة دائما للمصائب في الصحة والمال والأهل والخوف الدائم القهّار من الموت. وإن الموت ما هو إلا بداية تجربة أخرى لآلام الوجود، تصيب مولوداً جديداً، ولكن هذه المشكلة على بشاعتها ممكنة الحل.

وثمة سبب في رأي بوذا لتكرار ميلاد الإنسان على الدوام، هو «الرغبة التي تورد المرء موارد التهلكة» والتي تجعل الناس شديدي التعلق بشؤون الحياة، وتمنعهم من إخماد جذوة الحياة والشفاء إلى الأبد، ثم إن الرغبة ثمرة الجهل، لأن الإنسان لا يدرك حقيقة الحياة، ولا يدرك أنها سعي عقيم إلى غايات لا يمكن أن تجلب أبداً الإقتناع والرضا. والإنسان ضحية فلسفة زائفة تغرس فيه فكرة، إن النفس تظل ثابتة على ما هي عليه خلال حلقات متطاولة من التجارب، وليس هناك نفس على هذا النمط، فأنت إذا حللت كل التجارب البشرية إلى عناصرها، فلن تجد فيها شيئا دائما، وكذلك إذا تناولت بالتحليل والتعليل

(1) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب الفصل الثامن ص 215.
- جون كولر: الفكر الشرقي القديم. عالم المعرفة. العدد 199 الفصل العاشر ص 187. الفصل الحادي عشر ص 203. الفصل الثاني عشر ص 187.

كل جزء من أجزاء العربة فلن تجد فيها مهما حاولت شيئاً يطابق لفظة العربة. وكما أن العربة مكوّنة من مجموعة أشياء مادية متضامنة. فكذلك الإنسان مركّب من صورة مادية وعناصر نفسية وعقلية وفاعلية وإرادية. يظن خطأ أنها قائمة على أساس ثابت دائم. وجميع هذه العناصر زائلة ودائمة التغير، ومتصلة ببعضها إتصالاً علمياً.

والإنسان إذا نبذ الرغبة، وجانب الجهل، يستطيع أن يضع حداً لهذا التركيب الذي يحدث دورات الميلاد المتجددة، وإذا أدرك أن كل شيء إلى زوال وإن جميع الأشياء تنطوي على شفاء محتوم، فإنه يبلغ المعرفة، فتنقضي في نفسه كل رغبة، ويستمتع في الحياة بنعيم «النيرڤانا» أو السعادة، الذي هو خلاص من جحيم الرغبة وآلام الجهل.

وتستبعد البوذية من الحياة إستبعاداً تاماً كل ما يقوم على الملاحظة والتجربة، وعلى الإنسان أن يرتفع فوق حدود الزمان والمكان، وينتقل إلى ما وراء حدود الوعي، ويحقق التحرر من كل القيود الجسدية. فإحسان بالعمل لا بالقول، وإشتعال القلب بنار الحب لله والإنسان، والرغبة في المساهمة في حياة الناس المألوفة والإرتفاع بها، كل أولئك أفكار غريبة على هذا المثل الأعلى لمعرفة الإنسان نفسه في هدوء، وإستهوائها إلى السكينة في غير إنفعال، إلا أن هذا يقتضي أن ينفي المرء عن نفسه كل فكرة شريرة، بل كل فكرة دنيوية.

وتدعو البوذية الإنسان إلى أن ينمّي في نفسه الشعور بالصداقة نحو جميع الناس، وكل الكائنات، عظيمها ووضيعها، وأن ينبض قلبه بالسرور، والحق إن واجب الكاهن البوذي أن يشمل بإحسانه الأشرار والطيبين على السواء. فإحسانه ذاك لا تخالطه النزعة الأخلاقية، ثم إن الغضب للحق ينبغي ألا يكون له أثر في حياة الراهب البوذي على الإطلاق، لأن الغضب مرادف للرغبة، أو غير منفصل عنها.

ومن الخصائص المميزة للفلسفة الصينية التأكيد على التكامل لا التناقض، وغالباً ما يتّم النظر إلى الآراء والمبادئ لا على أنها مختلفة فحسب، وإنما على أنها متعارضة. فمن الضروري أن لها أساساً مشتركاً. وفي الفكر الصيني يتم التشدد على ذلك الأساس المشترك، وينظر إلى الخلافات على أنها تكاملية، وليست تناقضية، حيث يتم النظر إلى الخلافات باعتبارها مكمّلة بعضها للبعض الآخر، وبالتالي فإنها تشكّل كلا واحداً. وبدلاً من التفكير في أن «أ» و «ب» متعارضتان وبالتالي يتعّين على المرء ان يعتمد «أ» فانه يفكر في «أ» و «ب» متعارضتان، وبالتالي فان الحاجة ماسّة اليهما من أجل الكل الواحد. وعلى سبيل المثال لا يختار المرء بين الممارسة والنظرية، وانما يختار كلا من الممارسة والنظرية.

وان الموقف التركيبي يقضي إلى التسامح حيال افكار الآخرين وسلوكهم، ويدعو إلى التعاطف والتقدير حيال ما هو مختلف ممّا يشير للخصائص الاساسية للفلسفة الصينية إلى تراث فلسفي ثري وكامل. ويوحي هذا التأكيد على عظمة الإنسانية، وتفضيل الشمول المنهجي. بان هذا التراث ينبغي النظر إليه في سياقه الخاص، ومن خلال ميزته الخاصة.

وكانت الفلسفة الصينية، التي أكدت على أهمّية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها، مرتبطة أوثق الإرتباط بالسياسة والأخلاق، وإضطلعت بمعظم وظائف الدين. إذ لم يكن الهدف الرئيسي للفلسفة الصينية هو في المقام الأول فهم العالم، وإنما جعل الناس عظماء[1].

---

(1) بريديل كيث. الاديان الناشئة في الشرق الاقصى. تاريخ العالم الفصل الأربعون. ص 524.

- راجع بهذا الشأن انجيل بوذا.
- جون كولر. الفكر الشرقي القديم. عالم المعرفة. عدد 199 ص 328 - 329.
- سليمان مظهر. قصة الديانات. الكونفوشيوسية. الفصل الثالث ص 186 وما بعد مكتبة مدبولي القاهرة 2002. الطبعة الثانية.

الفصل الثالث

الواقع الجغرافي والسكاني

لم يكن اليزيديون قديماً منحصرين في بقاع ضيّقة، كما هم الآن، إذ المعروف أنهم كانوا يؤلّفون وحدة جغرافية واسعة الرقعة وقائمة بنفسها، أما اليوم فيكادون ينحصرون في العراق. وينتشرون بشكل رئيسي في شمال العراق، في المنطقة الجنوبية من كردستان، حيث تتواجد مراكزهم الدينية والسياسية الرئيسية في أغلب قرى محافظة نينوى ومجمل أقضيتها، وكذلك الأمر في محافظة دهوك وأقضيتها[1].

ولعل أبرز تجمعات اليزيديين في منطقة الشيخان حيث مركزهم الديني في شمال شرق الموصل، وأنه من الشائع كون المكان مقدّس لليزيديين، يقع في جبال كردستان الجنوبية شرقي نهر دجلة، بين الموصل والعمادية. وبذلك، يتركز القسم الأعظم من اليزيديين على أطراف الموصل ومنطقة الشيخان. وهم أساساً يسكنون في المراكز الكردية القديمة. وتُعد منطقة الشيخان من أهم مراكز اليزيديين، حيث يوجد فيها مراقد كبار شيوخهم، ولا سيّما مرقد الشيخ «عادي»[2].

كما أن منطقة سنجار من المواقع الرئيسية المهمة التي يسكنها اليزيديون، وتخضع هذه المنطقة بمجملها بما فيها الجبل والسهل إلى سلطة اليزيديين الذين يعتبرونها وطنهم الخاص[3].

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في اقليم كردستان ص 23 مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية السليمانية العراق 2004.
- عباس العزّاوي. تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ص 98. مطبعة بغداد - 1935.
- عبدالرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 124. المكتب العربي لتوزيع المطبوعات 1984 بغداد.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 31. مكتبة السائح طرابلس. لبنان 2004.

(2) لورانت شبري وآني شبري. سياسة واقلّيات في الشرق الادنى. ترجمة ذوقان قرقوط ص 128. مكتبة مدبولي. القاهرة. الطبقة الأولى 1991.
- جيمس بيكنهام. رحلتي إلى العراق 1816. ترجمة سليم طه التكريتي جـ 1 ص 20 مطبعة اسعد. بغداد 1968.

(3) ناماد ميرزا. العشائر الازيدية في كردستان العراق. مجلّة الإشعاع، ص 100 - 104/ 1998/ .
- خليل إسماعيل محمد. اقليم كردستان العراق ص 66 - 68، اربيل - العراق.
- سهيل قاشا. اليزيدية ص 8.

وتشغل قصبة سنجار مساحة واسعة تبلغ حوالي 1800 كم^2، ويزيد إرتفاع أعلى قممها على 1600م. ويبدو جبل سنجار في قلب الصحراء، بين سوريا والعراق كهضبة منعزلة. وفي الشتاء تكلّل قممه الثلوج، ينحدر من الجهة الشمالية بشكل جرف عمودي، تكثر فيه الوديان الصغيرة، وغابات السنديان والعفص والملّول، وأشجار التين والرمّان. في حين يقل إنحداره من الناحية الجنوبية، حتّى يشكل سهلاً تخترقه الجداول الجبلية مروراً بمدينة سنجار عاصمة المنطقة، متابعة طريقها نحو وادي الثرثار الذي يجري قرب مدينة «هترة» المهجورة، ليتلاشى في غور قرب مدينة بغداد. وتقسم منطقة سنجار إلى قسمين: العلوي، الذي تقطنه الطائفة اليزيدية، والسفلي، وهو منطقة مختلطة بين المسلمين والمسيحيين، إضافة إلى اليزيديين[1].

وقد كانت هذه المنطقة في السابق معبراً لطرق التجارة والحجاج، ومرتعاً للرحالة والمبشرين، ومساراً من مسارات طريق الحرير القادم من الصين. فقد كانت القوافل تعبرها لتربط موانئ الشرق الأقصى بموانئ البحر الأبيض المتوسط، والخليج العربي. وكانت هذه الطرق تتخذ لها ثلاثة مسارات:

- **الأول**: طريق الصحراء الكبرى. وهو أكثرها شهرة، ويتتبع سلسلة من منابع المياه جنوب نهر الفرات إلى مدينة البصرة.

- **الثاني**: طريق الصحراء الصغرى، وكان يتتبع نهر الفرات حتّى منطقة بغداد.

- **الثالث**: يمتد من حلب إلى الموصل، ومنها ينحدر إلى وادي دجلة، ثم يتفرّع إلى عدة طرق. وكانت القوافل تقطع المسافة بين حلب والموصل البالغة 650 كلم. بحدود أربعين يوماً. وكانت تتألف هذه القوافل من الجمال، ثم الخيل، فالبغال والحمير.

وتقع الموصل على بعد حوالي 130 كم شرقي سنجار على ضفّة نهر دجلة، وتقع آثار مدينة نينوى[2] عبر هذا النهر، وعلى سفوح جبال كردستان، وجبل «الجودي» الذي يعتبر

---

(1) د. محمد التنوجي اليزيديون. ص 8.
- سهيل قاشا اليزيديون ص 31.
- عدنان زيّان فرحان الازيديون في اقليم كردستان 24.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 172 - مطبعة الاتحاد، الموصل، العراق 1949.

(2) مدينة قديمة. عاصمة الامبراطورية الاشورية على نهر دجلة، تقابل مكان الموصل الحديثة بالعراق. يبدو ان نينوى، انشئت كالاء التي كانت قد حلّت محل اشور العاصمة القديمة. بلغت نينوى اوج عظمتها تحت حكم سنحاريب وآشور بانيبال. تزعمت العالم القديم حتّى 612 ق.م. وتعتبر المباني والنقوس التي فيها مصدراً للتاريخ الاشوري. ومنها مكتبة اشور بانيبال. ذكرت في الانجيل...

أعلى جبال تلك المنطقة بإرتفاع قدره 2100م عن سطح البحر. وتحت الموصل تنطلق ثلاثة أنهار غزيرة من جبال «زاغروس» الإيرانية وهي: الزاب الأكبر، ويندفع نحو جبل الهكاري، والزاب الأصغر الذي ينبع من شرقي راوندوز وجنوبها، ونهر ديالة، الذي تمرّ بواديه الواسع الطريق التجارية من بغداد إلى همدان وكرمنشاه جنوب إيران، وأسواق الشرق[1].

وقد كانت منطقة سنجار ما قبل الميلاد، وما بعده ميادين الحروب، وساحة معارك عديدة بين الفرس والآشوريين والبابليين والسلوقيين، إضافة إلى الصراعات الدينية، التي كانت على أشدها هناك بين الزرادشتية، والمانوية، وبين المسيحية والوثنية، ثم بين المسيحيين أنفسهم. وقد عاشت المسيحية قرونها الأربعة الأولى بالاضطهاد والصراع الداخلي، ثم إن الإمبراطورية البيزنطية ما كانت تتيح للديانة الزرادشية بالتغلغل بين أبناء شعبها. كما أن الفرس الكسرويين ما كانوا يسمحوا للمسيحية بالإنتشار بين السكان الفرس.

وقد شيّد المسيحيون العديد من الأديرة والكنائس في هذه المنطقة بدءاً بدير الزعفران في ظاهرة ماردين، شرقي «طورعبدين» إلى «ماربهنام» وغيرها التي إمتدت على طول المنطقة وعرضها، وكثر فيها الرهبان والراهبات، وظهر فيها الكثير من القديسين، حيث عرفت بمنطقة الإيمان والقداسة[2].

وقد مرّت فترة اعتبرت فيها منطقة جبل سنجار أهم منطقة سكنها اليزيديون خضعت برمتها بما فيه السهل والجبل إلى سلطة اليزيديين الذين يعتبرونها موطنهم الخاص. وجاء في سالنامات ولاية الموصل العثمانية[3]: ان سنجار تعتبر أهم مناطق الجزيرة التي تقع غرب الموصل، حيث أن جبل سنجار يتوسط إقليم الجزيرة الذي يقع بين نهري دجلة والفرات. وجبل سنجار فيه عوارض طبيعية واسعة، وهو صعب المرور، ويمتاز بمائه وهوائه العزب وسكانه أكثريتهم من اليزيديين[4].

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية: «أن أهل سنجار ومدينة سنجار، من الكرد

---

(1) محمد التونجي. اليزيديون ص 10.

(2) محمد التونجي. اليزيديون ص 14.

- هارفي موريس. وجون بلوج، لا أصدقاء سوى الجبال. ترجمة راج ال محمد. ص 209. دمشق 1996.
- شاكر خاصباك. العراق الشمالي. ص 182. مطبعة شفيق بغداد 1973.

(3) سالنامة كلمة تركية، تعني التقويم السنوي. والرسالة.

(4) سالنامة ولاية الموصل ص 200/ 1325 هـ.

الأيزيدية، حيث كان كرد هذه المنطقة يعتنقون الديانة اليزيدية»[1]. ويشير العديد من البحّاثة والمؤرّخين إلى استقرار اليزيديين في هذه المنطقة ما قبل قيام الدولة الآشورية[2].

ويذكر ابن بطوطة عن أهل سنجار «أن هناك قبائل كردية في إقليم الجزيرة، وخاصة في جهات سنجار منذ ما قبل الإسلام، وكانت تدين باليزيدية»[3].

وأهم مراكز اليزيديين في منطقة جبل سنجار «تل عزيز»، تل بنات، دوهولة، خانة صور، وغيرها... يذكر أن اليزيديين كانوا يسكنون حول جبل سنجار من جهاته الأربعة، قبل بناء المجمعات السكنية التي قامت بها الحكومة العراقية، لا سيّما بعد بناء السدود في تلك المنطقة. وبخاصة سد الموصل. كما أن سياسة التعريب التي إتبعتها الحكومات العراقية البعثية المتتالية، أثرت كثيراً في التغيير الديموغرافي لهذه المنطقة[4].

ويشير الأب سهيل قاشا إلى العشائر اليزيدية القاطنة في جبل سنجار وضواحيه، بأنها تنقسم إلى قبيلتين، يتفرّع كل منهما إلى عشائر وأفخاذ وبطون وهما:

1 - **الجوانا**: ومنها عشائر الهبايات، مالامحيي، ملاخور، تلكات، مهركان، ملاعيسى، آدي دله، مالا علي فرا، هسكالية، ما لا خالتي، مسعورة، المنركان.

2 - **الخوركان**: ومنها عشائر الفقراء، القيران، كينجو، سموقة، هسكان، جفرية، المندكان.

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية، اصدار احمد الشنتاوي. مجلّد 12. دار المعرفة. مادة سنجار ص 244 - 245.

(2) جارلس الكساندر رابنسون. تاريخ بستان. ترجمة د. إسماعيل دولتشاهي ظهران. ص 110.
- عماد غانم الربيعي. موجز تاريخ اهالي نينوى ص 159 الموصل. العراق 1999.
- لورانت شابري وآني شبري. سياسة واقليّات في الشرق الادنى ص 128 - 129.

(3) ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة، تحفة النظّار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ص 159. دار الكتاب بيروت.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في اقليم كردستان. ص 25 - 24.
- فائز محمد عزت. الكرد في اقليم الجزيرة وسهر زور في صدر الاسلام. ص 63. جامعة صلاح الدين، اربيل. العراق 1991.

(4) سي. جي. ادموندز. كرد وعرب. ترجمة جريس فتح الله. الطبعة الثانية ص 8. دار رأس للطباعة والنشر. اربيل. العراق 1999.
- ستيفن هيمسلي لونكريك. العراق الحديث من 1900 إلى 1950. ترجمة سليم طه التكريتي. الجزء الأول. الطبعة الأولى ص 30. منشورات الفجر. بغداد 1988.
- خليل إسماعيل محمد. البعد القومي للاستيطان الريفي في قضاء سنجار. مجلّة لالش عدد 15. صفحة 29 دهوك 2001.

يضاف إليها شمال وجنوب سنجار ومنطقة سليفاني وزمّار ومنطقة الشيخان. كما أن هناك قبائل عربية اعتنقت الديانة اليزيدية ومنها قبيلة الشهوان، قبيلة الهبايات، قبيلة عمرا، قبيلة تازي، لكن أكثر هذه القبائل نسوا دينهم ولغتهم[1].

ومن القبائل الكبرى على الزاب، الكبير «كلك، وقرية عبدالعزيز». أما في تركيا فيتواجد اليزيديون في طور عبدين، ونصيبين، وديران شهر التابعة لمنطقة ماردين، وفي حصن كيف، وديار بكر، ورأس الجزيرة الفراتية، وميافارقين، وبشيرية، ورضوان، وفي سعرت وصاحون، وديريك، وكنج، وبطمان، وبدليس، وهكاري. وقد كان تواجدهم في تركيا كبيراً، لكن عددهم تضاءل نتيجة الاضطهاد والضغوطات الدينية والعرقية التي واجهوها من قبل الحكومات التركية، إضافة إلى الأمراض والمجاعات والفقر ممّا إضطرهم إلى ترك ديارهم إلى الدول الأوروبية[2].

وفي سوريا يتمركز اليزيديون بشكل أساسي في منطقة القامشلي، ومنطقة حلب حول كليس وعينتاب وسروج وبيرجك وعفرين المعروفة بمنطقة جبل الأكراد (كراداغ، أو كورداغ) الواقعة في الشمال الغربي من سوريا، كما يتواجدون أيضاً في منطقة الجرّاح، وفي قرى ال رش، وأوتلجا، وتل خانون، وديريجيك، ثم في منطقة الجزيرة، وجبل سمعان لا سيّما في عامودا، وعرشي، وباسوتا، وفي سهل الجومة وغيرها من القرى.

أما وجود اليزيديين في روسيا فيعود إلى غزو القياصرة حتّى ما وراء القوقاز، وإلى حصولهم على بعض المناطق في الأمبراطورية العثمانية 1829. وعندما إنسحب الجيش الروسي من الأناضول بعد حرب 1928 - 1929 سمح لحليفهم حسن آغا رئيس قبيلة «الحسنالية» أن ينقل قبيلته وقطعانه من المنحدر الجنوبي لجبل أرارات إلى إقليم «يريڤان» في أرمينيا. وقد كانوا يرعون أغنامهم صيفاً في المنحدر الشمالي لأرارات. وفي الشتاء كانوا يعيشون على الضفة اليمنى لنهر «آراس». وقد أصدرت وزارة الإقتصاد الروسية تقريراً فيه قائمة بسبع وستين أسرة تضم 324 نسمة. وتوطدّت العلاقات هناك بين اليزيدية والأرمن، وأزداد الإتصال فيما بينهم. وتداخلت العادات بين الطرفين، حتّى ظنّ بعضهم

---

(1) سهيل قاشا: اليزيدية ص 31 - 35.

(2) عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في اقليم كردستان ص 27، 32، 36.
- صدّيق الدملوجي - اليزيدية ص 246 - 248.
- سهيل قاشا - اليزيدية ص 34 - 35.
- د. محمود التونجي. اليزيديون 84 - 87.

أن الدين اليزيدي، أستقي من الكنيسة الأرمنية، منذ القرن العاشر وحسب إحصاء 1877، كان عدد اليزيديين في يريڤان حوالى ثمانية آلاف نسمة[1].

وحدثت هجرة يزيدية أخرى 1882 - 1897، حين تحركت قبيلة سبيكي نحو الغرب، وكان «عمر آغا» يقودها من منطقة بايزيد التركية إلى إقليم «قارص» الذي ألحق بروسيا. وبعد مضي سنوات كانوا قد أسسوا هناك أربع عشرة قرية يسكنها 1733 نسمة. وأخذت الأعداد تزداد حتّى وصلت إلى 42508 نسمة 1912، أكثر من 17000 نسمة في يريڤان، و 2000 نسمة في تفليس وضواحيها، وأكثر من 5000 نسمة في المناطق الملحقة 1877. وبعد أربعة أعوام بلغ عدد اليزيديين في القوقاز 4088 نسمة.

وفي زيارة «إسماعيل بك جول» ما وراء القوقاز 1908 - 1909، سعى إلى توحيد الصفوف اليزيدية ووضعها تحت حماية الكنيسة الأرمنية. وحين جرت الحرب العالمية الأولى، وتقدم الجيش العثماني في الأراض الأرمينة، أبى اليزيديون البقاء تحت حماية العثمانيين، فانضمّوا إلى أفواج اللاجئين في جورجيا وأرمينيا، بل أنهم حاربوا العثمانيين إلى جانب الأرمن.

وحين جرت إنتخابات الأرمن 1919، للبرلمان، خُصص كرسي لممثّل اليزيديين، وكان «ليوسف بك يتموريان». وبعد الثورة البولشيفية تعلق اليزيديون بجبل «أركات»، وهو أعلى قمة في القوقاز السوفياتية.

وقد أثبتت إحصائيات 1926، أن 14523 يزيدياً يعيشون في الإتحاد السوفياتي، و12237 في أرمينيا، و 2262 في جيورجيا وأمكنة أخرى. على أن نسبتهم في أرمينيا وحدها تقارب 80 %. وحافظ اليزيديون على حياتهم القبلية والرعوية حيناً من الزمن، إلا أن قانون الإصلاح الزراعي، وتأميم القبلية والرعوية حيناً من الزمن، وتأميم الأراضي الذي صدر 1920، قلّل من تشجيع اليزيديين على الإستيطان، ومن سلطة الزعماء القبليين. وبدأ

---

(1) صدّيق الدملوجي - اليزيدية ص 250 - 251.
- لورانت شبري، وآني شبري. سياسة واقليات في الشرق الادنى ص 128.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية ص 128.
- Roger Lescot. Enquête sur les yézidis de Syrie du Djebel Sindjar. p. 199 - 217, Beyrouth 1938.
- جون س كيست - تاريخ اليزيدية. ترجمة عماد جميل مزوري، ص 230 - 234 الدار العربية للموسوعات - الحازمية. لبنان - 2006.

أبناء الزعماء يدخلون في الحزب الشيوعي. كما أدرك القوالون أن السلطات السوفياتية كانت تمنع رسائلهم من الخروج من البلاد، وبالتالي الحصول على أجوبة من «باعذري» المركز الديني لهم في العراق. فأخذ مقام اليزيدية الديني ينحسر، وفتحت لهم الحكومة مدارس تعليمية على غير أبجدية عربية.

ولا يعني هذا أن اليزيدية ذابت تماماً، فإحصاء 1959 أعلن وجود 25626 يعيشون في أرمينيا، وإستمر وجودهم هكذا حتّى 1969، وهم محافظون على كثير من المظاهر الدينية بما في ذلك تقديم الإحترام للشيوخ. وفي 1972 إستقبل اليزيديون السوفيات ضيفاً مهماً من وراء القوقاز، هو «بيازيد بك بن إسماعيل بك جول»[1].

وإن بعض طوائف اليزيديين موجودة في الهند، وتدعى هناك «لبخوس» يعيشون على سفوح جبال الهيمالايا، عقائدهم تشابه عقائد اليزيدية كل المشابهة. وذلك إن أصلهم من اليزيديين الموجودين في سنجار، وقد عاشوا هناك منزوين[2].

ورغم هذه الرقعة الشاسعة، التي يتوزّع عليها اليزيديون، فإنه لا توجد سوى مناطق قليلة فيها ترابط جغرافي مثل منطقة الشيخان، أو طور عبدين، أو المنطقة الجبلية الوسطى، من ماردين، وأغلري، والمنحدر النازل نحو سهل نصيبين، على الحدود التركية السورية، حيث يذكر بأنهم يعيشون في مجموعات منفصلة في قرى متباعدة جداً، ومنعزلة بين قرى مسلمة ومسيحية، فبعضها يشارف حلب غرباً، في حين أن البعض الآخر منها، يصل حتّى مدينة تفليس. بينما أشار «جوناثان رندل» إلى وجودهم في جماعات معزولة ومبعثرة في جنوب تركيا، قرب الحدود السورية العراقية في شمال شرق سوريا، في منطقة الجزيرة الفراتية، وفي منطقة عفرين في شمالها الغربي، وفي محيط جبل سنجار في شمال غرب العراق، وشمال مدينة الموصل[3].

---

(1) محمود التونجي. اليزيديون ص 90 - 93.
- الأب سهيل قاشا. اليزيديون ص 35 - 36.
- جون غوست: اليزيديون في ما وراء القوقاز ص 187 وما بعدها. لندن 1978.
- صدّيق الدملوجي: اليزيدية. مطبعة الإتحاد الموصل 1949 ص 252.
- جونثان راندل: أمة في شقاق. ترجمة فوزي محيدلي ص 44 دار النهار للنشر. بيروت.

(2) الأب أنستاس الكرملي. مجلّة المشرق 1899 - بيروت.

(3) دبليو أي. ويكرام. وإدغار تي. أي ويكرام. مهد البشرية الحياة في شرق كردستان. ترجمة جرجس فتح الله ص 89 - 90 مطبعة الزمان بغداد 1971.
- جونثان رندل: أمة في شقاق ص 44. دار النهار.

ويتضح أن اليزيديين انتشروا في المناطق التي يتوزع فيها الأكراد خاصة. ولكن لا يعني أنهم جميعاً أكراد. وكان جبل سنجار موطن الأكراد من نصارى ومسلمين. حتّى ما بعد القرن الثامن للهجرة. وحين حصلت هجمة تيمورلنك على بلاد العراق والجزيرة الفراتية، وأثارت الرعب والفزع بين الناس أرغم آلاف السكان على الهرب من وجوه التتار بحثاً عن أماكن نائية حصينة[1]. وكان جبل سنجار ملاذ كثير من العناصر البشرية. ومن جملة ما إحتمى بسفوحه وقممه 400 أسرة يزيدية من منطقة الشيخان بالموصل. ثم لحق بهم عدد آخر من ديار بكر وحوض دجلة وغيرهما من المناطق المجاورة.

وإستطاعت هذه الفئة أن تمتزج بالسكان المسيحيين والمسلمين وتقتبس بعض عقائدهم وتدخلها في دينهم. ولعلّ سبب قبولهم العقيدة الجديدة أنهم لم يكونوا من القوة التي تسمح لهم بالسيطرة، كما لم يكونوا من الثقافة الدينية الكفيلة بردع أي نفوذ آخر، ناهيكم عن أن اليزيديين كانوا فرساناً شجعاناً إستطاعوا فرض سيطرتهم على الجبل. ومن أهم القبائل العربية الأصل التي اعتنقت الدين اليزيدي:

قبيلة الشهوان، قبيلة الهبابات، قبيلة عمرا، قبيلة تاتري.

ونلاحظ أن الكثير من القرى التي يقطنها اليزيديون تحمل اسماً سريانياً أو أرامياً.

- بعشيقا أو بحشيقا: أي بيت المسحوت أو بيت المنكوبين.
- باعذري: بيت الملجأ.
- شيخ عادي: قرية الشيخ.
- تجزاني: مكان الوحي.
- عنسفني: عين صافية.
- كابار: الجبار.
- تلخش: تل الآلام.
- باقصري: بيت القصّارين[2].

ولليزيدية مواقع في إيران، ولا سيّما في المناطق الغربية على حدود كردستان، ولكن بأسماء أخرى. كما أن بعض اليزيدية رحل إلى أميركا، وألمانيا، وإن أوروبا تستقبلهم وترحب بهم لأنهم من الأقلّيات.

(1) الدكتور محمد التونجي اليزيديون. واقعهم تاريخهم. معتقداتهم ص 87.

(2) الأب أنستاس الكرملي - مجلّة المشرق سنة 1889 ص 33 - 35.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 88 - 89.

وكان الصفويون في إيران ينظرون إلى اليزيديين بعين الإهتمام، ذلك لأنهم كانوا مشهورين بشجاعتهم. وقد قام بينهم الكثير من القادة والحكام البارزين. وتمكّن اليزيديون من قهر بعض القادة الصفويين. ولم يتمكن الصفويون من إخضاعهم، حتّى تسلّم الشاه إسماعيل الصفوي نفسه مهمة إخضاعهم. حيث تمكنوا من السيطرة على مناطق اليزيديين في الموصل وسنجار 1507، وتعرّض اليزيديون في سنجار إلى حملات إبادة ومذابح جماعية على يد الصفويين خلال الحملات ضدّهم 1504 - 1509 [1].

وفي أثناء الصراع الصفوي الإيراني - العثماني على كردستان، كان موقف اليزيديين من هذا الصراع هو الوقوف على الحياد في البداية، لكنهم ما لبثوا أن تحولوا إلى جانب الدولة العثمانية. وبعد معركة جالديران 1510. تمكّنت الدولة العثمانية والقوات الكردية المتحالفة معها من إنزال الهزيمة بالقوات الصفوية في معركة «قوج حصار» في أيار 1516، وسيطرت على منطقة سنجار. وبذلك دخلت المناطق اليزيدية مثل بقية المناطق هناك تحت السيطرة العثمانية.

وخلال هذه الحقبة إضطرت الدولة العثمانية إلى عقد معاهدة مع الأمراء والزعماء في منطقة كردستان وضمنهم اليزيديين. وضمنوا ولاءهم بإغراق الهبات والعطايا عليهم. من إقطاعات وأراضي وألقاب. وإن هذا الإهتمام العثماني باليزيديين، يرجع إلى مدى القوة والنفوذ الذي كانوا يتمتعون به في منطقة كردستان[2].

تمثّلت قوة ونفوذ اليزيديين في بداية السيطرة العثمانية بإمارة داسني، التي كانت قائمة في منطقة كردستان الجنوبية في الجزء الشمالي من العراق، وتعتبر من الإمارات اليزيدية القديمة، وكانت زعامتها تتمركز بشكل رئيسي في إمراء «داسني» ومركز قيادتهم بمنطقة الشيخان شمال شرق الموصل. وكانت تشمل بالإضافة إلى منطقة الشيخان، مناطق،

---

(1) أحمد تاج بخش. تاريخ الصفويين ص 62 شيراز 1372 هـ.
- صدّيق صفي زاده: تاريخ كردستان ص 668 طهران 1387 هـ.
- عبد الله رازي: التاريخ الكامل لإيران ص 413 طهران 1387 هـ.
- عدنان زيّان فرحان: الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 29 - 30.
- سنجار: كلمة تركية شرقية أصلها «سنجر» معناها العقاب والباز، سميت به لمنعته.

(2) هامر بوركشتال: تاريخ الأمبراطورية العثمانية، ترجمة ميرزا زكي أبادي. الجزء الثاني طهران سنة 1367 هـ.
- حسن ويس يعقوب المولى. سنجار في العهد العثماني ص 10 جامعة الموصل سنة 2000.
- لورانت شابر، وآني شبري. سياسة وأقليات في الشرق الأدنى ص 137.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد الأيزيديون في إقليم كردستان ص 30 - 31.

دهوك، والسليفان، والمرج، وعقره، وقيادي حتّى طور عبدين. وفي الفترات اللاحقة، إمتدت إمارة داسني إلى الجنوب الشرقي لتشغل المنطقة الواقعة بين الزابين الكبير والصغير. وكانت دهوك مركز إدارة داسني السفلى. وتشير بعض المصادر أن دهوك كانت تحت سلطة الأمير حسين بك الداسني. وهو من الأمراء اليزيديين المعروفين، ثم إنتزعت منه من قبل الأمير الكردي «حسن بن يزيد الدين» أمير بهدينان الكردية[1].

أما بالنسبة لعدد اليزيديين حالياً، فإن الآراء المتضاربة والإحصاءات السكانية هي إفتراضية أو تقريبية أكثر منها عملانية ودقيقة. ويرجع ذلك إلى أن عدداً كبيراً من اليزيدية قتلوا في هجومات ضارية، وقعوا فيها فريسة بعض الحكّام في القرون السابقة، ولا سيّما في العهود العثمانية، وإن الديانة اليزيدية تعتمد على الكتم في بيان نحلتهم والإحتفاظ بأسرارهم مبالغة شديدة. فبعضهم أظهر الإسلام تقية، والبعض الآخر قد يكون اسلم حقاً. ثم إن عيش الغالبية العظمى منهم في القرى النائية، وبشكل قبائل متفرقة، إضافة إلى رداءة المواصلات في هذه المناطق، يمنع من إجراء إحصاء دقيق لهم[2].

فليس هناك إحصاء رسمي لليزيدية في معظم البلدان والأقطار التي يتواجدون فيها، ذلك نظراً لقلّة المعلومات الرسمية، والهجرات الكبيرة داخل العراق، وبين تركيا وألمانيا، في السنوات الأخيرة. إنما هناك إحصاءات أوردتها بعض الحكومات والمنظمات، تشير إلى أن مجموع عددهم في العالم، يقارب الأربعماية ألف نسمة[3].

وبنمو العدد وارتفاع مستويات التعليم، يواجه اليزيديون مشكلة الإنسجام مع العالم الخارجي المغترب، وبصورة أدق الشعور القومي الناهض لدى الشعب الكردي في ظل الحكم الذاتي في كردستان العراق، تصل سلطته إلى لالش، وباعذري، لكنها لا تمتد إلى سهل شيخان أو جبل سنجار، وشرق تركيا الذي هو في حالة إضطراب وقلاقل منذ سنوات بين الأكراد والحكومة التركية. وإن بعض اليزيديين يعملون من أجل تقارب اكبر مع إخوانهم الكرد، وآخرون أكثر حذراً، متذكرين الاضطهاد الماضي الذي عانوه من قبل محمد الراونديزي، وبدرخان بك البوتاني وأتباعهما، والإثنان يعتبران أبطالاً لدى الشعب الكردي.

---

(1) شرف خان البدليسي. الشرفنامه ص 336.
(2) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 95 - 96.
(3) جون كيست تاريخ .اليزيديين ص439.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 96.

وفي أرمينيا، تبحث الزعامة اليزيدية عن سبل لتعزيز موقعها القومي، الذي تمّ الحصول عليه مؤخّراً، ذلك بالإبتعاد عن الكرد المسلمين، والتأكيد على ارتباطهم بالأرمن المسيحيين.

والتحدّي الآخر الذي يواجه اليزيديين، هو استعادة الإرتباط مجدداً بين الزعامة السياسية والدينية في العراق وهؤلاء المشتتين في أرمينيا وألمانيا. وقد يكون من الصعب تحقيق ذلك، في وقت تهدد فيه العداوات والخلافات العرقية استمرارية وجود هذه الطوائف والأقلّيات الصغيرة.

كما أن هناك الكثير من الغموض في أرمينيا المستقلة حديثاً لإعادة بعث الطائفة اليزيدية من جديد. كذلك الأمر فإن مصائر اليزيديين في الجمهوريات السوفياتية السابقة فيما وراء القوقاز غير مضمونة، وحتّى في ألمانيا ملجأ وجنّة العديد من اليزيديين القادمين من تركيا، هناك علائم لا تبشّر بالخير فيما يتعلق بعدم التسامح، بدأت بالظهور.

وعلى الرغم من ذلك كلّه، فقد تمكّن اليزيديون من البقاء، رغم كل الملاحقات والاضطهادات المتكررة. واليوم لا زالوا يواجهون التمييز في العديد من المناطق، بينما التعليم عرّضهم إلى الكثير من أخطار المجتمع العلماني المعاصر، وهم يلجون قرناً جديداً في تاريخهم.

الفصل الرابع

منطقة الهكاري

تُعد منطقة الهكاري[1] واحدة من أكثر مناطق كردستان وعورة، إذ يتكوّن سطحها من أراضي جبلية ذات قمم شاهقة، وتقع ضمن المنطقة الجبلية المعقدة حسب التقسيمات الجغرافية لسطح قارة آسيا، وجبالها تشكّل جزءاً من النظام الألبي الممتد نحو داخلية قارة أوروبا ووسط آسيا. ولغلبة الطبيعة الجبلية عليها فقد عرفها المؤرّخون بأنّها «جبال فوق الموصل» ووصفها السمعاني بأنّها «جبال وقرى كثيرة»[2].

وتقسّم جبال هكاري إلى قسمين:

1 - **القسم الشمالي**: وأهم جباله جبل جيلو، يقع في القسم الجنوبي الشرقي من مدينة «جولميرك» حيث تقع فيه قمّة «رشكو» التي يبلغ إرتفاعها 4168م. وإلى الجنوب الشرقي من جبل جيلو يقع جبل «سات» الذي يبلغ إرتفاعه 3811م. وفي القسم الشمالي من جولميرك هناك جبل «قره داغ» 3630م وفي الاجزاء الجنوبية من جولميرك يقع جبل شهدينان وفي الغرب جبل «بير» ويتراوح إرتفاع هذه الجبال ما بين 2500 و3500م. ويتضح أن هذه المدينة تحيط بها الجبال من جميع جهاتها تقريباً، وأشار العمري إلى أن المدينة نفسها تقع على جبل منفرد[3].

---

(1) تسمية الهكّارية بفتح الهاء وتشديد الكاف، جاءت من اسم العشيرة الكردية التي كانت تعيش قديمًا هناك. وإن هذه العشيرة كانت رعوية وعاشت منذ القدم في جنوب بحيرة وان.

(2) درويش يوسف هروري. بلاد الهكّاري، دراسة سياسية حضارية ص20 الدار العربية للموسوعات: بيروت 2006.

- ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ 9 ص79. الدار الوطنية. بغداد 1990.
- ياقوت الحموي. معجم البلدان جـ 5 ص 28.
- ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ 11 ص 289.
- الواقدي. فتوح الشام جـ 4 ص 115 و 131. بيوت.

(3) باسيلي نيكتين. الكرد. دراسة سوسيولوجية وتاريخية. ترجمة نوري طالباني ص 74 دار الساقي - بيروت 2006.

- سامي شمس الدين. قاموس الإعلام جـ 3 ص 1976.
- شرف خان البدليسي. شرفنامة. ص 273.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. المجمع العلمي العراقي. جـ 3 ص 131.
- يذكر د. درويش يوسف هروري، أن هذا الجبل يقع في كردستان الشمالية وليس في القسم الجنوبي من جبال هكّاري. وهو في تركيا الآن.

2 - **القسم الجنوبي**: وأهم جبال هذا القسم، جبل بيخير يمتد بين ممرّ الحسنية (زاخو) ونهر الخابور، متوسط إرتفاعه 1220م، وتقع عند سفوحه الجنوبية قلعة الزعفران، «ودير الزعفران، وجبل الأبيض الذي يمتد بين ممرّ الحسنية ومدينة دهوك الحالية، يحيط به عدد من القلاع والمواقع الأثرية المهمة كقلعة «أردمشت وكواشي» ويبلغ إرتفاعه حوالي 1302م، وسمّاه الحموي بإسم جبل «جودي». أمّا جبل «كاره» فيمتدّ من منابع «نهر الخازن» حتّى منطقة زاويته ويبلغ إرتفاعه 2095م وذكر الحموي هذا الجبل بإسم «جبال الجار» من أعمال شرقي الموصل. وإلى الجنوب من القسم الجنوبي من جبال الهكارية يقع جبل «الشيخ عدي» ما بين منابع نهر «الكومل» شمالاً وبلدة «باعذري» جنوباً. وهناك جبل آخر في بلاد هكّاري عرف بإسم «داسن» وذكر الحموي بأنّه جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي.

أمّا سهول بلاد هكّاري، فإنّ معظمها تنتشر في الأجزاء الجنوبية والجنوبية الغربية من البلاد وأهمّها:

1 - **سهل السندي** (زاخو): الذي يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب 60 كم.
2 - **سهل سيتك**: يقع هذا السهل بين جبل زاده وجبل الشيخ عدي، وهو يشكّل الأجزاء الشمالية من هضبة آشور.
3 - **سهل كفر**: يبلغ طوله 40 كم وعرضه 15 كم.

إن الطبيعة الجبلية لبلاد هكّاري تركت أثراً واضحاً على الخصائص المناخية من حيث الحرارة والرياح وتساقط الأمطار. فالمنطقة تتميّز بصفة المناخ القاري، وتشهد جميع مظاهر تساقط الأمطار والثلوج. وبصورة عامّة، يمكن اعتبار معظم أجزائها بأنّها تقع تحت تأثير إقليم المناخ المتوسطي، الذي يتميّز أنّه حار جاف صيفاً في الأجزاء الجنوبية الغربية، وأكثر اعتدالاً في الأجزاء الشمالية[1].

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض. ص 196 - 197. بيروت 1979. مكتبة الحياة.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ 4 - 5 ص 151.
- كورد هستد: الأسس الطبيعية لجغرافية العراق ص 29 ترجمة جاسم محمد خلف بغداد 1948.
- محمد زاهر السماك: العراق دراسة إقليمية جـ 1 ص 35 الموصل 1985.
- د. درويش يوسف هروري: بلاد هكاري ص 23 - 24.
- أزاد محمد أمين النقشبندي: مناخ إقليم كردستان العراق مجلّة متين عـ 63 ص 114 دهوك 1997.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 12 ص 236.

وتتميّز منطقة هكّاري بتساقط كميات كبيرة من الأمطار والثلوج عليها، أثناء فصل الشتاء، ممّا جعلها منبعاً للعديد من الأنهار التي تستمد مياهها من ذوبان تلك الثلوج، وتنحدر تلك الأنهار من الشمال نحو الجنوب، وأهمّها: نهر **دجلة**، نهر الزاب الكبير، نهر الخابور، نهر الخازن[1].

أمّا من الناحية البشرية فيشكّل الكرد معظم بلاد الهكّاري. وكانوا يتألّفون من قبائل وعشائر وجماعات كثيرة. ويأتي في مقدّمهم «القبيلة الهكّارية» ولكثرتهم ونفوذهم السياسي، عُرفت البلاد بإسمهم. وبصورة عامّة كان موطن الهكّارية هو مدينة «العمادية» والقلاع المجاورة، وكذلك «جولميرك» والقلاع التابعة لها. ويحدد ابن خلكان مناطق تلك القبيلة في شرقي الموصل قائلاً «والهكّارية قبيلة من الأكراد لهم معاقل وحصون وقرى من بلاد الموصل من جهتها الشرقية».

وتأتي القبيلة الحميدية بعد الهكّارية من حيث النفوذ والعدد. وكانت مناطق تلك القبيلة تشمل قلعتي «العقر والشوش» والقرى التابعة لهما. وعُرفت القلعة الأولى «بعقر الحميدية».

ومن القبائل الكردية ذات الشأن في المنطقة القبيلة «المهرانية» وهناك جماعة كردية أخرى في بلاد هكارى تدعى «الداسنيون» وكانوا يسكنون المنطقة الواقعة حالياً بين «دهوك وأتروش».

يُضاف إلى ذلك عشائر الزيبارية، وطوائف «التنبكية» و«البختية» و«الزومية» و«العدويون» وهم أصحاب الشيخ عدي بن مسافر الهكّاري، وهذه الطائفة تقيم في منطقة عين سفني وأطرافها، وبالأخص في قرية «لالتش» وهؤلاء العدويون هم السكان الأصليون لهذه المنطقة، وعلى ما يبدو أن الدعوى الإسلامية لم تؤثر فيهم وظلّوا على ديانتهم الزرادشتية.

---

(1) الزهري: كتاب الجغرافية وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة. تحقيق محمد الحاج صادق ص 169. دمشق 1968.
- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. ص 119 بيروت.
- جاسم محمد الخلف: جغرافية العراق ص 181 القاهرة 1965.
- أحمد الصوفي: خطط الموصل جـ2 ص 115 الموصل 1953
- سليمان الصائغ: تاريخ الموصل. ص 33. مصر 1923
- دائرة المعارف الإسلامية. ترجمة أحمد الشنتاوي. بيروت. ص 120
- أنظر دليل العراق.

فرأى الشيخ عدي بن مسافر الذي قدم من الشام إلى منطقة لالش، والذي أخذ على عاتقه نشر الإسلام بينهم، فدعاهم إلى عبادة الله وحده. وصاروا يعرفون بالكرد العدويين نسبةً إلى الشيخ عدي.

إزداد عدد أفراد تلك الجماعة يوماً بعد يوم، واتخذت طابعاً سياسياً، وخاصةً في عهد «شمس الدين ابن عدي» الملقب بـ «تاج العارفين» حتّى عُرف بشيخ الأكراد.

ولّما كثر أتباع الشيخ حسن ليس في بلاد هكّاري وحدها، بل في الموصل أيضاً، خاف حاكم الموصل «بدرين لؤلؤ» منه، فأحضره بعد خدعة إلى القلعة وحبسه ثم قتله سنة 1246م.

ويظهر أن الشيخ شمس الدين[1] كان قد حظي بمكانة كبيرة بين الكرد بصورة عامّة، وجماعته العدوية بصورة خاصة، ممّا أقلق بدر الدين وخشي أن ينافسه في السلطة، فدبّر خدعة له، فأحضره إلى القلعة وحبسه ثم قتله سنة 1246م. كما مرّ ذكره. واعتقدت جماعة الشيخ حسن أنّه لم يمت، وأنّه سيرجع إليهم، وقد جمعوا زكوات ونذور ينتظرون خروجه[2].

ولم يكن بدر الدين مطمئناً من أنصار هذه الجماعة، بسبب إلتفافهم حول أولاد الشيخ عدي الهكّاري، ممّا دفع به إلى تعمّد فرض ضرائب باهظة على أولاد الشيخ عدي وإلزامهم بدفع الأموال. وأشار إلى ذلك ابن الفوطي بقوله: «كان كثير التثقل على أولاد الشيخ عدي، ويكلّفهم مالاً على وجه المساعدة. وبسبب تلك المعاملة السيئة اضطر العدويون إلى التأليب عليه، وإطلاق ألسنتهم فيه»[3].

ولما علم بدر الدين بذلك، ارسل جماعة من جنده إلى مركزهم في لالش، وأمرهم بنبش قبر الشيخ عدي وإحراق عظامه، ممّا أغضب الكرد العدويين، واتفقوا فيما بينهم على القيام بالإغارة على أطراف الموصل ونهب قراها. فقرر بدر الدين محاربتهم ولكن بأسلوب آخر، وهي ضرب الكرد بعضهم بالبعض الآخر، لكي يثير بينهم الخلاف، من

(1) هو الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن صخر بن عدي بن مسافر الهكاري.
- الكتبي. فوات الوفيات. تحقيق إحسان عباس. جـ 1 ص 334 بيروت 1937.

(2) الذهبي. العبر. جـ 3 ص250 - 251.
- الجزري: المختار من تاريخ الجزري. تحقيق خضر المنشراوي ص206. بيروت 1988.

(3) ابن الفوطي. الحوادث الجامعة ص 315.
- الغسّاني. العسجد المسبوك. جـ 2 ص 601

أجل الحفاظ على سلامة إمارته. فقد أرسل في طلب الكرد في القلاع الهكارية، من أجل مساعدته ضد العدويين، فوصل ألف فارس منهم إلى الموصل، وضمّ بدر الدين إليهم فرقة من قوّاته، وأرسلهم في سنة 1254 إلى لالش، وجرى بين الطرفين قتال شديد انتهى بهزيمة أصحاب عدي وقتل جماعة منهم، وأسر عدد كبير منمهم حيث أُخذوا إلى الموصل فصلبهم.

هذا ولا تشير المصادر التاريخية إلى إرسال «بدر الدين لؤلؤ» حملة عسكرية أخرى إلى لالش، فقد استطاع عن طريق القوة والإستعانة بكرد القلاع الجبلية القضاء على أبناء هذه الجماعة وتشتيتهم[1].

لا تقدّم المصادر التاريخية معلومات كافية عن عدد هؤلاء العدويين، وعلى ما يبدو فإن عددهم في بلاد هكّاري كان كثيراً. وقد ذكر «ابن المستوفي» عن إستدعاء بدر الدين أفراد تلك الجماعة، للحضور إلى الموصل، فجاؤوا في جمع عظيم وخيل كثيرة فاخذها منهم. ولو لم يكن عددهم كبيراً ويشكّلون خطراً عليه، لما جرّد عليهم بدر الدين حملة عسكرية أخرى سنة 1259م. فأشار ابن الفوطي إلى ذلك: «وقتل منهم جماعة كثيرة وأسروا منهم جماعة، فصلب منهم بدر الدين مئة وذبح مئة»[2].

واستقرت في بلاد هكّاري مجموعة من القبائل العربية، هاجرت إليها بعد الفتح العربي الإسلامي. وفي ذلك الوقت كانت الجزيرة الفراتية مفتوحة دائماً لهجرات القبائل العربية، خاصةً أن حدودها كانت مفتوحة ويسهل عبورها في بعض الجهات.

فعندما لاحق المختار بن أبي عبيدة الثقفي، بعض العرب من قتلة الحسين بن علي

---

(1) د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص 135 - 154.
- عيون التاريخ. تحقيق فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم جـ 20 ص 36.

(2) ياقوت الحموي معجم البلدان جـ 2 ص 432.
- (العمري) مسالك الأبصار جـ 3 ص 134 - 135.
- يوحنا بن كلدون. تاريخ يوسف بوسنايا ص 62 وص 108.
- ابن الفوطي. الحوادث الجامعة. تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف ص 385. دار المغرب الإسلامي بيروت 1997.
- ابن كثير. البداية والنهاية جـ 12 ص 361. منشورات مكتبة صادر. بيروت.
- صدّيق الدملوجي - اليزيدية ص 75.
- د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص 31.
- القلقشندي. صبح الأعشى ج4 ص 378.

بن أبي طالب، وهم من عرب بني أميّة ومن كنده ومن قبائل أخرى، هربوا إلى الموصل ثم إلى جبال الجزيرة، وبقي قسم من أولئك العرب الهاربين في بعض المناطق الجبلية من هكّاري.

وأورد القلقشندي نصّاً يُفهم منه أن بعض العرب من بقايا بني أميّة قد فرّوا إلى جولميرك واستقروا هناك أثناء ملاحقة العباسيين لهم. ومن القبائل العربية التي سكنت بعض مناطق الهكّاري «بنو شيبان» الذي ينتمي إليهم الشيخ المفسّر «موفق الدين أحمد الكواشي» المولود في قلعة كواشي الواقعة ببلاد هكّاري فنُسب إليها. كما تواجد بنو ربيعة في بعض مناطق الهكّاري، وقد ذكر الهمداني ان جبل الجودي إلى يسار الموصل كانت فيه مساكن لربيعة. وإن الحمدانيين الذين هم من بني تغلب، كانوا قد حكموا أكثرية قلاع هكّاري لفترة ليست بالقصيرة، مثل قلعة أردمشت، والزعفران، وكواشي، والشعباني[1].

أمّا المسيحيون فهم من السكان الأصليين في بلاد هكّاري. وقد نادوا بالمسيحية منذ القرن الأول للميلاد، وكان لهم في عهد الخلافة العباسية دور هام في مختلف المجالات الحضارية. وتشير المصادر السريانية إلى وجود عدد من الأسقفيات في بلاد هكّاري، يرجع تاريخ تأسيسها إلى نهاية القرن السادس للميلاد، مثل أسقفية معلثايا، وعين سفني، وداسن، ممّا يؤكّد على وجود المسيحيين بكثرة في هذه المنطقة[2].

ومن الشواهد التاريخية على وجود المسيحيين في جبال الهكّارية، هو كثرة الأديرة والكنائس الموجودة في جميع أنحاء المنطقة، وحين دخل الإسلام العراق كان هناك أكثر من

---

(1) محمود شيت خطاب. بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي. مجلّة المجمع العلمي العراقي. مجلّد 36 ص51. بغداد 1985.
- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تميّز الصحابة. علّق عليه صدقي جميل العطار. جـ 5 ص285 و287. بيروت 2001.
- الذهبي: إعلام النبلاء. جـ 17 ص252.
- مسكويه. تجارب الأمم جـ 2 ص392.
- د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص 33.
- صفة جزيرة العرب. تحقيق محمد بن علي الأكوع ص247.

(2) موسى مخول الحضارة السريانية حضارة عالمية. الفصل الثالث ص 79 وما بعد. منشورات مكتبة بيسان. بيروت 2009.
- أدي شير. أشهر شهداء المشرق. جـ 1 ص14. الموصل 1904.
- د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص34.

مئة دير. ومن أشهر الأديرة في هكّاري ونواحيها دير «كوماني» الذي يقع شرقي العمادية، ودير «ش» أو الدير الاسود، ويسمّيه أهالي القرى المسيحية في المنطقة دير «مارساوا» ثم دير «الكلب» ويُعرف حالياً بـ «ديراقه شه فري» ودير «الزعفران» ودير «بوصياري» ودير «الربان هرمزد» ودير «القوش» ودير «بيت عابي» ودير «معلثايا» ودير «ريشا» ودير «إينيشكي» ودير «شمرخ» أو «كزنيكي» ودير «ارادن» ودير «مار أفرام الناسك» ودير «دوري وميزي وبيبوزي» ودير «بختيار» ودير «كوجانس» في جولميرك. وإن تلك الأديرة لدلالة واضحة على وجود المسيحيين بكثرة ساحقة في تلك المنطقة.

كما حفظت المصادر التاريخية أسماء عدد كبير من الأساقفة والقديسين ورؤساء الأديار كان بعضهم في هذه المنطقة أو البعض الآخر قدموا إليها من أماكن أخرى. وكان للكثير منهم مؤلّفات دينية ولاهوتية وعلمية. فعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم «مار دانيال» و «مار سابا» و «مار سهدونا» و «ربن إيشوعيب» و «توما المرجي»[1].

ويتواجد عدد من اليهود في بلاد هكّاري، ويرجع تاريخ وجودهم في العراق وبلاد هكّاري إلى أواخر القرن الثامن قبل الميلاد حينما استولى الملك الاشوري سرجون الثاني سنة 705 – 712 ق.م. على مدينة السامرة، وقضى على مملكة إسرائيل، ونقل طائفة من اليهود إلى الموصل وأطرافها ومن ضمنها بلاد هكّاري. ويرجع تاريخ وجود الجالية الثانية من اليهود إلى أيام حكم الملك الكلداني نبوخذ نصّر الذي حارب اليهود بزعامة ملكهم يهوياقين وحاصر أورشليم وفتحها بعد حصار قصير. وسبى ملكها مع نسائه وأمّه وموظفيه وسبعة آلاف من جنوده وألف من مهرة الصنّاع إلى بابل. وكان حزقيال بين الزعماء الدينين الذين أُسروا.

---

(1) أدي شير. التاريخ السعردي ص512 – 514. بيروت 1960.

- يشو عندناخ. الديورة في مملكتي الفرس والعرب. ترجمة بولس شيخو ص878 – 888. الموصل 1939.
- توما المرجي. كتاب الرؤساء. ص59 – 61. المطبعة العصرية، الموصل، العراق 1960.
- يوسف حبي. كنيسة المشرق ص306 – 307. بغداد 1988.
- أدي شير تاريخ كلدو وأشور. ص368. المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1912.
- عمرو بن متى اخبار بطاركة كرسي المشرق. كتاب المجدل. ص55. روما 1896.
- الشابشتي. كتاب الديارات. تحقيق كوركيس عواد ص301 بيروت 1986. هذا الكتاب كانت قد نشرته مكتبة المثنّى في بغداد 1951.
- موسى مخول. الحضارة السريانية حضارة علائلية. الفصل الثالث ص79 وما بعد.
- د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص 35.

لكن الملك صدقيا خليفة يهوياقين حاول الإستقلال بالإعتماد على مساعدة المصريين فأعاد نبوخذ نصّر الكرّة ثانية على اورشليم وهدم هيكلها. ثمّ قيّد الملك بالسلاسل وحمله إلى بابل، بعد أن سبى معه أكثر من خمسين ألفاً من عظمائها، ولم يبق فيها إلا جماعة البائسين[1].

وإذا كانت المصادر لا تشير إلى أسماء القرى الخاصّة باليهود في منطقة هكّاري، فكانت هناك قرى، ولا زالت معروفة لحد الآن بأنّها قرى يهودية مثل «سندور» و«شوخو» و«بيطنور». فالأولى والثانية تقعان في ناحية «الدوسكي» والثالثة في منطقة «كاني ماسي»[2].

(1) ميناس يوسف ميناس. قرية معلثايا وكنيسة مار زيعا ودير مار عودا. مجلّة الصوت الكلداني عـ16 ص 28 – 30 دهوك. العراق.
- يعقوب يوسف كوريه. يهود العراق. ص 6 عمان 1998.
- جعفر حسين خصباك، العراق في عهد المغول الإلخانيين 2197. بغداد 1968.
- فيليب حتّي. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين جـ 1 ص 219 – 220. دار الثقافة بيروت 1982.
- سفر الملوك الثاني 24: 7. أخبار الأيام الثاني 36: 6. سفر إرميا 36: 21 – 23.
- سفر الملوك الثاني 24: 8 – 16. 25: 1 – 7. ارميا 35: 8 – 15. 52: 12 – 30. سفر حزقيال 29: 18.

(2) د. درويش يوسف هروري. بلاد هكاري ص 38.
- أريك براور. يهود كردستان. ترجمة شاخوان كركوي وعبد الرزاق بوتاني ص 33 أربيل 2002.
- شرف خان البدليسي. شرفناعة ص257.
- بنيامين التطيلي. رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة عازار حداد ص 145. بغداد 1945.

الفصل الخامس

أصل اليزيديين

ان البحث في أصل اليزيديين من الناحية القومية والدينية. قد تكون مشكلة شائكة، رغم كل الكتابات التي صدرت من هذا القبيل. فقد شكلت لغزاً للباحثين والمؤرّخين والكُتّاب، بحيث لم يستقر أحدهم على رأي ثابت. كما أن أكثر هذه البحوث لم تجزم في آرائها، التي بقيت أقرب إلى الترجيح منها إلى الحقيقة الدامغة. مع العلم ان الذين كتبوا وبحثوا في موضوع اليزيدية، بذلوا جهداً كبيراً للتوصّل إلى حلّ لغز هذه الطائفة، من حيث أصلها القومي وإنتمائها الديني. ولكن عقبات كبيرة وأسباباً متعدّدة وقفت سدّاً مانعاً في طريق هؤلاء الباحثين. منها:

1 - فقدان الوثائق والمصادر التاريخية العلمية، التي تشير إلى ذلك.
2 - الجهل الذي كان متفشياً بين اليزيديين بسبب الأميّة المسيطرة على الغالبية العظم من هؤلاء، إن لم نقل جميعهم، لعدم تعلّمهم القراءة والكتابة.
3 - ان تناقل تاريخهم مشافهة وممارسة ديانتهم، قد تصل إلى حدّ الأساطير والخرافات أحياناً. فإلى وقت قريب، كان يحرّم تعلم القراءة والكتابة، ما عدا بعض البيوتات وشيوخها، لرفض تسهيل المعاملات الدينية، وقراءة الأدعية والصلوات.
4 - فقدان الكتب الدينية المعتمدة عند اليزيديين، حيث لهم كتابان فقط، «كتاب الجلوة» و «الكتاب الأسود»[1]. ومع هذين الكتابين، يبقى الشكّ قائمًا لدى الباحثين في صحّة نسبهما إلى اليزيديين. بالنظر لما فيهما من خلط وركاكة[2].

وهذا ما جعل المؤرّخين والباحثين يختلفون في تسمية هذه الطائفة باليزيدية، كما اختلفوا في معرفة جذور الكثير من الفرق والأديان وأصولها، من الأسماء التي اشتهرت بها. لأن كثيراً من هذه المعتقدات تكاملت مع مرور القرون، ولأن كثيراً من هذه الأسماء، إعتراها التحريف والتغيير والتبديل مع مرور الزمن ومسيرة الأيام[3].

ولما كانت هذه الطائفة تبرز مجمل الخاصّة العرقية للأكراد، من سمات طبيعية ولغوية

---

(1) هناك 28 صفحة من الكتابين محفوظة في المتحف الوطني في النمسا.

(2) أشور نصيبينو. اليزيدية في بلاد ما بين النهرين ص 11. منشورات مجلّة فورقونو ودار سركون للنشر. السويد 2002.

(3) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 68.

بالكاد تختلف لهجات غالبيتها عن لهجات الأكراد، ولا تتميّز عنهم إلا بمعتقداتها الدينية، فإن التقدير غالباً، إن المقصود بها مجرّد جماعة من الأكراد، لها ممارسة دينية تختلف عن السنّة السائدة. وإنه في الواقع لضرب صفح عن مشكلة أصولهم العرقية - الدينية لأنه إذا كان اليزيديون قد تأكرد قسم كبير منهم حقاً، وأنهم يقدّمون أنفسهم جزءاً من الشعب الكردي، فإن قضيّة أصولهم البعيدة ما تزال تشكّل موضوعات وفرضيات متضاربة[1].

أما الكاتب اليزيدي «درويش حسّو» فيقول في أصل اليزيدية: «أن زرادشت ولد وعاش في الدولة الميدية، وانتقل في القرن السابع قبل الميلاد من منطقة كردستان الحالية إلى شرقي إيران وهي منطقة اليزد. وقبل هذا التاريخ، كان اعتقاد الشعوب الآرية في المنطقة بالإله الواحد، وهم يسمّون أنفسهم بـ«الإزداهيين»، أي «شعب الله واتباعه المباشرين». ومنذ ذلك الوقت، يسمّون بعقيدة اليزيدية - «الإزداهية». ومن خلال التطوّرات الدينية الناجمة عن ظهور اليهودية؛ والمسيحية؛ والإسلام، إنقسم الزرادشتيون في المنطقة إلى قسمين. الإيرانيين والكرد، وشطرت الديانة الزرادشتية كذلك إلى شطرين. فبقي الشرقيون الزرادشتيون على التسمية القديمة، نسبة إلى زرادشت. أما الغربيون في منطقة كردستان، فأصبحوا يحملون اسم اليزيديين أو الإزداهيين[2]. «ومن ثم تطوّرت الإزداهية في كردستان إلى ديانة مستقلة، وأصبحة لها معتقداتها الخاصة»[3].

وفي صلاة الفجر يقول اليزيديون: «بإسم الله» يزدان «المقدّس الرحيم الجميل، الهي لعظمتك، ولمقامك، ولملوكيتك، يارب انت الكريم الرحيم الاله ملك الدنيا مملكة الأرض والسماء، ملك العرش العظيم»[4].

وهناك من اعتقد بصلة ما بين اسم اليزيدية وبين الكلمة السومرية «ازيدا AZI - da» المكتوبة بالخط المسماري. وقد كشف عنها الباحث الكردي، عالم الآثار واللغات القديمة

---

(1) لورانت شابري - آني شابري - سياسة وأقليّات في الشرق الأدنى ص 129.
(2) شعوب الله وأتباعه.
(3) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 15 - 18. بون. ألمانيا 1992.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 68 - 69.
(4) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 152 - 153.
- رشيد الخيّون. الأديان بالعراق. ص 66.
- خدر سلمان. مجلّة التراث الشعبي عـ10 أيار 1973.
- قيصر صادر. اليزيدية. عقائدهم وتقاليدهم. مجلّة المقتطف. آذار 1936.
- محمد أمين زكي. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص 294.

«لافارنابود»، وتعني «الروح الخيّرة وغير ملوّثين، والذين يمشون على الطريق الصحيح». والكلمة السومرية هذه، هي بمعان عديدة تقارب ماهية اليزيدية منها: «الطريق. والحق، والذراع الأيمن وغيرها». ومقارنة بما يقوله اليزيديون الحاليون: «نحن على دين الحق والطريق الصحيح، بيضاء ملابسنا. الجنة مكاننا» تكون الصلة بين الكلمة السومرية «Azida والإيزيديين» والمنطقة التي يقطنها اليزيديون ليست بعيدة عن مسرح الحضارة السومرية، وحسب اعتقاد «لافارنابود» فإن تاريخ اليزيدية يرجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد. والجدير بالذكر، أن تسمية أهل الحق موجودة في المنطقة الجبلية من غرب إيران. وتشير إلى مذهب أو دين يتواجد أتباعه بين الأكراد، تتشابه معتقداته مع معتقدات اليزيدية، ويتضمّن العديد من الموروثات الإيرانية القديمة[1].

يقول ماكس هورتن: «إن هناك من يذهب ليؤكّد ان العقيدة الإيزيدية. ما هي إلا تأكيد لعبادة النور. وتمثّل طوراً للثنوية الفارسية القديمة، والتي نراها واضحة في العالم الزرادشتية والمانوية»[2]. ولا يستبعد أنهم حملوا من هذا التراث الشرقي القديم شيئاً وأضافوا عليه بعض ما تلمّسوه خيراً في الديانة المسيحية، وما تعلموا من الشيخ عدي بن مسافر. وما طبّقوه من أنظمة صوفية واضحة في حياتهم، مع العلم أنه لا يعرف مؤسّس هذه الديانة، وهو غير مذكور في كتبهم المقدّسة، ولا مدوّناً في كتب جيرانهم من الأمم وأصحاب النحل والأرجح أن دينهم وُجد قبل ظهور الإسلام بزمن بعيد»[3].

ويسمي شرف خان البدليسي اليزيدية في كتابه «الشرفنامة» الأيزيدية «اليزدانية». فتكشف مقولاته. بأن هذه التسمية تعود بتاريخ إلى ما قبل دخول الإسلام وإلى كونهم يعبدون يزدان وينتسبون إليه. ويؤكّد على هذا أيضاً «عدنان زيّان فرحان» والقس «سليمان الموصلي»[4]. ويقول تشارلز لوك: «إن التسمية الأيزيدية منشقة من يزدان، وهي كلمة

(1) خليل جندي. نحو معرفة حقية الديانة الإيزيدية ص 20 و ص 61 السويد 1998.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 66 - 67.

(2) ماكس هورتن: الفلسفة. ص 127.

(3) سهيل تات الإيزيديون ص 40.
- أحمد تيمور. الإيزيدية ص 48 وص 53 - 64.
- زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم ص 20. دار سبيريز للطباعة والنشر. الطبعة الأولى. دهوك العرق 2006.

(4) شرفخان البدليسي. الشرفنامة. ص 147 و 323.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان ص 14.
- القس سليمان الصائغ الموصلي. تاريخ الموصل. ص 259. المطبعة السلفية. القاهرة 1929.

فارسية معناها الكائن الأعلى أو الذات العليا». فلّله عند اليزيديين وفي الديانة اليزيدية خاصّية مجرّدة، ونفوذ بعيد، وله في الحقيقة مكانة كبيرة وسيادة رمزية»[1]. أما أنور المايي فيذكر أن اليزيدية كانت قديماً تسمّى «الزروانية» «نسبة إلى زرادشت». أما إشتهار اليزيدية بإسم «إيزدي» فيعود إلى أن تسمية يزدان تطلق عندهم على الله، وتفسير هذه الكلمة: «الخالق الرزاق». حيث لا يزال اليزيديون يفتتحون صلواتهم وأدعيتهم بها، فيقولون: «بإسم الله العلي الرؤوف الكريم» في حين يرى علي سيدي الكرداني، إن اسم اليزيدية مشتق من الكلمة الكردية «يزدان» ومعناها، الخالق أي الله، بينما يعتبر شاكر فتّاح أن كلمة اليزيدية تعني «عباد مزدا» أو «مزدان»[2].

أما المؤرّخ اليوناني «زينفون» فيذكر أن طائفة كانت تستقر قرب مدينة نينوى تدعى «بيزيدي» واعتبرهم المؤرّخ اليوناني هيرودوت، إحدى الجماعات الميدية القويّة، التي شاركت مع بقيّة القبائل الميدية في السيطرة على نينوى سنة 612 ق.م.[3].

إن سكان المناطق المجاورة لليزيديين يطلقون عليهم تسمية «داسني». وجاء في الموسوعة الإسلامية: إن الإيزيديين كانوا يدّعون أن اسمهم في الأصل هو «داسني». وهذا ما يؤكّده شارلز لوك. وأحمد تيمور باشا حيث يقول: أنّهم داسنيون هجروا حاضرتهم القديمة «يزد» وسكنوا «داسني». فقيل لهم «اليزيديون». كما يذكر «ميهرواد إيزادي» ان أتباع الديانة اليزيدية يسمّون أنفسهم «إيزيديين، يزدانيين، إيزدانيين، داسنائيين». في حين يرى د. قسطنطين زريق، أن أصل معنى الإيزيدية «أتباع الله» أو «أتباع الملائكة». وخاصة أن اسم يزدان. المشتق منه اليزيدية يعني «الله» وإيزد، تعني الخليق بالعبادة، وتطلق في دين الفرس القديم على الملائكة، التي تتوسّط بين الله والبشر، وتنقل مشيئته إليهم. وقد ورد في «الأفيستا» الكتاب المقدّس عند الفرس القدماء، أن مصطلح يزدان هو وصف للإله المقدّس، ومنه إشتقّت كلمة يزد، أي الله، وجمعه يزدان، ومعناها مستحق للعبادة

---

(1) تشارلز لوك. الأقلّيات في الموصل ص 125 لندن 1925.

(2) أنور المايي. الاكراد في بهدينان، الطبعة الثانية ص 83. خه بات. دهوك العراق 1999.
- علي رشيد الكوراني. من عمان إلى العمادية، أو جولة في كردستان الجنوبية الطبعة الثانية ص 168. دار النشر. عمان 1996.
- شاكر فتاح. اليزيديون والديانة اليزيدية. ترجمة، دخيل شمو حكيم. الطبعة الأولى ص 20 - 21. بيروت 1997.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان ص 15.

(3) زينفون كتاب الصعود. ترجمة يعقوب أفرام منصور. مجلّة المورد عـ4 ص 91 - 95 بغداد 1975.

والتضحية. وفي بحث لتوفيق وهبي، إن مفرد «يه زه ته» تعني الأرواح السماوية، وإشتقت منها يزدان. وفي اللغة الكردية، يطلق على الله تسميات «تيزه د، ئيزيد، ويه زدان»[1].

وقد جاء في إحدى النصوص اليزيدية: «إن يزدان هو صاحب الدنيا والآخرة، وهو يلبّي أمنياتي ورغباتي، وهو إلهي الوحيد». ويذكر إسماعيل جول: بإنهم كانوا يسمّون الإيزيدية قديماً «الأزدان - أزداني» نسبةً إلى «أزدان» خالق الليل والنهار والشمس والقمر[2].

ويرى بعض الباحثين أن معنى الكلمة «ئيزي»، هو الله، والملك طاووس. أما ئيزي فتعني اليزيديين، وهم الذين يدينون بهذه الديانة «ئيزدياتي» «كردي». فهي تعاليمهم وشعائرهم وتصرفاتهم وشاهدهم على أن «ئيزي» تعني بعضاً من نشيدهم: «أيها الملك ئيزي انت الملك نفسك. وضعت لنفسك ألف اسم واسمك الكبير الأبدي هو الله»[3].

ويذكر المؤرّخون والباحثون الأكراد، وبعض الرحالة والباحثين الأوروبيين أن اليزيديين ينتمون إلى الشعب الكردي، وهم جزء لا يتجزأ منه. وإنهم من أصول هندوأوروبية. وهم أقدم تجمّع في المنطقة التي استقرّ فيها الفرع الإيراني من الشعوب الهندوإيرانية، ممّا يعني أنّهم أكراد عريقون في كرديتهم، وإنّهم يمثلون معتقدات الشعوب الهندوأوروبية بأجمعها. وفي مقدّمة ذلك، إن اللغة التي يتكلمون بها هي اللغة الكردية، التي تشكّل لغتهم القومية، كما إنّها لغة الديانة اليزيدية. فالكتابان المقدّسان لهذه الديانة «الجلوة» و «مصحف رش» قد كُتبا باللغة الكردية والأبجدية الكردية القديمة. ويقول مارك سايكس: «بأن اليزيديين يتكلمون اللغة الكردية القديمة، ويتعبّدون بها، ويعتقدون بأن الههم نفسه يتكلم الكردية». وقد أدخل مارك سايكس جميع اليزيديين في خرائط وكشوفات الطوائف الكردية. ويذكر كوركيس عوّاد، بأن جنسية اليزيديين كردية، ولسانهم لسان الكرد، وأنّهم لا يعرفون لغة غير الكردية، وأن عوائدهم واحدة، في

---

(1) قسطنطين زريق. اليزيديون قديمًا وحديثاً. المقدمة. المطبعة الأميركية: بيروت 1934. الكتاب نشره إسماعيل جول.
- ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية وأصلها. مجلّة لالش عـ2 ص 156 - دهوك العراق 1994.

(2) سليمان خوري ص 9.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 76 - 77.

(3) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 69 - 70.
- الأب سهيل قاشا. اليزيديون ص 41.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب في العراق ص 66.

الأفراح والأتراح، والمأكل والمشرب والملابس[1]. واعتبرت السالنامات العثمانية أصحاب الديانة اليزيدية من الكرد، من حيث الإنتماء العرقي والقومي. ويذكر الأب أنستاس الكرملي أن المؤرّخين الاقدمين عدّوا اليزيديين بين القبائل الكردية الخمس. ويعرّف طه الهاشمي يزيدية الشيخان بالداسنيين. وتؤكد الغالبية الساحقة من الباحثين والمؤرّخين أن الداسنيين هم الكرد الذين كانوا يتواجدون في سلسلة جبال داسن. ويذكر ياقوت الحموي «أن داسن اسم جبل عظيم في شمالي الموصل. من جانب دجلة الشرقي، فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية»[2].

ويرى فريق كبير من الباحثين، أنّه ليس بالضرورة إذا تكلم اليزيديون اللغة الكريدة، أن يكونوا أكراداً. فاللغة كظاهرة إجتماعية تؤثر وتتأثر كغيرها من الظواهر الإجتماعية لشرائع وقانون التطوّر وهي إحدى العوامل الأساسية والمقومات الرئيسية التي تجمع بين الشعب الواحد. ولكنّها ليست كل العوامل وكل المقوّمات. فهناك أيضاً عامل الأرض، والتاريخ، والإرادة المشتركة والثقافة. هناك يزيديون في أرمينيا يتكلمون اللغة الأرمنية، وبعضهم اللغة التركية في تركيا، والقوقازية في بلاد القوقاز. كما أن قبيلتي البشيرية والغرزية الأشوريتين تتكلّمان اللغة الكردية. وإن بعض الجماعات الأرمنية في مدينة زاخو العراقية في كردستان، ويبلغ عددهم حوالي 200 عائلة، وهم حريصون على عقيدتهم المسيحية، ويزاولون طقوسهم الدينية المسيحية. والشيء ذاته يُقال عن الطوائف الأشورية من الذين يتكلمون اللغة الكردية إلى جانب السريانية. وعناصر الإنتشار التركمانية في

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان ص 19 - 21.
- غرنوت فينسر. تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ترجمة فرهاد إبراهيم. مجلّة لالش عـ2 - 3 ص 114.
- أغنتيف بريزين. زيارة لليزيدية 1834. ترجمة جرجس فتح الله. الطبعة الأولى ص 158. منشورات دار آراس. أربيل - العراق 2001.
- ليدي درور. في بلاد الرافدين. صور وخواطر. ترجمة فؤاد جميل. الطبعة الأولى ص 208. مطبعة شفيق بغداد.
- محمد علي عوني. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان. ص 27 - 28. مطابع زين الدين بيروت 1985.

(2) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان ص 19 - 21.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 174 - 175. مطبعة الإتحاد. الموصل. 1949.
- كوركيس عواد. دار صدام للمخطوطات رقم 39918 ورقة 3.
- الأب أنستاس الكرملي. اليزيدية. أرشيف مركز لالش الثقافي والإجتماعي رقم 34. دهوك العراق.
- ياقوت الحموي. معجم البلدان، المجلّد الثاني ص 432. دار صادر. بيروت.
- خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون. الطبعة الأولى. ص 7. دار الحوار للطباعة والنشر. اللاذقية 1995.

أذربيجان إيران يتكلّمون اللغة الكردية إلى جانب الفارسية. والآن الغالبية العظمى من اليزيديين يتكلّمون اللغة العربية إلى جانب الكردية.

أمّا الرحالة والمستشرقون والباحثون، الذي تناولوا موضوع اليزيدية فقد ورد في كتاباتهم ما يفترض أن يساعد على تكوين صورة عن أصلهم من خلال الفترة الزمنية، التي قصد فيها المعنيون مناطق سكن اليزيديين في القرن الثاني عشر للميلاد، في منطقة أشور. لكنهم لم يشيروا إلى اليزيدية رغم مكوثهم فترة ليست بالقصيرة في المناطق التي هي حالياً موطن اليزيديين، وكانوا فيها بالسابق. إنّما تمّت الإشارة إليهم بشكل واضح منذ دخول العثمانيين إلى هذه المنطقة في مطلع القرن الخامس عشر وما بعد. وما يميز آراء الأغلبية من هؤلاء المستشرقين والباحثين الغربيين، أن اليزيديين هم بقايا سكّان بلاد ما بين النهرين القدماء، وإن أراءهم هذه مبنية على واقع توزيعهم السكاني وعراقة سكنهم في هذه المنطقة، وتحديداً حول عواصمها التاريخية، لا سيّما بلاد أشور منها، واستمرار الكثير من الطقوس وعادات العبادة عندهم، والتي كانت سائدة عند سكان البلاد القدماء، من بابليين وأشوريين وصابئة. وقد وفّرت سجلات الكنيسة المسيحية في بلاد ما بين النهرين الكثير من الأدلة والشواهد، التي تساعد على إلقاء الضوء على أصل اليزيديين المعاصرين، والتي عزّزت الآراء التي أوردها الباحثون والمستشرقون الغربيون عن أصل اليزيديين وارتباطهم ببقايا سكّان هذه البلاد. وإن المعاقل اليزيدية، كانت أساساً معاقل مسيحية لسكان البلاد الأصليين. منها، باعذري السريانية، والتي عُقد فيها مجمع الكنيسة الشرقية سنة 486، المعروف بمجمع «مار برصوما» كما أن مزار الشيخ عدي أو عادي في «لالش» ما بين «تروش وعين سفنى»، والذي يُعتبر من أقداس الطائفة اليزيدية، وهو مُحاط حتّى الوقت الحاضر، بأكبر تجمعات يزيدية، فهو حسب المصادر الكنسية الشرقية والغربية، كان ديراً تابعاً للكنيسة الشرقية، وكان يُعرف بدير «مار أدي». وسنجار التي تُعتبر من معاقل اليزيدية، كانت حتّى القرن السابع عشر مقرّاً لكرسي مطرانية الكنيسة الشرقية. وأكثر الأديار والكنائس لا تزال شواهد على ذلك.

يقول الكاتب العراقي سليم مطر في كتابه «الذات الجريحة: يمكن اعتبار اليزيدية بقصر تاريخي، مظهره إسلامي، مزيّن بنقوش عربية، وعبارات كردية. لكن لو أزلنا هذه الأصباغ الخارجية عن الجدران لاكتشفنا تحتها طبقة نقوش مسيحية بأيقونات ملوّنة، وصلبان منحوتة ولو تعمقنا أكثر بالحفريات لاكتشفنا طبقة ثالثة من جدارات أشورية ورسومات آلهة ما بين النهرين، وكتابات مسمارية. ولو تعمقنا في الحفريات سنصل

لأعماق تاريخ المنطقة وجذورها البدائية المخفية. إن اليزيدية من الكل هي أقلّ الطوائف التي نجحت بإخفاء طبقاتها التاريخية، بحيث تبدو وكأنها موزاييك رائع للتراث الديني والقومي لبلاد ما بين النهرين»[1].

ويرى غست في كتابه «اليزيدية»، إن كلمة يزيدية ترتبط بخازن الملك خسروا، وكان يدعى «جزدين» وكان رئيس المسيحيين النساطرة، وقصره في خاصية كركوك. ومعروف ان هرقل إحتفل في هذا المكان بعيد ميلاده سنة 627 وكان قريباً من المنطقة التي عاش فيها اليزيديون.

إن ما وصلنا حتّى الآن من تاريخ اليزيدية، يدلّ على أن الغالبية العظمى من هذه المرويات، لم تكن محايدة، وبخاصة المرويات العثمانية منها، وقد أخفت الكثير من الحقائق وشوّهت بعضها. فقد صوّرت اليزيدي إنساناً منكسراً ومهزوماً ومسبياً وقابلاً لكل ما يتعرّض له من اضطهاد وإهانات. وقد يكون في هذا الأمر خلافاً للواقع المنظور، وتحريفاً للمجريات التاريخية المرتبطة بهذه الطائفة، ممّا جعل العديد من الناس يعتقدون بصحّة هذه المرويات المشوّهة، حيث لم يكن هناك البديل الذي يعتمد الحقيقة والنقل الصادق. إذ كان اليزيديون يفتقدون الكتّاب المنصفين والمحايديين الذين يكتبون حقائق تاريخهم، كما أن أكثر الذين كتبوا عن اليزيدية، أو أرخوا لها، هم من البحاثة والرحالة الأجانب، الذين كتبوا بلغاتهم القومية، ولم تُترجم مصنفاتهم وكتاباتهم إلاّ مؤخّراً، ممّا جعل الكثير من الباحثين يعيدون النظر في كتاباتها ليضعوها في المسار الصحيح. وقد كوّنت تلك المرويات والأبحاث كميّة كبيرة من الحيف والظلم، لحق باليزيديين، كان الدافع الأكبر لها الجهل والحقد والكراهية.

فقد أغفلت الغالبية العظمى من المؤرّخين المراحل الإيجابية والشجاعة في تاريخ اليزيدية. فعدم إبراز مثل هذه المسائل، يشكّل بتراً لصفحات تاريخية وتشويهاً لصورة من الزمن الإنساني في التاريخ المشرقي. فقد تعرّض اليزيديون لمذابح عدّة وشُنّت عليهم حملات، عزّزت بكتائب من الجيوش، تحت شتّى الذرائع، بحجّة أنّهم يقطعون الطرقات، ويسلبون القوافل المارة. وبحجة أخرى بسبب الفتاوى التي كانت تصدرها الدولة العثمانية، وحكام المقاطعات والولاة.

كما أن الكثيرين من الكتّاب، لم يتعرّضوا في كتاباتهم إلى الحالة المزرية التي يعيشها اليزيديون. فقد كانوا على الدوام خارج نظرة السلطات التي لم تعرهم أدنى اهتمام. وكانوا

(1) أنظر اليزيدية في بلاد ما بين النهرين: آشور ناصيبينويو. الملحق رقم 1 - 2 - 3 - 4.

خارج تخطيطها وبرامجها العمرانية والثقافية. وبقيت قراهم ومزاراتهم دون اهتمام. وبقي المجتمع اليزيدي برمتّه مجتمعاً زراعياً بالحد الأدنى ورعوياً[1].

لقد اختلطت اليزيدية بطقوس الأديان الأخرى وقد يصعب تعقب هذا التأثير لمعرفة أيّها المؤثّر وأيّها المتأثّر. لكن الواضح أن اليزيديين كانوا متأثّرين على الدوام، بسبب حداثة كتابيهم المقدّسين «مصحف رش» و«جلوة»، نسبةً إلى الكتب الدينية الأخرى، بعد فقدان كتبهم الأصلية، كما يُقال، إضافةً إلى تقوقعهم في البيئة الجبلية، واستقبالهم لزائرين من أديان مختلفة، لكن هذه الطقوس التي تأثّروا بها، أخضعوها لعقائدهم، التي تبدو قديمة جداً. وقد تناقضت الآراء حول تاريخهم وطقوسهم، رغم أن أغلب الذين كتبوا عنهم، قاموا بزيارتهم، والإختلاط بهم، وكثيراً منهم حضر شعيرتهم الكبرى المتمثّلة في مهرجان السناجق السبعة. وعند مقارنة معلومات هؤلاء الطارئين، بزيارة إستطلاعية أو مهمة رسمية بما كتبه باحثون يزيديون، تبدو تلك المعلومات قاصرة وساذجة أحياناً.

وقد تحمّل اليزيديون مشاق التشويه والملاحقة، على اعتبارهم طائفة ضالة منحرفة عن دين آخر، ومن حق تلك الديانة إرجاعها إلى جادة الصواب، أو القتل بالردة. وتيمّناً بالقول الماثور «صاحب البيت أدرى بالذي به» و«أهل مكة أدرى بشعابها» نميل إلى معلومات الباحثين اليزيديين أنفسهم، أكثر من غيرها. ففي الآونة الأخيرة، صدرت كتب ومجلاّت يزيدية عديدة. تؤكد عدم صلتهم بأي يزيد كان، «ابن معاوية» أو «ابن أنيسة» أو «ابن عنيزة» وتبدو هذه التسمية محرّفة عن «الإيزيدية»، لسهولة التلفظ بها من جهة، ومن جهة أخرى لرسوخ الاعتقاد الخاطئ حول صلتهم بيزيد بن معاوية بالذات. رغم ما ظهر في مصادر الملل والنحل الإسلامية، باعتبارهم أتباع يزيد بن أنيسة الخارجي، إحدى الفرق المنشقة عن الأباضية. كما يذكر البغدادي، والشهرستاني، أن يزيدية الخوارج هي الديانة المقصودة[2].

---

(1) زهير كاظم عبود. التنقيب في تاريخ الإيزيدي القديم. القسم الرابع. ص 73 وما بعدها....
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية. المراحل الدينية لدى اليزيدية. المرحلة السادسة ص 53.
- المقريزي. كتاب السلوك. الجزء الرابع. ص 294 دار الكتب المصرية القاهرة 1978.
- عبد الرحمن السويدي. حديقة الزوراء. ص 65. بغداد 1962.
- عباس العزاوي. اليزيدية ص 118.

(2) اليزيدية. مجلّة المشرق ص 33 - 1899.
- عبد القاهر البغدادي. الفرق بين الفرق ص 263 بيروت. دار الجيل والآفاق الجديدة 1987.
- الشهرستاني، محمد عبد الكريم. الملل والنحل. جـ 1 ص 136 المكتبة العصرية بيروت.

وتسميتهم باليزيدية وبالتالي نسبتهم إلى يزيد بن معاوية، لا تخلو من تأثير قومي ومذهبي، ومن بعد عن البحث العلمي والأكاديمي، والجهل بتاريخ هذه الديانة وعلاقاتها. ومحاولة البعض نسبهم إلى يزيد بن معاوية، وتعزيز رأيهم بما ذكره السمعاني في الأنساب في القرن السادس للهجرة عن اليزيدية، قد يخلو من الدقة، لأنّ هناك شكّاً بأنّ السمعاني، أخذ اسم يزيد وبنى عليه قصّته[1]. وفي نسبهم إلى يزيد بن معاوية، يتجاوز النسّابون تسميات تاريخية مهمة في حياة اليزيديين ذكرناها سابقاً، والتي تظهر علاقاتها واضحة كدين أو مكان[2].

ويرى البعض من الباحثين أن تسميتهم باليزيديين، وورود مروان في نسب الشيخ عدي بن مسافر، جعلت بعض الكتّاب يعتقدون بإمامتهم ليزيد بن معاوية، وبنسبهم الأموي، وكأنّهم جميعهم أحفاد الشيخ عدي. وكان الشيخ عدي أو أدي كما تذكر المصادر، هو مؤلّف كتب اليزيدية المقدّسة، ومؤمناً بعقيدتهم القديمة في الخلق والتكوين، كقول «مصحف رش» أو «الكتاب الأسود»: «في البداية خلق الله درّة بيضاء، من سرّة العزيز، وخلق طيراً اسمه أنغر، وجعل الدرّة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة». والشيخ أدي، الذي عُرف بعدي بن مسافر الأموي هو رمز إله المطر والخير والبركة. وكون الأشوريين كان لهم محبة خاصة للشيخ أدي، فإنّهم لم يصوّروه في نقوشهم وحسب، بل ورد عنه الكثير في كتاباتهم. ولهذا تواجد معبده في قلب أشور في لالش. ويوجد في هذا المعبد رسومٌ ونقوش ترمز إلى شعائر الأديان السومرية والبابلية. وإسم أدي السرياني، أو الأشوري، له حضور في المنطقة الجبلية بين المسيحيين قريباً من مساكن اليزيديين. ومنه أحد المبشرين الأوائل «مار آدي» والمطران «آدي» صاحب كتاب الألفظ الفارسية المعربة،

---

(1) السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم. الأنساب. مخطوط جامعة لندن. مكتبة SADS 1912.

(2) رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق. ص 75 - 76.

- ممو فرحات. الثقافة الجديدة العراقية. العدد 243.
- قيصر صادر. اليزيدية عقائدهم وتقاليدهم. مجلّة المقتطف آذار 1936.
- خدر سليمان. مجلّة التراث الشعبي عـ5 - العراق 1973.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم ص 152.
- الدملوجي صديق. اليزيدية ص 387.
- خليل جندي. نحو معرفة حقيقة الأيزيدية ص 20 و 60 السويد 1988.
- ولد المطران أدي شير في بلدة شقلاوة، وقتل في أوائل الحرب العالمية الأولى في آب 1915.

وتاريخ كالدو وآشور[1].

ويعتبر المؤرّخ والباحث اليزيدي «خليل جندي» أن إكتشاف صلة قومه بالحضارة السومرية، مفتاح هام، لفك غموض العديد من أسرار وخبايا الديانة اليزيدية، والتقرب من معرفة أصولها التاريخية والإجتماعية. وإن هذا الإكتشاف يضع حداً لمغالطات العديد من الكتاب والمؤرّخين. منها، نسبة اليزيدية إلى الأمووين عن طريق الشيخ آدي أو عدي، مع أن الأخير وفقاً لما تقدم لم يثبت أنه أموي، ولم يثبت أنه عدي بن مسافر المقصود. ولم يكن ذلك إلا عن طريق تسميتهم ونسبتهم الخاطئة إلى يزيد بن معاوية.

وقد سعت الحكومة العراقية إلى تسمية اليزيديين بالأمويين، من دون أي ذكر تسميتهم الشائعة باليزيديين. ورد ذلك في بيان صادر عمّا يسمّى بـ«مكتب شؤون الأمووين» في العراق ببغداد 1969، الذي نشرته جريدة الثورة العراقية في عددها 166، جاء فيه: «إن المكتب يعمل لإرادة الدعوة العربية، وإظهار عروبة الأمويين في شتّى المجالات الرسمية والشعبية» كما شدّد البيان على نسبتهم إلى قريش عبر صلتهم بيزيد بن معاوية[2].

ومن أحدث الفرضيات المتعلقة بأصول اليزيدية التاريخية، هي فرضية المستشرق الإيطالي «أ.م. غويدي A. M. Guidi»، التي تعتبر أن اليزيدية ناشئة من ردّ فعل سياسي - ديني لصالح الأمويين شبيهة بالحركة المناصرة لعلي، التي نلقاها في أصول الشيعة، فإن الحركة، وقد هاجرت من جنوب العراق باتجاه سنجار، تكون قد تموضعت فيما بعد في كردستان، حيث تأكردت وابتعدت عن الإسلام الصحيح، إلى حدّ فقدت اية مشابهة معه. باعتبار أن الأمويين كانوا لا يزالون يحافظون فعلاً بعد سقوطهم، على أتباع عديدين خطيرين في دمشق وحتّى في بغداد، وعلى وجه خاص في جنوب كردستان، حيث

(1) مير بصري: أعلام الأدب في العراق ص 370. دار الحكمة لندن 1994.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 76 - 78.

(2) محمد مكري: ولادة الكون عند الأكراد. مجلّة أصوات. العدد 13.
- خليل جندي: نحو معرفة حقيقة الديانة الإيزيدية ص 20 - 21.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 78.
- لورانت شابري - أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 129.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 71.
- عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم الطبعة العاشرة ص 14 - 15.
- زهير كاظم عبود. العتنقيب في التاريخ الإيزيدي ص 36 - 38.
- د. خلف محمد الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 18 - 21.
- جون س. كيست: تاريخ اليزيديين ص 77 - 79.

يبدو أن كثيرين من أعضاء اسرتهم لجأوا إلى هناك، وكان بدء ظهور الفرقة في القرن الثاني عشر في ذلك الإقليم من جنوب كردستان مع الشيخ عدي[1].

أما نحن، فنزكّي الرأي القائل بأن اليزيديين هم من بقايا شعوب وسكان بلاد ما بين النهرين القدماء، الذين حملوا معتقدات هذه البلاد الأصلية. وبسبب تقاربهم من الشعوب الوافدة، والديانات السماوية، اختلطت معتقداتهم مع المعتقدات الجديدة، وانبثقت عنها الديانة اليزيدية، مع استمرار الكثير من الطقوس وعادات العبادة عندهم، والتي كانت سائدة عند سكان البلاد القدماء، من سومريين، وبابليين، وأشوريين، وصابئة. ونشكّ بأن يكون عدي بن مسافر هو المؤسّس للديانة اليزيدية، مع أنّه يحتل المقام الأول بين مريديها. إنما قد يكون أكثر من طوّر في طقسياتها وعباداتها المتوارثة في تلك المنطقة.

وفي قراءة هادئة وعميقة للديانة اليزيدية يتبيّن:

1 - تقديس الأفلاك والتناسخ والتنويه، ممّا له إرتباط بالديانات غير السماوية من بابلية، ومجوسية، وغيرها...

2 - الختان وتحريم بعض الأطعمة، وخلق العالم، ممّا له علاقة بالديانة اليهودية.

3 - تقدير اليزيديين واحترامهم للكنائس والأديرة والمقامات المسيحية، واهتمامهم بها، ولثم عتابها، والشبر[2].

4 - أسماء الشعائر الإسلامية. الحج والزكاة والصدقة.

ويقول الأمير اليزيدي إسماعيل بك جول:

«إن اليزيديين، يأخذون الصوم والنصيحة والعماد من النصارى، والفهم من الإسلام، وأصول الديانة من الملائكة والأولياء، وتحريم المأكولات من اليهود، والسجود من الوثنيين، والمخالفة من الرافضين، وذبح الاشخاص من الجاهليين، وتحليل الخاطئ من الشيوخ والأمراء»[3].

ورغم هذا كلّه فإن الديانة اليزيدية ديانة قائمة بذاتها، لها كيانها، وطقوسها ومقامها لدى اتباعها.

---

(1) ليسكوت: تحقيق حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار، مذكرات المعهد الفرنسي في دمشق جـ 4 1938.
- لورانت شابري، أني شبري. سياية وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 130.

(2) الشبر: سر الإفخارستية أو القربان المقدّس عند المسيحيين.

(3) إسماعيل جول: اليزيدية قديمًا وحديثاً ص 94.
- د. محمد التونجي. اليزيديون. ص 75 - 76.

الفصل السادس

القبائل اليزيدية

الأعراف والتنظيمات القبلية

اليزيديون فلاحون في سوريا. وهم أقرب إلى الوضع القبلي في تركيا، وأشباه رحّل في أغلب مناطق سنجار، إنّهم لا يشكّلون عنصراً مدنياً في أي مكان سوى تفليس، حيث يعيش بعض مئات منهم على بعض الأعمال الصغيرة. فلا يمكنهم إذاً ممارسة تأثير مباشر على سياسة البلدان التي يعيشون فيها. إن الأغلبية المطلقة منهم أمّيون، وجهلهم المدهش غالباً ما يجعلهم غير قادرين على التأقلم مع شروط الحياة الحديثة، وإلى إهمال دراسة تقاليدهم الدينية الخاصة بهم، أو التنازل عنها للإلتحاق بدينٍ آخر، ممّا يجعل هذه الطائفة في طريقها إلى الزوال تقريباً. والحاصل أن اليزيديين يعيشون في مجتمعات تفصلها عن بعضها بعضاً أبعاد شاسعة، والإتصالات بينها تكاد تكون معدومة، وهم محاطون بسكّان يسيئون أغلب الاحيان معاملتهم، فليس أمامهم الا البقاء تحت رحمة الدول الشرقية الفتية التي تحرّكها قبل كل شيء الرغبة الشرعية في تحقيق وحدتها القومية. ممّا حدا بالبعض منهم إلى اعتناق ديانة السكان الذين يعيشون بينهم، ولا سيّما منها الديانة الإسلامية بشكل خاص ما أدّى إلى تراجع عددهم.

وقد كانت منطقة سنجار مأهولة منذ عهد قديم، ويشغلها المسيحيون السريان النساطرة. وقد أجبروا على إعتناق الإسلام منذ القرن التاسع والعاشر للميلاد. وكان إسلامهم في بادئ الأمر سطحياً، بحيث مارس أصحابه التقية خوفاً من الاضطهاد الديني، وتهرّباً من دفع الضرائب والأتاوات للحكام المسلمين ودار الخلافة. وعند ظهور الطريقة العدوية في هذه المنطقة، كان هؤلاء السكان من أكثر الناس غلواً في اعتناقها[1].

ولم يطرأ على إعمار سنجار بوجه الإحتمال سوى تغييرات طفيفة حتّى بداية القرن السابع عشر. لكن المنطقة تعرّضت بعد ذلك لاجتياح حقيقي من قبل عناصر يزيدية قادمة من كردستان. واستمرت حركة الإنحسار المسيحي حتّى أيامنا هذه. ولئن كان السنجاريون يجهلون تاريخ استقرار بعض القبائل والعشائر في المنطقة، من أمثال

---

(1) S. F. R. P. Le christianisme des arabes. Nomade. p. 62 - 66.

«الخالتية» و«الدنبلية» و«المنديكان» و«المحمودية»، فإنّهم يتذكرون أن قبيلتي «الداودية» و«الفقيران» استقرتا في بلدهم خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. وكذلك قبيلتا «الجلكان» و«الجيلكان». وبعد الحرب لجأ العديد من النازحين فرادى وجماعات إلى الجبل[1].

ولم تكن هذه الهجرة الجماعية بدون مضاعفات. فقد تميّز القرن الثامن عشر بتجمّع كامل للسكان، وبصراعات عنيفة لإمتلاك المناطق الأخصب في الجبل. وكانت قبائل الجنوب تعمل على الإقتراب من بلد سنجار، وتحلم جميعاً بالإستيلاء عليه، وبشكل دوري، كان بعض القبائل التي طردها خصوم أقوى تستقر عند السفح الشمالي للجبل، وتدفع باتجاه الغرب الجماعات التي تصطدم بها. وهكذا شهدت هذه الفترة مطاردة حول الجبل، فتنقّل قبائل الشمال نحو الجنوب، وقبائل الجنوب نحو الشرق. ومنذ نهاية هذه الفترة المضطربة، لم يطرأ أي تعديل على التوزيع الإقليمي للجماعات اليزيدية في المنطقة[2].

ويقسم سكان سنجار حالياً إلى ثلاثة تجمعات.

1 - **الخوركا**: يخيم هذا التجمع في المنطقة الغربية من سنجار.

2 - **الجنوية**: يقيم هذا التجمع في المنطقة الشرقية من سنجار.

لا يفصل بين الخوركا والجنويين فارق طبقي إجتماعي، وإنما اختلاف نمط الحياة، واختلاف العادات. فالخوركا أشباه رحل، والجنوية حضر، والبعض منهم يقبل الديّة، في حين يرفضها البعض الآخر. ويظهر هذا التعارض أيضاً باختلاف في اللباس. والحدود بين التجمعين، هي من الوضوح بحيث أن فرداً من الخوركا لن يتزوّج أبداً بواحدة من الجنوية والعكس.

وأسباب هذا الشقاق التي لا يسعى اليزيدية إلى شرحها، مجهولة بالنسبة للكثير من المؤلّفين والباحثين والرحالة. لكن إذا كان هذا الشقاق قد وُجد فعلاً في الماضي، فلم يبق منه اثر اليوم، ولم يعد التمييز بين الخوركا والجنوية يتوافق مع أي واقع سياسي. وفي الوقت

---

(1) إن الكثير من قرى سنجار بقيت مسيحية حتّى القرن الثامن عشر. ومن المحتمل أن تكون بعض العناصر الكردية قد قامت بطرد سكان سنجار الأصليين. بحيث تظهر رواية «علي أوسو» اليزيدية أنها احتفظت بذكرى غزو وحشي على سكان مسيحيين في البلد.

(2) فوربس: زيارة إلى جبل سنجار 1883. المجلّة الجغرافية الملكية عـ9.

- أحمد تيمور: اليزيدية ومنشأ نحلتهم. الطبعة الأولى. المطبعة السلفية القاهرة 1347 هـ نقلاً عن كتاب «الوفيات» ابن شاكر الكتبي ص 19.

الحاضر يتحالف زعماء اليزيدية ويتقاتلون فيما بينهم، دون أن يأخذوا هذه الخصومة بعين الاعتبار.

3 – **الفقيران**: يشغل الفقيران بضع قرى واقعة في القسم المركزي من الكتلة الجبلية، ولا يتميزون عن مواطنيهم الا بكونهم يشكلون طائفة خاصة[1].

وهكذا، فإن سكان سنجار المنقسمين إلى عدّة مجموعات، تفتقد التجانس فيما بينها، وينقصهم بشكل أساسي الإتحاد فيما بينهم. وإن غياب الوحدة يشرح جزئياً الصراعات التي تضع بعض عشائر الجبل في وجه بعضها الآخر. هذا، ولم يُوفّق يزيدية سنجار قط في تشكيل دولة واحدة، ولا حتّى التجمّع تحت سلطة رئيس واحد. بل يعيشون ضمن قبائل مستقلّة تماماً عن بعضها البعض.

وليست القبلية اليزيدية أكثر تماسكاً من القبيلة البدوية، إنّما هي تجمّع لخلايا سياسية مستقلّة، غالباً ما تكون من أصول متغايرة. بحيث تضم كل قبيلة عدداً معيّناً من البطون، التي تنقسم بدورها إلى أفخاذ. وإلى جانب هذه الجماعات، التي تدّعي أصلاً مشتركاً، يندرج بشكل دائم لاجئون، يأتون فرادى أو جماعات.

والبطن يضم كل المنحدرين من جدّ واحد، والذين يضمّهم مخيّم واحد أو قرية واحدة. ولكل بطن اسم خاص به، هو غالباً اسم الجد المشترك ويتغيّر الملاك الفعلي للبطن تبعاً لنوعية حياة أفراده، وتبعاً للشروط الطبيعية التي يواجهونها.

إن البطن يمثّل إضافةً إلى القبيلة الوحدة السياسية الرئيسية في جبل سنجار، وهو يتمتّع باستقلالية شبه تامّة، ويعيش حياته المستقلّة في منطقته أو قريته بعيداً ومنفصلاً بصورة دائمة تقريباً عن بقية القبيلة. وبناءً عليه، فإن أفراد العشيرة توحدّهم مصالح مشتركة أكثر من تلك التي توحّد مختلف أفخاذ القبيلة ذاتها. وهذا التضامن من القوة بحيث يحدّ تشتت البطن أحياناً. فهو لا يزال باقياً لدى «الجنوية»، رغم أنّها استقرت منذ عهد قديم، واستبدلت سلطة شيخ القرية بشيخ العشيرة.

ومع ذلك، فإن افراد البطن الواحد، يمكن أن ينفصلوا زمناً، يطول أو يقصر، إمّا

---

(1) روجيه ليسكو: اليزيدية في سوريا وجبل سنجار ص 152 - 153.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية ص 250 – 251.
- إسماعيل جول: اليزيدية قديماً وحديثاً ص 115.
- رشيد الدين. تاريخ المغول وفارس ص 143 - 145.
- أبي فضل الله. مسالك الأبصار. جـ 13. القسم الأول ص 305 – 325.

باتفاق محض، وإمّا نتيجة خلافات، وأن يعيشوا حياة، أشبه بالبداوة مع قبيلة أخرى غير قبيلتهم. أمّا عند الحضر فإن البطن نفسه، يشغل عدّة قرى أحياناً عندما يكثر أفراده[1].

أما الفخذ فهو جزء متمم للبطن، ومجرّد من كل استقلالية، وهو قلّما يشكّل أكثر من خليّة عائلية. فهو يتألّف من الأهل والأقارب الذين يصل نسبهم بشكل أكيد إلى جدّ مشترك يعطي اسمه لجماعتهم.

وجميع اليزيدية المنحدرين من الطبقة ذاتها متساوون فيما بينهم، كذلك صارت لمسائل النسب في سنجار أهميّة أقلّ ممّا لها عند العرب. مع ذلك، فإن هذه المسائل هي التي تعطي للفخذ سبب وجوده، وتحافظ على تماسكه. فإذا ما قتل يزيدي أحداً في وقت السلم، فإن جميع أقربائه بالدم، أي جميع أفراد الفرقة الفرعية التابع لها، يشتركون معه في مسؤولية الجريمة المقترفة، ويتعرّضون جميعاً لتحمّل ثأر عائلة المقتول. وإذا كان الطرفان المتواجهان من القبيلة ذاتها، فإن أقارب الجاني مجبرون على الهجرة معه. ولا يعودون الا بعد تسوية الخلاف، إما بقتل واحد منهم، أو بفضل مصالحة ودّية.

وتتم المصالحات عن طريق وسيط «كريف» يتم اختياره عادة، من قبل عائلة القاتل. ويمكن أيضاً لشخص ذي نفوذ أن يأخذ على عاتقه فرض تحكيمه. وعندما يتفق الخصوم، يقسم كل طرف للآخر على السلام والصداقة، إمّا عند مزار، أو أمام شيخ، أو بير. وفي هذه المصالحة تحدّد ديّة القتيل، إمّا نقداً أو عن طريق تقديم واحدة من بنات القاتل، أو إحدى قريباته مجاناً لأحد خصومه القدامى.

ويشترك جميع أفراد الفخذ في تقديم المبلغ المتفق عليه، أو تعويض الشخص الذي يجب عليه تزويج ابنته دون مطالبة بالمهر.

ولا يقبل جميع اليزيديين بالتسوية السلمية فيما يتعلّق بأمور القتل. فقبيلة الخوركا وحدهم يقبلون الديّة. أمّا الجنوية فإنّهم يدفعون الديّة لمن يتصالح معهم على ذلك، غير أنّهم يرفضونها لأنفسهم معتبرين أن أحدهم يتطلّب ثأراً بالتأكيد. وإن إقامة التسوية الودّية تبدو حتّى عند الخوركا حديثة العهد، ومأخوذة عن المسلمين. والعرف الذي يعتمد على إعطاء امرأة مقابل الدم المسفوح، يمكن أن يشكّل حلاً مؤقتاً. وهذا ليس خاصاً بجبل سنجار وحدهم، بل هو موجود عند بعض البدو في البادية السورية أيضاً. ولكن بعد تمدّد المدنية إلى هذه المناطق، وبداية سيطرة الحياة الحضرية والعلم، أخذت هذه الأعراف بالتقلّص، وهي آخذة بالزوال، ليحلّ محلها عرف القانون الممثل بالدولة.

---

(1) روجيه ليسكو. اليزيدية في سنجار وسوريا ص 182 - 183.

القبائل اليزيدية في جبل سنجار

إن جميع الحكايات الأسطورية التي تخيّلها اليزيديون لشرح تشكّل قبائلهم تعود إلى نموذج واحد. وهو، أنّه كان ثمة جدّ مشترك له عدّة أبناء، إنحدرت منهم البطون والأفخاذ المختلفة للقبيلة. لكن سلاسل النسب هذه تبقى وهمية محضة ولا يمكن إيلاؤها أي قيمة تاريخية. وهي تفيد فقط في تعزيز التضامن الذي لا تستطيع أي جماعة أن تعيش دونه. حيث نشهد تجمّعاً مستمراً لجماعات أضعفها الاضطهاد، أو فرقتها النزاعات الداخلية. فنرى بعض المهاجرين الذين طردوا من كردستان بسبب ظروف سياسية غير موالية، يحاولون في سنجار إعادة تشكيل القبائل التي كانت تضمهم في موطنهم الأصلي. لكن قلّة أعداد هؤلاء الأفراد الذين ينتمون إلى قبائل متعدّدة، تحتّم عليهم أن يندمجوا في قبيلة واحدة. ومن أمثلة ذلك، إن كل فرقة من فرق «الموسقور» تتوافق مع قبيلة من قبائل «بوطان»، وكذلك فإن قبيلة الفقراء التي استقرّت في الجبل منذ ما ينوف على قرن، تجمّعت في اتحاد قوى، تتألف بطونه من بقايا قبائل متعدّدة، ازدهرت في كردستان فيما مضى. أحياناً، تحاول هذه البقايا أن تتحد لتواجه المعيشة مجدداً، وهي كليّاً أو جزئياً ذات أصول سنجارية.

وإن هذه القبائل التي يزداد عدد أفرادها بفضل حيويتها، «كالسموقية والغيران» أو بفضل قدرة الجذب التي تمارسها على المنفيين والمهزومين، «كالميهيركان» تلك التي أخذ الضعف ينال منها شيئاً فشيئاً، وأصبحت في طريقها إلى الزوال بعد الإزدهار.

وهكذا فإن الإنقسامات والأوبئة والحروب هي النكبات التي أجهزت على القبائل وأودت بها إلى الهلاك بعد أن عاشت فترة إزدهار نسبية. إن الخصومات الدموية التي تفرّق اليزيدية أو حملات الإبادة التي تعرّضوا لها في جبل سنجار منعتهم من التزايد بصورةٍ طبيعية. إن الأغلبية الساحقة من القبائل تدين بوجودها لموجات النازحين الذين يسعون إلى لمّ شملهم ضمن قبائل موجودة سابقاً، ويرفدونها بأعداد إضافية. ويبدو أننا أمام شعب يقاوم الفناء بفضل التعزيزات القادمة من الخارج، ولكن الخوف أن يؤدي توقف هذه التعزيزات يوماً إلى إضمحلال يزيدية جبل سنجار.

1 - **الخوركا:** تحت اسم الخوركا تندرج قبائل السموقة، والجغرية، والهليجيان، والدوخيان، والكوركوركان، والهسكان، المستقرة عند السفح الشمالي بجبل سنجار، في المنطقة الممتدة بين الحدود السورية وعديكا. وكذلك تحت هذا الاسم قبائل الغيران، والجلكان المستقرة عند السفح الجنوبي من الجبل، ثم قبيلة المنديكان، التي

تُعتبر ضمن الخوركا رغم أنّها مستقرّة بين الجنوية.

وتشغل قبيلة السموقة قريتي «بارا و جريبة» الواقعتين غربي جبل سنجار. وتمتد منطقة تنقلّهم، التي تشمل جريبة بأكملها إلى أم الدبّان جنوباً، وإلى الخواصر الجبلية الأخيرة، التي تنتشر حول بحيرة «الخاتونية» في الأراضي السورية غرباً. وتشمل قبيلة السموقة ست فرق، أربع منها ذات أصول مشتركة واثنتان مؤلّفتان من اللاجئين. وأهم هذه الفرق: المحمودية والخليفا، والأوسكي، والعلي جرمكان، والكوركوركان، والغيران.

2 - **الجغرية**: تشغل هذه القبيلة قرية الجغرية، التي تحمل الاسم ذاته، وتقع على بعد بضعة كيلومترات من السموقة. وأسلوب معيشتها هو نفس أسلوب السموقة، الذي يعتمد على الزراعة وتربية الماشية. والجغرية ليست قوية بها يكفي لتعتمد على نفسها في حياتها الخاصة، لذا فهي تابعة بشكل أو بآخر لقبيلة السموقة، وتتبعها في تنقّلاتها، بحثاً عن المرعى، وهي تشتمل على فرقتين متخاصمتين، هما: خلالا، وعثمان خليل.

3 - **الجيلكان**: هذه القبيلة موجودة في قرية قيران، واستيطانها في سنجار يعود إلى أقل من أربعين سنة. وقد قدمت من تركيا. وأفرادها ينتمون أصلاً إلى قبيلة الهفيركان.

4 - **الهليجان**: في قرية الهليجان.

5 - **الدوخيان**: تقيم في قضاء جرسه المشهور بخصوبته، وبنوعية تبغه وتينه على وجه الخصوص. وتضم ثلاث فرق من أصول مختلفة، هي:

أ - الكولكان في قرية مامسيه

ب - الهسكان

جـ - الداوودي

ورغم أن الدويخان أقوى من جيرانهم المباشرين، فهم مسالمون جدّاً، ويتجنبون قدر الإمكان الحروب والمناوشات التي تدور في الجبل.

6 - **الفقيران**: أو الفقراء، ولهم قريتان بين الخوركا هما، ميلّيك، وسيمي هيستير.

7 - **الجلكان**: مثلهم مثل الجيلكان: أصلهم من الهفيركان. وهم فقراء جداً، يعتمدون في معيشتهم على قطعان الماعز، التي يرعونها في الجبل. بعض بيوتهم موجودة في كولكان. أما أغلبية القبيلة فتقيم في «زلافكي» وفي «كبارا». والجلكان هم تقريباً تحت حماية «الهبابات».

8- **الكوركوركان**: هذه القبيلة كانت فيما مضى قبيلة قوية، لكنّها الآن مفكّكة تماماً، وفرقها المختلفة مبعثرة في كل أنحاء سنجار، وهي آخذة بالإنصهار في القبائل الأخرى، وفرقها: شيخو في قرية «سري خاني» و«زغلان في كولكان».

9- **الهسكان**: اندمجت فرقتان من هذه القبيلة في قبيلتي الميهيركان، والدوخيان، بينما تعيش أغلبية القبيلة بصورة مستقلّة، وتشغل في الشمال الخواصر الجبلية الأخيرة لجبل سنجار. ومركزها الرئيسي في «شنانيك» إضافة إلى «كوهبل» و«كنه» وفرق هذه القبيلة: عبدليان، ومالاخربا، وميلكي، وسمانا، وشركان التي يتفرّع منها، مالاهمكي، ومالاموسى.

10- **الغيران**: تشكّل هذه القبيلة قرية سكنية على السفح الجنوبي لجبل سنجار، وتشغل كذلك قرية «مجلونية» وجزءاً من قرية «وردية». ويتفرّع من هذه القبيلة: الهكرشية، والشافي، والباقي، وعلي شكولي، ومهمي، وزينديا. وهذه الفرق الأخيرة تشغل موقعاً بعيداً عن المركز الرئيسي بالنسبة لباقي القبيلة. لذا فهي لم تعد جزءاً منها بالمعنى السياسي بل هي تابعة لخوديداحمو.

11- **المندكان**: يتفرّع من هذه القبيلة: الشهوانية، وإيزوعلي، وقبيلة المندكان جيران للميهيركان، وهم يبدون كأتباع لهم. وإن بعض المنديكان الذين اعتنقوا الإسلام، يقيمون في قرية «عين غزال».

12- **الجنوية**: يتألّف هذا التجمّع للقبائل، من الموسقورة، ومالاخالاتي، والميهيركان وتوابعها، والبكران، والهبابات. وجميع هذه القبائل تتمركز في الجزء الشرقي من جبل سنجار، وتقيم في السفح الجنوبي كما على السفح الشمالي.

13- **الموسقورة**: كانت هذه القبيلة مقيمة في «طرف» حيث ما تزال الأغلبية من أفرادها هناك. ومنذ حوالي أكثر من عشرين عاماً، تفرّقت أقسام منها في «عديكا، وقويسا، وكرى، وزركا» وأهم فرقها: «الدومبلي، وجرزوم، وعبدل، وكلب».

14- **مالاخالاتي**: (بيت خالد). هذه القبيلة أصلها من كردستان، وتشغل قرى: «علاينا، ونو، وكري، وأوسفان، وكوندي جلي» عند قدم الجبل على ضفاف «دير بيري» وقريتي بتونية، وكري عربا الواقعتين في السهل شمالاً.

15- **الميهيركان**: أهم فروعها:

أ- عستنا، التي تشغل قرى «زرون، وبرانا، وزوكديخان، وهمدين، وكوهر اقرتاح».

ب- علي فرّا: في قرية ميهيركان

ج – بشكان: في قرى، باجس، ونميلي، والبشكان من الشيعة الآن.

4- **هسكان**: وتشمل قرى، سيرت، وقرتاح، وباخليف.

5- **الفقيران**: في قرية شكفتا، ولها فرقة فرعية هي شكفتا قوباني،

6- **البكران**: هذه القبيلة تابعة للميهيركان، رغم أنها تشكّل قبيلة خاصة، وأهم فرقها: مالاأوسي، خفشان، قيجكان.

7- **الهبابات**: تعدّ هذه القبيلة الثانية بعد الميهيركان من حيث القوّة، وهي مؤلّفة من حضريين قدماء، استقرّوا في بلد سنجار منذ زمن بعيد. أمّا إقامة هذه القبيلة في المدينة فتعود إلى عهد أحدث. وتنقسم قبيلة الهبابات إلى أربع فرق تنحدر من جد مشترك «عطو» وهي: عطو في بلد سنجار، عمر في «قزلقند»، هاديان في «قصركي»، وسيني في «ديه».

8- **الفقيران**: (الفقراء) لم يمض على وجود هذه المجموعات في سنجار الا أمد قصير. وأول الفقراء الذين أقاموا في سنجار، كانوا من فرقة «مالازرّو»، الذين قدموا من الشيخان. وبعد مضي بضع سنوات على مجيء هذه المجموعة الأولى، وصلت مجموعة ثانية، تحوي باقي عشائر الإتحاد الحالي للفقراء، والتي تعود بأصولها جميعاً إلى قبيلة «الشرقيان». والفقراء حضر يتوزّعون في القرى التالية:

أ – جدالة: وأهم فرقها: مروانيان، ومالاجندد، وهاديان، وقوبان اومالااوسو،

ب – ميليّك: وفرقها دناي أو مالاحمو

جـ – سمي هستير

د – هاديان

هـ – شفكتا

القرى اليزيدية في جبل سمعان في سورية

1- **قسطل**: وتسكن فيها قبائل الدنادي، والركشان، والفقيران، هذه القبيلة اعتنقت الإسلام.

2- **سنكلة**: فيها قبيلة الدنادي. غالبية السكان فيها من المسلمين.

3- **بافلون**: وفيها قبائل الرشكان، والدنادي.

4- **قطمه**.

5- **عرشي قيبار**: وقبائلها: الرشكان، الداودية، مالاخضر، مالاقسو، جاف رشكان، كاجنيه، خالتي.

جميع هذه القبائل من الفقيران.

6 - **ترنده**: هذه القرية مناصفة بين اليزيديين والمسلمين. وفيها قبيلة الشرقيان (فقيران) وكذلك بعض شيوخ عائلة الشيخ مند.

7 - **جديدة**: فيها قبيلة الفقيران.

8 - **باسوطة**: لم يبق فيها الا عائلتان يزيديتان. وما تبقى من المسلمين.

9 - **كيهار**: سكانها الآن مناصفة بين اليزيديين والمسلمين. وفيها قبيلة خالتي.

10 - **برج عبدالو**: أكثر من نصفها من المسلمين وفيها قبيلة «رشكان من الفقيران».

11 - **برا**: مختلطة بين اليزيديين والمسلمين الذين يشكلون أكثر من النصف.

12 - **كفرزيت**: هذه القرية بكاملها من اليزيديين.

13 - **قره باش**: مختلطة بين اليزيديين والمسلمين.

14 - **غزوية**: غالبية سكانها من المسلمين.

15 - **شيخ خضرا**.

16 - **اسكان**: غالبية سكانها من المسلمين.

17 - **يعي**: الأكثرية من المسلمين.

18 - **يوسفان**.

19 - **كبيشين**.

20 - **فافارتين**: جميع سكانها أصبحوا من المسلمين.

21 - **كفرشين**: الأغلبية الساحقة من سكانها مسلمون.

22 - **كوندي مزن**: يشكّل اليزيديون الأقلّية فيها، وهم في طريقهم إلى اعتناق الإسلام.

23 - **باشمرا**: الأغلبية الساحقة من سكانها من المسلمين

24 - **برج القاس**: لم يبق فيها الا بيتاً واحداً من اليزيديين[1].

---

(1) أنظر:

- روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار ملحق رقم 4 ص 289. الملحق رقم 6. ص 307 وما بعد.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية ص 250 - 261.
- جون مكدنل كينه: الإنتشار الجغرافي لليزيدين في بلاد فارس، ص 18. لندن 1814.
- البلاذري. فتوح البلدان. القاهرة ص 327. 1932.
- ابن الأثير الكامل في التاريخ جـ 8 ص 408. مطبعة دار صادر. بيروت.
- ياقوت الحموي معجم البلدان جـ 1 ص 472. دار صادر بيروت.
- عبدالرزاق حسني: العراق قديماً وحديثاً. الطبعة الثالثة ص 256 و 46 - 48 مطبعة العرفان. صيدا - لبنان. 1958.

إضافةً إلى ما تقدّم ذكره عن سكن اليزيدية في سنجار وجبل سمعان. هناك مدن وقرى ومناطق اخرى في العراق يتواجد فيها اليزيديون وهي:

1 - **الشيخان**: وهي أرض واسعة فيها قرى عديدة تربو على العشرين. وهي من الفارسية ومعناها «بلاد الشيوخ».

2 - **بحشيقا أو بعشيقا**: تبعد حوالي خمسة وأربعين كم عن مدينة الموصل. كلمة سريانية بمعنى «بيت المسحوق أو بيت المظلوم». وتبعد حوالي 30 كم عن الموصل شرقاً، في محافظة نينوى. سكانها مختلطون من المسلمين واليزيديين والمسيحيين. ولغتهم جميعهم العربية. ويذكر ابن الأثير: «أن بني شيبان نزلوها في أثناء حروب الخوارج، وكان معهم هرون بن سليمان مولى أحمد بن عيسى الشيخ الشيباني صاحب ديار بكر»(1).
كما ذكرها ياقوت الحموي قال: «بعشيقة من قرى الموصل.. في شرقي دجلة.. بها دار إمارة، لها نهر جارٍ في وسط البلد.... لها سوق كبير... وأكثر أهلها نصارى»(2).

3 - **باعذري أو باعذرا**: تقع على مسافة 44 كم شرقي الموصل. كلمة سريانية بمعنى «بيت الملجأ» (بيت عدرو). وهي تابعة لقضاء الشيخان. وقد عقد في باعذري المجمع النسطوري برئاسة الجاثليق «آقاق» سنة 486(3) دخلت تحت الحكم الإسلامي أيام خلافة عمر بن الخطاب على يد عتبة بن فرق السلمي سنة 20هـ(4). سنة 641م.
وباعذري اليوم. هي مركز الإمارة عند اليزيديين. وهم يطلقون على أميرهم الأعلى أمير الشيخان(5).

4 - **شيخ عدي** أو **شيخ عادي**: قرية الشيخ عدي. وهي قريبة من باعذري. فيها مرقد الشيخ عدي. تقع شرقي الموصل على حوالي 50 كم.

5 - **بحزاني**: من السريانية «بيت حزونو» مكان الوحي. تابعة لناحية بعشيقا تقع على حوالي 25 كم شرقي الموصل. أغلب سكانها من اليزيديين والمسيحيين، وجميعهم يتكلّم العربية. وهي مقرّ هام لرؤساء اليزيدية.

---

(1) ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ 7. ص 315.
(2) ياقوت الحموي معجم البلدان جـ 1 ص 473.
(3) شابو: السنودسات الشرقية ص 300. باريس 1902.
- آديشير. تاريخ كالدو وآشور جـ 2 ص 141 - 148. المطبعة الكاثوليكية بيروت 1905.
(4) البلاذري: فتوح البلدان ص 327.
(5) عبد الرزاق الحسني العراق قديماً وحديثاً ص 256. مطبعة العرفان صيدا 1956.

6 - **عنسفن** أو «**عين سفني**»: من السريانية «عينو شفيو» أي العين الصافية. تقع شمالي شرقي الموصل على بعد 50 كم، وهي مركز قضاء الشيخان. وقد كانت سابقاً مركزاً للاسقفية المسيحية السريانية النسطورية[1]. ذكرها ابن الفوطي في ترجمة «مجد الدين»: أبي حفص عمر بن أحمد المتوفي 1216م. وقال أنّه ينسب إلى عين سفينة من بلاد الهكار[2]. كما ذكرها شمس الدين الذهبي»[3].

7 - **طفيتا**.

8 - **كابار**: من السريانية «كبيرو» أي «الجبّار».

9 - **خدرزا**. فارسية «حقير».

10 - **بوزان**: بجوار القوش من السريانية «بوزيو» منها العالم النسطوري «يوسف بوسنايا». تبعد أكثر من 50 كم عن الموصل. يقطنها اليزيديون. ولغتهم الكردية. ويحتفل اليزيديون في هذه القرية سنوياً بعيد رأس السنة[4].

11 - **نلخش**: لفظة سريانية «نلحش» أي تل الآلام.

12 - **باقصري**: كلمة سريانية «بيت قصري» أي بيت القصّارين.

13 - **سينا**: أي قرية القمر «سن» عند العراقيين القدماء.

14 - **كرشكستي**: كلمة فارسية «الكردوسة» أي المدحورة أو المكسورة.

15 - **خانكو بتاخ**: كلمة فارسية. خانقاه بالفارسية «دار الدراويش».

16 - **خطار**: بيت خطار السريانية: قصر الثياب.

17 - **دوغات**: كلمة فارسية.

18 - **سربجكا**: كلمة فارسية.

19 - **يربوبي**: أي قرية البير.

20 - **مُقْلُبْ**: اسم جبل مقلوب بجوار دير مار متّى. قرب الموصل.

21 - **جكانا**: كلمة فارسية. المكان المنقص.

22 - **زينيا**: من اللفظة سريانية «زينو» وتعني الأسلحة.

23 - **جَرحَيا**: كلمة كردية، ومعناها مكان الجرح.

---

(1) شابو: السنودسات الشرقية ص 308 و665.

(2) ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب. جـ 5 ص 199 - 200.

(3) مجلّة سومر، مصطفى جواد. تاريخ الإسلام الذهبي ص 170.

(4) كوركيس عواد. أثر قديم في العراق ص 46 و 80.

24 - **جبل دهكان**: في شمال الموصل على مسافة 50 كلم منها. وهو يعدّ قسماً من جبل بيت عذري. في قمّة هذا الجبل شجرة يقدّسها اليزيديون. وفي أعالي الجبل «مقبرة عزروت»، ويعدّها اليزيديون موضعاً مقدّساً، وفيها يدفنون موتاهم. ودهكان لفظة تركية بمعنى «العيون العشرة».

25 - **جبل عين الصفراء**: يقع في شرق الموصل، على بعد حوالي 30 كلم في قمّة هذا الجبل أطلال دير قديم يعرف بدير مار دانيال الأعلى، وقد عرف في المصادر العربية بدير الخنافس.

26 - **جردانة**: قرية شمال الموصل على بعد 50 كلم تابعة لقضاء الشيخان. إلى جانب هذه القرية تقع القناة التي شقّها الملك الأشوري «سنحاريب» المتوفي سنة 681 ق.م. لري أرض نينوى.

27 - **الشيخ أبو بكر**: يعرف بالشيخ «بكّو» من مزارات اليزيدية، يقوم في سفح جبل بعشيقة غربي «قرية بحزاني» وهو بناء مربع تعلوه قبة هرمية.

28 - **سيخدري**: وهو تصحيف الشيخ خضر، أي قرية الشيخ خضر[1].

---

(1) أنظر:

- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 253 - 261.
- المطران سليمان الصائغ: تاريخ الموصل جـ 1 ص 36 وما بعد. المطبعة السلفية القاهرة 1923.
- مجلّة سومر. جـ 9 ص 262. رحلة نيبور في العراق. ترجمة محمد الأمين.
- دليل المصايف العراقية ص 30 و67.

الفصل السابع

مدخل إلى الديانة اليزيدية
من خلال الديانات العالمية الكبرى

ان ولادة دين جديد هو حدث كبير في تاريخ الإنسانية: وان الاديان تعيش وتدوم مئات لا بل آلاف السنين. ان أسماء الملوك والغزاة تنسى، ولكن يبقى التبجيل لذكرى الشهداء، الذين ضحّوا بحياتهم من أجل عقيدة جديدة، والمبشّرين الذين مسّت كلماتهم افئدة المستمعين، واكثر من هذا وذاك القلّة التي تميّزت مبادئها الموحاة من المعالم.

فاحدى السماة المميّزة للإنسانية، ان الإنسان يستطيع التفكير في قدرته على العمل، فهو قادر على وعي ذاته، ولكل فرد وجدانه الخاص. من هنا الفكرة الدينية عن خطيئة الإنسان الاصلية وخسرانه الأول للنعمة، مع ما يرافقها من الأمل بأن الإنسان سيصبح في وقت ما في المستقبل، أكان في هذا العالم، أو في عالم آخر، قادراً على تحقيق حالة القداسة، يتحرر فيها الوعي من فرط تقرير الذات والأنانية.

وفي القضاء والقدر، حيث يسود الاعتقاد، ان هذه القوى الأخرى خارجة عن الذات، يعتبرها البعض بطريقة تجريدية، كأنها القدر والأبراج، بينما يعتبرها البعض الآخر كأنها آلهة تتدخّل مباشرة في مصير الافراد وتتحكّم به. اما الطريقة العقلانية فتفضّل اعتبار طبيعة الإنسان خاضعة لقوى تاريخية واجتماعية، تفعل فيه من الخارج، وتحدّد سلوك حياته. ان هذا التباين الشاسع في الرأي هو الذي يفصل بين الذين يعتقدون ان الإنسان تدفعه قوى في داخله، والذين يعتقدون ان الظروف الخارجية هي التي تفعل في الإنسان[1].

يضاف إلى ذلك التأمّل الذي هو نظام باطني، وروحي قديم، كان يمارس في الهند منذ أكثر من ألف سنة، إنه ينطوي على تفكير عميق، كثيراً ما ترافقه وصفات أو أصوات أو صور تساعد على تركيز الفكر.

ليست الغاية من التأمّل زيادة حدّة قوى التحليل العقلي، بل تأمين إدراك حدسي

---

(1) العهد القديم. سفر التكوين.
- بهجة المعرفة. فكرة الشخص. التأمل والوعي ص 26 - 29 و 42.
- ابن خلدون. المقدمة. الكتاب الأول. في العمران. دار الكتاب اللبناني. بيروت.

للحقيقة الروحية، وذلك عادة بالإبتعاد عمّا من شأنه ان يلهي الذهن، ويرافق التأمل مرحلة يكون فيها الذهن أشدّ وعياً لذاته، فتتخطّى الإدراك الشخصي حالة وعي كوني، أو شعور إشراقي بما هو وراء حدوث الذات والزمان. وتتابع هذه المقامات حتّى يتمّ وعي الله أو الشعور بعدم الإنفصال بين الخالق والخليقة، ومن ثمّ يتجاوز الوعي ذاته ليدخل في وحدة مع الكل، أو وحدة الوجود.

ويعتقد المتصوّفون في جميع الديانات الكبرى، ان القرب من الله يتم عن طريق الإشراق الداخلي، لا عن طريق العقل، أو المنطق، أو اشكال العبادة الخارجية[1].

لكن بينما يحتل التأمّل محلاً صغيراً في المسيحية والإسلام، نراه متمركزاً في صميم الهندوسية وفرعها الرئيسي «البوذية» انه يرمي في معظم فروع الهندوسية إلى اكتشاف الذات الداخلية كطريقة إلى التطهير. وتركّز اليوغا، وهي أشهر الطرائق الهندية، على النظرية القائلة بإمكان الوصول إلى السيطرة على مراكز الطاقة النفسية عن طريق رياضة الجسم والفكر.

وتقوم البوذية قبل كل شيء على محاولة إنكار الذات أو محوها. وتعتقد ان الألم واقع عالمي شامل من وقائع الوجود، ناجم عن جهل الإنسان الأساسي لذاته وللعالم. فما العالم إلا عملية تفاعل دائم بين مركبات غير مستقرّة لا يدوم منها شيء، وكل ما يعتبره الإنسان مرادفاً لذاته من الجسد، إلى الذهن، فالشعور والإدراك، هو بالحقيقة عقبة تتّخذ شكل القول: «هذا ملكي هوذا انا، هذا هي ذات، ويكون من شأنها ان تجعل الإنسان محوراً لدراما وهمية، وهذا عبارة عن دورة الحياة والموت، التي لا نهاية لها، والتي يقع في شركها جميع اولائك الذين يبدّدون عنهم أوهام الذات، بل عملوا على إشباع شهواتها»[2].

---

(1) تور أندريه. التصوّف الإسلامي. الفصل السادس. التوكل على الله والحب الإلهي. ترجمة. د. عدنان عباس علي ص 207 وما بعد. منشورات الجمل الطبعة الأولى كولونيا. ألمانيا 2003.
- محيي الدين ابن عربي. محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار. جـ 1 ص 81. القاهرة 1305 هـ.
- يحيى بن معاز. عوارف المعارف جـ 4 ص 369.
- أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الأصفهاني في حلية الأولياء جـ 10 ص 135. القاهرة 1351 هـ.

(2) بهجة المعرفة جـ 2 ص 45 و107.
- جون كولر. الفكر الشرقي القديم. ترجمة كامل يوسف حسين. ص 19 - 188 - 319 عالم المعرفة الكويت عدد تموز 1995 رقم 199.
- انجيل بوذا. ترجمة سامي سليمان شيشا. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى بيروت سنة 1991.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ص 263.

أما الديانة اليهودية: «إسمع يا اسرائيل، إن الرب إلهنا، الرب واحد». هذه الصلاة تنطوي على الديانة اليهودية الأساسية. إنها دعوة إلى سماع الحقيقة المنزلة، والتعلّق بها، والعيش بموجبها، كي يتحقّق الإنسان من وحدانية الله، ويدخل معه في علاقة تفرض عليه ان يوحّد وجوده هو أيضاً.

وسفر التكوين اليهودي الذي يستند إليه نشؤ الفكر اليهودي، هو عبارة عن موضوعات دينية تاريخية، جعلت من الإسرائيليين أمّة صغيرة ذات منزلة رفيعة بين الأمم[1].

والكتاب المقدّس اليهودي، هو مجموعة كتب مختلفة جداً، وهي تمتد على أكثر من عشرة قرون، وتنسب إلى عشرات من المؤلّفين المختلفين. بعضها وضع بالعبرية والأرامية، وبعضها الآخر باليونانية، وهي تنتمي إلى أشدّ الفنون الأدبية اختلافاً، كالرواية التاريخية، ومجموعة القوانين، والوعظ، والصلاة، والقصيدة الشعرية، والرسالة، والقصة. وهي كلها تروي نداءات الله، وردود فعل البشر من تسابيح وشكر وتساؤلات.

وقد ظهر الشعب اليهودي في التاريخ في أواخر القرن الثالث عشر، أي ما يقارب 1200 سنة ق.م. ودخل كجميع الشعوب المجاورة، في التقلّبات التي هزّت الهلال الخصيب والشرق الأدنى حتّى مطلع العصر المسيحي. وباعتقاد الشعب اليهودي ان ديانته تجعل منه شعباً فريداً، باعتقاده انه لم يكن يعرف الا إلهاً واحداً، لا يُرى، أو يفوق كل شيء، وهو الرب، وكان يعبّر عن صلته بالله بلفظ حقوقي هو «العهد» وكان يخضع وجوده كلّه لهذا العهد والشريعة الناتجة عنه. فإزداد نمط حياته تعارضاً مع نمط حياة سائر الأمم.

وأسفار الكتاب المقدّس اليهودي، هي عمل مؤلّفين ومحرّرين، عرفوا بأنهم لسان حال الله في وسط شعبهم. وظل عدد كبير منهم مجهولاً، لكنهم، على كل حال لم يكونوا منفردين، لأن الشعب كان يساندهم. ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال، حتّى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها. ومعظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل ان تتخذ كتبهم صيغتها النهائية، انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القرّاء، في شكل تنقيحات وتعليقات، وإعادة صياغة بعض

(1) فاروق الدملوجي. تاريخ الأديان ص 382. الأهلية للنشر والتوزيع. بيروت 2004.
- موسوعة بهجة المعرفة. المجموعة الثانية رقم 2 ص 110.
- سليمان مظهر. قصة الديانات. اليهودية ص 319. مكتبة مدبولي القاهرة 2003.

النصوص إلى حدّ كبير. وأحدث الأسفار، ما هي أحياناً إلى تفسير وتحديث لكتب قديمة.

ويعبّر الشعب اليهودي عن نظرته إلى العالم، لا بفلسفة منظّمة، بل بعادات ومؤسّسات وبردود فعل عفوية عند الأفراد وعند الشعب كله، من خلال الميزات الأصلية الخاصة بلغته. وللحضارة اليهودية نقاط مشتركة ومقتبسة كثيرة مع حضارة سائر شعوب الشرق القديم. ويمكننا أن ندرك ما فيها من غنى عندما نأخذ بعين الاعتبار الظروف التاريخية والإجتماعية التي أحاطت بالكتاب المقدّس اليهودي. والكتاب المقدّس اليهودي يقول عن نفسه: «إنه يتكلّم فيه الله إلى الإنسان». ويرى مؤلّفو هذا الكتاب، أنهم لسان حال كلمة الله الموجّهة إلى كل إنسان في كل زمان ومكان، ولا يقبلون بغير ذلك[1].

وشروح الرّبانيين ومفسّروا التوراة اليهودية، ترى في سقوط الإنسان الكوني، وخروجه من الجنّة، هي حلول الله في الخليقة جمعاء. لهذا كان إفتداء الإنسان مرتبطاً في نظرهم إرتباطاً وثيقاً بإفتداء الخليقة. وفي جماعات «الهايسديم» أو الأنقياء اليهود اعتقاد أنه ليس من إنفصال بين الدين والدنيا. فكل ما هو موجود ينطوي على شرارة إلهية تنتظر الإنعتاق. كذلك لدى الإنسان طاقة سماوية، تمكّنه من إجتذاب الشرارات الإلهية الموجودة في كل مكان، ومن إطلاقها من عقالها.

ومن بين ما تمتاز به الديانة اليهودية، كما تدلّ على ذلك كتابات في عهود لاحقة، الإصرار على أن رب اسرائيل هو الأعلى، فهو رب الناس والطبيعة، لكنه فوقهما جميعاً، وعدله مبدأ خالد بلغ من شأنه، إنّ الذين يعصونه، حتّى شعبه المختار، وأولاده الأولون، لا بدّ أن يشقوا، كما أنه يسعد الذين يطيعونه. وتظهر الميزة التي يختصّ بها أنبياء بني إسرائيل، والتي لا يشاركهم فيها غيرهم، فيما لقّنوه الناس، على أنه الطريق القويم لإظهار الطاعة الإلهية. كما تمتاز تعاليمهم، وقد جاءت بعد تعاليم اخناتون بستة قرون أو ثمانية تقريباً، وبعد حمورابي بثلاثة عشر قرناً، عن كل ما سواها بالوحدانية الأخلاقية وبما تغرسه في نفوس الناس من مبادئ المصلحة القومية والإهتمام بمصير الأمة، على أنه من العسير علينا ان نذكر ما كانت عليه اليهودية الأولى[2].

---

(1) راجع الكتاب المقدّس. العهد القديم ص30 - 31 و 39 وما بعد المكتبة الشرقية جمعية الكتاب المقدّس في المشرق. الطبعة الثالثة 1994. بيروت. لبنان.

(2) ستانلي. أ. كوك. تاريخ العالم ص 688.

- موسوعة بهجة المعرفة المجموعة الثانية جـ2 ص 112.
- رشيد الخيّون الأديان والمذاهب بالعراق. الفصل الثالث ص 111 منشورات الجمل كولونيا ألمانيا - بغداد. الطبعة الثانية 2007.

ولكن في قراءتنا لأصل الوجود والتكوين عند الأمم، يتبيّن لنا، إن موضوع الخليقة والتكوين، قد شغل رجال الدين والفلاسفة، من مختلف الأمم والأقوام، قديمها وحديثها، ومنذ العصور البشرية الأولى، فوضع كل منهم قواعد خاصّة، وأسساً معيّنة، تتفق وما توصّل إليه تفكيره وسعة إدراكه. كانت هذه القواعد الأسس قريبة الشبه من بعضها البعض. وغالباً ما تكون كل منها مقتبسة من الأخرى، مضافاً إليها، ما إقتضته حالة الأمّة الفكرية والإجتماعية من تعديلات:

وقصة الخليقة والتكوين في الديانة اليهودية. تقول بالخلق المستقل المباشر من قبل الإله الواحد. وإن الله خلق الكون بما فيه من نبات وجماد ومياه وحيوان في خمسة أيام وفي اليوم السادس، خلق الله الإنسان على صورته ومثاله. واستراح في اليوم السابع.

يروي لنا سفر التكوين وهو أول أسفار العهد القديم، كيف نشأ العالم وكيف بدأ عمل الله في البشرية. لكن لا بدّ لنا أن نعرف هنا، بأن سفر التكوين لا يشكل مؤلّفاً منفرداً، بل هو عبارة عن بداية وحدة إجمالية واسعة تروي كيف أن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله. وهذا السفر لم يؤلّف دفعة واحدة، بل جاء نتيجة عمل أدبي إستمر عدة أجيال ويقسم إلى قسمين:

- **الأول**: يبحث في موضوع أوائل البشرية في الكون الذي خلقه الله.
- **الثاني**: يروي سيرة الآباء.

ومؤلّفوا العهد القديم، وهم يروون بداية العالم والبشرية، استقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم. ولا سيّما من تقاليد الهلال الخصيب وخاصة بلاد ما بين النهرين، ومن مصر القديمة. فالإكتشافات الأثرية منذ نحو أكثر من قرن، تدلّ على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمة والطقوس الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت. وهناك كثير من الشواهد عن الماضي الأدبي في الشرق الأدنى القديمة عامة والهلال الخصيب خاصة، منها الرواية البابلية عن خلق العالم على يد الإله مردوك، ومغامرات جلجامش البطل المحتوية على رواية بابلية عن الطوفان[1].

وأما عن كيفية الخلق فيقول سفر التكوين:

«وجبلَ الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ فيه من أنفه نسمة حياة، فصار آدم

(1) سفر التكوين. الكتاب المقدّس. العهد القديم. دار المشرق. الطبعة الثالثة ص 64 - 68. بيروت 1994.

نسمة حيّة» ثم يقول السفر: وغرس الرب الإله جنّة في عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذي جبله. ثم أخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها، وأوصاه قائلاً وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. وأوقع الرب على آدم سباتاً، وأخذ ضلعاً من أضلاعه وكساه لحماً، وخلق منه زوجه حواء.. لكن بعد أكلهما من الشجرة المحّرمة أخرجهما الله من جنّة عدن إلى الأرض[1].

ولكن بالمقابل ذكرت الأساطير السومرية والبابلية والآشورية، أن الآلهة جبلت تراب الأرض بدم إلهي، وصوّرت بيدها منه على مثالها «لولو» أبو البشر، وذكرت التوراة أن الرب الإله جبل آدم تراباً من الأرض، وصوّره بيده كشبهه وعلى صورته وثم نفخ في أنفه نسمة حياة. فقد اتّفق الجميع على أن أبا البشر قد جبلته الآلهة من تراب الأرض، وخلقته من جزأينْ متضادين، إلهي وترابي، وصوّرته بيدها، ووضعته في جنّة عدن ليعمل بها ويحفظها، ثم أخرجته من الجنّة لأكله من شجرة معرفة الخير والشر على رواية، أو لشربه رحيق الخمر على رواية أخرى.

فيظهر ممّا سبق ان ما ورد في سفر التكوين اليهودي موجود مثله أو ما يشابهه أو بتحوير طفيف في الأساطير السومرية والبابلية والآشورية. وقد جعل اليهود للبشر تاريخاً متّصلاً بآدم، وحدّدوا له زمناً قريباً جداً من حياة السومريين في العراق وهي 6500 سنة تقريباً. فيظهر من هذا ان عزرا الهاروني الكاتب في شريعة موسى[2] الذي عاش في أسر بابل، واطلع على الروايات السومرية والبابلية الآنفة الذكر هو الذي سجّلها بتعديلات طفيفة في سفر التكوين اليهودي، وقرأها في أورشليم لأول مرّة على بني إسرائيل عند عودتهم من أسر بابل. وكان قد أرسله أرتحششتا ملك الفرس مع الكهنة إلى أورشليم 547 سنة ق.م. لإشغال اليهود بالمسائل الدينية وصرفهم عن الأشغال بالمسائل السياسية.

ولّما طرد بلوطس القائد الروماني اليهود من فلسطين، وتشرّد اليهود في أنحاء العالم 132 سنة ق.م. نقلوا معهم نسخاً من توراتهم المذكورة إلى البلدان التي حلّوا فيها، فانتشرت مضامينها في طول البلاد وعرضها وتأثّر من محتوياتها العالم بأثره.

ويعتبر السومريون من أقدم الأمم التي وضعت الأساطير عن الخليقة وأهل الوجود. تتحدث أساطيرهم فتقول: «في البدء قبل أن تعرف السماء، ويعرف للأرض اسم، كان

(1) المصدر السابق ص 72 - 73.

(2) فاروق الدملوجي تاريخ الأديان. ص 107.

- العهد القديم: التوراة - سفر عزرا 7/ 1 - 10/ 7: 11 - 28/ 8: 15 - 36.

المحيط، وكان البحر، ومنه تولدت الكائنات».

في البدء كانت مياه البحر الأولى، مؤلّفة من عنصرين: «بسو» وهو عنصر الماء المذكر، «وتيامة» عنصر الماء المؤنث. وقد اجتمعا فولدا، «آن» إله السماء و «كي» إلهة الأرض. ومن إجتماع هذين، ولد «أنليل» إله الهواء. وعند تمدّد هذا الإله وإستطالته فصل أباه «آن» عن امه «كي»، ثم وُلد له ولد سمّاه «ننار» ويسمّى «سن» أيضاً، اله القمر ينير لأبيه الظلام. ثم ولد الإله ننار الإله «أوتو» ويسمّى «شمّش»، وهو إله الشمس، الذي صار أكثر نوراً من أبيه، ثم اتحدّ أنليل بأمه «كي» ومن اتحادهما ظهرت حياة الحيوان والنبات على سطح الأرض، بمعاونة الآلهة الأخرى.

وأمّا كيفية خلق الإنسان. فقد جاء في أسطورة سومرية، أن الآلهة تذمروا عند الإله «أنليل» من الصعوبة الموجودة في الحصول على عيشهم، ولم يلتفت أنليل إلى تذمّرهم، فاستحثته الإلهة «نمو» أن يغيثهم، وقالت له: قم من فراشك واصنع ما هو مفيد. إصنع عباداً للآلهة حتّى يهيئوا لهم الطعام والشراب. فقال: يا أمّاه اعجني الطين الموجود في مياه «الأبسو» واصنعي الأعضاء والجوارح، وستعاونك الآلهة «نن - ماخ» نن خرساك «الآلهة الأرض، وقرري يا أمّاه مصير الوليد».

وفي سفر التكوين اليهودي جاء: وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيّةً[1].

أمّا الأسطورة البابلية المأخوذة من السومريين فتقول: لم تكن سماء، ولم تكن أرض، ولم يكن في الوجود سوى «العماء»[2]، تمثّله المياه الأولى التي تولّد منها الإلهان «أبسو» وهو عنصر الماء العذب المذكّر «وتيامة» وهو عنصر الماء المالح المؤنث. ومن هذين الإلهين تولّدت الآلهة الكثيرة، وهي رمز المادة الأساسية، فحصل نزاع بين الآلهة القديمة والحديثة، أدّى إلى قتال بينهم، فقتل الإله «أيا» أباه «أبسو»، وكوّن من جسم والده القتيل مياه المحيط أو البحر السفلي، الذي استقرت فيه الأرض، وبنى معبده في وسط الماء وأسماه «آي - أبسو». وقتل الإله مردوخ ابن الإله أيا الأم العاتية تيامة، وشطر جسمها إلى شطرين، جعل نصفه الأعلى سماء، وخلق فيها الكواكب والنجوم والبروج والشمس والقمر، ووزعها في أماكنها، ثم رتّب الكون ترتيباً محكماً، ونسّق العالم تنسيقاً دقيقاً.

---

(1) راجع سفر التكوين. في قصة الخلق. العهد القديم.
- فاروق الدملوجي. تاريخ الأديان ص 218 - 220.

(2) أصل المادة.

أما النصف الأسفل من جسم الإلهة القتيلة. فقد جعله أرضاً، وخلق على وجه الأرض أنواع الحياة من حيوانات ونباة وغيرها....

وقد كان الاعتقاد السائد عند السومريين والبابليين، أن الآلهة أرواح وقوى على هيئة البشر، وهي التي خلقت أبا البشر « لولو» من دم الإله المذنب «كنكو» قائد حرب الآلهة « تيامة» بعد أن مزجته بتراب الأرض، وقد خلقته على صورتها، ومنحته صفاتها، وأسكنته في الجنّة ليعبدها، ويكفيها مؤونة العمل ويهيّئ لها الطعام. وهذا هو الجزء الأبدي الذي تعين على أبي البشر لولو تقديمه للإلهة التي خلقته.

أما أسطورة الخليقة عند المصريين فتقول: إن بيضة عظيمة طفت على وجه البحار فخرج منها رب الشمس، ومنها ظهرت الإلهة «شو» و «تفنوت» إله الفضاء و «نوت» إله السماء و «جب» إله الأرض. ثم تزاوجت الأرض والسماء. فتولّدت منهما الأرض والسماء والبشر وكل شيء.

في حين نرى قصّة الخلق في الديانة البراهمية:

قبل أن تظهر الحياة فوق وجه الأرض، كانت هناك بيضة ذهبية تطفو فوق سطح البحار، فإنفجرت وتناثرت منها الحياة، وكان الإله الأعظم «براهما» يجمع في شخصه صفتي الذكر والأنثى. فكان الأب والأم لجميع الأحياء. فكان براهما مبدأ كل شيء، ومنه ظهرت الموجودات الحيّة، كظهور الشجر من النواة، والشبكة من العنكبوت، فلا يقال له خالق العالم، إنما هو جوهر العالم. وإن جميع الموجودات السماوية والأرضية، لا بدّ وأن تحتوي على جزء، أو جوهر من براهما. وهذا هو مبدأ وحدة الوجود. وهو الأصل في نظرية تناسخ الأرواح والحلول[1].

والتكوين عند الصينيين القدماء: كان فضاءً مظلماً، وكان كل شيء، وفي وسط ذلك

---

(1) فاروق الدملوجي: تاريخ الأديان، الكتاب السابع ص 380 - 381.
- اليوت سمت: فكرة الإنسان عن خوارق الطبيعة في تطوّره. تاريخ العالم جـ 1، ص 364.
- جـ. أ. ر. ماريون: فكرة الامبراطورية وكيف شكّلت. المدنيات الأولى تاريخ العالم جـ 1. الفصل الثالث عشر ص 434.
- جـ. ل. مايرز: تاريخ العالم جـ 1. الفصل الرابع عشر ص 463.
- كامبل طومسون: دولة بابل أيام حمورابي: تاريخ العالم. الفصل الثامن عشر ص 596.
- تيودور. هـ. روبنسون: اسرائيل في ضوء التاريخ: تاريخ العالم. جـ2. الفصل السابع والعشرون ص 102.
- زهير كاظم عبّود: التنقيب في التاريخ الأيزيدي القديم ص 29 - 30.

الظلام، فظهر في ذلك الوسط جسم عظيم يشبه الإنسان، فأوجد السماء والأرض ولأجل إزالة الظلام خلق بيده اليمنى الشمس فكان النهار، وبيده اليسرى القمر فأزال ظلمة الليل، ثم خلق النجوم. ولما أراد خلق البشر، أخذ قطعة من الذهب وقطعة أخرى من الخشب، فكوّن منهما سحاباً، وشكّل من سحاب الذهب عنصر الرجل، ومن سحاب الخشب عنصر المرأة. وعند إمتزاج هذين العنصرين والروحين، ظهر رجل يسمّى «بينغ - بي» وظهرت بنت تسمّى «خانوتي» فتزاوجا فتكاثر البشر من نسلهما.

أما قصة الخلق والتكوين في الديانة الزرادشتية، حسب ما جاء في الافستا: ان زرادشت لم يأت ليبشّر بعقيدة جديدة ولكن جاء لتحسين عقيدة قديمة، وإن كل مافي الأرض والكون من صنع الخالق القوي، الذي هو أهور مزدا، إله الحكمة والحاكم الأسمى للعالم. وقد خلق كل ما هو خير في العالم، لأن الله خير. وإن هناك في العالم صراعاً بين إله الخير أهورمزدا وإله الشرّ أهريمان. وإن هناك عالمين، عالم أهورمزدا «عالم النور» وعالم أهريمان «عالم الظلمات» وعالم النور في الجانب الأعلى، وعالم الظلمات في الجانب الأسفل، وبينهما فراغ مملؤ بالهواء.

وأن اهورمزدا خلق أرواحاً طيّبة تنسجم مع طبيعته، ليستعين بها في مقاتلة روح الشر أهريمان، وان أهريمان خلق أرواحاً شريرة ليقاوم بها الأرواح الخيّرة. ثم خلق أهورمزدا النجوم والكواكب، وانتهى من خلق الأرض.

وعندما أتم أهورمزدا خلق الأرض، خلق الثور الأول، ثم خلق الإنسان الأول «كيمور» الذي هو أول البشر. وإن أهريمان خلق الزواحف والحشرات فنجّس العناصر الخيّرة. وأقام أهورمزدا خندقاً أمام السماء. ولكن أهريمان كرّر هجماته ونجح أخيراً في قتل الثور وكيمورد أول البشر. وكانت بذور كيمورد مخبأة في الأرض، فنتج منها عند إنقضاء أربعين سنة شجرة خرج منها أول زوجين من بني آدم. وهكذا بدأت فترة إختلاط الخير بالشر.

وقصة الخلق والتكوين اليزيدية تقول: في البدء خلق الله درّة بيضاء من سرّة العزيز، وخلق طيراً اسمه «أنغر» وجعل الدرّة فوق ظهره، وسكن فيها أربعين ألف عام، ثم بدأ في خلق الملائكة السبعة الذين تعاقبوا على إدارة العالم.

فخلق في يوم الأحد الملك الأول «عزاريل» وهو طاووس ملك، رئيس الجميع، والمتسلّط على الخلائق كافة، وقد إختص بالأمة اليزيدية دون غيرها من الأمم والبشر.

- في يوم الإثنين، خلق الملك «دردائيل» وهو الشيخ حسن.
- في يوم الثلاثاء خلق الملك «اسرافيل» وهو الشيخ شمس.
- في يوم الأربعاء خلق «ملك ميكائيل» وهو الشيخ أبو بكر.
- في يوم الخميس خلق «ملك جبرائيل» وهو سجادين.
- في يوم الجمعة خلق «ملك شمنائيل» وهو ناصر الدين.
- في يوم السبت خلق الملك السابع «ندرائيل» وهو الشيخ فخر الدين.

وجعل طاووس ملك رئيساً للجميع.

ثم خلق صورة السماوات السبع، والأرضين السبع، وخلق الفكر الذي صوّر به الإنسان، والطيور، والوحوش.

وكان الرب في هذه المرّة في الدرّة، فخرج منها في اليوم السابع، تحيط به ملائكته بين التهليل والتسبيح، فتولّى تكوين السماوات والأرض. أولئك الملائكة، الذين يعتقد اليزيديون أنهم أرواح من ذات الله، وأشباح من نوره، وأنهم أزليون، يتعاقبون على وضع الشرائع، وسنّ القوانين في رأس كل ألف عام، حيث يهبطون على الأرض.

وانفصلت الدرّة، فصارت سبعة بروج، وانصبّ الماء منها، فكان بحراً ضخماً، واستدارت الدنيا، فكانت طافية على ذلك الماء، فمدّ الإله يده وعيّن جهاتها الأربع، ونثر الذرّات نجوماً زينة للسماء، وأنبت النبات والأشجار المثمرة في السهل وعلى الجبل، وخلق بعد ذلك فلكاً استوى على جبل «ليلش النوراني» فمكث فيه ثلاثين ألف عام.

وشاء الرب أن يبدأ بالخليقة، فأعلن ذلك لملائكته قائلاً: «يا ملائكتي إني أخلق آدم وحوّاء، وأجعل البشر منهما، وسيكون سر آدم وملّته على الأرض، ثم ملّة طاووس ملك، أو الملّة اليزيدية».

وتجلّى الله على جبل «ليلش» في الأ رض المقدّسة، وأمر جبرائيل بأن يجمع ذرّات من الأطراف الأربعة، فخلق الله منها العناصر الأربعة، وهي الماء، والهواء، والتراب، والنار، ونفخ فيها الروح فكان منها آدم. وأمر الله جبرائيل أن يدخله الفردوس وأباح له أن يأكل ماشاء من أشجارها وثمارها، ما عدا شجرة الحنطة، فإنه نهاه عنها. وبعد مائة سنة سئل «طاووس ملك» من الإله قائلاً: كيف يكثر البشر من نسل آدم، وأين نسله؟ فقال الله: لقد أودعت الأمر والتدبير إليك، فجاء طاووس ملك، وسأل آدم قائلاً: هل أكلت من شجرة الحنطة؟ قال: لا، لأن الله نهاني عنها. فقال له: كل، وسيكون كل ما هو احسن من ذلك، فتناول آدم منها، فإنتفخت بطنه، فتركه طاووس ملك وحيداً، وعرّج هو إلى السماء،

فأصبح آدم حانقاً إذ لم يكن له مخرج، وأخذ بالبكاء والعويل، فأمر الله جبرائيل، فأرسل إليه طيراً نقره بمنقاره، وفتح له مخرجاً في دبره، فاستراح آدم، فأخرجه الله من الجنّة، لأنه دنّسها بخروجه (برازه). وظل وحيداً مئة عام، فحزن وبكى، وتاب وإستغفر، فأمر الله جبرائيل أن يهبط إلى الأرض، فيخلق له حوّاء من قصيريه، فتخاصم آدم وحوّاء على الإختصاص بالنسل البشري، طالباً كل منهما ألايكون النسل مشاركة كبقية الحيوانات.

واتّفق أخيراً آدم وحوّاء على أن يضع كل منهما شهوته في جرّة، ويسد فوهتها بختمه الخاص، وبعد أشهر تسعة، فتحا الجرتين، فكان جرّة آدم صبيان، ذكراً وأنثى. فسمّاهما شيت وهورية، وكان في جرّة حوّاء دود وحشرات عفنة. ومن الصبيين تناسلت الذريّة اليزيدية.

وغذّا آدم طفليه حولين كاملين بثديين خلقهما الله له. ومن ذلك الحين صار للرجال ثديا. ثم تصالح آدم وحوّاء، وتعاونا فوق جبل عرفات، فأولدا البشر من جديد. فاليزيدية من آدم وحده، والناس من آدم وحوّاء[1].

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 36 - 38.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 74.
- جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 81 - 82.
- د. خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 24.
- سهيل قاشا. اليزيدية ص 15 - 25.
- لورانت شبري - آني شبري سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 131 - 133.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 117 - 121.
- سعيد جي الديوه. اليزيدية. مطبعة جامعة الموصل 1973

الفصل الثامن

الديانة اليزيدية

مؤسّس الدين اليزيدي غير معروف، وليس له ذكر لا في تقاليدهم أو معتقداتهم الموروثة، ولا في سجلات الوقائع والأحداث، التي دُوّنت من قِبل جيرانهم المسلمين والمسيحيين[1].

ومن منطلق هذا الفراغ، توصّل بعض الباحثين في الشؤون اليزيدية، إلى أنّه في أثناء الفوضى والإضطراب اللذين سادا القرن الثالث عشر والرابع عشر، تمكنّت بعض الجماعات الكردية بصورة ما من صياغة دين لهم، هو خليط غير منظّم من العقائد والطقوس التي مارسها جيرانهم من الطوائف الإسلامية والمسيحية.

وهناك نظرية أخرى غالبة عند اليزيديين، ترى بأن الدين اليزيدي غائر في القدم، إلى درجة أن التفاصيل التاريخية المتعلّقة بتأسيسه ضاعت بين طيّات التاريخ. ووفقاً لهذه النظرية، فإن هذه العقيدة استطاعت المحافظة على بقائها وديمومتها عبر القرون، لأن المؤمنين بهذا الدين مارسوا التقية، تجاه الأديان والشعوب الأخرى الغالبة، فكانوا يسمحون لأنفسهم بالتظاهر باعتناق الأديان الجديدة المسيحية والإسلام، بينما يحتفظون بالأساس بعقيدتهم القديمة.

فوحدة الدين اليزيدي تمّت صيانتها والحفاظ عليها عن طريق عملية تناسخ الأرواح، وانتقلت من شخص إلى آخر. وآخر تناسخ روحي مقدّس حدث للشيخ عدي بن مسافر. ولكن ليس هناك أية معلومات تشير إلى عمل تبشيري لليزيديين وليس معروف كذلك كيف، أو من قام بتنظيم هذا الدين ولا فيما إذا كان قد بدأ كوحي جديد،

---

(1) سي. جي. أدموندز. حجّة إلى لالش.
- توماس بوا. اليزيدية. المشرق عـ55 ص128، 148، 190.
- جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 77.

Les Yézidis. Essai Historique et sociologique sur leur origine religieuse - "Al- Machriq" LV 1961, pp. 109, 128, 190, 242.

Ernest Chantre. Notes ethnologiques sur les Yézidis. Bulletin de la société - d'Anthropologie de Lyon XIV. 1985 pp. 65 - 75.

أو إحياء لدين قديم ما زال قائماً[1].

وإن ملاحظات الرحّالة والمستشرقين تؤكّد على أن اليزيديين، كانوا دائماً متردّدين في مناقشة المسائل الدينية، ويجيبون السائلين بأجوبة يهدفون من ورائها ترضيتهم.

هذا ولم تكن هناك دراسة علمية للديانة اليزيدية قبل القرن الثامن عشر. وأول دراسة ظهرت من هذا القبيل، هي التي قام بها المبشّر الفرنسي الأب «ميشال فيغر» في حلب بعد إنتشار الديانة اليزيدية بين الكرد بحوالي 300 سنة، ثم تلاه فيما بعد المبشّرون الإيطاليون في العراق في 1769 و1781 و1810 وهم: الأب «ب. د. دومينيكو لانزا»، والأب: «موريزيو كارزوني» وغيرهما من الآباء... إنما هذه الدراسات تبقى مختصرة جداً، لكنّها شكلّت لمحة قصيرة عن تاريخ الاعتقادات اليزيدية وعاداتهم وكتبهم.

ولم ينشأ علم الدراسات اليزيدية فعلاً، الا سنة 1850، وذلك على يد الدكتور «أوكست نيندر» أستاذ الديانات بجامعة برلين، ممّا أثار الرغبة في نفوس المستشرقين فيما بعد للبحث مجدداً في الموضوع، والرجوع إلى المصادر اليزيدية نفسها. بحيث ظهرإبتداءً من أواخر القرن التاسع عشر، وحتى يومنا هذا سيل كبير من الدراسات والكتابات ذات العلاقة باليزيديين والديانة اليزيدية، في المجلاّت والصحف والكتب الأوروبية والأميركية. بحيث توصّلت إحدى الدراسات سنة 1990، بعد إقناع اصحاب الشأن اليزيديين في «لالش» بتصوير فيلم «فيديو» مدّته ساعتان، تحت عنوان «فيلم ديني» 6/ 5/ 1990 «لالش». والجزء الأكبر منه عبارة عن صور للأضرحة والمعابد والمزارات في «وادي لالش» وسهل «شيخان» في العراق. وهو يسجّل إجراءات طقوسية من صلوات وترانيم دينية مع تعليقات باللغة الكردية، يُضاف إليها بعض الحوارات مع رجال دين

(1) روجر لسكوت. دراسة حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار.
- إسماعيل جول. اليزيدي في الماضي والحاضر. منشورات زريق.
- سامي سيد أحمد. اليزيدية. نشر هنري فيلا. ص 154.
- مقتطفات ودراسات حول اليزيديين. مجلّة Roc. باريس. العدد 2 المجلّد 10 - 1915 - 1917 ص 149.
- عبّاس العزاوي. تاريخ اليزيدية. ص 28 - 48. دراسة وتعليق ميشيل انجيلو كودي. وجو سيبي فورلاني.
- جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 78.
- ن. سيوفي ملاحظات عن الطائفة اليزيدية. المجلّة الآسيوية باريس. العدد 7 المجلّد 20 ص 252 - 268 - 1882.

واصحاب شأن يزيديين، بخصوص العقيدة اليزيدية، وباللغة الكردية أيضاً.

وقد خالف الإجماع حول الدين اليزيدي الأمير «معاوية بن إسماعيل كول»، حيث يعتبر أن الدين اليزيدي يستمد جذوره من الزرادشتية، وقد خالطه شيء من الإسلام، أدخله فيه «الشيخ عدي، والشيخ حسن، وشرف الدين»[1].

والأسماء التاريخية لبعض المصادر والدراسات عن اليزيدية غير المؤكّدة، والتي عثر عليها ضمن العقيدة اليزيدية، تذكر أن اليزيديين حافظوا ضمن عقيدتهم على ذكر آهاب الملك الوثني لإسرائيل، ونبوخذ نصّر البابلي، الذي اخذ اليهود أسرى معه إلى بابل، واحشويروش شاه إيران، الذي أحب «أستير». وشاهبور الأول، وحفيده شاهبور الثاني، الذي هزم وقتل أباطرة الرومان، والحاكم البيزنطي «أغريقالوس».

وقد تعرّض اليزيديون إلى محن قاسية، واضطهادات متتالية، لا سيّما في العصور العثمانية، جعلتهم لا يعترضون على أي رأي حولهم. لهذا، شابت تاريخهم إفتراءات عديدة، كان أبرزها عبادة الشيطان، التي استغلّها بعض الكتّاب ونشروا عنهم أخباراً بعيدة عن الواقع. في كثير من الكتب والمجلاّت والصحف، لا سيّما منها مجلّة «أخبار الأدب المصرية». والأقرب أن تسميتهم بعبدة الشيطان يعود إلى سنة 1791، يوم غزاهم الوزير العثماني في العراق «سليمان باشا». وأطلق عليهم هذا الاسم[2].

ويؤكّد الباحث اليزيدي في الشؤون اليزيدية «درويش حسّو» المنطلقات والثوابت العقيدية والفكرية التالية:

1 - إن الله الذي لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولا يستطيع الإنسان تصوّره بأي شكل كان، فهو الموجود الذي يعبده اليزيديون، ويقدّسونه دون سؤال أو شك، وإن العبادة ليست الا لله.

---

(1) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 80.
- ن. سيوفي ملاحظات عن الطائفة اليزيدية. ص 252 - 268.
- معاوية بن إسماعيل جول. خاطبنا زرادشت.
- شرف خان البدليسي. شرفنامة. ج 1 القسم الثاني ص 205 وجـ 2 القسم الثاني ص 128.

(2) رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق الطبعة الثانية ص 80.
- أخبار الأدب. عدد شباط 1997. اليزيدية في العراق.
- الأب أنستاس الكرملي. اليزيدية مجلّة المشرق ص 35 - 1899.
- د. خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 18 - 19.
- دي كوفان. اليزيدية. مجلّة لالش. نيسان 1994.
- Borom Jos De Baye Yézidis. Au Sud de la chaîne du Caucase, Paris 1899.

2 - يعتقد اليزيديون بالملائكة، الذين يرعونهم في الحياة الدنيا على الأرض[1].

فاليزيديون يؤمنون بإله واحد، يدعونه بالاسم الكردي «خودا» ويعبدونه على أنّه السبب الأول والمحرّك الرئيسي للكون. وهم يدمجون المبادئ الدنيوية، الآداب والسلوك مع تعاليم الأخلاق، الحق، والخطأ، والعدل، والإخلاص، والرحمة والحب.

وفي غياب الوثائق التاريخية القديمة، ليس بالإمكان إقتفاء أثار ونشأة الدين اليزيدي، وكيفية تطوّره عبر القرون. فالإطار الأساسي له مماثل لطريقة صوفية، لكن مع بعض الاختلافات المهمة، الا أن الدراسات الحديثة لهذه الديانة منذ بداية القرن التاسع عشر سلّطت الكثير من الضوء على الدين اليزيدي، وزادت من فضول الباحثين والمؤرّخين والرحالة والمستشرقين، لتقصّي أثاره والغوص في أعماقه. ومع ذلك، بقي هذا الدين كما كان، ولم يشهد الا تغييراً طفيفاً[2].

لقد جرى التساؤل طويلاً حول الأصول الدينية لهذه الطائفة، وكذلك حول أصولها العرقية، التي تميّز مذهبها بخليط من عناصر مسيحية، ويهودية، « وإسلامية، وصابئة، وغنوصية، وزرادشتية. إنما الأكثر غلبة فيه المذهب الصابئي. كذلك جرى تصوير اليزيدية

---

(1) د. خلف الجراد اليزيدية واليزيديين ص 20 - 21.
- لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 130 - 132.
- سهيل قاشا: اليزيدية ص 314.
- صدّيق الدملوجي اليزيدية ص 163 - 164. مطبعة الإتحاد. الموصل 1949.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون الطبعة الأولى ص 15 - 16. بون ألمانيا 1992.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 120 - 124.
- رشيد الخيّون. الأديان بالعراق ص 181.
- سامي سعيد الأحمد. اليزيدية، أحوالهم معتقداتهم ص 7 - 8. بغداد 1971.
- جورج حبيب. اليزيدية. بقايا دين قديم. بغداد مطبعة المعارف 1978.

(2) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 88 - 89.
- هنري. أ. هومز. الطائفة اليزيدية في ميسوبوتاميا. مستودع الكتاب المقدّس والنقد الكلاسيكي. العدد 2 المجلّد السابع ص 337 - 338، 1842.
- رسالة جرميا شامير. 28 تشرين الأول 1892، إلى أ. ن. أندروس. المجلّة الأميركية للغات والآداب السامية عـ25 ص 526 - 527.
- أوسوالد. هـ. باري. ستة أشهر في دير سوري ص 374 - 376.
- الرائد هـ. أس. رولنس ملاحظات حول رحلة من تبريز. مجلّة الجمعية الملكية الجغرافية عدد 10 ص 92 .1841
- أوستن لايارد. نينوى وبقاياها جـ 1 ص 300.

مدّة طويلة على أنّها وثنية ذات تطلّعات إسلامية. لكنّها إستثارة حقيقية كان من شأنها» أنّها أطلقت العنان لفتاوى فقهاء السنّة والشيعة على السواء. والتي جاءت تبرّر سلسلة الاضطهادات الطويلة، التي كانت جائرة بحق اليزيديين. ومن جانب آخر، فإن النسب الأسطوري لليزيديين، إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية 683 - 686م، قد ساهم هو الآخر في إفقادهم الاعتبار كذلك في أنصار السنّة، بل وأكثر من ذلك في نظرة الشيعة. فوفقاً لهذه الرواية الخرافية، يكون الذي أنشأ الطائفة اليزيدية في الأصل، هو «شاهين بن جراح» المعروف بأنّه ابن آدم. إذ يُهيّأ لهم في الواقع أنّهم، بخلاف البشر الآخرين، الذين يتحدرون من آدم وحواء، من نطفة الرجل الأول وحدها. هذه الماهية الخاصة باليزيديين تبرّر قناعتهم بأنّهم يحتلّون مكانة مستقلة، عن الجنس البشري، عرقياً ودينياً. ومن هنا يكون من المستحيل، أن يصير المرء يزيدياً بالإعتناق، ولكن بالولادة فحسب. وامتدّ الخزي والدنس من الخليفة يزيد، إلى اليزيديين. لذلك كثيراً ما أُعلن عن ديار اليزيديين «أنّها دار حرب، وتقرر بأن إفناء هذه الفرقة هو عمل من أعمال التقوى». فقد صدرت فتاوى عن أئمة وفقهاء الإسلام، مرّات عديدة، تحضّ المؤمنين على استئصال كافة أعداء الشريعة هؤلاء. على ما يعتقد هذا البعض من الفقهاء بأنّهم يمارسون الفسوق الطقوسية، أثناء حفلاتهم الدينية التهتكية، حيث يُدنّس القرآن واسم النبي محمد ويُهانان.

إن نعت اليزيديين بعبدة الشيطان، لا يتساوى والواقع الديني اليزيدي. وقد يكون بعيداً جداً عن الحقيقة، إن لم نقل لا وجود له في الإيمان والعبادات اليزيدية.

ومن دراسة موضوعية لتاريخ اليزيدية، نلمس أن مشايخ اليزيدية وقوّاليهم لا يدعون إلا إلى الخير. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يُعدّون عبادة الله من أفضل الأفكار الجيّدة والسليمة. فاليزيدي الحقيقي المؤمن بالله، والملتزم بشريعة الملك طاووس، لا يشتم ولا يكفر، ولا ينطق بالأقوال والكلمات البذيئة، لأنّها من المحرمات دينياً. لأن لسان اليزيدي لا يجوز أن يخرج الكلام البذيء المؤذي. فهو أمين وصادق في عمله وأفكاره. يتمسّك بأوامر «الشيخادي» التي تجسّد أوامر الله.

وتطالب التعاليم اليزيدية المؤمنين بها، ترك الطمع والشهوات وبهارج الدنيا، وزخرف الحياة، وأن يكتفوا بالحد المعقول لاستمرارية العيش. وتؤكد أن الإنسان لا يأخذ معه بعد مغادرة الحياة الدنيا سوى أفعاله الحسنة والسيئة.

وممّا يتضّح من أدعية اليزيديين وشعائرهم الدينية، أنّهم موحّدون يؤمنون بإله واحد ضابط الكل، بيده كل ما في السماء، وكل ما على الأرض، ودونه الملك طاووس،

أو «الطاووس الملك». فمن دعائهم في صلاة الفجر: «يا رب أنت الكريم الرحيم الإله. ملك مُلك الدنيا، مملكة الأرض والسماء، ملك العرش العظيم».

وهناك دعاء آخر يقول: «يا رب إنك انت الموجود وأنا المعدوم. أنت الغافر للذنوب. أنت الإله الحق مالك الكم والكيف. لا قامة لك، لكنك رفيع. لا صوت لك، لكن صوتك معروف». أما تقديسهم وإجلالهم للشمس فينبع من أهمّية هذا الكوكب وعلاقته المباشرة بالحياة والضياء[1].

ويؤمن اليزيديون بإله واحد يعاونه سبعة ملائكة، كائنات نصف إلهية هم:

1 - طاووس ملك. أو الملك طاووس، وهو الأسمى، ويمثل الوجه الأكثر إثارة للإهتمام بمجموع الملائكة.

2 - سلطان عزي، الذي يلي طاووس ملك.

3 - شاي شمس، أو شيخ شمس.

4 - شاي عدي.

5 - شاي حسن.

6 - شاي فخر الدين.

7 - شاي ماند.

ويشاء التقليد اليزيدي، بأن يكونوا جميعهم، باستثناء طاووس ملك، قد عاشوا على الأرض في عصر الشيخ عدي، الذي يقدّم هو نفسه تارة على أنّه ملك، وتارةً على انّه نبي. أما معظم الملائكة اليزيديين الآخرين فليسوا الا خلفاء الشيخ عدي الاوائل، الذين رُفعوا إلى مقام شخصيات سماوية نصف إلهية.

ويمثّل اليزيديون طاووس ملك بتماثيل مختلفة الأحجام والمقاسات، تبعاً للأماكن والمناطق والمقامات، أما بهيئة طائر الطاووس، وإما على شكل ديك أو حمامة.

أما لماذا اختار اليزيديون تعظيم طاووس ملك، فإن ذلك من الأمور الخلافية، التي لم يتّفق الباحثون على تفسيرها بصورة واضحة ومؤكّدة، نظراً لندرة المعطيات والمعلومات

---

(1) خليل جندي. نحو معرفة حقيقة الديانة اليزيدية. ص 96 - 97. السويد 1998.
- الأب أنستاس الكرملي. اليزيدية. مجلّة المشرق 1899. ص 35 - 36.
- عباس العزاوي. تاريخ العراق بين احتلالين ص 111 مطبعة بغداد 1935.

Dufaur. J. P. Visite au peuple le plus oublié du monde. Les Yézidis. L'orient - 4 et 5 Mars 1953.

الأكاديمية الموثّقة، التي يركن إلى موضوعيتها ومعقوليتها بهذا الشأن. ففي حين يرى بعض المؤرّخين والباحثين، ان كلمة طاووس في الأصل يونانية محرّفة عن كلمة «شئيوس» بمعنى «الله»، حيث أخذها المسيحيون من اليونان واستعملوها في الكتب والصلوات، بمعنى الإله، ثم تطوّرت حتّى أصبحت مرادفة للفظة الله. وبعد ذلك أخذها منهم اليزيديون وأطلقوها على مقدّسهم.

ويرى البعض الآخر من الباحثين، أن طاووس لفظة محرّفة عن تموز أكبر الهة الشرق القديم واشهرها، من حيث أن عبادته انتشرت، كما هو معروف في بلاد ما بين النهرين عند السومريين والاشوريين وغيرهم. في ما يرجّح البعض الآخر تسمية طاووس ملك إلى اللفظة العربية طاووس، وان كانوا يختلفون في سبب إطلاقه على الملك الأعظم، وتمثيله على هيئة طائر الطاووس.

وتبعاً لأقدم مفسّري القرآن، تقلّد إبليس شكل الطاووس بداية، للولوج إلى الفردوس الأرضي لغواية آدم وحواء. بحيث كان الواسطة بين الشيطان والحيّة[1].

والثابت ان اليزيديين يعظمون طاووس ملك، حيث يعتقدون ان الله خلق طاووس ملك قبل الكائنات كلها، وكلّفه بإدارة شؤون الكون، وجعله حاضراً في كل الجهات. فيرسل خدامه وأعوانه إلى جميع النواحي للتفريق بين الضلالة والهداية، وبين الكفر والإيمان. وأنّه همزة الوصل بين البشرية والله الذي ينزل بين فترة وأخرى ويتصّل بالناس الصالحين. ويُسمّى عند اليزيديين «بيري كار» أي «ملك الخدمة» الذي يشتغل ليل نهار في خدمة ربّه، وهو الذي يتصّل بالبشرية ويدير الكون تنفيذاً لأوامر الله.

---

(1) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديين. ص 22.
- محمود الدرة القضية الكردية. الطبعة الثانية. ص 182. دار الطليعة. بيروت 1966.
- أنطوان مورتكات. عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم. ترجمة توفيق سليمان. دمشق. دار المجد 1985.
- لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 132 - 133.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 100.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 123.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الطبعة العاشرة ص 40.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 80.
- Fiey. J. M. Le temple Yézidi de Cheikh Adi. p. 205 - 209, 1960.
- توما بوا. المشرق عـ55 - 1961 ص 223.

ويقول الباحث اليزيدي درويش حسّو: «إن اليزيديين يعتقدون أن الخالق الكبير «أزداه» لا شريك له، ولم يأت من بعده ولا من قبله خالق، وأن الموجودات من البشر والأنس والجن، كلّها مخلوقة بأوامره، وأن العبادة لا تجوز الا لله[1]. ويعتقدون ان الله خلق الملائكة السبعة، وعين طاووس ملك رئيساً عليهم، بحيث يلعب دور همزة الوصل بين الخالق وبين الملائكة، وكذلك بينه وبين البشرية والمخلوقات الأخرى».

ويؤكّد هذا الرأي ما جاء في «مصحف رش» أو «المصحف الأسود». وهو أحد أشهر كتابين مقدسين لدى اليزيديين: إن أول يوم خلق الله فيه الخلق، (الملائكة)، هو يوم الأحد، وخلق ملكاً اسمه «عزازيل» وهو طاووس ملك رئيس الجميع، والذي تحدّرت من نسله الملّة اليزيدية. وقد ورد في مصحف رش: «إن الرب العظيم قال، يا ملائكة، أنا خالق آدم وحواء، واجعلهما بشراً، ومنهم ملّة عزازيل، أعني الطاووس ملك، وهي ملّة يزيدية».

ووفق العقيدة اليزدية، فإن طاووس ملك، يظهر في كل الفترات، والمراحل التاريخية، بأشكال مختلفة، لكنّه يتجسّد في أغلب ظهوراته بصورة بشرية، وعلى هيئة رجل بلباسٍ أبيض، وشاربين، ممتطياً، أحياناً حصاناً أبيض[2].

ويرى اليزيديون اليوم، أن الكون وُجد من قوّتين: قوة الخير، وقوّة الشر، وان قوّة الخير وهي الله، تغلّبت على قوة الشر، وهي «الشيطان» فطردته من سلطان الملكوت على نحو ما يعتقد به الزرادشتيون، ومن وجود إلهين، إله الخير «أهورمزدا» وإله الشر «أهريمان». وهنا يظهر الشيطان في نظر اليزيدية بصورة ملاك ساقط قديم، أعيد بعد

---

(1) يسمّى باللغة الكردية اليزيدية «أزداه» أو «أزداهي بك» أو «أزداهي مازن» كما يسمّى في بعض المناطق الكردية «خوداه» أو «خوده». وجميع هذه الكلمات تعني: أنّه هو الذي خلقني وخلق نفسه. فهو الخالق الكبير.

(2) خلف الجراد. اليزيدة واليزيديون ص 23 - 24.
- محمد أمين زكي. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص 296.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 7 - 8 و 64 - 65.
- مصحف رش. الفقرة الثانية والتاسعة والرابعة عشر.
- كتاب الجلوة. الفقرة الأولى من المقدمة.
- محمود الدرة القضية الكردية ص 182.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 102.
- زهير كاظم عبود. لمحات عن اليزيدية ص 96.

سقوطه، وهو خالق الشر ومسببه، ولهذا يتحاشون ذكر اسمه، ويطبقون عليه حكاية آدم والحية والطاووس الواردة في التوراة. ويرون أنه هو الطاووس الذي طرد من الجنة[1].

أما درويش حسّو فيقول: يعتقد اليزيديون ان طاووس ملك، اتصل بزرادشت وهداه إلى الديانة الإزداهية، والتي سميّت بعد ذلك بالزرادشتية، وهو نفسه الذي اتصل بالشيخادي في القرن التاسع للميلاد، رسولاً من الله لرعاية اليزيديين، وإعادة إحياء الدين وتجديده بينهم، بعد تعرّضهم الطويل للضغط والاضطهاد والملاحقة، ولهذه المكانة الرفيعة جدا، يُمثل الطاووس لدى الزرادشتية بصورة إنسان بجناحين، ويُمثل عند اليزيدية على هيئة حمامة جالسة على العرش[2].

لكن معظم الباحثين اختلفوا في وصف الطائر الذي يدعوه اليزيديون بطاووس ملك، وتفننوا كثيراً في تصويره. فيرى أغلب الغربيين، أن المقصود به هو ذلك الطائر المعروف، وصوّروه بشكل طاووس. غير أن بعض الكتب العربية المتأخّرة، صوّرته بشكل بطّة أو ديك.

ويقول اليزيديون: «إن الملك طاووس يدبّر الكون منذ ستة آلاف سنة، وسيبقى التدبير بيده إلى نهاية عشرة آلاف سنة، والملائكة متفقون فيما بينهم».

ومن اسمائه كذلك عندهم «كاروبيم» وهو بعد الله، وسيّد الكل، وضابط الكل، ورازق الكل، بيده اليمنى الخير، وبيده اليسرى الشر، يعطي الخير من يشاء، ويأخذ ممن يشاء، ويلقي الشر على من يشاء، ويزيله عمّن يشاء.

ولهذا نرى اليزيديين يترضّونه كل الرضا. فأقاموا له أياماً مشهودة، وأعياداً معدودة، وطوافات معلومة، وحفلات مرسومة، ويقولون: إنما نكرّم طاووس ملك دون رب العالمين، لأن هذا الطاووس مصدر كل الشرور والنحوس، فإن لم نستلفت أنظاره علينا، لم نخلص من إنتقامه. وإذا ترضيناه فزنا بسعادة الدنيا والآخرة. أما رب العالمين فهو عين الخير والصلاح، لا يُرى فيه أدنى عيب أو وصمة، بل هو العصمة والجودة والرحمة، لا يحقد على أحد، حتّى أنّه يتصالح مع طاووس ملك، ويرجعه إلى عليين، ولهذا من يلعنه يهلك.

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 40.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 102 - 103.

(2) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 61.
- خلف الجراد. اليزيدة واليزيديون ص 24.

هذا التقدير السامي لطاووس ملك، بشكل يختلف عن جميع الأديان والمعتقدات، أوهم الناس أنّهم يعبدونه. فالتقديس شيء والعبادة شيء آخر. وهم إنما يعبدون الله رب العالمين. ولهذا، وإبعاداً عنهم هذا الشبه يقولون: إننا لا نعبده بل نترضاه ونسترشده.

وطاووس ملك بحسب العقيدة اليزدية رئيس الملائكة، ويد الله اليمنى، والرسول الوحيد بين الله والبشرية، من بدء الخلق إلى الآن. وهو المهدي إلى الطريق الصحيح، إلى عبادة الله، وهو الإيمان وطريق الإيمان بالله. وبما أن طاووس ملك الرسول المباشر والصلة المباشرة مع الله، فهو إذاً، الذي يتصل باليزيديين، ويوجّه أعمالهم وتصرفاتهم، وينقذهم من الأزمات[1].

وإذا كان طاووس ملك مقدساً لدى اليزيديين، فأي ديانة خلت من تقديس واحترام حيوان ما وثنية كانت أم إلهية موحدّة، قديمة بائدة، أو حاضرة ومحدثة. من الديانات المصرية حتّى ديانات بلاد ما بين النهرين. وفي آسيا الصغرى، وبلاد اليونان، وفي الديانة الهندوسية وغيرها. وحتى في بعض الديانات السماوية الموحدة. فالخنزير المحرّم لحمه عند المصريين القدماء واليهود والصابئة والمسلمين، كان مقدساً في فترة ما. وعلّة تحريمه الأولى لأنّه طوطماً. ثم تحوّل تعليل هذا التحريم إلى أسباب مثولوجية، كعدم اجتراره مثل المواشي، كما فسّر ذلك اليهود، أو لأنّه كان بالأصل إنساناً مسخ خنزيراً، كما هو الحال عند المسلمين. وقد جعل النبي سليمان من الهدهد رسولاً، وحرّم أكل لحمه في الشريعة اليهودية. أما عند المسلمين فقد جاء في القرآن: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ۝ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي

---

(1) د. محمد التونجي. اليزيديون واقعهم وتاريخهم ومعتقداتهم ص 127 - 128.
- سليمان وجندي. ئيزيدي ص 24 بغداد.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 94. بيروت 1934.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 102.
- زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية ص 96.
- مجلة التراث الشعبي. العدد الخامس السنة الرابعة ص 55 بغداد 1973.
- راجع العدد العاشر من مجلّة لغة العرب.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 24.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 57.
- لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 131 - 132.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين ص 48 - 49.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 40 - 42.

بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ولفت الطاووس الذي يُضرب المثل بكبريائه وجماله نظر الإمام علي بن أبي طالب، فقال: وهو يصف الطيور: «ومن أعجبها الطاووس، الذي قامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه بأحسن تنضيد، بجناح أشرج قصبه، وذنب أطال مسحبه. إذا درج إلى الأنثى نشره من طيّه، وسما به مطلاً على رأسه. كأنّه قلع داريّ عنجه نواتية. يختال بألوان، فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت: جنّي جنّي من زهرة كل ربيع. وأضاهيته بالملابس فهو كموشى الحلل، أو كموفق عصب اليمن. وإن شاكلته بالحلى فهو كفصوص ذات ألوان، قد نطقت باللجين المكلّل، يمشي مشي المرح المختال، ويتصفح ذنبه وجناحيه فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله، وأصابيغ وشاحه. فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقاً معولاً بصوتٍ يكاد يبيّن عن إستغاثته فكيف تصل إلى هذا عمائق الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين. وأقلّ أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه»[2].

وقد قال أحد اليزيديين: «الطاووس عندنا هو الراية السماوية. رمز الإله ناشر السماوات السبعة، والمسيطر على الأرض، التي يحكمها بالعدل والمعرفة»[3].

وكما أنّهم يكرّمون طاووس ملك ويجلّونه، فهم يريدون أن يكرّمه ويجلّه غيرهم. وعندهم لفظة شيطان كلمة احتقار وإذلال وكفران، ولذا هم يتجنبون النطق بلفظها، ولا يقبلون أن يلفظها أحد أمامهم. ويتجنبون لفظ كل كلمة فيها حرف من حروفها مثل: شط، بط، نط، حيطان، بستان، قيطان، سرطان، سلطانه، شخاطة، شحاطة، لعنة، نعل، ملعون... وإذا لفظ أحدهم كلمة شيطان أمامهم بشكل متعمّد، حلّ قتله عندهم، بل وعلى أيديهم. وإذا اضطر أحدهم إلى إستخدام مثل هذه الألفاظ، بحث عن مترادفات لها، أوعبرّ عنها بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلام المحرّم. فإذا أرادوا لفظة شيطان قالوا: هو، أو ذلك الرجل (ميريك). وإذا أرادوا لفظة الشط، قالوا: الماء الكبير، والمشط باللغة الكردية «شه» لكنهم لا يلفظونها، بل يصفونه بقولهم «داركي سري» أي خشبة

---

(1) رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 98.
- العهد القديم في سفري تثنية الإشتراع وسفر العدد.
- القرآن - سورة النمل. الآيات 20 - 21 - 22.

(2) نهج البلاغة الخطبة 163.

(3) جريدة الإتحاد العراقية العدد 375.

الرأس. وإذا أراد أحدهم أن يهين أو يحقّر يزيدياً أو يشتمه، قال له أو امامه: خس الموصل في فمك. وهم يعدّون هذا القول أعظم كفر لكافر يصدر من فمه[1].

ويظهر ممّا تقدّم أن اليزيديين يؤمنون بفلسفة أمر الله إلى الملائكة، الذي أمرهم في بادئ، أن لا يسجدوا الا لله وحده دون سواه، فهو الرب والخالق والإله الواحد الأحد. وهذا ما آمنت به جميع الديانات وأقرّته. وبعد أن خلق الله الإنسان، أراد إختبار الملائكة، فأمرهم بالسجود لآدم، وكان الملائكة جميعهم موجودين، بما فيهم «عزازيل» كبير الملائكة. فسجدوا الا هو، حيث رفض السجود لغير الله، وبالتالي أمهله الله، فنجح في الإختبار، فأعاده إلى الفردوس. وهو الوجه الأكثر إثارة للإهتمام بين جموع الملائكة[2].

إن تقديس الطاووس يرجع إلى الأشوريين وشعوب بلاد ما بين النهرين، ونجده في أشكال مختلفة لدى اليونان «Toos»، وفي الديانة الهندوسية. وتبعاً لأقدم مفسري القرآن، تقلّد إبليس شكل طاووس، بدايةً للولوج إلى الفردوس الأرضي، لغواية آدم وحواء. وكذلك يعزو الدروز والصابئة للشيطان هيئة هذا الطير. وهذه المشابهات تدعو إلى التفكير بأن طاووس الملائكة لدى اليزيديين، ما هو الا الشيطان المعاد اعتباره مسبقاً على هذا النحو، وسوف يأخذ مكانه بين الملائكة. فإن بعض المتصوفين السابقين لعهد الشيخ عدي، كالحلاّج ومعاصريه مثل «فتح أحمد الغزالي» أخي الفيلسوف أبي حامد الغزالي،

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 41.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 126 - 127.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 102.
- زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية ص 96.
- الأمير بايزيد الاموي. مجلّة التراث الشعبي. العدد الخامس. السنة الرابعة ص 55 سنة 1973.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 19.
- لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 190 وما بعدها.
- سليمان الصائغ. تاريخ الموصل. جـ 1 ص 296 القاهرة 1923.
- J. B. Chabot. Notice sur les Yézidis. Paris 1896.
- Les Yézidis. Essai historique et sociologique sur leur origine religieuse, "Al-Machriq". LV. 1961. pp. 109, 128, 190, 242.
- Eugène Boré. Yézidites. Dictionnaire des religions. Vol. IV. p. 1125.

(2) الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 102.
- زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية ص 90.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 127.

كانوا يؤكّدون بأن إبليس، وقد رفض السجود لآدم، مفضلاً التعرض لعقاب أبدي على أن يقدّم تسبيحاً إلى مخلوق، وهو واجب الله وحده، قد ساق أعظم برهان على الإخلاص الممكن تصوّره. وقد يكون من الممكن جدّاً أن يكون الشيخ عدي أو بعض مريديه، قد تبنّوا وجهة النظر هذه. أما الفلاحون من جهتهم، والذين بلغهم فيما بعد تعليم كهذا، وجدوا من الأبسط تقريب تاريخ الحدث والإفتراض، بأن الشيطان منذئذٍ إستعاد خطوته.

فتقديس اليزيديين وتكريمهم الزائد للشيطان سوف لا تكون أدنى امتداحاً لمبدأ ولقوى الشر، ولكن للشر المطهّر بالتعويذ، وبالرقي المتصالح مع الخير. وبنيله العفو بسبب توبته، يجسّد طاووس ملك النفي نفسه للشر. أما وقد قضى سبعة آلاف عام في الجحيم للتكفير عن خطاياه، فإن طاووس ملك كان قد ملأ فيه سبعة جرار من دموعه، في وسع محتواها، أن يطفئ نار هذا الجحيم.

فاليزيديون على هذا النحو السابق، يكونون قد أبطلوا الجحيم، كما ألغوا الشيطان. ويركزون على التناسخ للتكفير عن الخطايا المقترفة في هذا العالم الدنيوي. فالعادلون يتقمّصون مرّة أخرى في شكل إنساني، في حين يولد الآثمون من جديد في أجسام حيوانات محتفظين بها مدّة طويلة أو قصيرة وفقاً لجسامة ذنوبهم[1].

وتتصوّر نظرية اليزيديين في نشأة الكون، كنتيجة لدورات متتالية من الخلق، وتؤكد على أننا نحن الآن في الرقم سبعين من هذه الدورات.

ومن المورثات المتداولة بين اليزيديين، والتي يقطعون بصحتها التاريخية، ودلالتها الدينية القدسية، أن طاووس ملك نزل لأول مرّة من السماء إلى الأرض، في جبل «لالش» في اليوم الأول من شهر نيسان. حسب التقويم الشرقي[2]. أي في بداية السنة الجديدة عند اليزيديين. وطبقاً لاعتقاداتهم، فقد كان ذلك اليوم، الموافق للأول من شهر نيسان حسب التقويم الشرقي يوم الأربعاء، ولهذا أصبح اليزيديون يحتفلون به ويقدّسونه، لأنّه يوم

---

(1) لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 123.
- أحمد تيمور: اليزيدية بحث في منشأ عقيدتهم مجلّة المقتطف عـ48 ص 53 - 64 - 1916.
L. Bouvat. A propos des yézidis. R. M. M., T. XXVIII, 1908. -
A. Brunel. Chez les Yézidis Adorateurs du Diable. Paris 1946, p. 121 - 143. -

(2) تبدأ السنة اليزيدية أول يوم أربعاء من أول أسبوع من شهر نيسان، حيث يكون اليوم المذكور بداية للسنة اليزيدية، وعيداً يسمّى عيد رأس السنة اليزيدية ويدعونه «شر حالي».

نزول طاووس ملك إلى البشرية. ومن هنا صار يوم الأربعاء من كل أسبوع يوماً مقدساً ومحترماً لدى الطائفة اليزيدية، يقابله يوم السبت عند اليهود، ويوم الأحد عند المسيحين، ويوم الجمعة لدى المسلمين.

ويوجد هيكل ديني مقدّس لدى الطائفة اليزيدية، وتُعد زيارته فرضاً دينياً أساسياً، حيث توجب عقيدتهم على كل يزيدي أن يزور هيكل الطاووس الأكبر مرّة واحدة على الأقل كل عام، لأداء بعض الشعائر الدينية، والتبرّك به، والدعاء وطلب العون والتوفيق والمغفرة. وتمثال الطاووس الأكبر يُسمّى «طاووس عنزلا» في قرية «با عذري»[1] التابعة لمنطقة الشيخان، حيث مقر رئيس الطائفة الأعلى. ويجب أن يظل باب المعبد مفتوحاً دائماً، لكي يصبح بإمكان أي شخص يزيدي القيام بالزيارة المفروضة في أي وقت يشاء. ولا يُسمح بتحريك هذا التمثال المعظّم من المقر الرئيسي للهيئة اليزيدية العليا في «با عذري»[2].

وهناك طاووس يُدعى «طاووس الشيخان»، خصصه زعماء اليزيدية للتجول والطواف بين المناطق والقرى، التي تبعد مسافات كبيرة عن شيخان، والتي يواجه أهلها مصاعب كبيرة بسبب الطرق والحدود وغيرها... ويُطاف به، في أيام أعيادهم لجمع العطايا والحسنات لرئيسهم الديني، ويسمّونه سنجق، أو اللواء[3].

وهناك مجموعة من الأقاليم والمناطق في العالم، والتي تضم تجمّعات لليزيديين. وبالتالي، فإن لها طواويس خاصة بها، لأن الطاووس رمز مقدّس عند اليزيديين، وهو عبارة عن تمثال مصنوع من البرونز القديم. وحسب المعتقدات اليزيدية المتمثّلة بالتواشيح الدينية وعلم الصدور، فإن هذا التمثال موجود من عهد إبراهيم الخليل ويزعمون أنّه من صنع القدرة الإلهية، وأنها كانت منصوبة في الكعبة مع آلهة قريش، التي كانت تُعبد آنذاك. وقد اختلف الباحثون في وصف الطائر الذي يدعوه اليزيديون بطاووس ملك، وتفننوا كثيراً في تصويره. فيرى أغلب الباحثين الغربيين ان المقصود به، هو ذلك الطائر المعروف،

---

(1) با عذري. قرية سريانية تقع على مسافة 45 كم إلى الشمال العراقي من الموصل في العراق.

(2) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون الفصل الأول القسم الثالث ص 22 - 36.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 94 وما بعدها...
- Borom Jos De Baye: Yézidis. Au Sud de la chaîne du Caucase, Paris 1899.

(3) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 61.
- محمود الدرة. القضية الكردية ص 182.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 25.

وصوّروه بشكل طاووس. في حين صورته في بعض الكتب العربية كما يبدو بشكل بطة بلا رجل.

يقول إسماعيل جول: «إن ملك طاووس تُعمل له صورة من درّ الجنّة». وتقول الصورة: أنا رئيس الملائكة، عملت هذه الصورة من درّ الجنّة للأمة اليزيدية حتّى يسجدوا لها. والذي يزور هذه الصورة يزورني، وأمحو كل خطاياه، وأقبل صومه وصلاته. وهم يسجدون ويمدحون، ويدقون الدفوف، وينشدون المدائح في حضرته. وفي هذه الحال، يقف اليزيديون احتراماً، فيفرح ملك طاووس معهم ويقبل عبادتهم. ويطوفون به في القرى والمدن، ويجمعون الهبات. ويقدّمون له زكاتهم وخيراتهم. ويجلسون في القاعة التي تضم الطاووس، فينبري «القوّال سارداً لهم قصة الخليقة والطوفان، وقصّة الطاووس، وأبيات الشعر والأغاني الدينية. ثم تعقد حلقات الدبكة والرقص، إحتفاءً بهذه المناسبة العظيمة»[1].

وهم يصنعون تمثال طاووس ملك بحجمه الطبيعي من البرونز والنحاس ويُسمّى: «أنزال Anzal»، ويزن أكبر تمثال حوالي 350 كلغ. ومعروفٌ لديهم كذلك بطاووس منصور، ويعلّق على حامل أشبه بالشمعدان. وإن صورة طاووس ملك تتكوّن من ثلاث قطع هي:

1- **وسائد الطاووس السبع**، وقد كُتب عليها الأسماء المقدّسة. لأن الطاووس يُعد للتجول والتنقل والتطواف، فإنه يصنع على شكل مجموعة من القطع القابلة للفك والتركيب، والتداخل مع بعض.

2- **السنجق**. أي طاووس ملك بقطعتيه: الطائر والشمعدان الذي يقف عليه. حيث يتفرّع الشمعدان إلى سبعة فروع. تقف على القسم الرئيسي منه حمامة ترمز للملاك السماوي الأكبر، أو لرئيس الملائكة، أو للسلام على الأرض.

3- **كأس الطاووس**، أي الإناء الذي يوضع فيه الماء المقدّس، ويوزع على زائري السنجق[2] الذي يقف عليه، وتُسمّى بـ«الشريكة طاووس» أو «شريكة شيخادي» وهذه المياه مجلوبة مع الطاووس السنجق من النبع الأبيض في جبل «لالش».

وفيما يلي دعاء الله. يدّعون أنّه قول طاووس ملك.

---

(1) إسماعيل جول. اليزيدية قديمًا وحديثاً ص 94.

(2) السنجق كلمة تركية معناها الراية. لكن اليزيديين أطلقوها على شكل مجسّم فيه صورة طاووس ملك، منصوب على عامود شبيه بحامل الشمعدان.

يا رب علا شأنك
يا رب أنت الكريم الرحيم
يا رب دائماً أنت الإله
وأنت أهل للمدح والثناء الدائمين
يا رب أنت الملك الكريم
وأنت مالك العرش العظيم
يا رب أنت القديم منذ الأزل
أنت الكامل والتام
يا رب أنت دائماً أنت الإله.

ومما تقدّم، تتضح الصلة الروحية القوية بين طاووس ملك، وبين العقيدة اليزيدية وحياة اليزيديين، وإن كانت لهم مزارت للتبرّك والإحترام[1].

ولليزيديين سبعة طواويس ليست متساوية في الحجم، يسمّونها السناجق، ويرمزون بكل واحد منها إلى ملاك من الملائكة السبعة، ويشير كلّ واحد منها إلى المناطق التي يقطنها اليزيديون. ويسمّون طاووس ملك «أنكار» و«عزازيل». وإنهم يشيرون إليه بالتعظيم والتقديس، ويرفضون التلفظ بأية كلمة تحط من قيمته، أو تهين اسمه أو مكانته. ويشير كل طاووس من الطواويس السبعة إلى إحدى المناطق التي يقطنها اليزيديون، وهي:

1 - **سنجق سورية**. وتشمل منطقة الطواف به، القامشلي، والحسكة، وحلب، واللاذقية، وحرّان، وعفرين. ويسمّونه طاووس الشام.

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 42.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية. الموصل. العراق. ص 194.
- الموسوعة البريطانية Britanica جـ 2 اليزيدية.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 59.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 26 - 27.
- زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية ص 96.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 103.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 127 - 128.

2 - **سنجق الأناضول**: ويشمل أورفة، يزيدي، ديار بكر، ماردين، سيواس، إنطاكية، سعرد، عينتاب، وبقية المدن والقرى شرقي تركيا ويسمّونه طاووس زوزانا.

3 - **سنجق العجم** أو **عجمستان**: وهي البلاد والمناطق الداخلة حالياً ضمن حدود إيران القريبة، ويسمّونه طاووس تاوريز.

4 - **سنجق السقوف**، أو قفقاسيا: ويشمل، أرمينيا، وجورجيا، ورستوف، وأذربيجان، ويسمّونه «طاووس مسقوف».

5 - **سنجق قضاء الشيخان** بمحافظة نينوى (الموصل) في العراق. ويسمّونه «طاووس شيخا».

6 - **سنجق قضاء سنجار** بمحافظة نينوى (الموصل) في العراق. ويسمّونه «طاووس شنكار».

7 - **سنجق الخالدين**: وهو المحفوظ دوماً في خزانة «الرحمن» في قرية «با عذري» مقر الإمارة اليزيدية في الشيخان، ويُسمّى «طاووس عنزل»[1] أو «عنزلا».

وهناك اعتقاد لدى اليزيديين، أن للملائكة السبعة، الذين اشتركوا في تكوين هذا العالم وخلقه علامات خاصة، حفظها سليمان الحكيم لديه، وحين دنت وفاته، أودعها لدى أحد الأمراء اليزيديين. وحين وُلد يزيد البربري «بربر أيا»، انتقلت إليه العلامات، فخصص لها منشدين.

لكن السناجق السبعة الأساسية، لم يبق منها اليوم سوى سنجق واحد، لأن الحكومة العثمانية ارسلت سنة 1894، جيشاً بقيادة عمر حسين باشا لإصلاح وضع العراق. وبعد حروب طويلة مع اليزيديين، استولى على خمسة أو ستة منها، فاضطروا إلى صنع غيرها.

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 43 - 44.
- خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 26.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 170 - 174.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 106 - 107.
- سعيد الديوجي منشأ عقيدة اليزيدية وتطورها ص 129.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 79.
- الأمير بايزيد الاموي. مجلّد التراث الشعبي. العدد الخامس. السنة الرابعة ص 55 سنة 1973.
- أحمد تيمور. اليزيدية ومنشأ نحلتهم. الطبعة الثانية ص 58.

وفي أيام جمع النذورات والصدقات في شهور: نيسان، وأيلول، وتشرين الأول، يحملها القوالون، ويتجولون بها، ثم تُعاد إلى مكانها المعتاد «خزانة الرحمن».

والأمير هو الذي يرسلها مع القوالين، فيتبرّك بها الناس، ويطلبون رضاها. وفي ساحة القرية يضعون أمامها الحبوب التي يتبرعون بها، فإذا لم تتحرّك بيد القوّال، معنى هذا حسب زعمهم، أن التبرّع قليل، فعليهم أن يعيدوا التبرّع.

فإذا جاء الربيع، أخرج خدمة الدين سنجق شيخان وطافوا به في تلك الأصقاع، ويجتمع القوّالون المختصون بهذه المنطقة، لينشدوا الأناشيد الخاصة بذلك السنجق. ثم يأتي «البيير الأعظم»[1] فيأمر المير بان يوضع السنجق في الخرج، ويحمل على جواد البيير الأعظم. وعندما يقترب الموكب من إحدى القرى، يرسلون أمامهم فارساً يبشّرهم بقدوم السنجق، وهو ينادي باللغة الكردية «سنجق هات» أي جاء السنجق. فيخرج الناس بزينتهم لاستقباله، ويصطفون صفين متقابلين، والسنجق يتقدّم بينهم، والقوّالون يزمّرون بالمزامير، وينقرون بالدفوف، وينشدون الأناشيد، فتجيبهم النساء بالهلاهيل، حاملات مجامر البخور والعود. ثم تبدأ «المزايدية». فينادي أحد الحاضرين: «ضيفي بمئتي ليرة»، ويقول الآخر: «السنجق يستضيف السنجق»... فيقول أحد الحاضرين «السنجق بمئتي ليرة»، ويقول الآخر «السنجق ضيفي بثلاثمئة... وهلم جرّ، حتّى تنقطع الزيادة. فيتقدّم البيير، وينزل الخرج من على ظهر الجواد، ويعلّقه برقبة الذي آلت إليه. حيث يضعه على متكأ خاص، وإلى جنبه شمعة مضيئة. ويجلس القوّالون عن يمينه وشماله، كما يجلس البيورة والشيوخ، وينشغلون بالإنشاد الديني. ثم يتقبّلون ترحاب الجمهور، ويباركون لهم، من غير أن ينقطع صوت الطبل والمزمار، ويتوافد سكان القرى المجاورة، وهم يظهرون الخشوع والخضوع، وقد عقدوا أيديهم على صدورهم، وهم يحملون الهدايا والنذور. وكل من تبرّع بشيء سقوه ماء من طاس السنجق، ويكون له حق الجلوس على سماط صاحب البيت وتناول طعامه».

فإذا تمّت مراسيم الإستقبال والزيارة، فصلوا المجسّمة عن العمود، ووضوعها في خرجها المخصص لها، وانتقلوا بها إلى قرية أخرى.

(1) البيير: كلمة فارسية معناها الشيخ أو الشائب.

أما القوالون، فيحمل كل واحد منهم مجموعة من الأقراص المعجونة من تربة الشيخ عدي، ويعطونها للناس في أثناء تجوالهم على أمل الشفاء والتبرّك. فإذا أتموا تجوالهم عادوا بالسناجق وغسلوها بماء السماق، ودهنوها بزيت الزيتون قبل أن تحفظ في مواضعها الخاصة[1].

وتُعطى السناجق بالإلتزام إلى القوّالين، فيما يتراوح من ألفين إلى ثلاثة آلاف وخمسماية دينار عراقي، أو ما يعادلها في عملات البلدان الباقية. فإذا أجدبت السنة وأمحلت المواسم، أعطيت لهم بالأمانة، أي دون تحديد مبلغ مسبق مقطوع بدل الطواف بها، ولكن مقابل نسبة معيّنة، على ان يذهب وكيل الأمير مع القوالين لجباية الصدقات والهبات والتبرعات. ويطوف بها القوالون ثلاث مرّات في كل سنة في نيسان وأيلول وتشرين كما سبقت الإشارة.

أما أشكال هذه السناجق كما وصفتها الباحثة في شؤون اليزيدية «أنستاس ماري» فهي تمثل السناجق المعروفة لديهم. وكل سنجق يرمز إلى شكل معيّن. فالرقم واحد يرمز إلى القمر والهلال. والرقم اثنان يرمز إلى نجم الصباح. والرقم ثلاثة يرمز إلى الطاووس وهو أشبه به. والرقم أربعة يمثل الأرض. والرقم خمسة يمثل الشمس. والرقم ستة يمثل نهرين، وهما دجلة والفرات على الأرجح. والرقم سبعة يمثل الشيطان. والرقم ثمانية زنبقة بثلاث مشعلات، وهو رمز للنار وللهيب[2].

وإن السنجق الذي يرمز به اليزيديون إلى طاووس ملك، هم حريصون على عدم رؤيته من قبل الأجانب من غير اليزيديين. فيجري حمله والذهاب به بين المناطق اليزيدية. ونتيجة للاضطهادات والمجازر التي تعرّض لها اليزيديون على مرّ العصور، فقد قامت السلطات والأشخاص الذين اضطهدوهم بسلب كل رموزهم وتماثيلهم، اعتقاداً منهم

(1) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 170 - 172 - 175.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 11.
- إسماعيل جول. اليزيدية. ص 79.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 61.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 97.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 110 - 172.
- الأب أنستاس الكرملي. مجلّة المشرق البيروتية ص 398.

(2) راجع. د. محمد التونجي. اليزيديون ص 170 وما بعدها...

بأن الإستيلاء على هذه الرموز، سينهي علاقة اليزيديين بدينهم أو بمعتقدهم. والذي حصل إضافة إلى ذلك عمليات سطو على هذه التماثيل، فتعرضت مثلما تعرّضت أي تحفة فنية في العراق للسرقة والإغتصاب لشتّى الأسباب.

وإن أول سرقة تعرّض لها تمثال طاووس ملك في العراق كانت سنة 1838، حيث اقتناه المتحف البريطاني. وقد بحث عن هذا التمثال «ر. هـ. و. أمبس» البريطاني، في كتابه طاووس ملك المطبوع في لندن سنة 1928، وزيّن به أول صفحة من كتابه. لكن صدّيق الدملوجي يشكّ أن يكون هذا الطاووس مطابقاً لشكل طاووس اليزيدية.

ويذكر الأب أنستاس الكرملي، بأن طاووساً من الأربعة طواويس سرقها رشيد باشا سنة 1838. كما قام الفريق عمر وهبي العثماني سنة 1898، بالإستيلاء على أربعة سناجق طواويس وأرسلها إلى بغداد، حيث حفظت في خزنة الجيش السادس العثماني، ثم أعيدت لهم سنة 1908، بعدما أعلنت الدولة العثمانية مشروطية الإدارة في عهد سليمان نظيف باشا على المنطقة.

وبنتيجة حوادث السلب والاضطهاد، فقد فُقدت أكثر السناجق، ولم يُعرف أثرها. ومع أنّ البعض يقول أنّها تسرّبت إلى متاحف أوروبا، أو في أحد متاحف الهند. لكن الباحث في شؤون اليزيدية صدّيق الدملوجي، يعتبر أنّ هذه الطواويس لا تمثل طواويس اليزيدية ولا تمتّ لها بصلة، وأن طواويس اليزيدية الباقية قد أُتلفت، ولم يبق إلا طاووس الشيخان وطاووس «عنزل» الموجودة في خزانة الرحمن في مقر الأمير في باعذري، ولا يمكن لأحد الإطلاع على هيئة الطاووس الا خلال ممارسة اليزيديين لشعائرهم الدينية وطقوسهم في الأيام المحدّدة.

وحتّى الآن، لم يتم التعرّف على تاريخ صنع السناجق أو أماكن عملها، إلا أن المتفق عليه، هو أن هذه السناجق غير متشابهة، ممّا يدل على أن كل سنجق تم صنعه في ماكن اعتماده. وحين فُقد، لم يتم صنع البديل عنه. ولذا فإن اليزيديين بتركيا، وروسيا، وسورية، وإيران، لا يمارسون طقوس زيارة طاووس ملك لمناطق سكناهم، حيث أنّها مؤجلة في الوقت الحاضر بحكم ظروفهم. أما اليزيديون في سنجار وما حولها، والشيخان وما حولها فيمارسون طقوسهم بكل حرّية بقدوم طاووس الشيخان الموجود في «خانة طاووس» ويحتفظ به الرئيس الديني للطائفة اليزيدية، وهو الذي يأمر بإخراجه من محلّه، ويسلّمه =

بيده إلى القوّالين للطواف به[1].

إن بعض الباحثين اليزيديين، يصرّون على أن عادات اليزيديين وعباداتهم وطقوسهم مستمدة من الديانة الزرادشتية. وإن كتاب اليزيديين الأساسي هو كتاب «الأوسطا» وإن «الأوسطا» هو طاووس ملك، ويُسمّى باللغة الفارسية «الأڤيستا» الذي كُتب في عصر زرادشت باللغة الكردية القديمة، وذلك في الأعوام التي عاش فيها زرادشت فيها بين 550 و 600 ق.م. وأنّ زرادشت يُعتبر أول الأنبياء الذين ظهروا في الشرق الأوسط[2].

وإن بعض الباحثين والمؤرّخين والدارسين، يعتبرون أن اليزيدية علوم صدرية محفوظة تُنقل بالمشافهة من جيل إلى آخر، وتُسمّى بـ«العلم اليزيدي»، وأن هناك اختلافات حول صحّة كتابي «الجلوة» و «مصحف رش» أو المصحف الأسود. فاليزيدية ديانة سرّية مكتومة الأسرار والتعاليم منذ قرون طويلة، بسبب الاضطهاد والتنكيل والملاحقات، ومحاولات الإبادة والقضاء عليها وعلى معتنقيها. ولهذا يلجأ بعض الدارسين إلى تفسير وتأويل العبادات والاعتقادات اليزيدية، إنطلاقاً من التخمينات والتوقعات، وقياساً على الفروض والشعائر والعبادات اليهودية والمسيحية والإسلامية. كما أنّ بعض المستشرقين والرحالة شطّوا كثيراً في كتاباتهم وشروحهم عن هذه الديانة،

---

(1) صدّيق الدملوجي. اليزيدية قديمًا وحديثاً ص 12 - 14.
- إسماعيل جول. اليزيدية. ص 43، 47، 79.
- الأب سهيل قاشا: اليزيديون ص 108 - 112.
- يعقوب سركيس. مباحث عراقية جـ 2. ص 294.
- أنستاس ماري الكرملي. الطاووس عند اليزيدية. لغة العرب بغداد ص 749 - 750 مجلّة المشرق عـ 2.
- J. P. Visite au peuple le plus oublié du monde Yézidis. L'orient 1, 4 et 5 Mars 1953.
- D'Arle M. A Sindjar chez les adorateurs du démon. Revue du Liban N°. 24 à 28-8, 13, 20 mars et 3 avril 1954.

(2) خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 71.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 79 - 80.
- زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية ص 71 - 89.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين ص 69.
- جورج حبيب. اليزيدية بقايا دين قديم. مطبعة دار المعارف بغداد 1978.
- Yézidis. Larousse du XX siècle Vol. VI, Paris, p. 1109.

إضافة إلى نظرتهم الإستعلائية الفوقية، التي ترى في اليزيدية وغيرها من الطوائف والجماعات الإثنية مادة إكتشافات جديدة تخضع للتحليل والدراسات، إذ بحسب البعض منهم أن اليزيدية ديانة بدائية لشعب بدائي، ليست له حضارة ولا تاريخ، تأثّر بديانات الشعوب التي عاش بين ظهرانيها، وأخذ بعض عاداتها وتقاليدها وعباداتها وطقوسها.

في حين يعتبر بعض اليزيديين ان لليزيدية تاريخ عريق، يمتد إلى ما قبل ظهور زرادشت بقرون عديدة في الشرق، أي قبل ظهور الديانات والشعوب والحضارات المتجاورة أو المتداخلة. وهذا لا ينفي التأثيرات المتبادلة بين الديانات الموجودة في هذه المنطقة كافة[1].

---

(1) زهير كاظم عبود. لمحات من تاريخ اليزيدية.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين العوامل والمقومات بين الشعب اليزيدي والشعب الأشوري ص 56 وما بعدها...
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 72.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 84.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 80.
- Yézidis. Dictionnaire des religions. Par E. Rayston Pike. Paris 1954, p. 325.
- Hawar. Revue Kurde. Publiée à Damas 1932 - 1933, p. 14, 15, 16.
- Menaçé Theraz les yézidis. Louvain 1891.

الفصل التاسع

عدي بن مسافر

ما زالت قصة الشيخ عدي بن مسافر الأموي، وعلاقة اليزيديين به من المواضيع الشائكة والغامضة والمعقّدة. فالروايات حوله كثيرة ومتناقضة. إضافة إلى ما يشوبها من إنحياز أحياناً، ومن غرابة من ناحية أخرى. أسئلة عديدة تظهر وسط غموض الروايات وتناقضها وغرابتها التي تحاكي غرابة العلاقة بين هذا الشيخ والدين اليزيدي.

وقد أجمع المؤرّخون وأصحاب السير، أن الشيخ عدي بن مسافر، الذي تنتمي إليه الطائفة اليزيدية، هو صالح زاهد وتقي، وهم جميعاً يؤيّدون صحة نسبه إلى بني أميّة، ورفع بعضهم نسبه إلى مروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين. واسمه الكامل: «شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مسافر بن إسماعيل بن موسى بن الحسن بن مروان». ولد في قرية بيت فار من قرى البقاع الغربي[1]* دون أن تعرف سنة ولادته بالضبط، إنما تجمع أكثر الروايات والتواريخ، أن هذه الولادة كانت ما بين عامي 1073 و1078، والأقرب هي 1074. وتوفي سنة 1162. عن عمر يناهز التسعين عاماً ودفن في جبل «الهكارية» أو «الحكارية» شمال مدينة الموصل في العراق، منقطعاً إلى التعبّد والعلم والتقوى.

وقد ذهب الشيخ عدي بن مسافر إلى بغداد عندما كان شاباً، ودرس على يد الغزالي والمعلّمين الصوفيين الآخرين. وكان بين زملائه الطلاب، «عبد القادر الكيلاني الكردي».

---

(1) ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ 10 ص190. دار صادر بيروت 1995.
- ابن خلكان. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان. ج 3 ص 254. تحقيق إحسان عبّاس. دار الثقافة، بيروت 1970.
- رشيد الخيّون الأديان والمذاهب بالعراق ص 85.
- الذهبي. محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء ج 2 ص 300 تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرق سوسي.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 21.
- محمد الحنبلي: قلائد الجواهر ص 85.
- لورانت شبري. آني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى ص 130.

* تسمّى اليوم «خربة أنافار» بين مشغرة وقب إلياس. وفيها قبر الشيخ مسافر والد الشيخ عدي، وأرض موقوفة لهذا القبر. وسكانها من المسيحيين.

مؤسّس الطريقة القادرية أو «الكيلانية» الصوفية، التي لا تزال قائمة إلى اليوم[1].

وفي نهاية القرن الحادي عشر، غادر عدي بن مسافر بغداد إلى «لالش»، على بعد حوالي خمسين كلم شمال شرق الموصل في العراق. وهو أعلى إرتفاعاً من المكان الذي وجد فيه الناسك المسيحي «ايت اللاها» بحوالي سبعين متراً، وفيه عزلة وهدوء. وهذه المنطقة الجبلية، التي سكنت فيها قبيلة «الهكاري» الكردية، قد سبق لها أن منحت الحماية لصوفيين مشهورين هم: «الحسن علي»، وهو من بني أميّة، وقد توفي سنة 1093، «وعقيل المنبجي»، الذي أعطى الشيخ عدي خرقته الأولى، و«أبو الوفاء الحلواني»، الذي وقع الإختيار على عدي لغسل جسده عند وفاته.

ظهرت روايات عديدة تتراوح بين الحقيقة والخيال حول وصول الشيخ عدي البعلبكي إلى الشيخان، حيث الوادي المقدّس «لالش». والمعبد الذي أصبح فيما بعد ضريحاً له. وأقدمها يعود إلى سنة 1452م. عن طريق مخطوطة يذكر منها القس «سليمان الصائغ الموصلي» المتوفي سنة 1961م، أن المعبد والمرقد الذي بوادي لالش، كان ديراً مسيحياً، أسسه الراهبان «يوحنا، ويشو عسبران» في القرن السابع للميلاد. ذلك إستناداً على ما أثبته الراهب النسطوري «راميشوع» سنة 1452م. وتذكر هذه الرسالة عن هذا المقام، أنّه كان ديراً أسّسه الراهبان المذكوران في القرن السابع. ثم احتلّه الشيخ عدي بن مسافر. حيث كان أبوه الكردي النحلة على مذهب «الزرادشتية» راعياً لأغنام الدير المذكور. وبعد وفاته، خلفه ابنه عدي في رعاية الأغنام، ثم تغلّب على الرهبان سنة 1219، فطردهم وإغتصب الدير مع أملاكه. وكان رئيس الدير حينئذ غائباً في الأراضي المقدّسة. فلمّا عاد ورأى ما حل برهبانه، رفع ظلامته إلى أمير المغول «باطو» فألقى القبض على عدي سنة 1223، وقتله. وبعد قتله بسنين يسيرة، عاد أولاده فإستولوا على الدير المذكور ثانية. ويذكر أحمد تيمور أن كاهناً كلدانياً يدعى «ماروثا» وحكيماً ببغداد، دفعا إليه مقالاً متعلّقاً بظهور الشيخ عدي بالمنطقة، وقصّة أخذه الدير، كما ذكرها القس سليمان الصائغ الموصلي. نشره في مجلّة المقتطف المصرية. وزاد فيه أن الشيخ عدي نشأ بالدير وتعلّم الآرامية (السريانية) مثل الرهبان، وتزوج من فتاة تترية شريفة شهيرة، فارتفع شأنه عند رئيس

(1) عبد الرزاق الحسني : اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 21 - 22.
- جون. س. كيست :تاريخ اليزيديين ص 50.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص85 - 86.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 8 - 9.
- ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ 11 ص 289.

الدير، فعهد إليه إدارة الدير وأملاكه، فأجلّه الناس، وكان يشرف على ثلاثين قرية، فعهد إليه إدارة الدير وأملاكه، وكانت الماشية تحت رعاية الشيخ عدي فإنتهز الفرصة وإستولى على الدير ليقيم فيه هو وأسرته. بعدها حاول رئيس الدير إسترجاع ديره، فلجأ إلى المغول عند دخولهم «أربيل»، وأحضر الشيخ عدي، فردّ على تهمة قتله الرهبان، وسيطرته على الدير، بأن الفاعل كان «أكراد ترهايا» حينها قتل عدي بأمر من الخان المغولي.

لكن ابن العبري يذكر في أحداث سنة 651هـ، أن الذي قتله المغول، كان من أحفاد صخر أخي الشيخ عدي بن مسافر، وهو «شرف الدين محمد بن الشيخ عدي»، «غيرا بن المسافر» من الموصل. وأن الأب سليمان الصائغ الموصلي يلحظ أن إلتباساً وقع في هذه الرواية، وخاصة الفرق في تاريخ وفاة العديين. إذ أن عدي الأموي توفي سنة 1160 - 1161م، وعدي الكردي قتل سنة 1223م ولعل عدي الذي إحتل الدير المسمى اليوم بإسمه، هو غير عدي الذي أقبل بنفسه من جبال الهكارية. ويحتمل أن يكون عدي بن صخر بن مسافر هو الذي احتل الدير لقربه من التاريخ، الذي يعنيه صاحب المخطوطة. لكن الأب الموصلي بجزم بقوّة، بأن المعبد كان ديراً نسطورياً (للسريان الشرقيين). لكنه يختم بحثه بالقول: «لا نعلم كيف أصبح هذا الدير زاوية للشيخ عدي الأموي، ولا كيف آل أمره إلى الأمة اليزيدية».

ويعتقد الأب أنستاس الكرملي المتوفي سنة 1947، أن المعبد كان بالأصل كنيسة نسطورية، ونقل عن يزيديين، أن اسم عدي، بني على اسم القديس «آدي» أو «أدي»، أحد المبشّرين الأوائل في المنطقة. في حين ينقل القس سليمان الصائغ الموصلي عن الأب مارتان قوله: «إن معبد الشيخ عدي، كان قديماً ديراً على اسم مار آدي، أحد الإثنين والسبعين تلميذاً»[1].

---

(1) رشيد الخيوّن. الأديان والمذاهب بالعراق ص 91 - 93.
- سليمان الصائغ الموصلي. تاريخ الموصل. ص 198 - 199. المطبعة السلفية. مصر سنة 1923.
- أحمد تيمور باشا. القول الفصل في أصل اليزيدية. مجلّة المقتطف، يوليو - تموز 1922.
- ابن العبري. تاريخ مختصر الدول ص 267.
- جورج حبيب. اليزيدية بقايا دين قديم. ص 302. مطبعة المعارف. بغداد 1988. أحمد تيمور مجلّة لغة العرب ص 67. حزيران - يونيو 1929.
- صديق الدملوجي. اليزيدية. المقدمة. مطبعة الإتحاد. الموصل. 1949.
- محمد بن شاكر الكبتي. فوات الوفيّات. تحقيق إحسان عبّاس. جـ 1 ص 321. دار صادر بيروت.
- فلاديمير مينورسكي. الأكراد، ملاحظات وإنطباعات ص 55. خزانة دار الكتب - دار الكتاب. بيروت 1915.
- Grégoire M. Yézidis. Histoire des sectes religieuses. vol.4, p.23. Paris, 1828 - 1829.

وبإستثناء الحج إلى مكّة. سنة 1116. برفقة الكيلاني، فإن الشيخ عدي بن مسافر قضى معظم حياته الباقية معتزلاً بوادي لالش، كرئيس لطائفة دينية. وأصبح يعرف بالشيخ عدي أو عادي، وتغيّرت هويته الحقيقية «الشامي» إلى «الهكاري».

وكان الشيخ عدي ينزل أحياناً من لالش، ليلقي الدروس والمواعظ على أهل السهل، وفي زيارة له إلى الموصل، شاهده طفل يدعى «مظفر الدين»، الذي أصبح فيما بعد حاكماً لإربيل، يقول: «رأيت الشيخ عدي بن مسافر وأنا صغير بالموصل، وهو شيخ ربعة أسمر اللون، كان يحكي عنه صلاحاً كثيراً، وعاش الشيخ تسعين عاماً»[1].

وبمرور السنين أصبح الشيخ عدي معروفاً بالطاعة، والتقوى، والزهد. حيث رويت عنه أعمال وقوى خارقة، تتراوح ما بين الحقيقة والخرافة. فيذكر أحد مريديه، أنه كان يستطيع تلاوة القرآن بكامله مرتين في الليلة الواحدة. وقد عاش مقتاتاً على الفواكه والخضار التي يزرعها، ويعتني بها بنفسه على طرف الجبل، وكان يصنع ملابسه من القطن الذي يتزوّد به من حقوله. وكان نحيفاً إلى درجة أنه عندما كان ينحني لأداء الصلاة، كان بمقدور المرء أن يسمع صوت إرتطام دماغه بجدران جمجمته، كالحصاة داخل يقطينة يابسة. وكان سيل من الحجاج حتّى المغرب يأتي لرؤيته. وقد ذكر صديقه ورفيقه عبد القادر الكيلاني: «أن النبوّة لو كانت تنال بالمجاهدة لنالها الشيخ عدي بن مسافر»[2].

وقد اعتنى الكثيرون بمقام الشيخ عدي، سواء كان ذلك لزهده وإعتزاله، أم لأنه شيخ «الطريقة العدوية»، التي غدت فيما بعد نواة للديانة اليزيدية. ويذكر ابن الأثير فيقول: «سنة 557هـ، توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد المقيم ببلد الهكارية، من أعمال

---

(1) الشنطوفي. بهجة الأسرار. مساهمات في سيرة عبد القادر الكيلاني. مجلّة الملكية الآسيوية ص269 - سنة 1907 نقلها عن الشنطوفي «ماركويوت».
- ابن خلكان. وفيات الأعيان جـ2 ص198.
- إسماعيل جول. اليزيدية في الماضي والحاضر ص96.
- المجلّة الآسيوية باريس. العدد 8 - المجلّد 5 ص80. سنة 1885 نقلاً عن محمد أمين العمري ابن خير الله العمري «مناهل الأولياء».

(2) المجلّة الآسيوية. نقلاً عن العمري. باريس. المجلّد الخامس ص80 - 81 سنة 1885 العدد 8.
- جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص52.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق. ص85 - 87.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص69 وما بعدها.
- محمد التونجي. اليزيديون ص20.
- المقريزي. الخطط المقريزية جـ4 ص313.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص24 - 25.

الموصل، وهو من الشام من بلد بعلبك، فانتقل إلى الموصل، وتبعه أهل السواد والجبال بشكل النواحي، وأطاعوه، وحسنوا الظن فيه، وهو مشهور جداً». أما ابن خلّكان فيقول: «الشيخ عدي بن مسافر... إنقطع إلى الجبال الهكارية من أعمال الموصل، وبنى له هناك زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها... وكان مولده في قرية يقال لها بيت فار من اعمال بعلبك، والبيت الذي دفن فيه يزار حتّى الآن. مات ودفن بزاويته بالهكارية، وقبره عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة».

وقال عماد الدين إسماعيل أبو الفداء: «توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد ببلد الهكارية من أعمال الموصل، واصل الشيخ عدي من الشام من بعلبك». وقال ابن الوردي: «سنة 557هـ توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد ببلدة الهكارية». أما اليافعي فيقول: «الشيخ عدي بن مسافر الشامي الهكاري الزاهد، صاحب الشيخ عقيل المنبجي، والشيخ حماد الدباس، وإليه تنسب الطائفة العدوية». كما أن المقريزي يتحدث عن الزاوية العدوية فيقول: «زاوية معروفة في قرافة مصر، منسوبة إلى الشيخ عدي بن مسافر، القرشي الأموي». في حين «أثنى عليه عبد الوهاب الشعراني ثناءً كبيراً، وذكرانه في أول أمره أقام زماناً في المغارات والجبال والصحاري، مجرّداً سائحاً يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات، وهو أول من قُصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد الشرق». وقد أثنى عليه كثيرون غيرهم من المؤرّخين والرواة[1].

ويكنّ اليزيديون للشيخ عدي بن مسافر إحتراماً وتقديراً عظيمين فيروون عنه أخباراً وقصصاً تتعلّق بالكرامات والأعمال الخارقة، بل يرفعونه أحياناً إلى ما فوق درجة النبوّة والقداسة، حتّى يتّحد مع طاووس ملك، ويشترك معه في القدسية.

ويفرّق محمد أمين زكي بين شخصيتين تاريخيتين، كانتا تحملان اسم «عدي».

- **الأول**: هو الشهير بالشيخ «عدي بن مسافر الأموي».
- **الثاني**: هو أبو المفاخر عدي بن أبي البركات، والذي ولد بحكاري أو هكاري، وصار شيخاً فيها بعد والده أبي البركات المذكور.

---

(1) الذهبي. محمد بن أحمد. سير اعلام النبلاء جـ 2 ص 242 - مؤسّسة الرسالة. بيروت 1999.
- الحنبلي. شذرات الذهب ص 300.
- ابن الأثير. الكامل في التاريخ جـ 11. دار صادر. بيروت 1995.
- ابن خلكان. وفيات الأعيان، وأبناء أبناء الزمان جـ 1 ص 316.
- ياقوت الحموي معجم البلدان جـ 3 ص 380. الطبعة الثالثة دار صادر بيروت سنة 2007.

ويعتبر الراهب النسطوري «راميشوع» والسيد «نو»، أن الشيخ عدي من الوجهة القديمة كردي، ومن الوجهة الدينية «زرادشتي». ويرى محمد أمين زكي أن كتاب «الجلوة» الذي تقدّسه الطائفة الزيدية، من تأليف الشيخ عدي نفسه[1].

أما الباحث اليزيدي درويش حسّو، فإنه يعتبر أن الديانة اليزيدية تعرّضت لتطوّرات كبيرة في القرن التاسع للميلاد نتيجة الأفكار الجديدة، التي نزلت على الأرض بواسطة طاووس ملك الذي إتصل بالشيخ هادي المسمى بالشيخادي، الذي كان يعيش في جبال كردستان، ويفكّر بالله وبملائكته، وإن الله بشّره بإنقاذ اليزيدية، وتعليمهم الأصول الدينية الجديدة، التي نسوها بمرور الزمن، إلا أن الشيخادي توفي. وفي ذلك الوقت قام شيخ آخر بزيارته وتسلّم مكانه. وكان هذا الشيخ يُسمّى عدي بن مسافر الذي كان له مريدون، وطريقته إسلامية تدعى «العدوية». حيث حاول لمدّة قصيرة دمج العدويين مع اليزيديين ولكن العدويين كانوا يؤمنون بالإسلام على طريقة شيخهم، في حين كان اليزيديون على شريعتهم الإزداهية. ولهذا نجد في العلوم اليزيدية الكثير من المعاني والكلمات الآتية من الأدب الإسلامي واللغة العربية، وأشياء كثيرة مباحة في الإسلام. مثل تعدّد الزوجات والمهر، في حين أن هذه الأشياء غير مباحة في اليزيدية[2].

وتطابق أغلب الروايات العربية بين الشيخ عدي، الذي أطلق عليه اليزيديون «الشيخادي» والشيخ عدي بن مسافر، فتجعلها شخصاً واحداً.

وبما أن الشيخادي غير معروف السيرة على الأقل بالنسبة للمؤرّخين والدارسين العرب والمسلمين، فقد رجع معظمهم إلى سيرة الشيخ عدي بن مسافر المتصوّف الذي ولد في قرية بيت فار في البقاع الغربي، من أعمال بعلبك في بلاد الشام. وأسّس الطريقة الصوفية العدوية بنسبتها إليه. وجاور فترة بالمدينة المنوّرة والحجاز، ثم تنقّل في البقاع والجبال الواقعة شرقي الموصل، سائحاً - زاهداً كعادة بعض المتصوّفة، إلى أن استقر به المقام آخر الأمر في قرية «لالش» في جبال الهكارية القريبة من الموصل، حيث بنى زاوية إنقطع فيها للعبادة، وجمع حوله أتباعه ومريديه، وعلا صيته، إلى أن توفّي ما بين عام 1160 - 1161، ودفن بزاوية في لالش.

لكن شرف خان البدليسي مؤلّف كتاب «شرفنامه» فإنه يتحدّث عن العشائر

(1) محمد أمين ذكي. خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ص 396 - 397.
- د. خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 28.

(2) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 31.

الكردية المستوطنة في أنحاء الموصل والشام، التي تعتنق مذهب اليزيدية مثل: الطاسنية، والخالدية، والبسيانية، وبعض البختية والمحمودية والنبلية. ويقولون أنهم من أتباع ومريدي الشيخ عدي بن مسافر. وهم يعتقدون أن هذا الشيخ المدفون في جبل «لالش» من أعمال الموصل، قد أسقط عنهم الفروض، وأنه يقوم بها عنهم، وانه سيدخلهم الجنة بلا حساب ولاعقاب على فرط منهم من ترك الصلاة والصيام. ولهم عداء صريح وبغض شديد لعلماء الظاهر وفقهاء المسلمين[1].

وعليه يمكن القول أن شخصية الشيخ عدي أو الشيخادي وعلاقته بالشيخ الصوفي عدي بن مسافر غامضة جداً. ولكن من المؤكّد تقريباً، أنه بعد وفاة الشيخ عدي بن مسافر، ظهر بين خلفائه في قيادة الفرقة «العدوية» بعض من غالى، وربما من أبعدها عن التعاليم الإسلامية المعروفة، فإنبعث من داخلها، أو بالتوازي والإنصهار معها طقوس ومعتقدات قديمة، كانت متوارية أو مخزونة في العقل الباطني اليزيدي، ومستمرّة في الذاكرة الشعبية والخيال الجمعي المتوارث منذ مئات السنين، كالزرادشتية، والغنوصية، والمانوية، والهندوسية وغيرها من الديانات الشرقية، وبعض الإشراقات والطقوس المأخوذ من اليهودية والمسيحية والإسلام[2].

وظهرت للشيخ عدي زاوية العدوية الصوفية بالقاهرة، حيث يقول نور الدين السخاوي «القرافة الصغرى وتنسب إلى العارف بالله عدي بن مسافر الهكاري العدوي»[3].

ويرتبط تاريخ هذه الزاوية بابن أخ الشيخ عدي «زين الدين يوسف بن صخر»، الذي هاجر من الموصل إلى الشام. ثم إلى مصر، تاركاً ولده بالشام موفور النعمة، بعد أن إفتتنت به إمرأة ذات ثروة طائلة، من طائفة تدعى «القمرية». وبعدها أصبح صاحب جاه بدمشق. وهناك تردّد عليه جماعة من الأكراد، وأوصلوه بالمال، فحاول الخروج على سلطان مصر «الناصر بن قلاوون» المملوكي، فقبض عليه نائب الشام الأمير المملوكي تنكز. وسُجن أتباع الزاوية العدوية بمصر. وبعد موت الحفيد بسجنه عام 733 هـ، تفرّق الأكراد العدوية أو الهكارية. أما ابن الشيخ عدي، والد الحفيد المذكور، فقد استقر به الحال بمصر. وتوفي قبل ثورة ولده بأربعين سنة، ليدفن بالزاوية العدوية. يقول

(1) شرف خان البدليسي. شرفنامه ص 13 - 14.

(2) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 30 - 31.

(3) السخاوي. تحفة الأحباب وبغية الطلاب ص 191.

السخاوي: «ظهر بهذه الحكاية أن الشيخ عدي بن مسافر لم يكن بمصر، ولا بالقرافة، بل هذه الذريّة من أولاد أخيه صخر. والشيخ عدي يعرف بالأعزب». وليس هناك ما يشير إلى إهتمام يزيدي بالزاوية العدوية، المكتوب على جبهتها عبارة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله. لا إله إلا الله سيدي عدي ولي الله». ويقرأ عليها أيضاً: «سيدي عدي الوسيلة إلى الله، وصلاة الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم»[1].

أما السبب الذي أدّى بهجرة العدويين إلى مصر فيعود إلى:

1 - مقتل «شمس الدين الحسن» بن أبي المفاخر خنقاً سنة 644هـ. على يد بدر الدين لؤلؤ حاكم الموصل.

2 - مهاجمة عساكر بدر الدين لؤلؤ الأكراد العدوية، وإنهزامهم. وقتل جماعات كثيرة منهم، وأسر البعض الآخر، حيث صلب منهم مائة، وذبح مائة، وقطعت أعضاء أميرهم وعلقت على أبواب الموصل، ومن ثم نبشت عظام الشيخ عدي من قبره وأحرقت[2].

وقد كتب في سيرة عدي بن مسافر كما سبق وذكرنا كثير من المؤلّفين وكتّاب التراجم، كابن خلكان في «وفيات الأعيان»، والسخاوي في «تحفة الأحباب»، وابن فضل الله العمري في «شذرات الذهب»، وابن تيمية في إحدى رسائله، وابن العبري وغيرهم... ويجمع مؤرّخوا سيرته ودارسوها، على عمق إيمانه، ووقوفه عند حدود الله أمراً ونهياً، وإلتزامه التام بأركان الإسلام وفرائضه المعروفة، إضافة إلى زهده وتقشّفه الشديدين. حتّى أن ابن تيمية المشهور بتشدّده، وصف طريقة عدي بن مسافر بقوله: «إنها سليمة من البدع»، وأكّد بأن العدويين كانوا في عهده يحتفظون بالعقائد الإسلامية سليمة من الغلوّ،

(1) السخاوي: تحفة الأحباب وبغية الطلاب ص 191 - 192.
- صديق الدملوجلي: اليزيدية ص 112.
- أحمد تيمور باشا: اليزيدية وبحث في منشأ معتقدهم المقتطف عـ53 - 64 - سنة 1916.
- أحمد تيمور باشا: اليزيدية ومنشأ نحلتهم. الطبعة الأولى ص 48 المطبعة السلفية. القاهرة سنة 1347 هـ.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 88.
- محمد ثابت. اليزيديون عبدة الشيطان. جولة في ربوع الشرق الأدنى بين مصر وأفغانستان القاهرة 1934.
- جرترود بيل. اليزيديون. فصول من تاريخ العراق القريب ترجمة جعفر الخياطا دار الكشّاف.

(2) ابن الفوطي أبو الفضل عبد الرزاق. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابقة ص 271 - 272. المكتبة العربية ومطبعة الفرات سنة 1351 هـ. بغداد
- السخاوي. تحفة الأحباب وبغية الطلاب ص 190.

أي أنهم يزاولون أركان الإسلام كجميع المسلمين.

ويرى الكثير من الباحثين والمؤرّخين، أنه بعد وفاة الشيخ عدي بن مسافر ظهر بين خلفائه في قيادة الفرقة العدوية بعض من غالى، وربما أبعدها عن التعاليم الإسلامية المعروفة، فإنبعث من داخلها طقوس ومعتقدات قديمة كانت متوارية في تلافيق وثنايا العقل الباطني للشعب اليزيدي، بل الأصح من ذلك، إن الشيخ عدي بن مسافر الصوفي الذي أدخل بعض التعاليم والمظاهر الإسلامية، بوفاته وبمرور الزمن عاد اليزيديون إلى معتقدهم القديم في التاريخ، الذي يعود إلى ما قبل المسيحية والإسلام، إلى معتقدات شعوب ما بين النهرين، والمعتقدات الزرادشتية الفارسية.

وأشارت المعلومات، أن الشيخ عدي من شيوخ الإسلام البارزين في زمانه، وليس هناك أدنى شك حول إسلامه. وذكرت بأنه صاحب طريقة، وصلات بشيوخ التصوّف. كذلك وردت الإشارة إلى أتباعه الأكراد، ومكان ضريحه بـ«لالش». غير أن الشيخ عدي بن مسافر لم يكن العابد أو الفقيه الأول الذي نزل بمحيط المنطقة اليزيدية. فهناك «أبو الحسن الهكاري» والهكارية جبال فوق الموصل فيها قرى ودساكر، إبتنى أربطة، وقدم إلى بغداد فنزل في رباط «الزوزني» وسمع الحديث من «أبي القاسم ابن بشران، وأبي بكر الخياط» وغيرهما... وكان صالحاً من أهل السنّة كثير التعبّد. ولقب الزوزني بحد ذاته له علاقة بالنار والنور، الذي كان أصلاً في الزرادشتية ذات الصلة باليزيدية. يقول ياقوت الحموي: «زُوزن، كورة واسعة في نيسابور، كانت تعرف بالبصرة الصغرى، لكثرة ما أخرجت من الفضلاء والأدباء، وأهل العلم». وقال أبو الحسن البهيقي: «زوزن لأن النار التي كانت المجوس تعبدها حملت من أزربيجان إلى سجستان وغيرها»[1].

---

(1) ياقوت الحموي معجم البلدان المجلّد 3 الطبعة الثالثة ص 158. دار صادر للطباعة والنشر بيروت 2007.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين. ص 35 - 36.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 81 - 82.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق ص 88 - 91.
- صدّيق الدملوجي اليزيدية ص 112.
- السخاوي تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع والمباركات ص 190. القاهرة 1937.
- مجلّة المقتطف المصرية المجلّد 48. 1916. اليزيدية وبحث في منشأ معتقدهم.
- ابن الجوزي. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا. ص 486. دار الكتب العلمية. بيروت 1992.
- Fiey. J. M. Le temple Yézidi de cheikh Adi. p. 205 - 209, 1960.

ويوضح الباحث العراقي جورج حبيب تأثير الشيخ عدي بن مسافر في نفوس اليزيديين، وغرسه في أذهانهم شيئاً من شعائر الدين الإسلامي، كمقدمة لتحويلهم من قوميتهم ودينهم القديم، وجذورهم البابلية الآشورية والزرادشتية، فيقول: «إن الشيخ عدي بن مسافر الأموي، قدم من بعلبك في لبنان إلى بغداد، في أواخر القرن الخامس الهجري، وإصطحب كبار رجال التصوّف فيها، أمثال: الشيخ عبد القادر الجيلي، وعقيل المنبجي، وحماد الدباس، ثم ترك بغداد، وراح ينجّد في الصحاري، حتّى أتى الجبال الواقعة شمال شرق الموصل، واستقرّ هناك حتّى وفاته، بعد أن إجتمع حوله أناس تلك المنطقة من الشعب الأشوري، الذي كان يعيش حالة من الاضطهاد، ومن بقايا الديانة البابلية، التي تعتبر طاووس ملك، وأيزيد شخصيتين آلهيتين»[1].

وتتجسّد التعاليم الصوفية للشيخ عدي في أربع كراريس، وبعض الترانيم المكتوبة باللغة العربية. والكرّاس الأطول عنوانه: اعتقاد أهل السنّة في 15 صفحة. وكيف تربّى الروح، في ثلاث صفحات، يتبعها «تذكرة الخليفة، وتذكرة الشيخ قايد، وتذكرة المريدين الآخرين». وجميعها تدعو إلى الإلتزام الشديد بتعاليم الإسلام السوي، وضرورة تجنّب الإبتداع في المذاهب، والدعوة إلى حياة التقشّف والزهد والصلاة. وفي الكرّاس الأخير، الذي وضع له عنوان، يذكّر عدي أتباعه ومريديه بكلمات المسيح: «ايه إيها الحواريون، دعوا بطونكم تجوع، وأكبادكم تظمأ، وإنبذوا ملبسكم، علّكم تبصرون الله في العلا، لأن الصوم هو مفتاح للإزدراء بالمتع الدنيوية، وخلال الصوم تتواضع الروح والجسد، والقلب يتكامل»[2].

كما أننا نجد ترانيم عدي بن مسافر شديدة التوق والحماسة، ومليئة بالحيوية والمدح على طريقة الشعر الصوفي. فيعلن في هذا المقطع الشعري.

«قرّبني الله فدنوت منه،
قدّم لي شراباً بعث في الحياة،
وغدا جليسي المرح،
أصبح رفيقي الذي أحبه في خلوتي،

(1) جورج حبيب: اليزيدية بقايا دين قديم ص 56 وما بعد. بغداد مطبعة المعارف 1978.
(2) جورج حبيب: اليزيدية بقايا دين قديم ص 56 وما بعد. بغداد مطبعة المعارف 1978.

وهبني القوّة فوق كل أواني الشراب،
وما تحويه تلك الأواني،
عندئذ خضع العاشقون لمشيئتي،
وغدوت سلطاناً على جميع عبيد الله،
وجاءني كل ملوك الأرض خانعين،
وإنطلق فرساني يمرحون في كل مكان،
تقرع الطبول على شرفي في كل زاوية من الجنّة،
ورسل مملكتي ينادون في الشرق والغرب».

وبعد موت الشيخ عدي بن مسافر، وتنفيذاً لوصيته، اختار أتباعه ابن أخيه أبا البركات بن صخر خليفة له، الذي كان قد جاء إلى لالش منذ سنوات من بيت فار. وكان محلّ تقدير لأعماله الثقافية وتقواه[1]. وكان الشيخ يثني عليه ويقدّمه في حياته ويقول فيه: «أبو البركات ممّن دُعي من الأزل، وكان من السابقين إلى الحفرة». ويقول السخاوي: وقد نزل الشيخ أبو البركات ابن صخر أبو هذه الذرّية، عند عمه عدي بن مسافر، بالمكان المعروف بلالش.

وظل فيها إلى أن مات مسناً، ودفن عند عمّه، وقبره ظاهر يزار. وتخرّج عليه ولده عدي بن أبي البركات، وكان مثله في المناقب والفضائل[2].

وتحت زعامة أبي البركات، عرفت الطريقة الصوفية التي باتت تُعرف بالعدوية، وجذبت إنتباه طلاب ومريدين جدد، وطرأ ازدياد مطّرد على الحجاج إلى المزار. واشتهر ابنه وخليفته ألتقي الزاهد عدي بن أبي البركات بمحبته للحجاج، وعرف بأبي الأعمال

(1) هناك بعض الدارسين من يقول أن أخاه صخر بن مسافر لم يفد على لالش.
(2) رودولف فرنك. الشيخ عدي. ص 11 - 19.
- المجلّة الأسيوية. باريس. العدد 8. المجلّد 5 ص 87 - 88. سنة 1885.
- أ. ب. ف. ناووجي. تنينكجي. دراسات حول اليزيدية. مجلّة Roc باريس العدد 2 المجلّد العاشر ص 149 - 154. سنة 1915 - 1917.
- جون. س. كيست: تاريخ اليزيديين ص 53.
Hessling Peter. Au Cœur de l'Iraq, en pays yézidis, il y a encore des - adorateurs du diable. Journal d'orient. Istambul 5 sept. 1956.

الخيرية، كما كان يسمّى أيضاً بعدي الكردي، لأنه الأول من أسرة الشيوخ يولد في جبال الهكاري[1].

سلوك الشيخ عدي بن مسافر

يبدو من المشكوك فيه أن يكون الشيخ عدي قد أحاط نفسه بالمريدين قبل مغادرته بغداد، فقد كانت ميوله تدفعه إلى العزلة ولكن يا ترى، أيكون مجرّد حبّه للعزلة قد أملى عليه إختيار مسكن قفر وبعيد بهذا القدر، في جبل الهكارية، في أنقاض دير مسيحي واقع في لالش، وإختياره زاوية له، أم هي، على عكس ذلك، قناعته بأن أكراد المنطقة مخلصون لدعوى الأمويين، ولن يتوانوا عن الإستقبال اللائق لأحد ممثلي السلالة، التي يجعلون أنفسهم أبطالاً لها؟

بيد أنه لا نجد في ما وصل إلينا من أعمال هذا الولي أي شيء يكشف عن طموحات سياسية، فهو على الأرجح لم يكن يسعى إلاّ أن يذكّر بتعاليم القرآن أناساً مرتبطين باعتقادهم المحلّي أكثر من إرتباطهم بالإسلام. إن العقلية التي كان يجاهد بها الشيخ عدي معروفة، وذلك بفضل كتابات تركها، ويبلغ تعدادها أربع رسائل هي: اعتقاد أهل السنّة والجماعة، وكتاب في ذكر آداب النفس، ووصايا الشيخ عدي بن مسافر إلى الخليقة، ووصايا لمريده «قايد» ولسائر المريدين[2].

الرسالة الأولى: تشكّل هذه الرسالة إعلاناً لعقيدة الشيخ عدي، وهي عقيدة تتوافق بدقّة مع متطلّبات التشدّد السني، وفي خاتمتها يدافع الكاتب عن نفسه ضد أي بدعة ويصرّح بأنه إكتفى بإعادة تقديم اعتقاد من سبقه. تبدأ الرسالة بعرض لعقيدة وحدانية الله وللوسائل التي يمكن أن نصل بفضلها إلى معرفة هذه الحقيقة وهما إثنتان:

أ- الأولى هي السمع والثانية هي العقل. ثم يورد الكتاب صفات الله مشدّداً بصورة خاصّة على قدرته الكلّية التي يستخلص منها نتيجة مهمّة، هي أن الله

---

(1) السخاوي. شمس الدين محمد بن عبدالرحمن. الزاوية العدوية، تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والبقاع المباركة جـ1 ص 190 - 191.
- الشنطوفي. بهجة الأسرار ومعدن الأنوار ص 213 - 217.

(2) بهجة الأسرار: ص 142 - 143.
- روجية ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 26 - 27.
- الشعراني. الطبقات الكبرى. ص 149 - 150.

هو الذي خلق الشيطان والشر، ويذكر الشيخ آيات من القرآن[1] وأحاديث تؤكد نظريته، كما يؤكّدها بالمحاكاة التالية:

«ثمة دليل آخر هو أنه لو كان الشر موجوداً بمعزل عن إرادة الله، لكان معنى ذلك أنه غير مقتدر لا يسعه أن يكون الله. والحق أنه لا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يرغب فيه، أو يجهله»[2].

ب - هذا الجزء مخصّص لدراسة الإيمان، ويعرف الشيخ عدي ذلك بقوله: «الإيمان قول وعمل ونية معاً، وهو يقوى بالطاعة ويضعف بالمعصية». ويصرّح بأن على المسلمين أن يتبعوا القرآن والسنة فقط.

وفي الفصل الأخير من هذه الرسالة، يعدّد الحقائق الأخرى التي يجب على مريديه أن يسلّموا بها. ثم يعلن أن الله يولي القدر ذاته من الأهمّية لموقف العباد من أهل البدع وتمسّكهم بالشريعة يوم القيامة.

الرسالة الثانية: تعتبر هذه الرسالة تتمّة منطقية للرسالة السابقة، وهي عبارة عن دراسة للعبادة العملية التي تكمّل عرضه للمعتقد. فيبدأ بتعداد عشر خصائص ينبغي على الإنسان الصالح أن يمتلكها أو يتجنبها، وبإحصاء النعم التي وزّعها الله على الإنسانية، كل ملك من الملائكة، وكل نبي من الأنبياء. حيث يقول: «يا هذا البدلاء ما صاروا بدلاء بالأكل والشرب والنوم والطعن والضرب، وإنما بلغوا ذلك بالمجاهدات والرياضات، لأن من يموت لا يعيش، ومن كان الله تسلفه كان على الله خلفه، ومن تقرّب لله تعالى بتلف نفسه، أخلف الله عليه نفسه». ويصف الجهاد بأنه جهاد مستمر مع النفس، والجذب على سفر متعدّد المحطّات بإتجاه الله، ويقول للصوفيين المقبولين أخيراً في الجلوس إلى المائدة السماوية: «نحن لا نبحث عن الجنة ولا عن الحوريات، وإنما نبحث عن التأمل للتأمل، لقد تحمّلنا الكثير من المتاعب، وإن نفوسنا قد تلفت وتلاشت».

الرسالة الثالثة: يوصي بالتباعد عمّن تظهر منه الكرامات، إذا لم يوفق بين أعماله وسلوكه وبين أوامر الشرع، وينزجر عن نواهيه ولا يسوّغ التساهل مع أحد ولو صدرت عنه بدعة طفيفة. فهذه الرسالة لا تحتوي أي عنصر قابل لأن يكشف شخصيته يوماً ما.

---

(1) سورة الأسراء: الآية 66. سورة الشمس: الآية 91. سورة النساء: الآية 80.

(2) هذه النصوص مترجمة عن الفرنسية. راجع روجية ليسكو اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 28 وإن رسائل الشيخ عدي بن مسافر موجودة في مكتبة الترك في برلين وفي المتحف البريطاني قصيدتان له.

الرسالة الرابعة: هذه الرسالة تحوي إرشادات أخلاقية فقط، يلحّ منها على مريدية أن يتزهّدوا في الدنيا، ويسيطروا على أهوائهم وأن يتركوا كل متاع الدنيا. حيث يقول لمريده قائد: «يا قائد أوصيك بمراعاة الأحكام الشرعية، فلا تتجاوزها، وإلتزم الشرع، وراع التقوى، وجانب من يركض وراء الدنيا». وبعد أن يذكّرهم بالإحترام الواجب تجاه الزاهدين، ينهي كتابه بمدح للصمت.

ومن أقواله في التوكل على الله:

لا يخلو أخذك وتركك أن يكون الله عز وجل، أوله. فإن كان به، فهو يباركك العطاء، وإن كان له فإسترزقه، ومتى كنت مع الله حفظك، ومتى ما كنت مع الأسباب فأطلب رزقك من الأرض، فإنك لن تعطى من السماء، ومتى كنت مع الإيمان فأطلبه من السماء، فإنك لن تعطاه من الأرض. وإن كنت مع التوكّل فإن طلبت بهمّتك فلن يعطيك، وإن أزلت همّتك أعطاك، وإن كنت واقفاً مع الله - عزّ وجل - صارت الأكوان خالية لك من المواطن وأنت في القبضة فانٍ، والكون كله فيك.

ومن إشعاره:

إذا ما أردت جوار الصمد	وملكاً يـدوم وعـزّ الأبد
فـلا تفطرن على شبهة	ولا ترقد الليل مع من رقد[1]

يبدو من خلال كتابات الشيخ عدي، أنه ليس في معتقده أبتكار يذكر، فهو لا يبتعد في شيء عن مبادئ الإسلام. ولا يقدّم أي خاصية تدل أنه مارس تأثيراً ما على مكوّنات العقيدة اليزيدية. ولا شكّ أن الشهرة التي إكتسبها عدي بن مسافر وسطوته على مريديه تعودان إلى زهده ومواهبه أكثر من عقيدته التي تفتقر إلى الإبتكار. والذي هيأ له سيادة معنوية حقيقية على منطقة هكاري هو زهده وصومه وكراماته، وما نسج حوله من أقاويل أسطورية، ونسب إليه من معجزات، ويذكر كتاب «مناقب الشيخ عدي» الذي حلّله فرانك: إن الشيخ يأمر الأفاعي والوحوش الكاسرة ويسيطر عليها، وكان بمقدوره

(1) روجيه ليسكو: اليزيدية وجبل سنجار. ص 29 - 30.
- سعيد الديوه جي. منشأ عقيدة اليزيدية وتطوّرها ص 58.
- عبّاس العزاوي. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ص 36 - 37.
- صديق الدملوجي. الشيخ عدي بن مسافر الأموي. «الجزيرة» ج 13. أيار عام 1947 ص 7 - 9.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية. ص 80.

قراءة أفكار محاوريه، وتفجير الينابيع في الأراضي القاحلة وتخصيبها. وقد وضع يده على صدر خادمه ذات يوم فحفظ القرآن عن ظهر قلب، وكان يرد البصر إلى العميان، ويتحول إلى شخص لا مرئي بمشيئته، ويقصّر المسافات، وقد أحيا ذات مرّة كردياً كان قد سحق لتوّه تحت إحدى الصخور، وكان ينقل الجبال من أماكنها بقوّة الكلام فقط، وغير ذلك...[1].

ويثبت مديح كتّاب السير له أن شهرته لم تكن محلّية فقط، بل إمتدت إلى العراق وسورية. فكان المؤمنون من الأكراد غالباً، يأتون من كل حدب وصوب يستقرّون في لالش لدن الشيخ. وهذه الجماعات هي التي أتاحت للشيخ عدي أن يؤسّس الطريقة التي سمّيت بإسمه، العدوية، والتي تشكّل طبقة الفقراء اليزيدية آخر آثارها.

والعدوية كانوا، كما الفقراء حالياً، يتقيدون بصوم ثمانين يوماً في السنة، علاوة على الصوم الإعتيادي، وبالنوم على التراب، وبالإمتناع عن إراقة الدماء، وبإظهار علامات التزهّد في الدنيا، بإرتداء ملابس خاصّة. وكان سلوكهم الديني يقتصر بوجه الإحتمال على تقشّف من هذا النوع، وعلى قراءة القرآن. وكان الشيخ عدي يحرّم الذكر باعتباره بدعة. وكان يسود تربية المبتدئين نظام صارم جداً، إذ كان عليهم أن يتخلّوا عن رغبة شخصية، وأن يخضعوا تماماً لتوجيهات رئيسهم. ويروي الشيخ حسن، الخليفة الثالث للشيخ عدي بن مسافر الحكاية التالية: «يحكى أن شيخنا قال ذات يوم لأحد مريديه الذي يدعى ترّحم: «يا ترّحم، عندما يأتيك منكر ونكير في القبر ويسألنك عن اسم ربك، بماذا ستجيبهما؟» فقال: أقول لهما الشيخ عدي بن مسافر يقول لكما اسم ربي». ولاحقاً يكتب الشيخ حسن المخلص لعقيدة الشيخ عدي: «لا يكون المريد مريداً بحق إلاّ عندما يُخضع مشيئته لمشيئة شيخه، ويصبح كالميت بين يدي الغاسل. يقلبها كيفما يشاء».

وعلى الشيخ من جانبه أن يظهر نفسه أهلاً للثقة التي يمنحه إياها مريده، لا أن يوجهه بحكمة وحسب، وإنما يجب كذلك أن يدرك كل الهموم التي تساوره، وأن يشعر تقريباً بالتوحّد معه من خلال روابط جسمانية: كل شيخ لا يعرف كم مرّة يتقلّب مريده في

(1) رودولف فرانك: الشيخ عدي. ص 59 - 60 - 61 - 68.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار ص 32.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الفصل الثاني ص 21 - 32.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. الفصل الأول. القسم الرابع ص 28 - 31.
- د. محمد التونجي. اليزيديون. ص 23 - 26.

فراشه، ولا يعرف أن كان مريده في مشرق الأرض أو في مغربها، فهو ليس بشيخ[1].

إن العدوية بعد وفاة مؤسّسها وازدياد عدد أعضائها، اتجهت نحو تعقيد نظامها بقواعد جديدة. وقد سهّلت الإلتزامات المتبادلة التي تربط بين الشيوخ والمريدين ظهور مراتب ملزمة. فكان على كل مبتدئ بعد ذلك أن يحترم عدداً من الرؤساء الذين يرتبط بهم إرتباطاً وثيقاً. والمراتب الدينية التي فقدت كل مبرّر لوجودها ما تزال مستمرّة في النظام اليزيدي الحالي، وهي بقايا رتب موجودة في الطريقة العدوية.

وبعد وفاة الشيخ عدي بن مسافر، انقسمت الجماعة العدوية إلى فريقين متخاصمين: أحدهما، أقلّية، يحوي عناصر من أهل الشريعة الإسلامية والآخر يجمع منشقين غالوا كثيراً في أعمال وصفات الشيخ عدي وخلفائه، وإستمر ذلك الصراع قرابة قرن من الزمن، إنتهى بإنتصار المتطرفين.

---

(1) كتاب المناقب.
- ابن خلكان - وفيّات الأعيان. ص 448 - 449.
- روجيه ليسكو. اليزيدية ص 32.
- ابن كثير. البداية والنهاية. جـ 2. ص 243.
- البغدادي ابن مسافر «عدي بن مسافر الهكاري». هدية العارفين أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين.
- القاذفي. محمد بن يحيى الحنبلي. قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبدالقادر القاهرة سنة 1303 هـ، ص 107 ص 662 إستانبول 662.
- سليمان الصائغ. الشيخ عادي وآثاره. مجلّة المشرق عـ20 - 1922 ص 831 - 835.
- عيسى إسكندر المعلوف. عدي بن مسافر. مجلّة الشرق. عـ57 - 1963 ص 148 - 149.

الفصل العاشر

النصوص والكتب اليزيدية المقدّسة

النص المقدّس في الديانات يعبّر دائماً عين القيمة والقدرة الحقيقية للتواصل بين العابد والمعبود. وفي الديانات السماوية، بين الله والبشر، التي يجسّدها أي دين، فلكل ديانة رؤيتان: رؤية دينية سماوية مطلقة، ورؤية بشرية. والنصوص المقدّسة تعبّر عن تلك الرؤى، كما ان النص المقدّس يعكس الأثر الروحي الذي يتركه الإنسان، والغاية التي يريد تحقيقها في سلوك الإنسان، من خلال الإيحاءات الفكرية والرمزية والتأملية التي يحتويها.. وإن لكل ديانة خصوصيتها في الاعتقاد وفي طريقة العبادة. ويتعيّن أن ندرك التوازن التاريخي بين الزمن المفترض أن يكون وبين النص، سواء كان قديماً أو حديثاً، فالمهم هو الزمن الذي تمّ فيه وضع النصوص، أو التي أنزلت على الإنسان للإلتزام بها كفرض من فروض ذلك الدين. ومن النصوص الدينية عند اليزيديين ضمن المتحولات الزمنية، التي يحكمها النص المقدّس:

1 - الاعتقاد بالوحدانية في الخلق، وأن الله واحد ليس له ولد.

2 - إن الاعتقاد بين الإله الكبير وبين الآلهة الأعوان أو الملائكة من جهة، وبين الإنسان مباشرة دون وسيط.

3 - لا علاقة تناقضية في قضايا الطبيعة والمنطق والحياة. فهذه العلاقة يحكمها مبدأ الثواب والعقاب، الذي يجسّده الحلول والتناسخ.

4 - هذه النصوص لا تبيح للأغيار أن يصبحوا يزديين.

5 - المجتمع اليزيدي يتشكّل من طبقات تلزمها ضوابط لا يمكن مخالفتها، وعليها موجبات والتزامات يجب أن تؤديها.

وإن للديانة اليزيدية نصوص وكتب مقدسّة، والمعروف منها كتابان: كتاب «الجلوة» و«مصحف رش» أو «المصحف الأسود». وقد تعددت القصص حول هذين الكتابين. ويثبت أكثر الباحثين، أنّه كانت في «لالش» بمرقد الشيخ عدي بن مسافر مكتبة تضم

مخطوطات ونصوص وكتب قديمة، وقد تعرّضت للتلف والتمزيق والحرق والضياع. نتيجة الظروف القاسية التي مرّت على اليزيديين، من جرّاء الحملات العسكرية الموجهة ضدّهم، وحملات الإبادة والغزو والإستباحة والقتل والتدمير التي تعرّضوا لها، وتعرّضت معها مقدساتهم أيضاً، ممّا أدّى إلى فقدانها. وقد تكون هذه النصوص، وهذه الكتب التي وصلتنا جزءاً من المجموعة للكتب اليزيدية المقدّسة، كما أنّه من الممكن أيضاً، أن تكون هذه الكتب قد تعرّضت للإضافات والتحريف عن الكتب الأصلية، التي اختفت، ما دام لم يحصل عليها الإجماع الديني من المراجع ورجال الدين اليزيديين أنفسهم، ومن المهتمين بالشأن اليزيدي.

على أن النصوص المذكورة في «مصحف رش» و«الجلوة» لا تعدو في رأي بعض الباحثين اليزيديين إلا جزءاً من حقيقة تلك النصوص، حيث أن مسألة النصوص الدينية لا تتعلق بكتابي الجلوة ومصحف رش فقط، وهما بالتأكيد جزءٌ من الأدب الديني اليزيدي، ولكنهما أيضاً لا يمثلان جميع النصون المقدّسة لدى اليزديين.

ويقول الباحث في الشؤون اليزيدية خليل جندي:

«هناك العشرات من تلك النصوص الدينية، والتي كانت محفوظة في صدور رجال الدين، ومن ضمنهم القوالين، تم جمعها ونشر العشرات منها، وكان كتابي المشترك مع «بير خدر سليمان» سنة 1979، والذي صدر في بغداد، فاتحة نشر جزء من تلك النصوص، وتلتها نشر كتب أخرى تتضمّن العديد من النصوص»[1].

الكتابان المقدّسان لليزيدية هما:

1 - كتاب الجلوة: المنسوب إلى الشيخ عدي بن مسافر الهكاري.

---

(1) زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القسم الثاني. النص المقدّس ص123 وما بعدها...
- خليل جندي نحو معرفة حقيقة الديانة اليزيدية. دورية روز. العدد الأول. ص18 - 22 سنة 1996.
- سعيد الديوه جي. اليزيدية. مؤسّسة دار الكتب بجامعة الموصل 1973.
- حسو أومريكو. مجلّة روز العدد 7 - 8 ص 20 سنة 2000.
- د. بيير ممو عثمان. الديانة اليزيدية بين عبادة الشمس والتصوّف. فصلية لالش العدد 21 سنة 2004.
- عباس العزاوي. تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ص 181 بغداد 1935.
- بير خدر سليمان. الملائكة في الديانة اليزيدية. ترجمة عرب خدر شنكاري. لالش.

2- مصحف رش، أو الكتاب الأسود، المنسوب إلى أحد أحفاد ابن أخي الشيخ عدي بن مسافر، وهو الشيخ حسن بن عدي. وهناك من يزعم من اليزيديين أنه من صنع الشيخ حسن البصري وأنّه كُتب بعد وفاة الشيخ عدي بنحو مئتي سنة.

ولكن الروح التي تشيع من هذين الكتابين، تدلّ على أنّهما كُتبا في عهود متأخّرة، ولعلّ ذلك حصل في أواخر العهد المملوكي، أو في العصر العثماني، بدليل أن الروح القدسية والفكرية فيهما تميل إلى السطحية أكثر منها إلى العمق، إضافةً إلى التباين في أسلوب هذين الكتابين، والأفكار التي يحتويان عليها، والتي تتضمّن الكثير من الخلط والإبهام والميل إلى التلفيق في بعض المقاطع.

ولا يُعرف على وجه التحديد مصدر هذين الكتابين، ولا التاريخ الذي وُضعا فيه. فبعض الباحثين يعزو وجودهما إلى أشخاص لم يكونوا من معتنقي هذه الديانة، كتبوهما لهم منذ زمن يمتد إلى قرنين أو أكثر بقليل، وأن المستشرقين أثاروا ضجة حول هذين الكتابين، هي «إعلامية أكثر منها واقعية».

يقول اليزيديون: «كان لنا بعض الكتب، ولا نعرف عنها شيئاً، والذي سمعناه من آبائنا وأجدادنا يذكرون اسم «الجلوة» و«رش»، إنهما من وضع الشيخ حسن بمعرفة الشيخ عدي، وقد ضاعت ولم يبق منها شيء».

وإن هذين الكتابين وُضعا باللهجة العامية العراقية، وإن بعض الباحثين يزعمون أنّهم دُسّا على اليزيدية لإلحاق الأذى بهم وتضليلهم. وهذا ما دفع المستشرق «بادغر» إلى إنكار وجود كتابين مقدّسين أصلاً. وقد أرادوا بذلك ردّ كيد المسلمين والتخلّص من بغضهم لهم، لأن المسلمين يعدّون من ليس من أهل الكتاب كفرة، ويستحقون كل نوع من أنواع الاضطهاد والإهانة.

فليس بين اليزيديين من يفهم المقالات العربية المدوّنة، بل إن زعيمهم الديني يكاد لا يفقه حرفاً هجائياً، ورئيس كتّابه يقرأ ويكتب باللغة العامية فقط.

ويقول الباحث اليزيدي درويش حسّو: «إن اليزيديين كانوا يسألون مشايخهم عن الكتب اليزيدية، فلا يحصلون على إجابة على هذه الاسئلة. وكان الزعماء اليزيديون من أمراء وشيوخ يتهربون من الرد الصريح والمباشر، مكتفين بالعبارة المعتادة والروتينية القائلة «إن كتب اليزيدية قد سُرقت» دون أن يحاول أحد منهم أن يسأل، متى؟ وأين؟ ومن سرق تلك الكتب». وبقيت هذه المسألة دون حل إلى الآن، يُضاف إلى ذلك أن

الكتابة والقراءة كانتا محرمتين على أفراد الطائفة اليزيدية[1].

ويزعم الأب الأنستاس الكرملي، أن كتب اليزيدية، عبارة عن آيات قرآنية محرّفة، وأسقط منها كلمتا الشيطان واللعنة ونحو ذلك، مع إنّه درس الديانة اليزيدية بعمق، ومردّ ذلك إنّه لم يتمكن من العثور على الكتابين المذكورين «مصحف رش»[2] و«كتاب الجلوة» كما أنّه يكون قد تأثّر ببعض المستشرقين. لكنّه أدرك الروح المسيحية واليهودية، ذات الطريقة السريانية نفسها، بما في ذلك تركيب الجملة، وأداء المعنى. مع العلم أن المشرّعين اليزيدين، من أسرة الشيخ حسن، يحتفظون بنسخة من القرآن، ويعتبرونها كتابهم المقدّس، يرجعون إليها بين الفينة والفينة، بالإضافة إلى الكتابين المذكورين، إلا أنهما أسقطوا منها الكلمات التي تسيء إلى مشاعرهم، وغطّوها بالشمع، ويعتقدون أن المسلمين أضافوا على القرآن[3].

ويرى بعض الباحثين، ومنهم «نوري بك مصطفى» والي الموصل في العهد العثماني،

---

(1) عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 46.
- أحمد تيمور باشا: اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص 25. القاهرة سنة 1352 هـ.
- د. خلف الجراد اليزيدية واليزيديون ص 37.
- درويش حسّو: الإزداهيون اليزيديون ص 9.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 195 - 196.
- خلف الجدعان: اليزيديون سنة 1966.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 270.
- مجلّة المشرق البيروتية. المجلّد الثاني ص 155 بيروت 1899.
- مجلّة المقتطف المصرية: المجلّد 49 ص 323 سنة 1916.
- جون. س. كيست: تاريخ اليزيديين. الفصل الثاني. الدين الإيزيدي ص 77 - 78.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق. الفصل الثاني. اليزيدية ص 98 وما بعد...
Harry Miriam. Yézidis. Les adorateurs de Satan. p. 133 - 138 Paris. - Flammarion. 1937.

(2) الكتاب الأسود Hessling Peter. Au Cœur de l'Iraq en pays yézidis, il y a encore des adorateurs du diable. Journal d'orient. Istambul. 5 sept. 1956.

(3) الأب أنستاس الكرملي. مجلّة المشرق البيروتية المجلّد الثاني ص 155 سنة 1899.
- مجلّة المقتطف المصرية: المجلّد 49 ص 323 سنة 1916.
- عبد الرزاق الحسني: اليزيديون ص 47.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 196.
- الأب أنستاس الكرملي. مجلّة Anthropos المجلّد السادس ص 1 - 39.

في كتابه «عبدة إبليس» وعبد الرزاق حسني وغيرهم.... إن واضع كتاب «الجلوة» راهب نسطوري، كان قد فرّ من دير «القوش» وأسلم ظاهراً ثم ارتد ولحق باليزيديين وصار مقدّماً بين رجالهم.

والظاهر أن القرى اليزيدية يسكنها أيضاً المسيحيون والمسلمون، كما يسكنون أيضاً على مقربة منها. ومن العسير أن يكتم اليزيديون أمر كتبهم مدّة تزيد عن 1400 سنة، ولا يعلم جيرانهم بها. وتشير الأدلة أن واضع هذه الكتب هو الشماس «إرميا» نفسه. وذلك إن عبارات الكتاب العربي تدلّ على أن كاتبها اعتاد الكتابة بالسريانية للأقوال والجمل التالية:

1 - «لكي يفهم ويعلم لشعبه» فإن اللام في «لشعبه» لازمة هنا في السريانية، وممنوعة في العربية، ولكنها ترد في السريانية كذلك.

2 - «فحبلت وولدت لإلهنا» فتعدية ولدت باللام، إصطلاح سرياني.

3 - اللام في قوله: «ستجذب أمة واحدة ورائك وتقلب لأمتي». تدلّ على أن المؤلّف مسيحي، ألّف التعابير الدينية المسيحية، كقوله «رئيس هذا العالم» وكقوله «العلمانيين».

ويعتبر عبد الرزاق الحسني وبعض الباحثين والمؤرّخين، أن غرض الكاتب من كتابه، كان أن يعرف الأجانب ما هي اليزيدية، لا أن يعلّم اليزيديين كيف يمارسون شعائرهم الدينية.

ثم إن الشماس إرميا ألحق بالكتب التي نسبها إلى اليزيدية أشياء من عقائد عبدة إبليس وعاداتهم، وجرى في كتابتها مجرى السريان، فألحق الفعل بضمير الجمع مع ذكر فاعله بعده، كما يفعل السريان، كقوله في كتاب الجلوة: «الذين يسمّونها الخارجين شرور» وقوله: «لأنكم لستم تدرون ما يفعلونه الأجانب». وعرّف الصفة بالـ التعريف مع تنكير الموصوف كقوله «وأحرّك أمور اللازمة» وقوله: «دعى اسمه إبريق الأصفر» وهذا يعني أن الشماس إرميا عاشر اليزيديين زمناً طويلاً[1].

لكن مؤلّفي كتاب «ئيزيدياتي» سليمان وجندي، وهما يزيديان: يبيّنان في القسم الرابع

(1) عبد الرزاق الحسني: اليزيديون ص 51.
- مجلّة المقتطف المصرية: جـ 49 ص 222 - 323 سنة 1916.

من كتابهما وهو بعنوان «كتب اليزيديين» رأيهما في الكتابين، بعد أن استعرضا آراء من سبقهما في هذا المضمار.

يقول اليزيديون: «كان لنا بعض الكتب، ولا نعرف عنها شيئاً، والذي سمعناه من آبائنا وأجدادنا يذكرون اسم «الجلوة» و «الكتاب الأسود» ويقولون إنهما من وضع الشيخ حسن بمعرفة الشيخ عدي، وقد ضاعت ولم يبق منها شيء». ويتساءل المؤلّفان، بأي لغة كُتبت هذه النصوص؟ فالجلوة كُتب باللهجة العامية العراقية. وإذا كُتب الكتابان باللغة العربية، فلماذا جاءت لغتهما مشوّهة، وإذا كُتبا باللغة الكردية فلماذا ليست باللهجة «الكردمانجية» العليا، التي يتكلّم بها اليزيديون؟ ولماذا هي بلغة كردية مشوّهة. وهما يريان أن لليزيديين كتابين بهذا الاسم، ولكن قد يكون وضعهما أناس آخرون، بعد ضياع الأصول، وفي مرحلة زمنية متأخّرة.

ولليزيديين كتاب آخر عنوانه «مزدهاروز»، وأول من ذكره «أنور المائي» في كتابه «الأكراد في بهدينان» وأكّده «كريم زنده»، وذكر أن واضعه الشيخ «حسن داسني» ويدّعي أنه ابن أخي الشيخ عدي، كتبه باللغة الكردية، ولهجة «الهكاريين»، بمعرفة الشيخ عدي نفسه.

ويبدو أن هذا الكتاب مخطوط محفوظ لدى السيد «حافظ». ويزعمون أنّه لو نُشر لكشف خبايا قد لا يعرفها أحد حتّى الآن.

ويزعم أكثر الباحثين في الشؤون اليزيدية، أن كتابي «الجلوة» و«الكتاب الأسود» كُتبا باللغة الكردية، وهو الشائع حتّى الآن بين اليزيديين أنفسهم. إلا أنّها كتابة سرّية، ندر أن يعرفها العامة وهي ليست متداولة إلا بين القلّة الخاصة من اليزيديين ويتبيّن أنّها مقتبسة عن الأرامية مع بعض التحريف.

ومن الغريب أن المراجع العربية والفارسية والكردية واليزيدية لم تنوّه بهذه الكتابة السرية. وقد استطاع أحد المستشرقين الألمان، أن يكتشف أن الكتابين «الجلوة» و«رش» مكتوبان بهذه الكتابة السرّية، فاستطاع أن يحل رموزها، ويستخرج منها ألف بائها، ويضع ما يقابل لكل حرفٍ منها، بما يساعد على نطقه، مع ما يقابله بالفارسية والعربية.

والإستنتاج الذي توصّل إليه المؤرّخ والباحث عبد الرزّاق الحسني من أن الكتابين المذكورين لم يوضعا أصلاً بالعربية، وقد يكون الشمّاس إرميا ترجمهما إلى العربية بأسلوبه السرياني، إذا أخذنا التفسير الإيجابي للمسألة، قد يكون أقرب إلى الواقع. والأرجح أن الأصل كان بالفارسية وفق رأي «درويش حسّو» أو بالكردية، ثم جرت عملية النقل

والترجمة إلى العربية واللغات الأخرى لاحقاً[1].

وكان السائد في الأوساط اليزيدية، أن كتابهم المقدّس محفوظ في متحف «الكوبر» في برلين، لكن كثيراً من المؤرّخين والباحثين لم يعثروا عليه في أوروبا كلها. واعتبر البعض منهم أن هذا الكتاب خرافة وليس حقيقة، وأن كتاب اليزيدية الحقيقي هو «الأفستا» الزرادشتية، وإن كان الباحث درويش حسّو يعترف بعثوره على بعض صفحات عن اليزيدية كتبها أناس بينهم، ولكنهم ليسوا يزيديين حسب اعتقاده، لأن اليزيديين يؤمنون بكتمان أسرارهم، وعدم البوح بالحقائق الموجودة في ديانتهم، والتي لا يفشونها لغير اليزيديين.

وفيما يخص المصحف الأسود، يصرّح الباحث المذكور: «إن هذا الكتاب موجود بالاسم فقط عند اليزيدية، وهو كتاب مقدّس عند اليزيديين، لكنّه فُقد منذ مئات السنين، أي منذ كتابته في عهد «شيخادي». لأن هذا المصحف الأسود لم يتم نسخه، إذ كان يتألّف من نسخة واحدة في خزانة «شيخادي» وسرقت منها، ولهذا لا يعلم أحد شيئاً عن هذا الكتاب. أما الصفحات المنشورة منه فهي محرّفة في أغلبها وغير صحيحة، وإن كانت فيها معلومات مطابقة للمبادئ اليزيدية الظاهرة في يومنا هذا»[2].

---

(1) عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 51 - 52.
- أحمد تيمور باشا: اليزيدية ومنشأ نحلتهم الطبعة الثانية ص 25.
- جون. س. كيست: تاريخ اليزيديين. ص 445.
- أوزوالد باري. ستة أشهر في ديرسوري ص 374 - 387.
- أوستن لايرد. إكتشافات في خرائب نينوى وبابل. ص 89 - 92.
- راجع كوسيبي فورلاني: دين اليزيدية.
- أنيس فريحة. نصوص إيزيدية من بلد سنجار. Jaos العدد 66 ص 18 - 43 سنة 1986.
- ر. يب. عبيد. ج. ل. يونك. تاريخ وطقوس إيزيدية. الموصل. Le Museon. العدد 85 ص 481 - 522 سنة 1972.
- د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 43 - 44.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 197 - 199.
- د. حسن شميساني. مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتّى الفتح العثماني الطبعة الأولى ص 376 دار الآفاق الجديدة. بيروت 1983.
- درويش حسّو: الإزداهيون اليزيديون ص 9 وما بعد....

(2) درويش حسّو: الإزداهيون اليزيديون ص 9 - 11.
- عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 46 - 47.
- د. حسن شميساني. مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتّى الفتح العثماني ص 276 وما بعدها...
- د. محمد علي الزعبي. وصايا الشيطان ص 40. مؤسّسة الزعبي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
- د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 39 - 40.

ولكن رغم كل ما قيل في هذين الكتابين، فإنهما يعكسان فعلاً تصورات وتعاليم وشعائر وأغلب طقوس هذه الطائفة. وهنا يقول الدكتور خلف الجراد: «نحن نؤكد ذلك من واقع المعايشة اليومية، والإختلاط بالإخوة اليزيديين في مدينة الحسكة[1] والقرى القريبة منها، حيث أن تلك المحرمات والشعائر المُشار إليها في الكتابين المذكورين، تمارس وتحترم، وإن كان بصورة مرنة حالياً، نتيجة للتغيرات الحاصلة في حياة اليزيديين الإجتماعية والإقتصادية والعمرانية والتعليمية».

ومن أشهر الذين نشروا وترجموا الكتب اليزيدية المقدّسة:

1 - E. G. Brownel نقلهما إلى اللغة الإنكليزية وطبعهما سنة 1895.

2 - عيسى يوسف: نشر هذين الكتابين باللغة العربية، مع ترجمة إنكليزية في المجلّة الأميركية للغات والآداب السامية. المجلّد XXV ص119 - 133.

3 - الأب أنستاس الكرملي: نشر نصاً للكتابين باللغة الكردية مع ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، في مجلّة أنتروبوس «Anthropos» النمساوية في المجلّد السادس الصادر 1911.

4 - المستشرق النمساوي «م. بيتنر M. Bittner» نشر النصين الكردي والعربي لكتابي الجلوة ومصحف رش في مجلّة مذكرات العلوم في ڤيينا. «كاوو Kaww» ص 55 من المجلّد الرابع الصادر سنة 1913 وفي الصفحة 12 من المجلّد الخامس للسنة نفسها.

5 - «ف. نو F. Nau» كتب مقالة عن اليزيدية باللغة الفرنسية في مجلّة الشرق المسيحي «روس Ros» الجزء 20 ص 156 - 163، سنة 1913 ثم في كتابه:

Recueil de textes et de documents sur les yézidis

6 - الشيخ علي الشرقي النجفي. نشر مقتطفات من «كتاب الجلوة» في مجلّة العرفان ص 822 - 824 من المجلّد الحادي عشر. صيدا. 1926.

7 - عبدالرزاق الحسني: نشر نصاً لكتاب الجلوة، في مجلّة العصور، في القاهرة ص 717 - 719 من المجلّد الرابع 1929، ثم في رسالته: «عبدة الشيطان في العراق». مطبعة العرفان صيدا 1931.

8 - المستشرق الإيطالي «جوسيبي فولاني Foulani»، من جامعة فلورنسا. ترجم كتابي «الجلوة» و«المصحف الأسود» إلى اللغة الإيطالية تحت عنوان «نصوص من الديانة اليزيدية» 1930.

9 - كمران بدرخان: ترجم مقتطفات من كتاب «مصحف رش» إلى اللغة الفرنسية، ونشرها في مجلّة «هاوار» العدد 14 - 16. دمشق 1932 - 1933.

---

(1) الحسكة مركز محافظة الجزيرة الفراتية. شمال شرقي سوريا. متاخمة للحدود العراقية والتركية على السواء.
- د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 44.

10 - الدكتور قسطنطين زريق. نشر كتاب «اليزيدية قديماً وحديثاً»، لمؤلّفه إسماعيل جول. باللغة العربية، في مطبعة الجامعة الأميركية في بيروت سنة 1934.

11 - عبّاس العزاوي: نشر كتابي «الجلوة» و«مصحف رش» باللغة العربية في كتابه: «تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم» ص 183 - 192.

12 - أنيس فريحة: نشر ترجمة هذين الكتابين باللغة الإنكليزية، في مجلّة «الجمعية الشرقية الأميركية Jaos» الجزء 66 ص 23 - 36 سنة 1946.

13 - صدّيق الدملوجي: نشر نصّاً كاملاً لكتاب «الجلوة» في كتابه «اليزيدية» مع مقتطفات من الكتاب الأسود. مطبعة الإتحاد الموصل 1946.

كما نشر عدد كبير من الباحثين غيرهم نص هذين الكتابين أو أحدهما أو بعض المقتطفات منهما. وقد ترجم هذين الكتابين إلى لغات عدّة.

يقول الباحث في الشؤون اليزيدية الدكتور خلف الجراد:[1]

«... الإنفتاح الإجتماعي والإختلاط مع مختلف الديانات والطوائف والقوميات والأعراق والمذاهب في الظروف المعاصرة، وإرسال الأبناء إلى المدارس الرسمية والجامعات، خلافاً للتحريمات المتوارثة إلى النصف الثاني من هذا القرن (القرن العشرون) لدى اليزيديين، والتحاقهم بالخدمة العسكرية، نزعت تدريجياً من الأجيال الحديثة بعض التصوّرات والأفكار والاعتقادات التي كانت مهيمنة في أوساطهم إلى فترة قريبة. كما كشفت للمستنيرين من الفئات والطوائف والفرق والمذاهب الأخرى الاراء والتفسيرات والتصوّرات المغلوطة والمشوهة والزائفة والمسيئة لليزيديين، ولغيرهم من الفرق والطوائف التي لوحقت واضطهدت على مدى قرون طويلة»[2].

إن واضعي كتابي «الجلوة» و«مصحف رش»، قد جمعوا تصورات وتعاليم تلك العقيدة، وربما نقلوها من أفواه شيوخهم وأمرائهم العارفين ببعض أسرار الديانة اليزيدية. وإن الديانة اليزيدية قديمة وتعتمد في معظمها على البساطة والتصوّرات الشعبية، التي كانت مهيمنة وسائدة قبل ظهور الديانات التوحيدية، وبالتالي، فهي لا تقارن بأساليب الكتب الدينية والفلسفية والعقائد الكبرى مثل «الأفستا» الفارسية، و«العهد القديم» اليهودي، و«الإنجيل» المسيحي و«القرآن» الإسلامي.

---

(1) د. خلف محمد الجراد يعيش في منطقة (الحسكة) التي يقطن فيها عدد كبير من اليزيديين.

(2) د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 45.

أما بالمقارنة بين كتاب «الجلوة» و«مصحف رش»، فنرى ان كتاب الجلوة هو كتاب سماوي روحاني، كُتب بأسلوب الوحي المنزل. فهو يتضمّن خطاب الله لعباده اليزيديين. فيتكلّم عن قدم الله، وعن صفاته. إضافةً إلى ما جاء عن الله من وعد ووعيد لعباده، ويبحث عن تناسخ الارواح، ويبيّن أن الكتب المقدّسة الموجودة عند الأديان الأخرى، قد بدّلوا فيها، وزاغوا عنها، فما وافق سنن اليزيدية هو المقبول، وما غيرها فمن تبديلهم. كما أن هذا الكتاب يبحث عن جميع الحيوانات: من حيوان البر إلى طيور السماء، وأسماك البحار. ويحثّ اليزيدية على إكرام شخصه، وتقديس صورته، والمحافظة على سننه وشرائعه.

بينما مصحف رش (الكتاب الاسود)، تختلف أبحاثه ومضامينه عن كتاب الجلوة. فهو كتاب تاريخي، وهو أقرب إلى القصة والتاريخ منه إلى كتاب ديني منزل. فيبحث في أسلوب قصصي عن خلق السماوات والأرض، وما فيهما، ثم عن الملائكة والعرش وآدم وحواء. كذلك يتكلّم عن كيفية إرسال الشيخ عدي بن مسافر الهكاري من أرض الشام إلى لالش في شمال الموصل بالعراق. وعن نزول طاووس ملك إلى الأرض، وإقامته ملوك اليزيدية، ومقاومته الملل المعادية لهم. كما يبحث أيضاً عن مراتب الآلهة. فهو يرى أن رئيس آلهة اليزيدية الذين نزلوا إلى الأرض، وشرّعوا الشرائع في ضمن السبعة آلاف سنة، هو طاووس ملك، وان الجميع يخضعون لإله أعظم واحد قهار، فاعل مختار. فتبدأ مراتب الآلهة بالإله الاعظم المسيطر على االآلهة، ويليه رئيس الآلهة، وهو طاووس.

وفي هذا الكتاب، الشرائع والاحكام المحللة والمحرمة، ومباحث في الصلاة والصوم والحج والزكاة والزيارات والزواج والجنّاز ونحوها... لا سيّما عن عيد رأس السنة الذين يسمّونه «سري حال»، وعن الطواف بالسناجق لجمع الصدقات والنذور[1].

إنما النصوص اليزيدية المقدّسة والمرئية منها، ليست فيها تشريعات كبقية النصوص في الديانات الأخرى، مثل كيفية الزواج، والإرث، والطلاق، والموقف من الأديان الأخرى. بل هناك قانون أخلاقي شفهي متعارف بين اليزيدية يتعاملون على أساسه، بالإضافة إلى وجود محرّمات وضوابط لا يمكن خرقها أو تجاوزها، ولم يزل اليزيديون حريصين عليها.

فالديانة اليزيدية المنغلقة على أبنائها، تحمّلت الكثير من صنوف الاضطهاد والمجازر والحروب من جهات متعدّدة، بقصد القضاء عليها، وقلعها كلياً من النفوس والنصوص، بقيت تملك جميع وسائل القوة، وبقيت متجددة كل هذا الزمن، وبقي المجتمع اليزيدي متمسكاً بقيم ديانته وبالنصوص التي يتلوها عليهم رجال الدين.

---

(1) عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 52 وما بعد...

فهذا اليزيدي، الإنسان الأمي والمضطهد والملاحق، ساكن الكهوف والمغاور، منزوياً في محيطه الضيق، يوقن دون إدراك ومعرفة أن الروح أزلية ولا يمكن أن تنتهي. كما لا يمكن أن تتوقف الحياة في حال إفتراقها عن الجسد. إذ يجنح ليس فقط إلى التمسّك بالنص والعرف الذي يؤمن أن الحياة بيد الله، فهو الذي يأمر بنهايتها، مثلما يستطيع أن يأمر بتوقف حياة أي إنسان لشتّى الأسباب والعلل. ويدرك أيضاً أن روح ذلك الإنسان تحل في حياة اخرى، وجسد كائن آخر. وأن الله موجود، وليس فقط في السماء، وإنما في كل مكان. وإن نصاً يزيدياً يقول: «أنا الذي ألفت بين الروح والجسد، وإن فرّق بينهما الموت، بيدي هذه الحياة، فأنا حاضر في كل مكان».

وإن نصّاً آخر يقول: «إنّي أنا الله العظيم، إله واحد في السماء والأرض، لا أحتاج إلى أحد، وكلكم تحتاجون إليّ».

والمتابع يجد أن اليزيدية التي تمسّكت بنصوصها الشفهية، التي تمّ الامر بحفظها للقوالين، ورجال الدين، بقيت تتمسّك بهذه النصوص بقوة، بالرغم من انغلاقها على العالم. وبالرغم من الحملات العسكرية والمذابح والمجازر التي تخلّلت حياتها، وبالرغم من إتلاف تلك النصوص، وخلوّها من أية قيمة لا تتناسب مع تطوّر المجتمع اليزيدي، والدعوة لمحبة بقية الديانات الإنسانية، رغم ما لقيه المجتمع اليزيدي من جفاء وأخطاء مورست من قبل رجال دين تلك الديانات، مع كل الفتاوى التي استباحت حياتهم وكراماتهم وأموالهم ونسائهم، وبساطتها ووضوح تعاليمها ونصوصها، رغم عدم وجود مفسّرين وشرّاح وفقهاء كما في الديانات الأخرى[1].

---

(1) زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القسم الثاني. النص المقدّس ص 123 وما بعدها...
- عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 50 - 53.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار. ترجمة أحمد حسن. الفصل الثاني ص 51 وما بعد.. دار المدى. الطبعة الأولى. بيروت سنة 2007.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 222 - 226.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق. الفصل الثاني. اليزيدية ص 73 وما بعد...
- Yézidis. Dictionnaire des religions. Vol. IV, p. 1125.
- Jovelet Louis. Yézidis. L'envolution social et politique des pays arabes. Rel VII, p. 520, 1930.
- لورانت شبري، أني شبري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى. أقصى الهامشية الإسلامية. اليزيديون وعبدة الشيطان ص 128 وما بعدها...

الفصل الحادي عشر

«كتاب الجلوة»

النص الحرفي

المقدمة

1 - الموجود قبل كل الخلائق هو ملك طاووس.

2 - وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم، لكي يميّز ويفهّم لشعبه الخاص، وينجيه من الضلال والوهم.

3 - وأول ذلك كان بتسليم الكلام شفهياً، ثم بواسطة هذا الكتاب المسمّى جلوة وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الملّة.

الفصل الأول

1 - أنا كنت وموجود الآن، وأبقى إلى النهاية، بتسلّطي على الخلائق، وتدبيري مصالح وأمور لكل الذين تحت حوزتي.

2 - حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي ويدعوني عند الحاجة.

3 - ما يخلو عني مكان من الأمكنة. مشترك أنا بجميع وقايع التي يسمّونها الخارجين شرور، لأنها ليست مصنوعة حسب مرامهم.

4 - كل زمن له مدبر، وذلك بشوري. كل جيل يتغير رئيس هذا العالم، حتّى الرؤساء يكون كل واحد بدوره ونوبته يكمل وظيفته.

5 - أعطي رخصة الحق للطبيعة المخلوقة بأخلاقها.

6 - يندم ويحزن الذي يقاومني.

7 - الالهة الأخرى لهم مداخلة بشغلي ومنعي عن مهما قصدته مهما كان.

8 - ليست الكتب الموجودة بيد الخارجين هي حقيقة، ولا كتبها المرسلين لنا كل زاغو وبدّلوا. كل واحد يبطل الآخر وينسخه.

9 - الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالإختبار والتجربة.

10 - وعيدي للذين يتكلّمون على ميثاقي وأخالفه حسب رأي المدبرين الحذّاق الذين وكلتهم لأوقات معلومة مني، أذكر أموراً، وأحرم الأشغال اللازمة بحينها.

11 - أرشد وأعلّم الذين يتّبعون تعليمي، ويجدون لذة وفرح (فرحاً) بموافقتهم معي.

الفصل الثاني

1 - أكافي (فيء) وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها.

2 - بيدي التسلّط على كل ما في الأرض وفوقها وتحتها.

3 - ما أقبل مصادمة العوالم.

4 - وما أصنع خيرهم مخصوصاً للذين هم خاصتي وبطوعي.

5 - أسلّم شغلي بيد الذين جربتهم وهم حسب مرامي.

6 - أتراءى بنوع من الأنواع، وشكل من الأشكال للذين هم أمينين (أمناء أمينون) وتحت شوري.

7 - آخذ وأعطي، أغني وأفقر، أسعد وأشقي، حسب الظروف والأوقات.

8 - وليس من يحق له بأن يتداخل أو يمنع بشيء من تصرّفي.

9 - أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يضادوني.

10 - ما يموت الذي هو حسبي كسائر بني آدم.

11 - وما أسمح لأحد بأن يسكن بهذا العالم الأدني أكثر من الزمن الذي هو محدود مني.

12 - وإذا شئت أرسلته تكراراً ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم أو غيره بتناسخ الأرواح.

الفصل الثالث

1 - أرشد بلا كتاب. أهدي غيباً أحبائي وخواصي، تعليمي هو بلا كلوفة.

2 - موافقة الحال والزمان أقاصص الذين يخالفون شرائعي بالعوالم الأخر.

3 - بنو هذا آدم لا يعرفون أحوال المزمعة. ولذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط.

4 - حيوانات، البر، وطيور السماء، وسمك البحر. جميعاً بيدي وتحت ضبطي.

5 - الخزائن والدفائن المدفونة تحت قلب الأرض معلومة، وأخلّفها من واحد للآخر.

6 - أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلوها (يقبلونها)، ويطلبون مني بحينها.

7 - مضادة ومخالفة الأجنبيين لي ولأتباعي هي ضرر عليها (عليهم) لأنّهم لا يدرون العظمة والثروة هم بيدي. واختار من يليق لها من نسل آدم.

8 - تدابير العوالم، وانقلاب الأجيال، وتغيير كل مدبّريهم منظومة مني منذ القديم.

الفصل الرابع

1 - حقوقي ما أعطيها لغيري من الآلهة.

2 - أربعة عناصر، وأربعة أزمنة، وأربعة أركان سمحت بها لأجل ضروريات المخلوقين.

3 - كتاب (كتب) الأجنبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سنني، وما يخالفها هم غيّروه.

4 - ثلاثة أشياء هي ضدي، وثلاثة أسماء أبغضها.

5 - الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.

6 - جميع الذين يحتملون المصائب بسببي لا بدّ أن أكافئهم بأحد العوالم.

7 - أريد أن يتّحدوا (يتحد) أبنائي برباط واحد، وكذلك تابعي لأجل مضاددة الأجنبيين لهم.

8 - يا أيها الذين تبعتم وصاياي، أنكروا أقوال وكل تعاليم التي ليست من عندي، ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبون (تذنبوا)، لأنكم لستم تدرون ما يفعلون (يفعل) الأجانب.

الفصل الخامس

1 - كرّموا شخصي وصورتي، لأنهم يذكروكم (يذكرونكم) بي، الأمر الذي أهملتوه من سنين.

2 - وشرائعي أطيعوا، وأصغوا لخدامي، بما يلقنوكم من علم الغيب الذي هو من عندي[1].

النص الحرفي لمصحف رش

«المصحف الأسود»

1 - في البداءة (البداية) خلق الله الدرة البيضاء، من سرّه العزيز، وخلق طائراً اسمه «أنغر»، وجعل الدرّة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين سنة.

2 - أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد، وخلق ملكاً اسمه «عزرائيل»[1]. وهو طاووس ملك، رئيس الجميع.

3 - ويوم الإثنين خلق ملك روودائيل وهو شيخ حسن.

4 - ويوم الثلاثاء خلق ملك (الملك) إسرافيل وهو الشيخ شمس.

5 - ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو شيخ أبو بكر.

6 - ويوم الخميس خلق جبرائيل وهو سجاد الدين.

7 - ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.

8 - ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو فخر الدين.

9 - وجعل الله ملك طاووس رئيساً عليهم.

10 - وبعده خلق صورة السبع سموات والأرض والشمس والقمر.

11 - فخر الدين خلق الإنسان والحيوان والطير والوحوش، ووضعهم في جيوب الخرقة وطلع من الدرّة ومعه ملائكة، فصاح صيحة عظيمة على الدرّة، فانفصلت وصارت أربع قطع، ومن بطنها خرج الماء وصار بحراً، وكانت الدرّة مدورة بلا تخلّل.

12 - وخلق الله جبرائيل بصورة طائر، وأرسله بيده أربع زوايا الأرض، ثم خلق مركباً، ونزل بالمركب ألف سنة، وبعده جاء وسكن لالش، ثم صاح في الدنيا فجمدت وصارت الدنيا أرضاً، وجعل فيها شمساً وقمراً، وخلق نجوماً من نثريات الدرّة البيضاء، وعلّقت في السماء زينة.

13 - وخلق أشجاراً مثمرة، ونباتات في الأرض والجبال لأجل زينة الأرض ثم خلق العرش على الفرش.

---

(1) ورد في بعض المخطوطات والكتب «عزازيل».

14 - الرب العظيم قال يا ملائكة: أنا أخلق آدم وحواء، وأجعلهما بشراً، ومنهم ملّة عزازيل، وأعني الطاووس ملك، وهي ملّة اليزيدية.

15 - ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام، وأتى إلى لالش.

16 - ثم نزل الرب إلى الجبل الأسود، وخلق ثلاثين ألف ملك، وفرقهم ثلاث فرق، وبدأوا يعبدونه أربعين ألف سنة، ثم أرسلهم إلى طاووس ملك وصعد بهم إلى السموات.

17 - ثم نزل الرب في أرض القدس، وأمر جبريل بجلب التراب من أربع زوايا الدنيا، فجاء بتراب وهواء ونار وماء، فخلق من كل هذا آدم الأول، وجعل فيه روحاً من قدرته، وأمر جبريل أن يدخل آدم إلى الفردوس، ويأكل من ثمر الشجر، أما من الحنطة فلا يأكل.

18 - وبعد مئة سنة، قال طاووس ملك لله: كيف يكثر بنو آدم وأين نسله؟ قال له الله: الأمر والتدبير سلمته بيدك، فجاء وقال لآدم: أأكلت حنطة؟، قال: لا، لأن الله نهاني، قال كل يصير لك أحسّ بعدما أكل حالاً نفخ بطنه، فأخرجه طاووس ملك من الجنة، وتركه وصعد إلى السماء.

19 - فتضيّق آدم من بطنه لأنه ما كان له مخرج. فأرسل الله طائراً. فجاء ونقره وفتح له مخرجاً فاستراح.

20 - وجبرائيل غاب عن آدم مائة سنة. فحزن وبكى مائة سنة.

21 - حينئذ أمر الله جبرائيل أن يخلق حواء من تحت أبط آدم الأيسر.

22 - ثم نزل ملك طاووس إلى الأرض لأجل طائفتنا المخلوقة، وأقام لنا ملوك ما عدا ملوك الأثوريين القدماء: نسروخ وهو ناصر الدين. وكاموش وهو الملك فخر الدين. وأرطيموس وهو ملك شمس الدين. وبعد ذلك صار لنا ملكان: شابور الأول وشابور الثاني، ودام ملكهما مئة وخمسون سنة، ومن نسلهما قام أمراؤنا إلى الآن.

23 - وبغضنا لأربع ملوك.

24 - حرّمنا علينا الخس لأنه على اسم بنيّتنا الخاسية، واللوبياء والصبغ الأزرق وما تأكل السمك لأجل إحترامنا ليونان النبي، والغزلان لأنه غنم أحد أنبياؤنا (أبنيائنا)، والشيخ وتلامذته ما يأكلون لحم الديك إحتراماً لطاووس ملك. وطاووس ملك

هو واحد من الآلهة السبعة المذكورة لأن صورته تمثال الديك، والشيخ وتلاميذه ما يأكلون القرع. وحرام علينا البول وقوفاً. ولبس اللباس قعوداً. والإستخلاء في أدبخانة والغسل في الحمّام، وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا. ولا كل اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط وشر. ولا لفظة ملعون. لعنة، نعل. وما أشبه....

25 - قبل مجيء المسيح عيسى إلى هذا العالم ديانتنا كانت تسمّى وثنية، واليهود والنصارى والإسلام صادروا ديانتنا والعجم أيضاً.

26 - وكان من ملوكنا آحاب. فأمر كلاً من كان منا أن يسمّيه بإسم خاص به، فسمّوه الإله آحاب أو بلعزبوب (بعلزبوب)، والآن يسمّونه عندنا بيربوب.

27 - وكان لنا ملك في بابل اسمه بختنصر. وفي العجم أحشويرش. وفي قسطنطينية أغريقالوس.

28 - أنه قبل كون السماء والأرض، كان الله موجوداً على البحار. وكان قد صنع له مركباً، وكان يسير به في بينونات البحار متنزّهاً في ذاته.

29 - أنه خلق منه درّه وحكم عليها أربعين سنة، ومن بعد ذلك غضب على الدرّة ورفسها.

30 - فيا للعجيب العجب، إذ صارت من ضجيجها الجبال ومن عجيجها التلال، ومن دخانها السماوات. ثم صعد الله في السماوات وجمّدها وثبتها بغير عواميد.

31 - ثم قفل الأرض. ثم أخذ قلم (قلماً) بيده. وبدأ في كتابة الخلقة كلها.

32 - تم خلق ستة آلهة من ذاته ومن نوره. وخلقتهم صارت كما إذا أوقد إنسان سراجاً من سراج آخر.

33 - فقال الآله الأول للثاني: أنا خلقت السماء فقط، إصعد أنت إلى السماء واخلق شيئاً. فصعد وصار شمساً. وقال للآخر فصعد وصار قمراً. والرابع خلق الفلك. والخامس صار نجم الصبح. والسادس خلق الفراغ يعني الجو.

ترنيمة الشيخ عدي

ليسود السلام عليكم
قدرتي على الفهم تحيط بحقيقة الأشياء
وحقيقتي أنا تختلط بي.
وحقيقة نسبي واضحة من نفسها
وعندما عرفت كانت كلها فيّ
جميع الذين في الكون هم تحت سلطاني
وكل الأماكن المسكونة والصحارى
وكل شيء خلق تحت سطوتي
وانا القوة التي تحكم سابقة لكل وجود
وأنا هو الذي تكلمت الحقيقة.
وانا الحاكم العادل وسلطان الأرض
وانا هو الذي يعبده الرجال في مجدي
يأتون إليّ ويقبلون أقدامي
وانا هو الذي فتحت السماوات علوها
وأنا الذي اطلقت الصرخة في البدء
وأنا الشيخ الوحيد الأوحد
وأنا هو الذي يكشف عن نفسي كل شيء
وأنا هو الذي أتاه كتاب الانباء السعيدة
من إلهي الذي يحرق الجبال
وأنا هو الذي يقصده كل الرجال المخلوقين
في طاعة وخشوع لتقبيل أقدامي
أجلب الثمار من أول عصير الشباب المبكر
إلى حضوري وأحول نحو حواريّ
وامام ضيائه يتلاشى ظلام الصباح ويتبدد

أرشد من يسال التوجيه
وانا هو الذي تسبّب في عيش آدم في الجنة
ونمرود ليعيش في نار محرقة متأججة
وأنا هو الذي أرشد أحمد نحو العدل
وقدته نحو ممري وطريقي
وانا هو الذي يقصده كل المخلوقات
وذلك لأغراضي النبيلة ومواهبي
وأنا هو الذي زار كل الأعالي
والخير والإصلاح تنبثق من رحمتي
وانا هو الذي جعل كل القلوب تخشى
مقعدي، هم يسبحون بحمد قوتي وسلطاني المروع
أنا هو الذي قصده الأسد الكاسر
غاضباً فصرخت فيه وتحوّل إلى حجر
انا هو الذي قصدته الأفعى، وبإرادتي حولتها إلى ثرى
وأنا هو الذي ضربت الصخرة وجعلتها ترتعش
وجعلت تتدفق من جانبها أحلى المياه
وانا هو الذي أرسل إلى الأرض حقيقة معينة
من لدني هو الكتاب الذي يجلب الراحة للضعفاء.
وانا هو الذي حكم بالعدل، وعندما حكمت كان ذلك حقي
وأنا هو الذي جعل الينابيع تمنح المياه
أكثر حلاوة ولطافة من كل المياه
وانا هو الذي سبب لها أن تظهر في رحمتي
وبسلطاني سميتها الطاهرة
وانا هو الذي خاطبه رب السماء قائلاً
أنت حاكم عادل وسلطان الأرض
وأنا هو الذي كشفت عن بعض أعاجيبي

وبعض فضائلي ظاهرة في تلك الموجودة
وانا هو الذي جعل الجبال تنحني، لتتحرك تحتي وبمشيئتي
وأنا هو الذي أمام سلطانه المروّع تصرخ البهائم البرية
فتحولوا إلى خاشعين عابدين، يقبلون أقدامي
وأنا آدمي الشامي (الدمشقي) ابن مسافر
يقيناً أن الرحمن منحني ألقاباً.
العرش السماوي، والمقعد، والسماوات السبع والأرض
في سر معرفتي لا إله الا أنا. هذه الأشياء خاضعة لسلطاني.
وبأية حالة تنكرون هدايتي.
أوه أيها الرجال! لا تنكروني بل إخضعوا لمشيئتي
الذي يموت في حبي سوف ألقيه في وسط الجنة بمشيئتي ورغبتي
ولكن الذي يموت متنكراً لي، سوف يلقى في العذاب والبؤس والتعاسة،
أنا أقول أنا الأوحد وأنا الأعلى، أخلق وأغني من أشاء
الثناء لي وكل الأشياء شئتها
والكون مضاء ببعض مواهبي وقدراتي
انا الملك الذي يسبّح نفسه، وكل ثراء الخلق تحت سلطاني
لقد جعلتكم ايها الناس تعرفون بعض طرائقي
الذي يعمل بمشيئتي عليه نسيان العالم
والحديقة في العلا لأولئك الذين يبهجونني
بحثت عن الحقيقة وأصبحت الحقيقة الصادقة
وبمثل هذه الحقيقة سوف يملكون المكان الأعلى مثلي[1].

---

(1) هذه العبارات نقلت بحرفيتها كما وردت في النص الأصلي بما فيها من أغلاط نحوية ولغوية وإملائية وركاكة في الأسلوب.
ورد في بعض المخطوطات والكتب «عزازيل».

الفصل الثاني عشر

واقع العقيدة اليزيدية

العقيدة اليزيدية هي عبارة عن تأليف مركّب من مجموعة من المعتقدات المختلطة، المستمدّة من الأساطير والمفاهيم التي سادت فترة تاريخية بلاد ما بين النهرين وإيران. حيث يلمس المرء في بنيتها المفاهيمية بقايا من الطوطمية[1]، وعقيدة التناسخ والتقمّص[2] إلى تأثّر واضح بالمسيحية والإسلام ويعرّف الشهرستاني التناسخ بأنّه: «عقيدة تعاقب الحياة وعودتها إلى الدنيا». واليزيديون يعتقدون بالحلول، وبسكون الأرواح مع الأرواح، أي بانتقال الروح من مكان إلى غيره، من وضيع إلى رفيع حسب استحقاقها والإنعام عليها، كما يؤمنون بالتناسخ بين الإنسان والحيوان، وان التقمّص مقتصر على الإنسان. وقد جاء في كتاب الجلوة: «وإذ شئت أرسلته تكراراً، ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم، أو غيره بتناسخ الأرواح»[3].

يرى اليزيديون أن الأرواح قسمان:

---

(1) الطوطم: حيوان يرتبط بإسم العشيرة عند الشعوب البدائية، ويعتبر لحمه محرماً على أفرادها، الذين يعتقدون أنهم انحدروا منه، ويحملون لذلك اسمه. مثل عشيرة الكنغر في أستراليا. ولذلك فإنه يجب عليهم القيام نحوه بشعائر وطقوس معينة في مواسم خاصة. وبعض العشائر تتخذ طوطمها من النباتات، أو من الكائنات المادية، أو حتّى من الظاهرات الطبيعية. ويجرّم النظام الطوطمي قيام صلات جنسية بين أفراد الطوطم الواحد، لأنهم إخوة لانحدارهم من طوطم واحد. ولذا كان الزواج الداخلي محرماً. وينتشر النظام الطوطمي عند بعض القبائل الأوسترالية، والميلانيزية وشمال أمريكا.

(2) تناسخ الأرواح: هو انتقال الروح من جسد إلى آخر، وقد يكون جسداً لإنسان أو حيوان. وهو اعتقاد شاع في ثقافات وديانات كثيرة. وتعيين الجسد التي تحل فيه الروح ثانية، رهن بسلوكها في حياتها الأولى. والتناسخ والتقمص هما من المعتقدات الشرقية القديمة، التي تسربت إلى معتقدات الفرق الأخرى.

(3) انتقال الأرواح يجري على أربع درجات:

أ- الرسخ: إنتقال النفس الناطقة من جسم الإنسان إلى أجسام حيوانية.

ب- المسخ: إنتقال النفس الناطقة من جسم الإنسان إلى أجسام حيوانية.

ج- النسخ: إنتقال النفس الناطقة من جسم الإنسان إلى الجمادات.

د- الفسخ: إنتقال النفس الناطقة من جسم الإنسان إلى جسم آخر.

1 - أرواح شريرة، تحل في أجسام الحيوانات الخبيثة والسيئة، كالكلب والحمار والخنزير. وحلول الأرواح في هذه الأجسام نوع من تعذيبها.

2 - الارواح الخيّرة والطيبة، تحوم في الفضاء لتكشف للأحياء أسرار الكائنات والمغيبات، لأنها دائماً في تماس مع العالم.

لذا يمضي اليزيديون ليلتهم حول جثمان فقيدهم. مشغولين بالعبادة والتضرّع والصلاة، فلعلهم يرون الميت في منامهم، فيخبرهم على أي صورة سيعود وفي أي جسم، وفي أي فئة ستحل روحه، وهل هو في عداد أهل جهنم، أم في عداد أهل الجنة. فإن رأوا أن روح ميتهم ستذهب إلى روح إنسان، شكروا الله، أما إذا كانت روحه ستحل في جسم حيوان، فإن أفراد أسرته يبذلون ما في وسعهم من خيرات، ويعمدون إلى النذور، فلعل روح الميت تنتقل من جسم الحيوان إلى جسم آخر.

وقد عمل الإسلام على القضاء على الكثير من المعتقدات والنزعات الدينية التي اختفت ظاهرياً، واتخذت لها منحىً باطنياً، لتعود بعد عقود طويلة فتظهر مجدداً، بعد اختفائها القسري. وقد ظهر جلياً في الأقوام والطوائف التي اسلمت قسراً ومرغمة. فلما سنحت لها الفرصة بعد هذا التخفي الطويل، ظهرت بينها موجة من الإرتداد الديني إلى عقائدها السابقة.

وقد كانت اليزيدية أحدى هذه الطوائف. بحيث لا يقدّم المذهب اليزيدي حقيقة، أكثر من بعض الإستذكارات الإسلامية، بخلاف مذاهب الطوائف الشيعة، التي ما زالت تحتفظ، أياً كان بعدها عن الإسلام السنّي، بالحد الأدنى من السمات المشتركة. كذلك جرى تصوّر اليزيدية مدّة طويلة، على أنّها وثنية ذات تطلّعات إسلامية، إستثارة حقيقية، كان من شأنها أنها أطلقت العنان لمدافع فقهاء السنة والشيعة التي جاءت تبرر سلسلة الاضطهادات الطويلة، التي كانت قسمة اليزيديين.

ومن جانب آخر، فإن النسب الأسطوري المقام بين طائفة اليزيدية والخليفة الأموي الثاني يزيد بن معاوية 680 - 683، قد ساهم هو الآخر في أفقادهم الاعتبار كذلك، في أنظار السنّة، بل وأكثر من ذلك في نظر الشيعة. وفي اعتقاد بعض غلاة السنّة والشيعة وبعض اليزيديين، وتفسيرهم الأسطوري الخاطئ للديانة اليزيدية، إن الخليفة يزيد كان قد تخلّى عن السنة ليصبح مصلح هذه الطائفة، وفي الزمن الثاني سيتقمّص في الشيخ عدي. وعليه فإن عاطفة السنّة بالنسبة لهذا الخليفة هي على الاصح عاطفة متحفظة،

وتتغيّر لدى الشيعة إلى عداوة صريحة، لأن مسؤولية موت الحسين بن علي في كربلاء، وهي جريمة، يضاف إليها نهب المدينة المنوّرة، وقذف مكة، وحرق الكعبة، تقع كلها على يزيد. وامتد الخزي والدنس من الخليفة يزيد على هذا النحو، إلى اليزديين. لذلك، كثيراً ما أعلن عن ديار اليزيديين أنّها دار حرب، وتقرر بأن إفناء هذه الفرقة عمل من أعمال التقوى[1].

وتندمج في اليزيدية عناصر صوفية، من رقصات ذهولية، وجدية، وإجلال الشيوخ الصوفيين. إذ بلغ التصوّف الإسلامي ذروته على أيدي رجال سبقوا الحلاّج. مثل ذي النون، والمحاسبي والجنيد. ففي مئة وخمسين عاماً، وعلى وجه التحديد في الفترة الواقعة بين سنة 750 و 900م، حصل تطوّر يسترعي الإنتباه، فقد جرى استيعاب وهضم للتدين التقشّفي المبكر، وما صحبه من احتقار صارم وغير مثمر للحياة، واستكمل بحب إلهي متوهّج يهز النفس ويغمرها بالغبطة، وعمق بالكشف عن الطريق التي ينبغي على النفس البشرية أن تسلكها، حتّى تتّحد بالله، وتتساوى معه، من خلال تحوّلها إلى صورته. وبإمكاننا تتبع عملية الإرتقاء خطوة خطوة.

وإن العلاقة بين التصوّف التي سادت بين التصوّف الإسلامي والمسيحية، هي أن قواعد التعبّد الصوفية، يمكن أن تعتبر نوعاً ما عملية نقل لقواعد التعبّد التقشفي عند الرهبان، التي كانت سائدة في الكنائس السورية آنذاك، إلى عالم الفكر العربي الإسلامي.

---

(1) روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار. ترجمة أحمد حسن. صفحة 63 وما بعدها.. دار المدى للثقافة والنشر. دمشق 2007.

- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 82.
- لورانت. شابري، آني شابري. سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى. ص 130 - 131.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 132 - 133.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية فيما بين النهرين، العوامل والمقومات المشتركة بين الشعب اليزيدي والشعب الأشوري ص 56 وما بعدها...
- إسماعيل جول. اليزيديون ص 77 - 78.
- زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القسم الأول ص 17 - 39.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون. ص 79 - 84.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 80.
- Cf. Christensen. Le premier homme et le premier roi dans l'histoire légendaire des Iraniens, p. 21.

حقاً توافر المؤمنون على قراءاتهم هذا وتؤكد الدراسات الإستشراقية على الأثر المسيحي في التصوّف الإسلامي. والقول بتأثير المسيحية ديانةً وفكراً في مقالات التصوّف الإسلامي، وفي تجارب إعلامه، وفي بلورة الأفكار الصوفية المتعلّقة بحقيقة الوجود والإنسان والله وعلاقة الروح بالجسد، وإشكالية الخلاص. وظهرت في هذا المضمار مفاهيم مثل «وحدة الشهود» و«وحدة الأديان» و«وحدة الوجود»[1].

كما برز القول بتأثر التصوّف الإسلامي بديانات وثقافات ونظريات سابقة أصلاً على الإسلام، كاليهودية، والديانات والعقائد الشرقية من البراهمانية إلى البوذية، وحكمة الصين، وبلاد فارس القديمة وكذلك ثقافة أهل اليونان وفلسفتهم. ضمن أغلب أبحاث المستشرقين، والدراسات الشرقية المتعلقة بتاريخ الامصار[2].

وتجدر الإشارة، أنّه قد سبق لبعض كتاب الفرق والمقالات وبعض المؤرّخين للمذاهب الفكرية في الإسلام، أن اتهموا أهل التصوّف بميلهم إلى المسيحية، واقتباسهم عن الرهبان المسيحيين طقوسهم ومبادئ نسكهم، فخرجوا بذلك عن الملّة المحمدية لتبنّيهم أقوال الرهبان والقديسين ولعملهم بتعاليمهم[3].

وتتمثّل مجمل الأفكار المحورية، التي دار عليها الخطاب الإستشراقي القائل بالتأثير المسيحي في التصوّف الإسلامي، في ردّ مبادئ الزهد والنسك، وكذلك رياضة النفس وتطهيرها إلى أخلاقيات النسك المسيحي، التي كانت منتشرة في بلدان الهلال الخصيب وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية قبل مجيء الإسلام، إضافةً إلى التشدد في المحبة الإلهية، واعتبارها مجالاً للطهرية ومنطلقاً للتسامي وتحصيل المعرفة والخلاص التي كانت متمثّلة في مبادئ الرهبنة المسيحية، وأجواء حياة الأديرة. وتدلّ أقدم الكتب الصوفية التي

(1) د. محمد الكحلاوي. الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية. ص124 - 131 دار الطليعة بيروت 2005.

(2) د. محمد الكحلاوي. مقارنات وبحوث التصوّف المقارن. ص 27 - 26 دار الطليعة بيروت 2008.

(3) لويس قادرية وجورج قنواتي. فلسفة الفكر الديني في الإسلام والمسيحية. الطبعة الثانية. ترجمة صبحي الصالح، وجورج جبر. دار العلم للملايين. بيروت 1983.

- البغدادي. تاريخ بغداد. «الزهاد والصوفية» ج 8. دار الفكر. بيروت.

Carl - Keller. Approche de la mystique dans les religions occidentals et - orientales. Paris. Albin Michel. 1996.

- فتاوى ابن تيمية الجزء الثاني.

وصلت إلينا، ومنها مصنّفات «الحارث بن أسد المحاسبي» المتوفي سنة 888م، دلالة واضحة على أنّه تأثّر بالمسيحية، ذلك أنّه قد بدأ أحد كتبه بذكر كلام للمسيح حيث يقول: «وبلغنا أن عيسى عليه السلام قال: «يا معشر الحواريين الغنى مسرّة في الدنيا، مضرّة في الآخرة... لا يدخل الأغنياء ملكوت السماوات...» وبلغنا عن عيسى عليه السلام قال: إن علماء السوء يصومون ويصلّون، ويتصدّقون، ولا يفعلون ما يؤمرون، ويدرسون ولا يعلمون، يتوبون بالقول والأماني، ويعملون بالهوى، وما بقي عنكم أن تنقوا جلودكم، وقلوبكم دنسة».

وقد كان لإهتمام بعض الصوفيين بنبوّة المسيح باعتبارها مظهراً من مظاهر تجلّي الحقيقة الإلهية، ما مثّل مستنداً أساسياً لإثبات تأثّر التصوّف الإسلامي بالمسيحية.

ومن أبرز الذين بادروا إلى تأكيد دور الأثر المسيحي في نشأة التصوّف الإسلامي «فون كريمر Von Kremmer». ففي كتابة «تاريخ الأفكار البارزة في الإسلام» يقول: أنّه كان هناك أثر كبير للرهبان المسيحيين الذين وُجدوا في الكنائس الشرقية والبيئة العربية في حياة الزهّاد والصوفية الأولى من المسلمين. ويرد كريمر ظهور فكرة الحب الإلهي مع «رابعة العدوية» المتوفية سنة 798م إلى أصول رهبانية مسيحية، إذ أن محبة الله وإيثاره على كل شيء سواه هي في نظره فكرة مسيحية، ترسخت في حياة الزهّاد والمتصوّفة المسلمين. ونفس الأطروحة نجدها لدى «بيكر C. H. Beker» سنة 1933، الذي يرى ان التصوّف الإسلامي قد استلهم القيم الروحية، ومعاني المحبة الإلهية التي جاءت بها المسيحية. كما أكد على ذلك «نولدكه Noldeke»، و«غولد زيهر Goldziher» على اقتباس النزعات الصوفية ومناحي الحياة الروحية في الإسلام كان عن التعاليم المسيحية. واعتبر «رينولد نيكلسون R. Nicholson» «إن الأفكار التأسيسية للمنظومة الصوفية في الإسلام وهي «النور والمعرفة والحب» كانت على وفاق مع الفكرة المسيحية». كما جاء في كتاب «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني أن بعض الزهّاد المسلمين سأل راهباً: «متى يكون الرجل أكثر إمعاناً في العبادة؟» فأجابه: «حين يملك الحب قلبه، فليس له عندئذ من مسرّة ولا رغبة الا في العبادة المتصلة».

أما «ألفرد بل A. Bel» فيرى في كتابه «تاريخ الفرق والمذاهب الإسلامية بالشمال الافريقي» أن عقيدة الولاية الصوفية، وما يحيط بها من روحانية ومسحة أسرارية متعالية تعود إلى تأثير فكرة القداسة المسيحية التي تميّز بها كبار الرهبان والقديسين والقساوسة، أولئك الذين كانوا وجدوا في كنائس شمال إفريقيا إبان دخول الإسلام، وإلى أواخر عهد

الدولة الأغلبية[1].

ولم يكونوا بحاجة لكتب المسيحيين، الا ان هذا لا يعني طبعاً أن عرى الإحتكاك كانت قد انفصمت، فالفتح الإسلامي مهما علا شأنه، كان بحاجة إلى السكان المسيحيين من حيث المعرفة العلمية والثقافية والإجتماعية، ورغم بعض الشوازات، فقد عامل العرب المسيحيين برفق في البلدان المفتوحة، ولم يكن هناك أي شيء يمكن أن يثير شكوى الكنائس المسيحية. وقد دفع هذا الأمر رئيس الكنيسة النسطورية إلى أن يكتب في سنة 650 م: «إن هؤلاء العرب لا يحجمون عن محاربة المسيحيين فحسب، إنهم يكبرون ديننا، ويثنون عليه، ويحترمون قسسنا ورجالنا المقدّسين، ويقدمون الهدايا لأديرتنا وكنائسنا»[2].

ففي الحافة على الحدود الفاصلة بين المناطق المأهولة بالسكان والجبال، كان يقطن الزاهد والمتصوّف المسيحي في صومعته الحجرية، وفي الحالات العادية كان هذا القديس يعتزل الناس وينفر منهم بفظاظة، وكأنّه من الطيور الجارحة. لكن من يحالفه الحظ كان

---

(1) أنظر:

- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الطبعة التاسعة ج 3 دار المعارف. القاهرة 1996.
- الأب جورج شحاته القنواتي. المسيحية والحضارة العربية، الطبعة الثانية. المؤسّسة العربية للدراسات والنشر. بيروت والمكتبة العالمية بغداد 1984 ص 85و 142 وما بعدها...
- اغناطيوس افرام الأول برصوم. اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية الطبعة الثالثة. مطبعة الشعب بغداد 1976.
- ياقوت الحموي. معجم البلدان ج2 ص 524 دار صادر. بيروت 1957.
- الشابشتي. «الديارات» تحقيق كوركيس عواد. دار الرائد العربي الطبعة الثالثة بيروت 1986.
- آدم ميتز. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج 2 ترجمة عبد الهادي أبو ريده. ص 463 - 465 الدار التونسية للنشر بالإشتراك مع المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر 1986.
- المحاسبي، الرعاية لحقوق الله. دار الكتب العلمية. بيروت 1986.
- نولدكه. مجلّة الجمعية المشرقية 1891.
- عبد الرحمن بدوي. تاريخ التصوّف الإسلامي الطبعة الثانية ص 10. وكالة المطبوعات الكويت 1978.
- رينولد نيكلسون. في التصوّف الإسلامي وتاريخه. ترجمة أبو العلاء عفيفي القاهرة 1996.
- محمد عبد الحميد الحمد. الرهبنة والتصوّف ص 43. دمشق 2004.
- ألفرد بل. تاريخ الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي. ترجمة عبد الرحمن بدوي. بيروت دار الغرب الإسلامي 1985.
- موسى مخول. الحضارة السريانية حضارة عالمية ودور السريان في النهضة العربية الأولى. العصر الاموي والعصر العباسي. الفصل العشرون. علاقة العرب بالأديار المسيحية السريانية ص 483 - 487.

(2) ثور أندريه. التصوّف الإسلامي. ترجمة عدنان عباس علي. ص 22 - 23. الطبعة الأولى. منشورات الجمل. كولونيا - ألمانيا 2002.

بوسعه مشاهدته وهو يطل من فتحة مغارته. وبشعورٍ يشوبه الإحترام والفضول، كان البعض يناديه ويحاول محاورته. فها هو ذو النون يصف هؤلاء الرهبان الزهّاد المتصوفون: «بأنهم قديسون، بلغوا درجات الكمال، يستغفرون ربهم قبل أن يذنبوا، ويثابون قبل أن يطيعوا.. هم رهبان من الرهابين، وملوك العباد، وأمراء في الزهاد، للغيث الذي مطر في قلوبهم المولهة إلى الله شوقاً»[1].

وبظهور التصوّف في الإسلام، برزت الطرق الصوفية المتعدّدة، وانتشر شيوخ هذه الطرق في الأقطار الإسلامية من المشرق إلى المغرب، وبين الأقوام التي خضعت، أو أخضعت للدين الجديد. فكان لكل شيخ طريقة إتباع وتأويلات ومصطلحات ورموز. وإن ظهور الزعيم الدرويش الصوفي، أو كما يسمّى شيخ الطريقة، هذا الذي يدّعي أن الذات الإلهية قد حلّت فيه، وأنّه صار يجسّدها بصورة حيّة، ملموسة، والذي كان يعذّب أتباعه ومريديه، بقوّة إرادته، ويجعل منهم دمىً طائعة. وذلك باستخدامه وسائل إرهاب نفسي، وباستخدامه في بعض الحالات الخداع، والحيل، والشعوذات. فإن ظهور مثل هذه الإتجاهات هو دون شك من أكثر الظواهر نفوذاً في تاريخ الأديان.

وكان الشيخ إذا حلّ بين الأقوام البدوية والمنعزلة، وجد فيها المربع الخصب لأرائه ومعتقداته. وكثيراً ما كان يموت بعض الشيوخ بين تلك الأقوام، فيبقى لهم مريدون من أبنائها، فتستمر طريقته، وتتطوّر تحت تأثير نزعات القوم الذين حل فيهم، والقبيل الذي غرس فيه بذوراً متعدّدة[2].

---

(1) أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن محمد الأصفهاني) حلية الأولياء. الجزء التاسع. ص 371 - 372 القاهرة سنة 1351 هـ.

(2) تور أندريه. التصوّف الإسلامي ص 15.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 83.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 11 - 12.
- السلمي (أبو عبد الرحمن بن الحسن بن موسي). طبقات الصوفية. تحقيق نور الدين شريبة. ص 787. القاهرة سنة 1953.
- مصطفى العروسي. نتائج الأفكار القدسية في بين شرح الرسالة القشيرية ص 141.
- الهجويري (علي بن عثمان) كشف المحجوب. دراسة وتعليق د. إسعاد عبد الهادي قنديل ص 183 دار النهضة العربية. بيروت 1980.
- اليافعي: (أبو محمد عبد الله بن أسعد) كفاية المعتقد ونكاية المنتقد. تحقيق إبراهيم عطوة عوض القاهرة 1961.
- ابن سعد. الطبقات الكبرى ج 5 ص 153. طبعة لايدن سنة 1905.

L. Massignon. Essai sur les origines de lexique technique de la mystique - musulmane. Paris 1922. 124 ff.

وهكذا نجد الشيخ عدي بن مسافر، في التاريخ اليزيدي يخرج كرجل زاهد منقطع في الأماكن المنعزلة، ثم ينزوي بين أقوام بسطاء، يعتقدون بصلاحه وكراماته، وينقادون لأرائه ومعتقداته، ويغالون غلواً يتجاوز الحد، ويؤدي إلى قولهم فيه بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً.

وتؤكّد الرواية الإسلامية المتداولة، أن الشيخ المتصوّف عدي بن مسافر كان قد أمضى شطراً كبيراً من حياته في المجاهدة، وبعد موته، عادت براعم الدين الزرادشتي وبعض المعتقدات القديمة، ورجع القوم إلى معتقدات توارثوها، بعد أن أصبحت مزيجاً من عبادات واعتقادات وتصوّرات مختلفة متنوعة، وتعاليم ثابتة. وإن نعت «عبدة الشيطان» الذي ألصق بهم يُفقد سلفاً مذهباً لدى المسلمين.

وكما سبق وذكرنا، فإن الغالب في كثير من النحل والطوائف والمذاهب يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعي إليها، إما بالإبتداع فيها، أو بتغيير النصوص، أو بتأويلها، على حسب ما توصيه الأهواء والتفاسير والآراء، تبعاً لأميال وغاية المهيمنين على المذهب. وهذا ما طرأ على الديانة اليزيدية، التي كانت مزيجاً من الديانات القديمة، لا سيّما منها ديانات ما بين النهرين والزرادشتية. فتطعّمت فيها بعد بنفحات مسيحة وإسلامية، وببعض الطرق الصوفية، وخاصة الطريقة العدوية. غير أنهم غلوا في شيخهم غلواً تجاوز الحد، وأدّى إلى قولهم فيه بما قد لا يوافق شرعاً ولا عقلاً[1].

يقول رشيد الخيّون: «إذا كان الشيخ عدي بن مسافر صوفياً فإيزيديته ديانة مستقلة، احتضنت الشيخ المذكور لأسباب غير معروفة، وظلّت على ما هي عليه من تأثرها بالمحيط الذي تعيش فيه». فالشباب الإيزيدي المتعلم يدرك اليوم أن الشيخ عدي كان طارئاً على تاريخ ديانتهم، ويقرّون بإسلامه، مثلما يقرون بمرتكزات دينهم، ويحاولون أن ينزعوا عن تاريخهم ما كتبه الآخرون. وإذا فات أسلافهم الدفاع عن دينهم بالخطاب والجدل، واكتفوا بالتحصن بالجبال والوديان، والإنغلاق على النفس، فإن الجيل الحاضر يكتب ويجادل ويرد الحجة بالحجة. وقد تولت هذه المهمة مجلتا «لالش» الصادرة بدهوك في

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 23.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 87 - 88.
- أحمد تيمور. اليزيدية أو عبدة إبليس. مجلّة المقتطف. أكتوبر تشرين الأول 1916.
- ابن حديد: شرح نهج البلاغة. جـ 1 ص 305.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 98.

شمال العراق في منطقة كردستان، عن مركز لالش الثقافي والإجتماعي، ومجلة روش، التي يصدرها بألمانيا يزيديون متنورون»[1].

وللتحقق من هذا، يجب الغوص إلى أعماق جوهر هذا الدين، أو هذا المذهب، لأن الكل يرغب في أن يعيش في عالم الخير والمحبة. وإن محبة الإله هي محبة القريب. وقد جاء في الإنجيل عند المسيحيين: «أحبب قريبك كنفسك» فالملقنون، المكشوف عنهم الحجاب، وحدهم من بين اليزيديين أنفسهم، هم الذين يعلمون هذا الدين بدقة. إذ ان التقاليد نقلت بصفة أساسية شفاهة، ولم يكن فيما مضى الحق الا لأسرة واحدة من شيوخ اليزيديين بأن تتعلّم القراءة والكتابة، وهذا كان امتيازا دينياً.

أما بالنسبة لتحريم اللعن والإستعاذة بالله من الشيطان، فتقول بعض المصادر: إن عادة اللعن والسب كانت منتشرة في هاتيك الأطراف. فأعلن الشيخ عدي مقاطعة اللعن مطلقاً، ويدخل في هذا الإطلاق التحريمي لعن إبليس بالطبع. وشدّد على العبادة والتقشف، وعلى التمسّك بأهداب التقى والصلاح. والظاهر أن هذه الرغبة صادفت ردّ فعل إيجابي لدى اليزيديين فجعلوها معتقداً دينياً يُحرّم به لعن الشيطان. وتطوّر هذا الاعتقاد بعد وفاة الشيخ عدي، إلى القول أو الاعتقاد بمشاركة الشيطان الله في خلق الكون[2].

ويقول أبو الفتوح أحمد بن محمد الغزالي أخو أبي حامد الغزالي: «إن إبليس كان سيّد الموحدين، ومن لم يتعلّم التوحيد من إبليس فهو زنديق، أُمر لأن يسجد لغير سيّده فابى»[3].

ويقول اليزيديون المعاصرون كان يزيدياً، إزداهياً (زرادشتياً) واسمه «عادي» أو «هادي» أو «خادي»[4] وبالتالي فقد جرى الخلط بينه وبين الشيخ الصوفي عدي بن مسافر الأموي. أي أن اليزيديين، الذين نسبوا إلى الشيخ عدي، يرجعون إلى أصل زرادشتي، وفيهم القوم المسمّى «التراهية» وأنهم من الأكراد. وإذا كان قسم كبير منهم قد اعتنق

---

(1) رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 98.
- أنظر الإزادهيون اليزيديون. للكاتب اليزيدي درويش حسّو.

(2) ابن حديد: شرح نهج البلاغة. ص 305.
- خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص83.

(3) ابن حديد: شرح نهج البلاغة. ص 35.

(4) الشيخ عدي هذا من أكراد التراهية.

الإسلام، فقد بقي موروثهم المعتقدي الأصلي «الزرادشتية» سائداً في عقلهم الجمعي، وممارساتهم الطقسية المختلفة. وفي نص أرامي، نقله إلى العربية يعقوب سركيس، للراهب «راميشوع» في سنة 1415، ورد فيه ذكر اليزيدية كما يلي:

«وكان اسم الوالد الطبيعي لعادي بن مسافر بن أحمد، وهو من الأكراد التراهية، الذين كانوا يقضون إعتيادياً فصل الصيف في «زوزان» وينزلون منه شتاء إلى ضواحي الموصل، وكان في ذلك العهد عشيرة اليزيدية جدوده (جدود الشيخ عادي)، سكنة زوزان، تتبع أقارب عادي في ذهابهم إلى جبال وإيابهم منها، وكان النظر إليهم كخدمة لهذه الاسرة الكبيرة، وحينما كان يرجع اليزيدية من زوزان في أول تشرين الثاني، كانوا في طريقهم يجتازون بعادي ابن أميرهم، ومعهم هدايا ثمينة، فكان عادي يكافئهم عنها بالضيافة من مأكول ومشروب، مع أفراح على ضروب كثيرة، وكان هؤلاء يحبّون الشراب، أي الخمر. وكان عددهم 650 بيتاً. أما رجال عادي الذين كانوا مسلمين وهم أيضاً من الأكراد التراهية، فكان عددهم يتجاوز الألف»[1].

والمذهب التراهي هو مذهب زرادشتي. وقد ذكر التراهية ابن الأثير سنة 1205، وقال عنهم «كانوا كفاراً لا دين لهم يرجعون إليه، ولا مذهب يعتمدون عليه»[2].

وبالنسبة لموقف اليزيديين من القرآن، فإن بعض المشترعين اليزيديين المتحدرين من أسر دينية، ومنها أسرة الشيخ حسن، يقتنون القرآن ويحفظون بعض السور والآيات منه، ويعلمونها لأولادهم، ويرجعون إليه أحياناً ككتاب مقدّس. لكنهم يطمسون ما ورد فيه من الكلمات والعبارات التي لا توافق معتقدهم، مثل: «التعوذ واللعنة والشيطان»[3].

هذا وقد اختلف الباحثون والمؤرّخون بدراسة المذهب اليزيدي في تحليلاتهم وتصوراتهم اختلافات واسعة، بحيث تجعل المرء غير مطمئن إلى الكثير من هذه الدراسات البعيدة عن الواقع كل البعد، لأنها لم تراعِ الموضوعية في البحث، وروح النقد البنّاء، وأصدرت أحكاماً قطعية مسبقة ومتحيّزة لتفسيراتها، ومتناقضة ومتعارضة في أكثر الأحيان. وذلك حسب أهواء الباحث والأغراض الدينية والطائفية والمذهبية والعنصرية التي ينحى إليها. ممّا يجعلها ضعيفة الإسناد، وبعيدة كل البعد عن البحث العلمي والاكاديمي.

---

(1) يعقوب سركيس: مباحث عراقية ص 218. بغداد 1947.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 9 الطبعة السادسة 171 - 172 دار الكتاب العربي بيروت.

(3) خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون. ص 85.

وقد وصفهم بعض المؤرّخين والفقهاء والمسلمين بأنهم «قوم قد استحوذ على عقولهم الشيطان». وقد كان «أضل هؤلاء الجهال في الدخول في هذه الضلاة والبدعة «حسن بن عدي» من سواد الموصل، الذي استغوى واضلّ خلقاً كثيراً، ووصلت رسله بالضلالة والدعاء إلى مذهبه، فغلبوا على رأي جماعة من جهات تلك النواحي ورعاعهم، واستحوذ على عقول سخيفة وآراء واهية فاضلوهم. وقد غلوا في تكريم شيخهم غلواً تجاوز الحد، وأدّى قولهم فيه بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً. ثم قام فيهم رؤساء السوء الطالبون للحطام من طريق الرئاسة، فتوسعوا في مذهبهم، وأدخلوا فيه ما اقتضته مصلحتهم، ووافق أهواءهم، وما زالوا ينتقصون منه ويزيدون فيه قرناً بعد قرن حتّى خرجوا من الإسلام جملةً»[1].

ويقول محمد علي الزعبي: «إن العدويين ورثوا الأركان الإسلامية سليمة، إلا أن اليد المستترة التي سطّرت «رش» و«الجلوة» حاولت الإستعانة بمفاهيم باطنة معلومة، لكنهم رغم أنفها، لا يزالون يحترمون يوم الجمعة، وعيدي الأضحى ورمضان، ويفخرون بما أنبتته أرضهم من كبار الفقهاء، ولا يزال ما بقي من مساجدهم مزيناً بالآيات الكريمة المنقوشة على الحجارة»[2].

ومن الشخصيات الإسلامية الصوفية التي يكنّون لها الإحترام والتقدير ويعظمونها تعظيماً كبيراً «الحلاج، والشيخ عبد القادر الكيلاني، والحسن البصري»، والكثير من كبار الزهاد وشيوخ الطرق الصوفية، وفي مقدمتهم الشيخ عدي بن مسافر وسلالته وأقاربه.

وهناك جماعة من اليزيدية يطلق عليهم اسم «الباباوات» وتعيش في «تلعفر وسنجار» بالعراق، من الشيعة العلوية، ويتبعون طقوساً مماثلة لطقوس الفرق الشيعية الأمامية[3]. أما من حيث إلتزامهم بالفرائض والشعائر الإسلامية، أو الأركان الخمسة فهو موضع أخذ ورد بين المهتمين بهذه المسألة، مع وجود شبه إجماع على ملاحظة عدم تقيّد اليزيديين بتأدية تلك الشعائر والفروض[4].

---

(1) عباس العزاوي. اليزيدية وأصل عقيدتهم. ص 81 وما بعد...

(2) الدكتور محمد علي الزعبي. وصايا الشيطان. ص 37.

(3) إمام: هاد، ومرشد. من يقتدي به في الصلاة. والنبي محمد أول إمام في الإسلام. والخلفاء الراشدون أئمة من بعده. ثم أريد بالإمامة ما يساوي الخلافة. لكن الشيعة صعدوا به إلى مستوى اعلى، فقصروه على نسل معين هو نسل الإمام علي، ورأوا أنّه معصوم، ويوحى إليه. والإمامة من أولى المشاكل التي أثيرت بين الفرق الإسلامية. وإلى الإمام تنسب الشيعة الإمامية.

(4) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص88.

والثابت أنّهم يؤدون بعض الفرائض والشعائر الدينية، ضمن رؤية تأويلية خاصة، يغلب عليها العنصر التبسيطي، الذي يتناسب مع ظروفهم المعيشية الجبلية الصعبة، وعدم انتشار التعليم الديني - الفقهي بينهم[1]، مع العلم ان الديانة اليزيدية الإزداهية موجودة منذ مئات السنين، كما سبق وبيّنا ما يتعلق بالديانة الزرادشتية. وهذا يعني أن أصولها تعود إلى 2600 عام[2].

أما بالنسبة لتقديس اليزيديين لـ«لالش ونبعها الأبيض، وجبل سنجار، وبعشيقة، وعين سفنى» وغيرها من الأماكن التي تغصّ بأضرحة شيوخهم وأوليائهم، وما يرتبط بها من أحداث ووقائع تاريخية اكتسبت صفة القداسة، فإن ذلك وليد تراكمات طويلة عمرها أكثر من ثمانماية سنة، منذ وفاة الشيخ عدي بن مسافر، في أواسط القرن الثالث عشر للميلاد. حيث تعرّض اليزيديون لمذابح متتالية، على يد الحكام المسلمين، الذين قتلوا الكثير من أتباع الشيخ عدي، وهدموا قبره وحفروه، وأخرجوا عظامه وأحرقوها، ونهبوا الديار اليزيدية العدوية، وأخذوا متاعها غنائم. يضاف إلى ذلك ما قامت به الدولة العثمانية سنة 1715، عندما تم سبي يزيدي سنجار، وأسروا النساء والاطفال وغنموا الأموال، ولم يراعوا أي حرمة إجتماعية، أو دينية عند اليزيديين. وقد جاء في حديقة الزّوراء للسويدي: «وعاد الوزير العثماني منصوراً مؤيّداً من معركته ضد اليزيديين، الذين يعظمون الشيطان ويعضدونه، وينهون النازلين بهم أن يشتموه أو يسبّوه... وهم متحصنون بذلك الجبل الشامخ (سنجار) معتقلون بمعتقله الباذخ، ولم يجر عليهم حكم حاكم، ولا يتبعون قول عالم. ينكرون الشريعة الغراء، ويعتقدون أن المسلمين من جملة الأعداء».

ومن الأسباب التي ساعدت على إصدار الأحكام القطعية المسبقة، والخاطئة ضد اليزيديين، والتي الحق بهم الظلم والاضطهاد الكبيرين، وجعلتهم موضع شك لدى جيرانهم، وتجاه الدولة التي يخضعون لها ولا سيّما الدولة العثمانية:

1 - تكتّم اليزيديين في إظهار معتقدهم تكتّماً شديداً.
2 - مساهمة اليزدية نفسها، إلى حدّ معين بهذه البلبلة والغموض بسبب ظروف نشأتها.
3 - التطورات التي لحقت بمعتقدات اليزيدية، وطقوسها وشعائرها، وقواعد شريعتها.

---

(1) الدكتور محمد علي الزعبي. وصايا الشيطان. ص 37.
(2) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 88.

4- الإختلاط مع قبائل وجماعات من مذاهب دينية مختلفة، والإبقاء على باطنية هذا المذهب وسرّيته. وقد جاء في كتاب الجلوة: «يا أيها الذين تبعتم وصاياي، انكروا أقوال وكل تعاليم التي ليست من عندي، ولا تذكروا اسمي وصفاتي لئلا تذنبون، لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب»[1].

(1) د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 88.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. ص 86 - 87.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم الطبعة العاشرة ص 52 - 53.
- عباس العزاوي. اليزيدية وأصل عقيدتهم. ص 81 - 83 غداد 1935.
- أحمد تيمور. اليزيدية ومنشأ نحلتهم ص 56.
- محمد علي الزعبي. وصايا الشيطان. ص 36.
- السويدي. حديقة الزوراء ص 37 - 38.
- محمد سيد كيلاني. اليزيدية أو عبدة الشيطان. الجزء الثاني.
- الشهرستاني. الملل والنحل. ج 2. ملحق. ص 38 - 39.

الفصل الثالث عشر

الصلة بين اليزيدية والديانات القديمة

«الزرادشتية»

يؤكّد أغلب الباحثين اليزيديين أو غير اليزيديين، أن العقيدة اليزيدية مستمدة من الديانة الزرادشتية. ومن الطبيعي، أن المعتقدات التي كانت سائدة في المنطقة قد مدّت الزرادشتية ببعض عناصرها الدينية، وتشكّلت من خلال الموقف منها وإعادة بنائها. وسواء تبنّت الزرادشتية بعض الرموز والطقوس التي كانت سائدة، أو رفضتها، فإنها قد لعبت دوراً في تبلور وتكوّن الزرادشتية ذاتها. ويجب أن لا ننسى تأثير المعتقدات والطقوس والأساطير البابلية والأكادية والآشورية والكنعانية في تكوين الزرادشتية[1].

فإن بعض المعطيات التاريخية تظهر العلاقة الوثيقة بين الزرادشتية والمعتقدات السابقة عليها، والتي نلمس بعض عناصرها كـ«الطوطمية، والأرواحية، والتناسخية» في المعتقدات والتصوّرات والعبادات والشعائر اليزيدية. بالإضافة إلى أن أكثر القصص والمفاهيم الدينية الزرادشتية مستمدة من معتقدات شعوب المنطقة، وبخاصة شعوب بلاد مابين النهرين، مثل الخلق والطوفان البابلي[2].

ومن يتتبع الديانات القديمة، يشاهد فيها إتجاه الفكر البشري مدّة طويلة من الزمن إلى إلهين إثنين هما: إله الخير، وهو النور، وهو النار، وهو النهار، ومقرّه في الشمس. وكان يسمّيه السومريون «أوتو» والبابليون «شمش» أو «شماش» والفرس القدماء «مترا» و«أهورامزدا» و«يزدان». وهو الذي ينشر النور، ويمنح الحياة، ويهب الخيرات للعالم. وإله الظلام والشرور، ويسمّيه السومريون «نترغال» وهو عندهم إله الأرض السفلى المظلمة، ورب الموت والأموات، ورئيس الشياطين والمتمرّدين والعفاريت، ويسمّيه الكلدانيون «اليسار» و«كيسار». والفرس القدماء أهريمان و«ديو»، وعند اليزيديين طاووس ملك. ومقرّه عند الجميع في الدهاليز والممرات المظلمة، والكهوف، والآبار،

---

(1) للمزيد. أنظر د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. الفصل الثالث. شريعة اليزيديين ص 71 وما بعد.

(2) نوري إسماعيل. الديانة الزرادشتية، مزديسنا ص 36 - 35.

- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة. د. إمام عبد الفتاح إمام، د. عبد الغفار مكاري. ص 115. عالم المعرفة رقم 173. الكويت. أيار 1993.

وقمم الجبال الموحشة. ويدخل أحياناً في قلب الإنسان فيولّد فيه الأطماع والشهوات والنزوات، وطبيعة الشر والمساوئ الأخلاقية بكل معانيها[1].

والديانة الزرادشتية هي إحدى فروع الديانة المجوسية[2]، المتفرّعة من الديانات الآرية في أواسط آسيا. وقد جعلها الفرس القدماء خليطاً من الآرية والسومرية والبابلية والآشورية، وحتى من اليهودية، متناسبة مع أخلاقهم وعاداتهم.

فقد أخذ المجوس من المصريين محاسبة الأرواح في العالم الآخر، ومن البابليين وديانات ما بين النهرين السيارات السبع وجعلوها ملائكة، ومن التوراة خلق العالم في ستة أيام. وانقسم المجوس إلى ثماني فرق متّفقين في الأصل، مختلفين بالفرع وهم: «الكيومرتيه، والزروانية، والزرادشتية، والثنوية، والمنوية، والمزدكية أو المزدية، والديعانية والفرقونية». وأهم هذه الفرق وأوسعها إنتشاراً هي الفرقة الزرادشتية.

ومؤسّس الديانة الزرادشتية هو «زرادشت» أو «زورآستر Zoroaster» ويؤرّخ له سنة 682 - 551 ق.م. ويعتقد البعض أنه ربما عاش في فترة مبكرة عن ذلك التاريخ. ولا يعرف عن تفاصيل حياته إلاّ القليل، إنما جمّلت سيرته بعاطفة الحب. وتقول أكثر الوثائق أنه قتل في السبعين من عمره[3].

وقد وصلتنا تعاليم زرادشت في سبع عشرة ترنيمة من ترانيمه المسمّاة «غاثا gathas»[4] والكتاب المقدّس عند الزرادشتيين هو «الافستا» أو «الإبستاق»[5] وهذا الكتاب «الأفستا» لم ينج كله من تخريب الزمن. وقد فقدت جميع نسخه بعد غزو الإسكندر لفارس سنة 330ق.م. وفقد معه تفاسيره والمؤلّفات التي كانت تشتمل على شيء من أجزائه ثم بدأ ملوك الفرس في القرن الأول للميلاد في تدوين ما بقي من حوافظ الناس من الأفستا، وأكملوا هذا العمل في القرن الثالث للميلاد ثم في القرن الخامس م.

---

(1) فاروق الدملوجي. تاريخ الديانات. الألوية في الديانة الزرادشتية. الفصل الأول ص 344.
- جون هامرتن تاريخ العالم. المجلّد الثاني. ج. ب. غراندي. الفرس: الإمبراطورية الشاه الأعظم ص 444 - 446.

(2) المجوس كلمة فارسية أصلها «مغ» أو «مغو» ومعناها حارس النار المقدّسة وتأتي أيضاً بمعنى المبشّر.

(3) جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ص 137 - 139 منشورات مكتبة مدبولي القاهرة سنة 1996.
- صدّيق الدملوجي. تاريخ الأديان. ص 345 - 347. الأهلية للتوزيع والنشر. بيروت سنة 2004.

(4) الغاثا: كلمة معناها الغناء والانشاد.

(5) الإبستاق: هي الترجمة العربية لكلمة Avesta الفارسية، التي تعني الأمل أو المتن.

وعلى الرغم من صعوبة ترجمة هذه الترانيم، فإن حماسه وحبه لله، وحكمته كانت أموراً مذهلة. إن الله عند زرادشت هو السيد المهيمن الحكيم «أهورامزدا» خالق السموات والأرض، وهو الأول والآخر. ومع ذلك فهو أيضاً الصديق الذي دعاه من البداية، ولا يمكن ان تكون لله علاقة بالشر، فروحة المقدّسة هي التي تقيم الحياة، وتخلق الرجال والنساء. وتعارضه الروح الشريرة، والروح المدمّرة التي تتسم بالنوايا الشريرة، والتكبر والكذب. وعلى البشر أن يختاروا بين هاتين القوّتين المتعارضتين، أو بين التوأم والآلهة. فإن سلكوا طريق الشر، فسوف تمتلئ حياتهم بالأفكار الشريرة والكلمات الشريرة والأعمال الشريرة. وإن سلكو طريق الحق فسوف يشاركون في العقل الخيّر، ويبلغون الكمال والخلود والورع، وملكوت السماوات، وكلها جوانب من الطبيعة الآلهية.

فإن الخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من إمتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما حصل هذا العالم. فلذلك هما في جدال وصراع ونضال وكفاح مستديم مع بعضهما. ولكل من الطرفين المتخاصمين المتجادلين أعوان، ولم يزالا في صراع مستديم، حتّى يغلب النور الظلمة، والخير الشر، فيكون العالم كله خير، وكله بركة ومسرّات. وبهذه الدساتير الدينية أقترب زرادشت من التوحيد والتنزيه.

وعلى الرغم من أن زرادشت أدان معظم التراث القديم، فإنه لم يتخلّص منه تماماً. فهو بوصفه كاهناً، قد وضع ترانيمه في الشكل التقليدي المأثور، ورأى أن طقوس النار القديمة هي رمز النور والقانون الكوني لله، فاستخدمه في صلواته. وكل ما أخذه من أفكار، قد عدّله وشكّله من جديد بطريقة فريدة، فحبّه لله تطلّب منه أن يعمل من أجل العدالة والوفاق الإجتماعي، وأن يعارض الأعمال المدمّرة[1].

ولا مندوحة لتعاليم مؤسّس دين أو عقيدة من أن تتطوّر وتتعدّل عن طريق أتباعه. ولم تكن الزرادشتية إستثناء من هذه القاعدة. فأفكار زرادشت قد عدّلت بما يتلاءم مع أفكار العصر وحاجاته. ولم يفسد أتباعه تعاليمه عمداً. فقد ظل كل أتباع الزرادشتية يؤمنون بحقيقة أهورمزدا كما حدّثهم عنه زرادشت في الأفستا المقدّسة. لكن يبدو أنه حدث «تلاق وإلتحام» بين تعاليمه وبين الإيمان التقليدي في التراث، وكانت النتيجة إيماناً عميقاً يعبّر عنه بطريقة أسطورية. باعتبار الإله الأعظم، هو قديم أزلي مجرّد من جميع

(1) فاروق الدملوجي. تاريخ الأديان. ص 344.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 116 - 117.
- تاريخ العالم. المجلّد الثاني ص 444.

شوائب المادة، منزّه من كل أدران النقص، لم يولد ولن يموت، وهو روح الأرواح، يرى ولا ينظر، ولا تدركه عين أو بصر، وهو موجود في كل مكان، ولكنه لا يرى في أي مكان. وهو يعلم الحاضر والمستقبل، ويعلم الغيب، ويدرك دخائل النفوس، وهو قدير على كل شيء، لا يسمو عليه شيء قط، وهو معين من لا معين له، وراعي الفقراء والأغنياء على حدّ سواء، وإن أقوى الناس يشعرون بضعفهم أمامه، وهو القوّة غير المنظورة، التي يتطلع إليها الناس، لتشد من أزرهم وتقوّي نفوسهم. لهذا، لا يقدر على إدراك حقيقته عقل بشري، ولا يقوى على تصوّره خيال إنسان. ومن أجل أن تتمكّن الناس من تصوّر هذه القوّة الغيبية الخفية، وحتى تتقرّب إلى أذهانهم، فقد رمز إلى أهورامزدا برمزين مشاهدين تقوى عقول الناس من أتباعه على إدراكهما. وهذان الرمزان، هما الشمس، والنار.

فالشمس في السماء تمثل روح أهورامزدا في صورة يستطيع إدراكها كما إمتازت به من صفات، أذ هي كائن مشرق متلألئ يفيض الخير على جميع الكائنات، ويبعث فيها الدفء والنشاط، وهي قوّة لا تقاوم، ولا تستطيع نزعات الشر الإقتراب منها، والحط من قدرها، والإنتقاص من طهرها وصفائها.

والنار في الأرض هي العنصر الذي يمثّل للناس تلك القوّة العليا. فهي ليست عنصراً أولياً ساذجاً أبدياً أزلياً فحسب، بل هي أيضاً قوّة مطهرة مهلكة طاهرة نقيّة نافعة، لا يمكن أن يتطرّق إليها الفساد.

وهكذا تبدو تلك الصور التي يتصوّر الناس من أجلها، أن أتباع زرادشت يعبدون النار. بينما هم يؤكّدون أن تلك الفكرة خطأ كبير. فهم لا يعبدون النار أو يتخذون منها إلهاً، ولكنهم يرونها إلى جانب الشمس رمزاً لقوّة الإله الذي لا يمكن أن يراه أحد.

ويقول الزرادشتيون: أنهم يقدّسون النار، ولا يعبدونها، لأنها مقدّسة كرمز. وعندما توقد النار في هيكل يصير من أهم الواجبات وأقدسها على رجال الدين، أن يعملوا دائبين على إبقائها مشتعلة. ويتلو الكهنة عبارات دينية يدعون بها الناس إلى التأمل في الخير والكلام الطيّب والعمل الصالح. وهي جواهر الزرادشتية الثلاثة التي تتضمّن كثيراً من الفضائل والأدب، كالأمانة، وحسن المعاملة، والعفة والطهر، والإحسان إلى الفقراء، والعطف على الأغراب. ومن هنا كان أول عهد يأخذه الزرادشتي عل نفسه كما جاء في الأفستا المقدّسة: «لن أقدم عل سلب أو نهب، ولا تخريب ولا تدمير، ولن آخذ بالثأر، وأقرّ أني عبد الإله الواحد أهورامزدا. وأني أعتنق دين زرادشت، وأقر أني سألتزم التفكير

في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح»[1].

وهكذا وبموجب المذهب الزرادشتي، فإن الإله أهورامزدا، خلق الأرض والسماء والإنسان وكل ذي حياة من حيوان ونبات. وهو الذي خلق المدن والقرى في العالم، وأوجد في إيران وحدها سبع عشرة مدينة. وهوالذي وضع نظام الكائنات والعوالم، وإن كلمة «هرمز» المستعملة بين الإيرانيين الأحداث هي مختصر كلمة أهورامزدا. فهذا الإله هو إله النار والنور والخير والنظافة والحقيقة والصحة والعافية. وهو روح لا يرى بالعين، وهو الروح المقدّسة، لديه سبعة ملائكة يحفون به، ويبلغون شرائعه وأوامر ونواحيه. وهؤلاء هم المقرّبون الخالدون. وهناك أرواح أخرى تسمّى «بازاتا» تتوكل بتنظيم أحوال الماء والهواء والتراب وكل ما هو متعلّق بنظام هذا الكون.

وقد حث زرادشت أتباعه بأتباع ست خصال حميدية:

1 - طهارة الكلمة والفكر والعمل.
2 - النظافة والبعد عن كل ما هو دنس.
3 - الإحسان بالقلب والفعل.
4 - الرفق بالحيوانات النافعة.
5 - القيام بالأعمال النافعة.
6 - مساعدة الذين لا يتيسّر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم.

*** ومن أقوال زرادشت:**

هذا ما أسألك عنه
فأصدقني الخبر يا أهورامزدا.
من ذا الذي رسم مسار الشموس والنجوم؟
ومن ذا الذي يجعل القمر....
يتزايد ويتضاءل؟
ومن ذا الذي رفع الأرض....
والسماء من تحتها.

---

(1) أنظر: سليمان مظهر قصة الديانات. القسم الرابع الزرادشتية ص 275 وما بعد....
- جيدوايد نغرين: الزندقة. ترجمة الدكتور سهيل زكار. دار التكوين للنشر والتوزيع. دمشق 2005.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب ص 141 - 142.

وأمسك السماء أن تقع؟
من ذا الذي حفظ المياه والنبات.
ومن الذي سخّر....
للرياح والسحب سرعتها؟
ومن ذا الذي أخرج العقل والخير؟
إنه أنت يا واحد... يا أهورامزدا.
من يستطيع أن يحمي.
شخصاً حقيقياً فانياً مثلي؟
أي كائن آخر غيرك...
بما لك من عقل وقوة نارية....
يقوى نشاطه على تنفيذ....
مبدأ الإستقامة والتقوى؟
أكشف لي عن أسرار المعرفة....
كي تساعدني على نشر دينك.
أيها الإله الواحد... الحكيم.
يا أهورامزدا.

فأهورامزدا في دين زرادشت هو واحد لا يشركه أحد، وهو خير محض لا شرّ فيه، وكل خير في العالم منبعث منه وهو مصدر كل مجد ونور وسعادة، يريد الخير دائماً، ولا يفكّر في الشر أبداً. وهو المشرّع القدسي، والقاضي الأسمى العادل الرحيم. وقوّة أهورامزدا الخيّرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر أهريمان، الذي هو سبب لكل ما في العالم من شرور يقوم بها هو ومعاونوه من خلائق الشر الأخرى المعروفة بإسم «ديڤا».

وعند زرادشت إن الإله الواحد مجرّد، لا يستطيع المرء أن يلمسه، أو يسمعه، أو يشمّه، أو يراه، وإنه واحد حكيم خالق كل ما هو خير في العالم، ولا نعرفه إلا من خلال أعماله.

وعلّم زرادشت الناس أيضاً، أنه عندما يفعل المرء خيراً، فإن فعله الخير لا يسجّل في كتاب حياته فحسب فيكافأ عنه، بل إن فاعل الخير يضيف بعمله خيراً إلى العالم.

وفاعل الشر مرتبط بروح الشر. أما فاعل الخير فهو يقاتل من أجل الإله الحكيم.

إن ما ورد عن الزرادشتية، وصفات أهورامزدا، وأبوّته للنورانيات، وخلقه للملائكة السبعة المساعدين له، شبيه بقصّة الخلق الإلهي اليزيدي للكون والبشر، وبصفات الخالق الأعظم. كما جاءت في كتابي «الجلوة» ومصحف «رش».

حيث جاء في كتاب الجلوة:

1 - أنا كنت موجوداً الآن، وأبقى إلى النهاية بتسلّطي على الخلائق وتدبيري مصالح وامور كل الذين تحت حوزتي.

2 - حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي ويدعوني حين الحاجة.

3 - الآلهة الأخرى ليس لهم مداخلة بشغلي ومنعي عمّا قصدته مهما كان.

4 - الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.

وفيما يتعلّق بالتكوين، جاء في كتاب الجلوة.

«خلق الله العالم في ستة أيام، خلق الملائكة الذين يتعاقبون على إدارة العالم».

حيث يعتقد اليزيديون أن أولائك الملائكة أرواح من ذات الله، وأطياف من نوره وأنهم أزليون، وإن اليزيدية لا تؤمن بتعدّد الآلهة، وتقرّ صراحة بالتوحيد، وإن كلمة «ازداي» تعني «خالقي»، وهو إله ليس قبله ولا بعده، أزلي أبدي، لا تشاركه أية آلهة، ولا هو رئيس الملائكة، وإنما هو الله[1].

ويقول الباحث اليزيدي علي عابد: اليزيديون يعبدون الله وحده، «أزدان» أي «خالقي». ومنه إشتق اسمهم «الأيزيديون». وعندما تسأل أحد اليزيديين يقول لك بأنه

---

(1) سليمان مظهر قصة الديانات ص 275 و 312 - 314.

- د. خلف الجراد ص 74 - 76.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب «نشرة عالم المعرفة» الفصل الخامس إيران القديمة ص 115 وما بعد.
- تاريخ العالم. جون هامرتن. المجلّد الثاني. الفصل السابع والثلاثون الفرس أمبراطورية الشاه الأعظم ص 438 وما بعد.
- كتاب الجلوة الفصل الأول الآية - 1 - 2 - 3 الفصل الرابع الآية 5.
- مصحف رش الآية 1 - 9.
- سليمان مظهر. قصة الديانات ص 294
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم.
- علي عابد: مجلّة مواسم. العدد 5 - 6 ص 71 القامشلي 1995.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون. الفصل الثالث.

«إيزيدي» وليس «يزيدي».

ومطلع دعاء الصباح عند اليزيديين:

1 - باسم الله «يزدان» المقدّس. الرحيم، الجميل. إلهي لعظمتك ولمقامك ولملوكيتك.

2 - يا رب أنت الكريم الرحيم الإله، فلك ملك الدنيا، مملكة الأرض والسماء، ملك العرش العظيم.

3 - يا رب أنت أزلي قديم. يا رب إنك حتّى الأبد أمنية الروح.

4 - يا رب إنك الصمد، أنت الظاهر والمخفي، وغيرها من الدعاءات....

وجوهر الزرادشتية: «إن الإله الواحد مجرّد لا يستطيع المرء أن يلمسه أو يسمعه، أو يشمّه أو يراه. وإنه واحد حكيم خالق كل ما هو خير في العالم، ولا نعرفه إلا من خلال أعماله».

وفي البحث في الديانة اليزيدية وعباداتهم، لا نجد نصاً يزيدياً واحداً يقول أن الشيطان يمثّل إله الشر، أو فكرة السرّ التي تُمَثّل في شكل طاووس.

فاليزيديون يؤمنون إلى اليوم بوجود قوتين: قوة الخير، وقوّة الشر ز وإن قوّة الخير وهي قد تغلّبت على قوّة الشر، وهي الشيطان، فطردته من سلطة الملكوت.

ويرى الباحث اليزيدي علي العابد. إن قصة الخليقة عند اليزيديين تتحدث عن حقيقة، أن الله كان قائماً وحده منذ الأزل، دون جميع الكائنات. أما الملائكة السبعة فمخلوقة بإرادة الله، وهي ليست آلهة بالمعنى الصحيح، لأنها مخلوقات غير أزلية، وإن إطلاق صفة الآلهة على المخلوقات السبعة جاء كتقليد قديم، تحدّر من ديانات قديمة، دون أن تعني ذلك أشراكها مع الله ووحدانيته. في حين أن الله يذكر بأسماء لا تكون لغيره، وهو الإله الكبير، وهو «خدا» وهذه أسماء تخص الله وحده. أما كلمة طاووس في الأصل، فهي يونانية محرّفة من كلمة «تيؤس» «تيوس» بمعنى إله، رب، الله. وبالتالي فإن طاووس الملائكة تعني «رب الملائكة». وفي البدء كان الملائكة، وكان الله إلههم. فطاووس الملائكة هو نفسه «أزداي» وهو «خدا» باللغة الكردية. ويتطابق هذا التفسير مع ما كتبه المستشرق الفرنسي «ف. نو F. Nau» في كتابه النصوص والبراهين على الملّة اليزيدية، من كلمة طاووس محرّفة من تيؤس التي تفيد معنى الإله باللغة اليونانية.

ويروي الباحث محمد سيد كيلاني في بحثه «اليزيدية أو عبدة الشيطان»: إن على كل زيدي أن يسجد بعض الأوقات قدام ربه بطلوع الشمس، ويدعو قائلاً: «آمين، آمين، الله يبارك الدين. يا الله، يا دائم، يا غفور، يا موجود، يا فتّاح، يا رزاق، يا مدبر الكون،

ياساتر، يا آمدين، يا شمس الدين، يا فخر الدين، يا ربي أنت تبارك الدين، على شأنك، على مكانك. على سلطانك. على عظمتك أدعو وأسجد، أنت كريمي، أنت دوامي، أنت موجود، أنت معبود»[1].

ديانات بلاد ما بين النهرين

لقد تبيّن من المخطوطات المسمارية السومرية المكتشفة حديثاً، أن العناصر المكوّنة للخليقة، وأصل الوجود والثنوية المجوسية الفارسية، وإلهة الشمس وعبادة الكواكب، وقواعد التعبّدات، والخضوع لمشيئة الإله والأقدار والآجال والأدعية، والصلاة والخير والشر، والقوانين والنذور، والشرائع الإلهية، ووجود الجن والشياطين، موجودة ولو بشكل بدائي في الأساطير السومرية والكلدانية وديانات ما بين النهرين.

وبعد أن نفض المنقّبون التراب عن الآثار السومرية، تبين وجود مساع بشرية محكمة الصنع والوضع والتنظيم. سبق أن تعب في تركيزها وترسيخها من السومريين رجال ذوو حنكة ودهاء وفطنة وذكاء، درسوا الأحوال الكونية والطبائع الإنسانية، والإحتياجات البشرية، فوضعوا أسس الحضارة والمدنية، ومبادئ الشرائع الدينية والدنيوية.

ويرى البعض من الباحثين في الشؤون اليزيدية، وغالبيتهم من المؤرّخين العراقيين، أن ثمة علاقة وطيدة ومتواردة ومشتركة بين اليزيديين وشعوب بلاد ما بين النهرين وحضاراتها، من السومرية إلى البابلية والآشورية، تتمّثل في الكثير من العبادات والأعياد والتقاليد، ويعتبرون العراق متحفاً للثقافات الدينية، وجباله جصوناً للعقائد العجيبة، التي لاذ أصحابها بالكهوف والوديان دهراً طويلاً، حتّى صعب على المؤرّخين معرفة إيهما ينتسب إلى الآخر.

---

(1) د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون. الفصل الثالث. القسم الثاني ص 71 - 80.
- الأب أنستاس الكرملي. مجلّة المشرقة البيروتية عدد 2، 1899.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 20 - 41 - 42.
- القس سليمان الصائغ. تاريخ الموصل. جـ 1 ص 296 القاهرة 1923.
- علي عابد: مجلّة «مواسم» ص 73 - 74.
- محمد سيد كيلاني: اليزيدية أو عبدة الشيطان جـ 2 ملحق الجزء الثاني من كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص 40 بيروت دار المعرفة 1984.
- جون هامرتن. تاريخ العالم. المجلّد الثاني ج. ب. جرندي. الفرس وأمبراطورية الشاه الأعظم. الفصل السابع والثلاثون ص 438 وما بعد.
- Nau. F. Note sur la date et la vie de cheikh Adi, chef des yézidis. p. 105 - 108.

والبزيديون من هذه الطوائف. وقد إختلطت طقوس اليزيديين بطقوس الأديان الأخرى، فتأثّروا بها على الدوام. ويرجع ذلك إلى قدم كتب ومخطوطات تلك الأديان وقوانينها، وحداثة الكتب اليزيدية المقدّسة، «مصحف رش» وكتاب «الجلوة» إضافة إلى تقوقعهم في البيئة الجبلية، وإستقبالهم الزائرين من أديان مختلفة. بيد أن هذه الطقوس التي تأثّروا بها أخضعوها لعقائدهم التي تبدو قديمة جداً[1].

وفي سياق مقابلة اليزيدية مع الأديان الأخرى التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين، يزعم الباحث العراقي الأصل. «جان كوفان» إن التشابه الكبير بين طقوس المندائية (الصابئة) واليزيدية منطلقاً من كلمة «مند»[2] التي هي لأحد المقدّسين القدماء عند اليزيدية، والمعروف بشيخ الأفاعي[3] تجلّي في شخص الشيخ فخر الدين، كتجلي طاووس ملك بشخص الشيخ عدي. وكذلك تشير كلمة مند إلى اسم قبيلة كردية، يقابلها اسم العشيرة مندائية «المندوية» بالعمارة جنوب العراق، ويسمّى المعبد عند المندائيين «المندى». إضافة إلى إشتقاق الديانة من كلمة مند، والتي تعني المعرفة والعلم. وفي هذه العلاقة يعتقد «كوفان» أن المندائيين إنحدروا من ميديا (كردستان) إلى جنوب العراق. ومن هناك تأتي جذور الصلة بين الديانتين. إضافة إلى اعتقاد المندائيين. إنهم أبناء «شيت» بن آدم، واعتقاد اليزيديين أنهم أبناء «شيت بن جرّة»، الذي هو ابن آدم دون حوّاء حسب أسطورة الخلق اليزيدية كما سبق وذكرنا....

أما التشابه في المعتقدات بين اليزيدية والمندائية فهي: تحريم الزواج في شهر نيسان، وحبس المرأة لنفسها عند المندائية في دائرة من الحصى، وتحبس عند اليزيديين داخل حبل على شكل دائرة، ووضع حفنة من تراب أول حفرة في فم المتوفي، وعند اليزيديين حفنة من تربة الشيخ عدي. وتحريم ذرف الدموع على الأموات. وكراهية لبس الثياب الزرقاء، وتفضيل لبس البيضاء منها. والديانتان لا تعتبر المواريث من صلب الشرائع والمهام

(1) دائرة المعارف الإسلامية جـ 4 ص 290 طهران.
- الأب أنستاس الكرملي - مجلة المشرق البيروتية ص 33 - 1899.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 73 - 74.
- فاروق الدملوجي. تاريخ الأديان. الكتاب الرابع. المعتقدات الوثنية الديانات السومرية والأكدية والكلدانية ص 169 - 170.

(2) لم يؤكّد الكثير من الباحثين على هذا الزعم (المؤلّف).

(3) سمي كذلك لأن مهمّته الشفاء من لدغات الأفاعي، وله مرقد يزار حتّى الآن.

الدينية، مع العلم أن هناك اختلافات مهمة وكثيرة بين الديانتين[1].

ومن يتابع الأعياد الدينية لدى اليزيدية ومواسمها ومناسباتها، يتأكد من وجود ما له علاقة بالطبيعة فيها. إذ تجد للقمح أثراً مهمّاً في عيد «خدر الياس» وعيد «البيلندا» وقد يقسم اليزيدي بالقمح، ومن لا يأكل القمح (الخبز المصنوع من القمح). حسب أعرافهم لا دين له، كما يبالغ آخرون من أن سر طاووس ملك يكمن فيه لقدسيته. وفي ملحمة «جلجامش»، حين أقنعت المرأة الإله «أنكيدو» أن يأكل الخبز المصنوع من القمح، تحوّل حينها إلى كائن بشري، وفقد منزلته الألوهية. ممّا يجعل للقمح مكانة مقدّسة ومتميّزة بين اليزيديين.

ولعلّ العلاقة المشتركة بين الديانة اليزيدية والمجتمع البابلي. في تقديس يوم الأربعاء، تشير إلى إمتداد هذا التقديس الذي لم يوجد له أثر في بقية الديانات، التي تتالت على المجتمع في المنطقة. والحيّة السوداء المنقوشة على الصخر في الجانب الايمن من الباب الخارجي للمعبد المقدّس، والتي تخرج من بين الصخور لترتفع إلى الأعلى، والتي رسمها اليزيديون على باب معبدهم المقدّس، لم تكن من غير معنى. فقد كانت المعابد البابلية تعتمد الحيّة لحراسة بوابات المعابد والمقابر.

وقصّة الخلود في الأساطير البابلية واضحة في سعي «جلجامش» للحصول على عشبة الخلود، وبقاء الشباب والحياة بشكل دائم. وبعد أن عثر على هذه العشبة في أعماق البحر واستخرجها، سرقتها الحيّة، التي كان يعتبرها خالدة، لاعتقاده أنها تتجدّد وتغيّر حياتها بتغيير جلدها كل عام. كما أن الحية، وكما ورد في الأساطير والقصص والمرويات، هي التي أنقذت سفينة نوح من الغرق، بأن أدخلت جسمها في الفتحة التي كادت أن تغرق السفينة بمن عليها، وتنتهي الحياة البشرية كما تروي هذه الأساطير، ويبدو ان المجتمع اليزيدي أكثر من نسج الأساطير عن الحيّة وعلاقتها بالموروث الإجتماعي والأساطير الشعبية، التي يتداولها اليزيديون. ولا يغيب عن البال علاقة الحيّة بالرمز المقدّس طاووس ملك، أو بالأساطير الدينية التي تداولها رجال الدين اليزيديون حول قدسية الحيّة كقوّة نازعة للخير.

---

(1) كوفان مجلّة لالش. الإيزيدية عـ4/ 1994.
- رشيد الخيّون: الأديان والمذاهب بالعراق ص 82.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 152.
- الأب انستاس الكرملي. اليزيدية مجلّة المشرق ص 33 - 35/ 1899.
- فاروق الدملوجي. اليزيدية ص 64.

وإضافة إلى عبادة الإله «مردوخ» في بابل وبلاد ما بين النهرين، لن نستغرب أن عبادة الشمس والكواكب، والظواهر الكونية، كانت منتشرة في تلك المنطقة. فإن البابليين كانوا يعبدون الإله «شمش» (الشمس) والإله «سن» القمر. ومن يدقّق في أسوار المقابر البابلية يجد أنها تحتوي على فتحات على شكل مثلّث، للسماح بدخول نور الشمس إلى باحة المقبرة، وهو نفس ما نجده اليوم في مقابر اليزيديين القديمة وأضرحة الأولياء، والرموز الدينية التي بدأت بالإندثار. ويقول إسماعيل جول: يجب على كل يزيدي عند طلوع الشمس، وفي كل يوم أن يزور مكان شروق بشرط أن لا يراه مسلم.

وهناك معبد في شمال نينوى في العراق يدعى معبد «إيزيداكلا»[1] ويقول الباحث «حسو أومريكو» أن المعبد المذكور كان في منطقة لالش، وقد هدمه حمورابي سنة 1760 قبل الميلاد في الحقبة البابلية[2] كما يذكر «شمو قاسم الدناني»: أنه كان يتم في هذا المعبد مراسم عيد رأس السنة «الأكيتو»، والتي تسمّى بالسومرية «زكموك». وهذه الطقوس تسمّى باحتفالات «بيت اكيتو الديني» وكان الكاهن «بيرخوسا»، هو الكاهن الأكبر للمعبد. وإن آثار المعبد لا تزل باقية على الجهة الغربية من الفرات مقابل بابل، وخصص له أعلى تل في المنطقة، وبناه بأرضية مربّعة، وبنى فوقها مدرجات، ثم بنى غرفة في قمّتها، جعلها معبد الإله «نبو» وفي الطابق الأرضي تقام الطقوس الدينية من قبل الكاهن. وإضافة إلى هذا المعبد، فقد بنى الملك بختنصّر الكثير من المعابد. وقام بتجميلها مثل معبد «إيزيدكلا» ومعبد الإله «شمش» ومعبد الإله سن[3].

ويذكر الباحث «جورج حبيب» أن مدينة «بورسيبا» الواقعة على الفرات كان يقوم فيها معبد يسمّى «إيزيدا» بينما كانت مدينة بابل تقع على الضفّة المقابلة، التي كا يعبد فيها الإله مردوخ وكان له فيها معبد يسمّى «ايساكيلا»[4].

وإذا كانت الحضارات القديمة تعتمد الظواهر الطبيعية رمزاً لعباداتهم، وخضوعهم لما فيها من أسرار، ممّا يعزى إلى أنه لم يكن باستطاعة الإنسان في حينها، أن يفكّكها أو

(1) إيزيداكلا بمعنى «معبد الخالق العام غير المخلوقات، أو الإله غير المولود».
(2) حسو اومريكو. مجلّة روز عـ7 - 8 ص20/ 2000.
(3) شمو قاسم الدناني: فصيلة لالش العدد 12 - ص46/ 2000.
- طه باقر. العراق القديم ص 233 بغداد.
- ليوناردوولي: وادي الرافدين مهد الحضارة، ترجمة يعقوب بكر ص 64.
- زهير كاظم عبّود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم ص 99.
(4) جورج حبيب: اليزيديون بقايا دين قديم ص 78 مطبعة المعارف بغداد.

يتوصل إلى بعض علومها، كما أن بقاء تلك الظواهر مقدّسة ومهيبة لدى اليزيديين، يدلّ على استمرار الظاهرة القديمة، التي كانت تنتشر بين الأديان والحضارات القديمة. فلم يزل حتّى الآن تقديساً ومهابة لكل من الشمس والقمر في الديانة اليزيدية، وإن دلّ استمرار التقديس على شيء، فإنما يدلّ على الإمتداد التاريخي القديم والتواصل في الاعتقاد وداخل هذه الديانة. وإن وجود المعابد السومرية «الزقورات» على شكل بناء عالي، يشير إلى الإرتقاء بأماكن العبادة نحو السماء والأعالي. وإن شكل القباب التي تزيّن المعابد اليزيدية والتي ترتقي قبابها نحو السماء، لا نجد لها أشكالاً مشابهة في مزارات وأماكن عبادة الأديان التي تعاقبت. فشكل القباب مخروطي يبدأ من نقطة الإلتقاء وينخرط بشكل متوزع ومتساوي على قاعدة البناء، بشكل خطوط متوازية، تتوزّع عليها أشعة الشمس عند شروقها، مخالفة بذلك الطراز المعماري للجوامع والقباب، وأماكن العبادة في جميع الديانات.

وفي نصوص كتاب الجلوة. يرى «سعيد الديوه جي» أن الشمس تمّ تفويضها إلى الملاك إسرافيل، بالإضافة إلى القمر والنجوم، ومن إنعكاس نوره انتشر الشعاع في جميع الأرض. ومنعت الديانة اليزيدية الحلف كذباً بالشمس والقمر، وألا يحلف اليزيدي بأي نور، ونرى أن اليزيديين قد كرّسوا أربعة من أدعيتهم للشمس: دعاء الفجر، الصبح، الظهيرة، والمساء، ويقفون بكل تبجيل في حضرتها، ويتحركون كزهرة عباد الشمس (دوّار الشمس) مع حركة الشمس من الشرق إلى الغرب عند أدائهم لهذه الإدعية[1].

ومن النصوص التي حفظها العهد القديم[2] ما ورد في كتاب «المشنا» القديمة. وهي نصوص تحفظ عن طريق الذكر والإستظهار، تخصّص بها رجال الدين، ولم يعتمد هذه الطريقة التي اختصّت برجال الدين، سوى اليزيدية من الأديان. وقد مارسها رجال الدين العبريين المنفيين في بابل، ويبدو أن الإشتراك المتشابه في طريقة النصوص الدينية بين الديانتين، يترك احتمال وجود اليزيديين منذ العهد البابلي والعبري القديم في بابل، حيث

(1) هنري ساكس. عظمة آشور. ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان. ص 293 الدار السورية. دمشق. 2002.
- بير ممو عثمان. الديانة اليزيدية بين عبادة الشمس والتصوّف. فصيلة لالش عـ 21/ 2004.
- سعيد الديوه جي. اليزيدية ص 242 - 243.
- زهير كاظم عبّود التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم ص 99 - 104.
- آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين ص 58 - 59.

(2) التوراة أو الكتاب المقدّس عند اليهود.

لا يمكن أن تكون الطريقة التي تم إعتمادها إعتباطاً أو بالصدفة، وخصوصاً إذا ما وجدنا عدم إلتزام جميع الديانات التي تتالت على المنطقة بهذه الطريقة.

ولا يغيب عن بالنا المعاني العميقة للأعياد والمناسبات الدينية لدى اليزيديين، والعديد منها تترابط مع الأعياد التي سادت بلاد مابين النهرين، من السومريين إلى البابليين والآشوريين، وكأنها إمتداد لها. بالإضافة إلى العديد من الأساطير التي كانت سائدة بلاد ما بين النهرين بين اليزيديين، ولما تزل المجتمعات اليزيدية تتداولها كنمط من أنماط الميثولوجيا الشعبية.

وعيد رأس السنة لدى اليزيديين يقع في أول أربعاء من شهر نيسان، وكانت تعيّده شعوب بلاد مابين النهرين القديمة في ذات التاريخ والشهر. وعيد بيلندا[1] يرجع تاريخه إلى العهود البابلية والآشورية القديمة، ويقع هذا العيد في الرابع من شهر كانون الثاني من كل عام. أما عيد خضر أو خدر الياس فيحتفل به اليزيديون والآشوريون على السواء[2].

---

(1) زهير كاظم عبّود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم القسم الأول الجذور ص 30 - 34.
- خليل جندي. دورية روز العدد الأول ص 22/ 1990.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد الأيزيديون في إقليم كردستان. مركز كردستان للدراسات الستراتيجية. السليمانية 2004.
- جورج حبيب. اليزيدية بقايا دين قديم ص 17.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً.

(2) بيلندا. كلمة من أصل أرامي «بيلدا» وفي الآشورية «بيث بيلدا» ومعناها ميلاد الطفل.

الفصل الرابع عشر

الطقوس والعبادات

الصلاة

يقول عبدالرزاق الحسني: «ليس لليزيدية صلاة عامة، بالمعنى المقصود عند بقية الطوائف والشعوب، وإنما لهم صلاة خاصة يسمّونها بالصلاة. فكل يزيدي متدين، يتوجه عند شروق الشمس إلى مطلعها، كأبرز ظاهرة خلقها الله، وعند غروبها في مغيبها، يلثم الأرض، ويعفر وجهه بالتراب، ويدعو دعاءً خاصاً بلغة، هي مزيج من العربية والكردية والفارسية»[1].

أما الكاتب اليزيدي درويش حسّو فيقول: «للإيزيديين صلواتهم وأدعيتهم يوجهونها إلى الله تعالى، يلتمسون رضاه ونعيمه، أسوة بباقي الديانات الأخرى، التي تحيط بهم، ويتّجهون بصلواتهم هذه بأدعيتهم نحو «إزداهي باك» أو «إزاده» ومعناه «الذي خلقني» أو «خالقي». وعلى اليزيدي أن يعبده ثلاث مرّات في اليوم على الأقل. ذلك عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند غروب الشمس، قارئاً بعض الأدعية باللغة الكردية، ومتجهاً باتجاه الشمس، لأن ينطلق من فكرة مهمّة، وهو أن شروق الشمس هو الطريق الوحيد إلى بيت الله تعالى، وهي الإتجاه الأساسي للعبادات»[2].

وكما سبق وذكرنا، فإن من أسس الديانة الزرادشتية تقديس العناصر الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب. وفي العقيدة اليزيدية تحتل تلك العناصر أيضاً مكانة مركزية. فقد جاء في مصحف «رش» أن الرب نزل في أرض، وأمر جبريل بجلب التراب من أربع زوايا الدنيا، فجاء بتراب وهواء ونار وماء، فخلق من كل هذا آدم الأول، وجعل فيه روحاً من قدرته[3]. وإذا كانت الزرادشتية وهي الأم الأولى لليزيدية، أو أحد أمهات اليزيدية الأهم، جعلت النار شعاراً ورمزاً لها، وكان زرادشت نفسه يتلو الصلوات أمام النار قائلاً: «إلى من تريد أن أوجّه عبادتي، إلى نارك، بجعل القربان لها من التمجيد». فإن اليزيدية تتوجه بصلواتها إلى الشمس المجسّدة المرئية لقدرة الرب المقدّسة. لأن الزرادشتية

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 77.

(2) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 85 - 86.

(3) أنظر مصحف «رش» المنشور في فصل سابق من هذا الكتاب الفقرة 17 منه.

واليزيدية المتفرعة عنها، كلاهما تُعدان الناس والشمس تجسيداً رمزياً للإله الأعظم»[1].

صلاة الشروق

«آمين آمين الله تبارك الدين، الله أحسن الخالقين، بهمّة شمس الدين، ناصر الدين، سجاد الدين، الشيخ شمس مؤيّد الدين، باني المجد القديم «السلطان الشيخ عدي، رئيس الأولين والآخرين، إعط الخير تنجو من الشرّ، حق الحمدلله رب العالمين، مهما كان عدد أعوان يزيد، فإن بينهم الكافرين والضالين. ومن بين الإثنين وسبعين ملّة، والثمانين ألف مخلوق، إذا كان له صبر وستر، وعقل وفهم، إيمان ثابت، ويقول القول الصحيح دون زيغ، وكان عنده الحياء والناموس، فإن الشيخ شمس الدين يشفع له عند الإله».

صلاة الفجر «دعاء الصباح»

باسم الله يزدان المقدّس الرحيم الجميل

إلهي لعظمتك ولمقامك وملوكيتك،

يا رب أنت يا كريم الرحيم الإله. ملكك ملك الدنيا، مملكة الأرض والسماء، ملك العرش العظيم.

يا رب إنك أزلي قديم، يا رب إنّك حتّى الأبد أمنية الروح.

يا رب إنّك ملك الإنس والجن، ملك الكرسي والعرش، يا رب إنك الصمد صاحب العطف.

يا رب إنك رب السماء، رب الشمس والقمر، رب الأنهر والوديان، يا رب إنك رب العطاء.

يا رب أنت لنا وأنت المدد، أنت الصدى، أنت اللون، أنت الصوت، أنت المقبض، يا رب إنّه لا يدري أحد كيف أنت.

يا رب أنت خالق الحوت ومعطي القوت، أنت الحلم والملكوت.

يا رب أنت دائم الوجود، يا رب أنت دائم الوجود، يا رب أنت دائم الوجود.

---

(1) د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 111.
- نوري إسماعيل. الديانة الزرادشتية، فرديستا. ص 78 - 79.
- فوزي محمد حمّيد. عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ص 268 - 270. دار حطين دمشق 1993.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 86.

صلاة الإشراق

باسم الله «يزدان» الرحيم الجميل.

يا رب أنت موجود وأنا معدوم، أنت غافر الذنوب، أنت الإله الحق مالك الكم والكيف، الإقامة لك لكنك رفيع، لا صوت لك لكن صوتك معروف. مكانك في كل مكان. أنت خالق العالم كلّه. أنت الذي وهبت آدم. أنت الذي خلقت الموسم. أنت لا تتكلّم يا رب كما نتكلّم نحن، ولا تعمل مثلما نعمل.

أنت ولي فرض الصلاة يا رب، إنّك تميز روحاً عن روح، وأنت تنتزع الأرواح من الرؤوس.

أنت لست قليل الإدراك مثلنا نحن، إنك توحي للأرواح فتحلّ بالأجساد.

يا رب إنّك أنت الإله. أنت الملك أعلم العلماء ملك الملوك، لا تأكل ولا تنام ولا تصيح، انت رب الحروب ورب الحجاب، مكانك في كل مكان، أنت الإله وأنا المبتلي بالأسقام. إنّك تشفي المرضى لأنك كفوء للمدح وللثناء. لا يعرف أحد كيف أنت.

صلاة الصباح

طلعت عليّ الشمس وجاء علي اثنان من الجلادين

فيا مسكين قم وشاهد شهادة الدين

وهي ان الله واحد، والملك والشيخ هو حبيب الله.

وسلّم سلاماً على الشيخ عدي، وعلى أمتّه والقبة الكبيرة الموجودة تحتها، وعلى قبة الشيخ توريس، وعلى الشيخ والبير وعلى المزار دَيْراصور،

وأشهد بأنّه بقوّة ذراع الشيخ التي رفعها صار الناس يزيدية، آمين.

مقتطفات من صلاة الأموات

يا ابن آدم المسكين، يا ابن آدم الفقير، ما هذه الدنيا الا دار للسكارى، إنها مثل حلم الليالي. مثل الفلك، مثل ظل الأشجار يلقى كل يوم جديداً. أين سليمان الحاكم؟ أين بلقيس التي ذاع اسمها؟ لك البقاء يا رب، إنهم تركوا الدنيا. أين درويش حامل المسبحة والوقّاص؟ لك البقاء يا رب.

يا ابن آدم لا تكن طماعاً في هذه الدنيا، لا تجمع المال والذهب جمعاً، لم تدم الدنيا حتّى لرسول الله.

أين حمزة؟ أين علي؟ أين الأولياء؟ أين الأنبياء؟ إنهم يرقدون في قبورهم كالمومياء...

الوف الحسرات والويلات والثبور على خلود ذوي الأخلاق الفاضلة والشفاه المعسولة لكي يحدّثونا. لتنهمر دموعنا بغزارة، فالألم والبكاء لا يفيدان، والكفن والقبر هما المكتوبان لنا..

مقتطفات من دعاء ما بعد الصلاة

آمين آمين آمين. يا إله يا معين الدين. يا اله إمنح الخير وردّ الشرّ، شمس الدين، فخر الدين، عماد الدين، ناصر الدين.

أيها الحق انت ملك! مالك الشمس والقمر، رازق الإنس والجن، رب عالم خالق الإنس والجن.

يا شرف الدين صاحب الجدائل المقصوصة، تعال إلى كردستان بالبشرى، انشر سجل الإيمان، شيخ شمس يوم الإيزيدية. شرف الدين أمير في الديوان[1].

ويؤكّد الباحث اليزيدي درويش حسّو: «بأن أدعية شروق الشمس والظهر وغروب الشمس، واجبة على كل يزيدي، وهناك «دعاء المنام»، يقال عندما يرقد اليزيدي في فراشه، حيث يتوجب عليه تلاوة هذا الدعاء، وعندما يستقيظ من نومه عليه أن يتلو «دعاء الفجر». ويعتبر ان العقيدة اليزيدية لا تجبر اليزيدي على الصلاة في معابد خاصّة، لانهم ينطلقون من فكرة شمولية الكون ووحدته، وان الكون كلّه بيت الله، وان الله موجود في كل بقعة من الأرض، وأن بينهم وبين الله لا يوجد جدار»[2].

ومما تقدّم، يتضح أن اليزيديين يؤمنون بالله الواحد الأحد، ويعبدونه موحّدين، خاضعين لمشيئته وقدرته التي لا تحد، مستسلمين لإرادته وقضائه وقدره، واثقين من سعة رحمته وعظيم عفوه. فاليزيديون يعبدون الواحد الاحد، ويصلون داعين مستغفرين في أوقات منتظمة معلومة لديهم. وهم بذلك لا يخرجون بصورة عامّة، من معنى الصلاة

---

(1) Louis Massignon. Les deux livres sacrés des Yézidis. R.H.R. LXIII, 1911 p. 245 - 246. LXIV, p. 264 - 265.

- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 76 – 78.
- د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 114 – 116.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية ص 292 – 297.
- محمد التونجي. اليزيديون الفصل الثالث.
- زهير كاظم عبود: التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. الفصل الثامن والتاسع.
- د. بير ممو عثمان. الديانة الإيزيدية بين عبادة الشمس والتصوّف. فصلية لالش عدد 21 سنة 2004.

(2) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 86.

دعاء الملائكة

ربّي هو الغفّار،

من عنده يصدر الأمر،

للدنيا ولجهاتها الأربع.

ربّي خلق الدنيا.

ووضع لها الامر والنهي والطريق،

أسعد الإنسان فيها.

ربّي نور سرٍّ في السماء،

صاحب الليل والنهار والزمان،

من عنده يأتي الكرّ.

ربّي هو رب الملائكة،

رب الملائكة العظام السبعة،

السبع ملائكة الخالدين المهيبين.

ربّي خلق الدنيا من دون جوهرة،

وسلّمها بأيدي الملائكة السبعة الخالدين،

وجعل طاووس ملك كبيرهم،

وفي الميتولوجيا اليزيدية، إن الله خلق من نوره سبعة ملائكة. في كل يوم خُلق ملاك واحد... مثلما توقد شمعة من شمعة أخرى. والشمعة الأولى قد أشعلت من القنديل،

---

(1) القشيري. أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان. الرسالة القشيرية في علم التصوّف ص 43. دار الكتاب العربي بيروت.

- محمد سيد كيلاني. اليزيدية أو عبدة الشيطان ص 38 - 40.

وبقية الشموع تمّ إشعالها الواحدة بعد الأخرى. أما أيام الأسبوع فهي أيضاً جاءت كوضع الملائكة السبعة، كل يوم خاص بملاك، أي الملاك الذي خُلق في ذلك اليوم. ولكن أي ملاك خلق في أي يوم؟ ذلك لم يكن واضحاً. وبالنسبة لخلق الملائكة، فقد جاء هذا في نصوص الملائكة وخاصةً قول «شيخوبك» ولكن لم تذكر أسماؤهم، بل ورد ذكر الملائكة السبعة على التوالي[1].

ربّي كان في البدء الأمير العظيم
صاحب جيشٍ كبير
كان خبيراً بملائكة الله.

ربّي نور «سر» في السماء
قبل وجود اللوح والقلم
يا الله وكأن ذلك الزمن وتلك الساعة هي عندك.

قبل وجود اللوح والقلم
نريد خليلاً يفسّر لنا هذه الحقيقة وأين وكيف هي.
كان ملاكاً واحداً وصار ملاكين.

خضوعاً لأمر الله الملك الأبدي الأزلي.
نسأل عن جواب لهذا السؤال.
كانوا ملاكين فأصبحوا ثلاثة ملائكة.

ربّي هو الله الجبّار
من عنده جاء الأمر

---

(1) روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 71.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 76 - 78.
- زهير كاظم عبود: التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. ص 130 - 136.
- الأب سهيل قاشا اليزيدية ص 293 - 297.
- د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 114 - 117.
- مجلّة المقتطف المصرية: عـ13 ص 293 سنة 1889.

كانوا ثلاثة ملائكة فصاروا أربعة.

ربّي هو الله العظيم
الملائكة الأربعة أمسوا خمسة ملائكة
والخمسة شفاعة وكل منهم مختلف عن الآخر.

قلبي سعيد بهذه الحقيقة
الملائكة الخمسة أصبحوا ستة
والستة أصبحوا ملائكة العرش.

ربّي تكلّم بابلغ الكلام
إجتمعوا على محبة الله
الملائكة كانوا ستّة وأصبحوا سبعة.

السبع ملائكة حينما خُلقوا
بالصدق كانوا يتدبرون أمورهم
وبالمحبة كانت تسير أمورهم،
هؤلاء وهم الملائكة الواقفين،
انّهم خلقوا من نور الله،
طعامهم هو الحمد والشكر لله.

ويأتي ذكر أسماء الملائكة في دعاء المساء، الدعاء الذي ينبغي على كل يزيدي أن يؤديه قبيل غروب الشمس يومياً:

يا الله نسألك بحق عزرائيل، جبرائيل، ميكائيل، دردائيل، شمقائيل، عزازيل، إسرافيل.
هؤلاء الملائكة السبعة العظام
وهم قبل آدم بعدة أزمنة
في أيديهم مفاتيح الحل والعقد
واقفون بحضرة الملك الجليل «الله».

وبعد ما خلق الله سبعة ملائكة من نور ذاته وضع حجاباً. وفي اعتقاد اليزيديين أن الملائكة لم يتمكنوا من رؤية الله. ولكنهم قد رأوا قوته وجلاله وعظمته. وهم يؤمنون بقدرة الله. لذلك وقف طاووس ملك رئيس الملائكة بهذا الشكل يعبد الله ويمجدّه. وقال طاووس ملك الدعاء التالي:

يا ربّي علا شأنك، وعلا مكانك، وعلا سلطانك،
يا ربّي انت الكريم وانت الرحيم،
يا ربّي دوماً أنت الخالق،
ودوماً لك يليق الحمد والثناء.

يا ربّي أنت الملك، ملك الدنيا،
يا ربّي انت الملك، الملك الكريم،
أنت ملك العرش العظيم،
يا ربّي منذ الأزل دوماً أنت القديم.

يا ربّي أنت الأمل وأمل الأرواح
يا ربّي دوماً أنت الخالق
وأنت الباقي دوماً «دائم البقاء»
ودائماً يليق لك الحمد والثناء

يا ربّي أنت ملك الأنس والجان،
يا ربّي أنت ملك العرش والكرسي،
يا ربّي أنت ملك الأرض والبحار،
يا ربّي أنت ملك العالم والمقدّسات.

يا ربّي أنت الصمد الحي الخالد،
أنت الصمد الحي المجيد،
أحد الفرض الحميد.

يا ربّي أنت رب الصبر

يا ربّي أنت رب الخلود والبقاء،
يا ربّي أنت رب المكان والزمان،
يا ربّي أنت رب العطاء،
يا ربّي لك يليق الحمد والثناء.

يا ربّي في السماوات أنت العالي،
كم اسمك عظيم وكم أنت عظيم،
لم تولد ولم تلد ولم تولّد،
نداءك وأمرك هو المقدّس،
لك يليق الحمد والثناء.

يا ربّي أنت أكرمت الحوت
وأنت أعطيت له الرزق والقوت
أنت حليم الملكوت
يا ربّي أنت عالم العلماء،
يا ربّي أنت الحكيم وأنت رب الحكمة.

ربّي ليس لك ندّ ولا قوي مثلك
يا ربّي أنت ملك الدار والحجاب،
يا ربّي مكانك في كل مكان.

يا ربّي ليس لك لون ولا شكل
وليس لك نغمة أو صوت
وليس لك هيئة جسد أو أطراف
يا ربّي لا أحد يعرف كيف أنت.

يا ربّي أنت ولي فرض الصلاة والعبادة،
العالم بالأرواح،
ومعطي الأموال والأملاك،

يا ربّي أنت حاكم الملوك والسلاطين والقضاة.

يا ربّي أنت وضعت التوبة على آدم،
يا ربّي أنت حاكم الشفاعة،
يا ربّي أنت الكرم وانت الأمين،
يا ربّي أنت الصمد ونحن لا شيء.

يا ربّي أنا المريض الضعيف العليل
أنت الدواء وانت العلاج،
أنت الشفاء وأنت الحكيم

يا ربّي أنت الحكيم ونحن غرباء
يا ربّي انت تعرف مرضنا وشفاءنا كيف يكون
يا ربّي أنت أنيس الغرباء
ولم نعرف ذنوبنا وخطايانا،
وأعلنّا التوبة والإستغفار،
يا ربّي إغفر لنا وسامحنا.

يا ربّي الدائم البقاء للأبد أنت،
ودوماً لك يليق الحمد والثناء.
يا ربّي أنت الخالق ونحن (مخلوقين)،
أنت أمنية الروح ونحن (طالبيها)[1].

الصيام

تشكّل ظاهرة الصوم ممارسة إنسانية قديمة، إرتبطت بأقدم النواميس البشرية. وقد تكون سبقت طقوس الصلاة والشعائر التي عرفتها الأديان. وصار الصوم تعبيراً عن خضوع الجسد للروح، أو تعبيراً عن الخضوع التام للإرادة الإلهية، وتطويع لشهوات

---

(1) أنظر: زهير كاظم عبود التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القسم الثامن. النص المقدّس. ص 123 وما بعد.

الجسد إلى سمو الروح.

ونرى أن جميع الديانات على مختلف أشكالها وعباداتها، وثنية كانت أم موحّدة لله، قديمة أم حديثة، دعت للصيام وحثّت على ممارسته. رغم الاختلاف في تلك الفريضة وكيفية الإتيان بها. ويعتبرالصيام ظاهرة بشرية ارتبطت مع كل الأديان. وإن الصوم في الديانات هو تعبير طقسي للتعرّف إلى الإله.

صوم العامة – صيام يزيد

هذا الصوم مفروض على كل يزيدي تجاوز الثلاثة عشر عاماً. ويقع في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس في الأسبوع الأول من شهر كانون الأول حسب التقويم «الشرقي» من كل سنة أي في اقصر أيام السنة. فينقطع اليزيدي، طيلة هذه الايام الثلاثة المتتالية عن الأكل والشرب والتدخين، من الصباح إلى المساء، والأصح من طلوع القمر إلى مغيبه، زاعماً أن الحكم الذي نزل في الكتاب المقدّس بحق الصيام كان مجملاً، لم يفسره الناس وفق نصّه.

وفي الساعة الثالثة، أو السابعة من قمر يوم الثلاثاء. يقوم اليزيديون للسحور، اما بما تسمّى عندهم «باشينف». فإنّه في هذه الساعات يأكلون ويشربون إلى حوالي الساعة الخامسة، وبعد هذه الفترة يحرّم عليهم الشراب والطعام. ومن يخالف يعتبر غير صائم.

ويكون يوم الجمعة الذي يعقب الأيام الثلاثة «صوم يزيد» أو «صيام اليزيد» عيداً يطلق عليه عيد «ألأزدي». وهذا العيد له مكانة عظيمة في نفوس اليزيديين، فيرتدون الملابس الزاهية الجديدة، ويأكلون أطيب الأطعمة وأدسمها، ويشربون ألذ المشروبات. كما أنهم يقدّمون الحلويات إلى الذين يأتون إلى دورهم مهنئين بهذا العيد، ويباركون بعضهم بعضاً، ويصنعون خبزاً يسمّونه «صاووك» أو «كليجة» يتكرّمون به على الناس بسخاء. وذلك على أرواح موتاهم.

وهناك صيامان آخران، لكنّهما غير إلزاميين وهما: «صيام الشيشمس» أي الأسبوع السابق لصيام اليزيد. وصيامه ثلاثة أيام أيضاً، وهي أيضاً أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، ويكون يوم الجمعة بعدها يوم عيد «الشيشمس». أما الصيام الآخر، وهو غير إلزامي أيضاً، فإنّه في الأسبوع الذي يلي «عيد اليزيد» ويسمّى «صيام الخدان»، الذي يكون كالعادة، في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، ويتوّج «عيد الخدان» يوم الجمعة. وعليه يجب ان تكون أيام الصيامات الثلاثة في أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس، بينما يجب

أن تكون أعيادها في أيام الجمعة.

فاليزيديون يعتقدون بأن «الكتاب المقدّس» هو أصل لجميع الشرائع والأديان التي جاءت بعده، وانّه جاء باللغة الكردية لغة الله، التي تكلّم بها آدم دون غيرها من اللغات. ويعتقدون أيضاً أن حكم الصيام الذي جاء به القرآن، لم يفهمه المسلمون على حقيقته، فقد نزل باللغة الكردية «سه روز» أي ثلاثة أيام وليس «سي روز» ثلاثين يوماً. وقد يذهب اليزيدي إلى أبعد من ذلك أحياناً، فيرى أن الآية «160» من سورة الأنعام تنطبق على هذا التفسير ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

أما صوم الخاصّة أو «صوم الإختيارية»، أو صيام المشايخ ورجال الدين، فهو عبارة عن ثمانين يوماً، إلى مربعانيتين:

- المربعانية الأولى تبدأ من شهر كانون الأول شرقي.
- المربعانية الثانية تبدأ في العشرين من تموز شرقي.

ففي هاتين المربعانيتين، يذهب الرؤساء الروحيون إلى مرقد الشيخ عدي «الشيخادي» في الشيخان، فيصومون ثلاثة أيام ثم يعودون إلى قراهم ليتموا صيام الأربعين. ولكنّهم قلّما يصومون هذه المدّة، لأن الصائم إذا بات على نية الصوم، وقدّم إليه أحد الأتباع في الصباح طعاماً فأكله، أصبح في حلٍّ من هذه الفريضة، أو إتمامها. ويمنع على المتديّن الصائم، طيلة كل مرحلة من مراحل صيامه معاشرة زوجته، بل إنّه حتّى الإستحمام يمنع عليه، ما عدا غسل اليدين والوجه والرجلين. وإن الواجب يقضي أن يقدّم المتدين اليزيدي ضحيةً بعد إنتهاء العشرين يوماً من الصيام. ويسمح له كذلك بغسل جسده غسلاً كاملاً وتاماً في ذلك اليوم، أي بعد إنهاء المرحلة الأولى من صيامه. ويذكر الباحث اليزيدي درويش حسّو: «إن صيام الشيوخ ورجال الدين أربعين يوماً، وليس ثمانين يوماً». وفي نهاية المرحلة الأخيرة من الصوم، يتوجب على الصائم أن ينحر ذبيحة أخرى، يدعو إليها المشايخ والضيوف، وينهي بذلك صيامه.

أما آداب الصوم، من حيث بداية الصوم ونهايته، وما يحلّل به وما يحرّم، فقد لا تختلف تقريباً عمّا هي عند المسلمين، إلا من حيث إلزام الصائم بأن يتناول وقت الإفطار قطعة خبز مغموسة بملح، كما هي عادة اليهود في أفطارهم أيام السبوت، أو أن يسفّ قليلاً من تراب مرقد الشيخ عدي، ويسمّونه «براتّا».

ومن باب المجاملة والإحترام، يلتزم أغلب اليزيديين في التجمعات السكنية

الإسلامية، وفي المحلاّت والمتاجر والطرقات بشعائر شهر رمضان، مراعاةً لجيرانهم وشركائهم، أو زملائهم المسلمين. وقد جاء في «الأفستا»: «إن على الإنسان واجبات ثلاث هي: أن يجعل العدو صديقاً، وأن يجعل الخبيث طيباً، والجاهل عالماً» وتحض الديانة الزرادشتية على تهذيب الأخلاق ومحبة الآخرين، والتمسّك بأهداب الفضيلة والخير والعمل الشريف[1].

الحج اليزيدي

ترتبط مزارات اليزيديين بأعيادهم غالباً، وعدد مزاراتهم بعدد أوليائهم، وهم كثر. والناس يزورون هذه المزارات. وقد يضطرون إلى المبيت في الساحات حول المزارات. ولكل واحد من هذه المزارات أيام خاصة للطوفان حوله، ولا سيّما فإن مرقد الشيخ عدي أهم هذه المزارات.

ولليزيدية كعبة يحجون إليها، ويحفّون بها في مواسم خاصة من السنة، وهي مرقد الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري، بالقرب من قرية عين سفني، مركز قضاء

---

(1) أنظر في موضوع الصيام عند اليزيديين.

- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الفصل السادس. الشرائع الطقسية. الصوم. ص 75 - 76.
- د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون الفصل الرابع. عبادات اليزيديين وشعائرهم وطقوسهم الفصل الأول ص 117 - 118.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية. الأصوام والأعياد ص 148 - 149.
- زهير كاظم عبود: التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القسم التاسع. الصوم. ص 149 وما بعد.
- القس إسحاق. اليزيدية. تعريب الياس خوشابا شكوانا. ص 9 سنة 1932.
- القرآن. سورة الأنعام الآية 160.
- أحمد تيمور. اليزيدية نشأة نحلتهم ص 21 - 23.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 87 - 88 - 112.
- جورج حبيب. اليزيدية بقايا دين قديم ص 133.
- سعيد الديوه جي ص 121.
- فوزي محمد حمّيد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة ص 256 - 257.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 72.
- Lammens H. Le massif du gebel Sim'an et les Yézidis de Syrie. MFO II 1907. p. 366 - 394.
- Lammens H. Une visite aux yézidis ou adorateurs du diable. Relation d'orient 1929. p. 157 - 173.

الشيخان بمحافظة «نينوى» (الموصل) العراقية. ويقولون أن جبل لالش الذي فيه مرقد الشيخ عدي، يعتبر مثل مكة التي يقصدها المسلمون. وفي الدراسات الحديثة التي وضعها باحثون يزيديون، أن قدسية «لالش» إنما جاءت من كونها مهد نزول طاووس ملك على الارض لأوّل مرّة في تاريخ البشرية. ويقال ان طاووس ملك نزل في يوم الأربعاء من أول شهر نيسان، في وادي لالش، ولهذا أصبح ذلك المكان محجاً لهم، وشملت القداسة نبع «الكانياسبي» أو «ماء زمزم» كما يطلقون عليه. وقد ازدهر هذا المكان بعد أن اتخذه «الشيخادي» مقراً له. حيث باشر منه تطوير وتجديد العقيدة اليزيدية، وذلك بعد مرور 1500 سنة على وفاة زرادشت. وبسبب كثرة المزارات اليزيدية في هذه المنطقة، يعتبرها اليزيديون أقدس مكان على وجه الأرض، إذا لم تكن جنة عدن على الارض، لأنها منطقة نورانية في السماء، تعكس نورانيتها على الأرض في هذا المكان، ولهذا يهرعون إليه في موسم الحج.

ويبتدئ موسم الحج عند اليزيديين في اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول الشرقي في 6 تشرين الأول الغربي، وينتهي في الثلاثين منه 13 تشرين الأول غربي. فمن لم يزره ولو مرّة واحدة في حياته، فهو كافر في نظرهم، كبيراً كان أو صغيراً قرُب مسكنه أو نأى عنه.

غير أن الباحث اليزيدي درويش حسّو يؤكّد: أن بداية موسم الحج اليزيدي تكون في الأسبوع الأخير من شهر آذار شرقي، وينتهي في يوم عيد رأس السنة اليزيدية. وهو عيد طاووس ملك أيضاً. وذلك في أول أربعاء من شهر نيسان «شرقي»، الذي يقع عادة في 13 – 14 من شهر نيسان «غربي» ولكن بسبب الإزدحام الشديد في هذا الأسبوع في «لالش»، ونظراً لأن رأس السنة عندهم يحتفل به بشكل واسع، حيث يتوافد عشرات الآلاف من اليزيديين من أطراف العالم كافّة إلى هذه المنطقة المقدّسة، فلذلك قررت الزعامة اليزيدية في القرون الوسطى السماح بإقامة شعائر الحج في فصل الخريف أيضاً، وذلك في عيد يسمّى «جماعية شيخادي».

وإن فريضة الحج تقع على عاتق اليزيدي، التي تسمح له ظروفه بذلك. أي من «استطاع إليه سبيلاً». أما اليزيديون الذين لا يستطيعون زيارة «لالش» فبإمكانهم تقديم ضحية عندما يزورهم «الطاووس الجوال». وإن هذه الذبيحة المقدمة للطاووس هي بمثابة زيارة للالش المقدّس. لأن جوهر الحج ليس للالش فحسب، بل زيارة مقرّ «طاووس ملك» هناك، وتقديم الأضاحي والقرابين تعظيماً له. وإذا لم يتمكن اليزيدي من زيارة لالش، فإنّه لا يصبح كافراً، بل يظلّ مؤمناً مثله مثل من زاروا لالش، شرط

التضحية من أجل الطاووس المتجوّل.

وينتهز القوّالون فرصة حجّهم مرقد الشيخ عدي، فيشترون من «الفقير» مقداراً من التراب المحيط بالمرقد المذكور، يعملون منه أقراصاً، أو كرات بحجم البندق الصغير يسمّونها «براتّا Baratta»، تُهدى إلى الأفراد عند زيارتهم طاووس ملك، كما تعطى للتبرّك والحصانة. إذ لا بدّ ان يمتلك كل يزيدي كرة من ال «براتّا» فيقبّلها في صباح كل يوم وفي مسائه، ويحتمي بها عن كل أذى. حتّى إنه إذا ظفر عدوّ بعدوّه، وعلم أنّه يحمل الـ«براتّا» فقد لا يمسّه بسوء حرمة لها، ورغبة من غضب صاحبها. وإذا اختصم شخصان وأرادا المهادنة والمصالحة، بعث كلّ منهما بحبّة البرّاتا التي لديه إلى صاحبه، فيتوقّف القتال أو النزاع فوراً، فإن أخفقا في المصالحة، إسترجعا الحبتين وعادا إلى الخصام. وكثيراً ما اتخذ القوّالون هذه الكرات مورد عيش لهم، فيبيعونها للمصابين بالأمراض والعاهات باعتقاد أنّها تشفي المرضى. ويزعمون أن كل من ابتلع حبة من هذه الحبوب حفظته سنة كاملة، نفساً وجسداً بنعمة طاووس ملك.

ويتوجب على كل يزيدي يحج إلى لالش المقدّسة، أو يقصد أحد المزارات والمراقد اليزيدية الأساسية الواقعة في لالش، أو في الشيخان، أو سنجار، أن يغتسل اغتسالاً دينياً «العماد» ضمن شعائر خاصة ومحدّدة، وفي هذا الطقس يستوي اليزيديون مع غيرهم من حجّاج الديار والأماكن المقدّسة، من ديانات وطوائف ومذاهب العالم المختلفة. أما في سائر الأيام، فلا غسل عندهم ولا تنظيف، لأن القوم يرون ان لا قيمة للنظافة البدنية، مع وجود الغسل أو «العماد» الديني[1].

---

(1) مجلة المقتطف المصرية عـ13 ص396 سنة 1889.
- د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 119 - 120.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 88.
- محمد سيد كيلاني. اليزيدية أو عبدة الشيطان ص 88.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار الفصل الثاني.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 139 - 140.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية. الأصوام والأعياد ص 125.

راجع أيضاً:
- Massignon Louis. Les Yézidis du Mont Sindjar, adorateurs d'Iblis. p.175 - 176

الزكاة

يختلف مفهوم الزكاة[1] عند اليزيدية عمّا هو في الإسلام. وهي عندهم ضرائب دينية، ويسمّونها الرسوم. فيقولون في أصلها: «لاحظ الشيخ عدي بن مسافر، أن الرؤساء والشيوخ في أيامه كانوا في خصام مستمر من أجل عقاراتهم، وإنماء ثرواتهم، فشرع في بث روح الفضيلة فيهم، وصار يزهدّهم في المال والعقار، حتّى تمكّن من حملهم على ترك الدنيا وما فيها من عزٍّ زائل، والسعي للآخرة وما فيها من نعيم دائم. فتنازلوا لمريديهم عن أملاكهم وعقاراتهم. وجعل الشيخ عدي لهم نسباً معيّنة في غلال هذه الأملاك، يدفع المريد إلى شيخه هذه النسبة في كل سنة ويتوارثها الأبناء عن أبائهم، لأن المريد كالبقرة الحلوب لشيوخه. فللشيخ عشرة بالمئة من غلّة أملاك مريديه وحاصلاتهم الزراعية، وللبيير نصف هذه الحصّة بالمئة، وللمربّي ربع في المئة، وللفقير نصف ما للمربّي، وللقوّال نصف ما للفقير، أي خمسة أثمان في المئة. ولا رسم للكوجاك على المريدين، أي ان المريد يصرف إلى رؤسائه الروحيين 19,375 بالمئة من دخله العام، في كل سنة، مضافاً إلى الضرائب التي يدفعها إلى الحكومة المحلّية»[2].

ويقول الباحث اليزيدي درويش حسّو: «إن الأعمال الخيرية ليس لها كمية أو مقدار معيّن، وهو نوع من التعاون بين الأغنياء والفقراء، وبين الشعب ورجال الدين».

وهي مقسّمة على الشكل التالي:

1 - لكل يزيدي شيخ بيير أو مريد. ومعنى ذلك أنّه يجب أن يخرج من أمواله كميّة حسب إرادته ورغبته، ويعطيها لأجل آخرته، ويقدّمها إلى شيخه أو بييره، تبعاً لإمكانياته وقدراته المادية. وفائدة هذه الخيرات «أنّها تربط الطبقات والمراتب الإجتماعية اليزيدية مع بعضها، فلا يتكبّر أحد على الآخر، ولا يتميّز إلا بالعمل الصالح والحسنات، وليس بالمال الكثير، ولا بالمركز الديني المهم».

---

(1) الزكاة. «كلمة ارامية. بمعنى الصدقة أو الفرض الإيجابي». وقد أخذها الإسلام في نفس المبنى والمعنى. وقد جاء في سورة التوبة في جهة صرف الزكاة: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: 60].

(2) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 80.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 141.
- د. خلف. الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 121.

2 - تجمع في أثناء تطواف وزيارة الطاووس للمناطق والتجمعات اليزيدية، كمية من التبرعات والهبات والصدقات والخيرات، من جانب القوالين المرافقين للطاووس، حيث توضع كلها في بيت المال الخاص بطاووس ملك، وتوزّع مع الخيرات الأخرى المتجمّعة في «اللالش» على الشكل التالي:

أ - حصة لأمير اليزيدية «مولاميرا».

ب - حصة العاملين والمشايخ الذين يعيشون في «اللالش».

ج - حصة خاصة لأعمال الإصلاح والترميم للمقدّسات اليزيدية.

د - حصة صندوق المساعدات للمحتاجين. ومن ضمنها، طعام الزائرين، والفقراء، وأبناء السبيل، والأعمال الخاصة بالمقاصد الخيرية[1].

(1) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 91 - 92.

الفصل الخامس عشر

الطقوس والاعراف الإجتماعية

تشكّل العائلة الخلية الأساسية في المجتمع اليزيدي الأبوي. ويتمتع الأب بسلطة مطلقة على أولاده حتّى وفاته، حيث تتم الاستفادة من الإرث بشكل جماعي. وهذا ليس محصوراً بالأشخاص الذين يأويهم منزل واحد، أو خيمة واحدة، إنما يمتد إلى جميع الأقرباء بالدم. فحياة اليزيدي تتميّز بتعاون دائم من المهد إلى اللحد. إن هذه السيطرة القوية والكاملة للرجل اليزيدي، ترجع إلى أنه تقع على عاتقه المسؤوليات والمهمّات، من الأعمال والأشغال، وهو الذي يؤمّن معيشة العائلة.

ولا يوجد لدى اليزيديين فكرة تحديد النسل، ذلك، لأنه في نظر اليزيديين، إن كثرة الأولاد مفخرة للأسرة والعشيرة، فكلّما كان عدد الأولاد كثيراً، كلّما ارتفعت منزلة الأسرة وزادت هيبتها في المجتمع، وزاد دخلها، فتحظى بالعزّة والمنعة، ولا سيّما الأرياف حيث تسود التقاليد والعادات العشائرية.

هذه الظاهرة موجودة خاصة عند الأسر الغنية، والتي لها أملاك واسعة وقطعان كبيرة من الماشية، كالغنم والماعز والأبقار. وهنا لا يترك الأولاد الأب والأم بعد الزواج، لأنهم يشاركون في الأعمال الزراعية، وأعمال البيت. فلا يسمح للأولاد بعد زواجهم بالخروج من نطاق العائلة، لأن ذلك يعتبر شيئاً غريباً عليها، خاصة الفلاحين منهم. ولكن اليوم، بسبب العلم وتقدّم وسائل النقل والإتصالات، فقد تقلّد قسم من الجيل اليزيدي الجديد الوظائف العامة في الدولة والشركات، وبرز منهم المهندسون والأطباء والمحامون والمعلمون، ورجال الفكر والأدب، من الإناث والذكور على السواء. ممّا أدّى إلى إستقلالية الكثير من هؤلاء.

وترتبط الأسرة اليزيدية بروابط كثيرة مع الأسر الأخرى، كالعلاقات التي تقوم على أساس رابطة الدم أو القربي، فيكون لها شأن خاص في المجتمع، لها شيخها والبير الخاص بها. فتقع على عاتق شيخها مسؤوليات خاصة بالأفراد في هذه الدنيا والآخرة. فله

علاقات مع البير والقوّال والكوجك وغيرهم من رجال الدين[1].

وغالباً ما يتزوّج اليزيديون وهم صغار السن. فالفتيان يزوّجون إبتداء من سن الخامسة عشرة، والفتيات من سن الثانية عشرة وما فوق. ولم يزعم أحد أن تعدّد الزوجات غير مشروع، بل إنه مسموح به عرفاً، وحسب البعض فإن عدد الزوجات يجب أن لا يتعدى أربعاً أو خمساً. والرؤساء والأغنياء يكتفون بزوجتين فقط. وفي حال الترمّل يسمح بالزواج من جديد، حسب الرغبة غالباً. وقد إختلطت طريقة الزواج عند اليزيديين بين ما هو سنّة وعادة، وما هو مطابق للأحكام الشرعية.

ويفضّل اليزيدي عادة إختيار عروسه من ضمن عائلته، أو من ضمن عشيرته. ومع ذلك فإن الزيجات بين أفراد من فرق، أو حتّى قبائل، تأخذ طابعاً سياسياً جلياً. فالرؤساء والوجهاء الصغار، الذين يسعون إلى تعزيز وضعهم داخل الجماعة التي ينتمون إليها، أو توطيد تحالف مع جيرانهم، إنما يفعلون ذلك عن طيب خاطر.

ويحرّم على اليزيدي أن يجمع بين إمرأتين اثنتين من غير رضا الأولى وموافقتها. وإذا رزق أولاداً من أولى نسائه، لا يسمح له أن يتزوّج مع وجودها من إمرأة أخرى. كما يحرّم عليه الزواج من زوجة أخيه، أو زوجة عمّه بعد موتها. كذلك يحرّم عليه من أخت زوجته بعد طلاق إمرأته أو موتها. وتحرّم عليه زوجته إذا قال لها «أنت شيخي» أو «أنت بييري»[2].

---

(1) روحية ليسكو. اليزيدية في سورية وسنجار ص 169.
- جورج حبيب: اليزيدية بقايا دين قديم. الطبعة الأولى ص 15.
- د. سامي أحمد سعيد. اليزيدية. أحوالهم ومعتقداتهم ص 30.
- د. خلف الجراد: اليزيدية واليزيديون ص 123.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 128 - 129.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم: الفصل السابع. السنن الإجتماعية ص 83 وما بعد....
- محمد بن رشيد السعدي. «سنجار وأحوال اليزيدية» قرة العين في تاريخ الجزيرة والعراق والنهرين. مطبعة الرشيد 1325 هـ.
- مجلّة المعلّمين : عـ 1. اليزيدية. بغداد. 1923.

(2) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 141.
- عبد الرزاق الحسين. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 81.
- روجيه ليسكو: اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 170.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 126.
- قيصر صادر. مجلّة المقتطف المصرية. العدد 88 ص 367. سنة 1936.

في حين ينفي الباحث اليزيدي درويش حسّو بعض هذه الأقوال ويزعم «أن الشرعية اليزيدية تمنع الزواج من إمرأتين في آن واحد، إلا إذا ماتت الأولى أو طلّقت»[1].

وفي نهاية المنتصف الأول من القرن العشرين، شرع أمراء اليزيدية وشيوخها في تعديل بعض هذه الأحكام، تجاوباً مع العصر ومع الأعراف والتقاليد والقوانين الجديدة. فأصدر أمير الشيخان «سعيد بك» أمراً إلى شيوخ الملّة جاء فيه:

1 - عندما يعقد زواج البنت، يجب أن يكون بحضور شاهدين عن وكيل للبنت التي يعقد الزواج عليها.
2 - يجب أن يحصل التراضي والقبول في ما بين الشاب والبنت أولاً، ثم يعقد الزواج.
3 - إن البنت التي تعقد زواجها، يجب أن لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة.
4 - من الآن فصاعداً، «نرجو إلفات نظركم إلى ما عرضناه آنفاً، ولي وطيد الأمل بأنكم ستقومون به حرفياً». وعند عقد زواج أي بنت كانت، أو أي شاب كان، بدون رضاهما. سوف تجري المعاملة القانونية بحق هؤلاء، ويكونون عرضة للعقاب[2].

والديانة اليزيدية تحرّم الزواج في شهر نيسان، وذلك إكراماً لشهر نيسان، لأنه أبو الورود، ولأن الأنبياء في هذا الشهر قد تزوجوا. لذلك، إكراماً وتبجيلا لوقار الأنبياء يمتنعون عن الزيجة في هذا الشهر. في حين يفسّر البعض من اليزيديين تحريم الزواج في شهر نيسان إكراماً لطاووس ملك، لأنه نزل في هذا الشهر على الأرض. وكذلك في يوم الأربعاء حرّم الزواج أيضاً[3].

وإن الزواج والمجامعة الجنسية يحرمان على اليزيدية في أيام الأربعاء والجمعة، إلاّ على الكواجك، فإنهم يتزوّجون حين يشاؤون.

---

(1) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون. ص 101.
(2) إسماعيل جول. اليزيدية قديمًا وحديثاً.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 86.
(3) إسماعيل جول. اليزيدية قديمًا وحديثاً. ص 81.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 101.
- مجلّة الضياء المصرية عـ1 ص 711.
- مجلّة الضياء المصرية ص 711 - 712.

وتنقطع البنت عن ابيها عندما تتزوّج، فلا ترثه، لأن الزواج في نظرهم بيع، والبيع يقطع المبيع بصاحبه. فإن رفضت البنت اليزيدية الزواج، أو أحبّت أن تبقى عانساً، وجب عليها أن تخدم أباها، ما دامت في قيد الحياة. وإذا مات زوجها ترجع إلى أبيها، ويزوجها ثانية وثالثة ورابعة، إلى أن تزول عنها خاصة الإنتفاع، وتدخل في مصاف العجائز [1]. ولا يحق لها أن ترث زوجها المتوفي. وللأولياء، كما للأبوين أن يزوّجوا المرأة اليزيدية، إذا وجدوا مصلحة في هذا الزواج، ولأنساب الأرملة حق في إجبارها على الزواج إلى المرة السادسة. ولها أن تبتاع حريتها بأن ترفع لزويها مقدار المهر الذي يدفعه من يطلّقها. لكن هذا العرف لا يزال موضع شك عند الباحثين في الشؤون اليزيدية. وإن الباحث اليزيدي درويش حسّو ينفي نفياً قاطعاً وجوب المهر، وعمليات البيع، والإجبار على الزواج، وإذا كان طبق في بعض الحالات، فليس هو القاعدة والأساس، والشرع المعمول به كما أن هناك شكاً إذا أعرضت المرأة المترملة عن الزواج واختارت البقاء ثيبة، حرصاً على أولادها، فلوليها أن يأخذ مهرها مرّة ثانية من أولادها، فإذا لم يتآلف الزوجان، فعلى ولي المرأة إعادة المهر فوراً. فإذ عسر على ولي المرأة إعادة المهر فوراً، فيفترق الزوجان، وينتظر الزوج المطلق ريثما تلقى له زوجته زوجاً آخر وهناك يسترجع مهره. أما الفتيات اللواتي يزوّجن وليس لهن من يتولاهن، فإن مهورهن تعطى للأمير[2].

والمجتمع اليزيدي مجتمع طبقي، وعليه فالزواج طبقي أيضاً، فلكل طبقة إجتماعية - دينية أن تتزاوج فيما بينها حصراً، إلا في بعض الإستثناءات. لذا لا يجوز لأبناء الشيوخ منهم أن يتزوّجوا غير بنات الشيوخ. على أن الشريعة اليزيدية غالت حتّى في زواج أبناء الشيوخ من بنات الشيوخ. فالمعروف عن أسرة الشيوخ، أنها تقسم إلى ثلاث فرق رئيسية، وقد حرمت الشريعة الزواج بين فرقة وأخرى. فمثلاً أبناء شيوخ «الشمسانية» لا يتزوّجون من بنات شيوخ «الأدانية» أو «القطانية». ويستثنى من ذلك الأمراء الذين يتزوّجون من تعجبهم من النساء من أي طبقة كانت. ولكن الأمير الذي يقدم على هذا العمل، يخطىء بفعله خطيئة عرضية، فإذا طلّق أحد محارمه، حرّم عليها الزواج من غيره،

---

(1) فاروق الدملوجي. اليزيدية. ص 281.

(2) مجلّة المقتطف المصرية عـ13 ص 397 سنة 1889.

- عبد لبرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 93.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 127.
- مجلّة الضياء عـ1. 1899 ص 711.
- القس إسحاق. اليزيدية ص 28.

ووجب بقاؤها في داره حتىّ تموت[1]. وفي مقالة لعبد الرحمن بدران في مجلّة الجنان يزعم فيها، «ان من معتقداتهم أيضاً، ان الرئيس المذكور إذا طلب احدى النساء بكراً كانت أم ثيباً، عزباء أو متزوجة، تحل له بالحال وتحرم على غيره، ولو كان بعلها من كبارهم»[2].

وتختلف عقوبة الزنا عند اليزيديين، باختلاف ديانة الزاني أو الزانية.

فقد يغفر للفاسقة فسقها إذا فسقت مع يزيدي، ويكون جزاؤه القتل إذا فسقت مع غير يزيدي. اما الزاني فان كان غير يزيدي قتل ان امكن قتله، وان كان يزيدياً عوقب بصرامة من دون ان يقتل. فان كان الزنا مع ثيب وجب ارضاء المتولي عليها. لأن اليزيدي لا يكتسب الصفة اليزيدية إذا لم يولد من أب وأم يزيديين. ولهذا لا يسّوغون زواج اليزيدية بالأجنبي، ولا زواج اليزيدي من أجنبية، لئلا يختلط الدم ويضيع النسب. وقد حرّمت الديانة اليزيدية على تابعيها النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية بريب واشتهاء. ولهذا عاشت المرأة من بقية الديانات بينهم بأمان، فضلاً عن انها نجسة في نظرهم، لا يجوز لليزيدي ان يدّنس نفسه بالتقرّب اليها. وهذه هي بعض الأحكام العامة في قانون الزواج اليزيدي وقد سبق وذكرنا بعضها في الصفحات السابقة.

1 - لا يجوز لليزيدي ان يتزوّج زوجة اخيه، أو امرأة عمه، أو امرأة خاله، أو ان يجمع بين اختين.

2 - لا يجوز لليزيدي ان يتزوّج فتاة من غير دينه. وهدفهم من المنع كي لا تختلط دماؤهم فتضيع انسابهم. غير انهم تساهلوا مؤخّراً في دخول الغريب بينهم بالنسب والاعتقاد.

3 - بإمكان اليزيدي ان يتزوّج أربع نساء، لكن يحرَم عليه الجمع بين اثنتين من غير رضا الزوجة الأولى. كما أنه لا يستطيع الزواج بالثانية ان انجبت الأولى.

---

(1) مجلّة الضياء عـ1 ص 711 سنة 1889.
- القس إسحق. كتاب اليزيدية ص 27.
- محمد التونجي: اليزيديون. الزواج وطريقته ص 141 وما بعد....
- د. خلف الجراد. اليزيدية والزيديون. ص 127 - 128.
- إسماعيل جول: اليزيدية قديماً وحديثاً. ص 81.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون. ص 101.
- فاروق الدملوجي. اليزيدية ص 281.

(2) عبد الرحمن بدران: مجلّة الجنان جـ 7 ص 527 سنة 1876. أكثر الباحثين في شؤون اليزيدية، يرون أن هذه القصة غير صحيحة، خصوصاً، إن أكثر اليزيديين ينكرون وجود مثل هذه العادة في الوقت الحاضر.

4- يمكن زواج الفتاة في الثانية عشرة من عمرها، وقد تزوّج وهي في الثامنة، لكن «سعيد بك» أمير الشيخان أصدر أمراً في 12 أيار/ 1929/ ، منع فيه ان تتزوّج الفتاة قبل الخامسة عشرة.

5- لا يجوز عقد القران في شهر نيسان، لأن هذا الشهر مقدّس، فهو شهر الأزهار، وهو الموسم الذي كان يتزوّج فيه الأنبياء. كما انه الشهر الذي نزل فيه «طاووس ملك» ويستثنى من ذلك طائفة «الكوجوك» أو «الكوجاك».

6- لا يجوز مضاجعة المرأة أيام الأربعاء والجمعة، ويستثنى من ذلك طائفة الكوجوك.

7- عندما تتزوّج الفتاة تنقطع علاقتها بابيها، وبالتالي لا ترثه، وهذا شبيه بعادات الفرس الزرادشتيين.

8- إن رفضت البنت الزواج، توجّب عليها أن تخدم في منزل ابيها طيلة حياتها. وإن تزوّجت ومات عنها زوجها، يمكنها ان تعود إلى منزل ابيها، حيث يزوجها ثانية وثالثة، وفي هذه الحالة لا ترث من زوجها.

9- بإمكان الآباء للضرورة، ان يزوّجوا بناتهم حتّى ست مرّات، أو تستطيع في هذه الحالة ان تشتري المرأة حريتها، بأن تدفع إلى أقربائها ما يعادل المهر الذي سيدفعه الرجل الطالب الزواج لهم، فتتخلّص عندئذٍ من الزواج القسري. لأن المرأة في عرفهم كالبستان المؤجّر، الذي يستفاد من ثماره.

10- الزواج طبقات. ولبعض هذه الطبقات امتيازات خاصة. فلا يسمح لأبناء الشيوخ والرؤساء الدينيين ان يتزوّجوا من غير طبقتهم، ويتم زواجهم كل بحسب طبقته حصراً. كما لا يحق لأبناء العامة، ان يتزوّجوا من بنات الشيوخ ورجال الدين. وقد سمح للقوالين مؤخّراً بأن يتزوّجوا من المريدين أو العامة لأن طبقتهم آيلة إلى الانقراض. اما الأمراء فيتزوّجون من عائلاتهم، أو من أي أسرة نبيلة. ومع ذلك فلهم الحرية التامّة في الإختيار من أي طبقة. ولقد تزوّج «سعيد بن حسين بك» أمير اليزيدية عشر نساء، كان آخرهن الأميرة «ونسة» بنت «إسماعيل بك جول». وهي الاميرة التي هربت من قصره، ثم اعلنت اسلامها، وانها أول فتاة اتمّت دراستها الجامعية العالية.

11- مدّة النفاس أربعون يوماً، ولا يحق للزوج الإقتراب من زوجته في هذه الأيام، وكذلك في أيام الحيض.

12 - كل من زنى، رجل أو امرأة، بأجنبي عن ديانتهم قتلوه ان تمكّنوا منه. والعقاب نفسه إذا كانا يزيديين، إلا ان الله يغفر فسق المرأة ان كان من يزيدي، فقد يكون عقابها شديداً لكنه لا يوصلها إلى القتل. وان زنى اليزيدي بامرأة متزّوجة فعليه ان يرضى زوجها، وان كانت ثيباً (عزباء) ارضى ولي امرها بموجب حكم الأمير. وان وقعت المضاجعة بين الذكور أو بين الإناث، فقتل الإثنين واجب. واذا لم يستطيعوا قتلهما طردوهما من ديانتهم وبلادهم طرداً ابدياً.

13 - الطلاق مسموح به، إلا أنه نادر جداً. فيجوز طلاق المرأة العاقر، ولكن يتعذّر طلاق ذات الولد. وليس للطلاق عندهم انظمة معيّنة، وهو يجري ببساطة تامّة. فان اراد رجل ان يطلّق زوجته رماها بالحصى ثلاث مرّات، أو يضع بين يديها ثلاثة احجار صغيرة. وهذه علامة الطلاق ان كان الرجل من الشيوخ. واذا كان من العامة يكتفي برميها بحصاة واحدة. ويستطيع الزوج استرجاع مطلقته من غير قيد أو شرط. اما إذا كان المطلق من الخاصة، فانه يستنكف عن إعادة زوجته. اما الأمير، فانه ان طلّق، فلا يحق للمرأة الطالق ان تتزوّج بعده من غيره طول حياتها. ويجب ان يحضر الطلاق «الشيخ» و«الكريف»[1] «وأخ الآخرة»[2].

أما بالنسبة للولادة، فمن سنّتهم تعميد الوليد الجديد من دنس الولادة، عندما يبلغ الطفل أسبوعاً من ولادته، فإن تعذّر أجّلوه إلى الفرصة المؤاتية وغير المحدّدة، فقد تكون سنة أو سنتين، أو ثلاث أو أربع سنوات. وذلك بان يغطّس «الشيخ» الوليد ثلاث مرّات في عين ماء تقع بالقرب من مرقد الشيخ عدي بن مسافر، «الشيخادي» يقال لها «العين البيضاء» اما الذين يولدون في المناطق البعيدة عن المرقد المذكور، فيجري تعميدهم بالمياه

(1) الكريف شبيه بالعراب عند المسيحيين أثناء العماد.

(2) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 144 - 148.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 128.
- القس إسحاق. كتاب اليزيدية ص 127.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 299.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 87 - 89.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 137 - 138.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 101.
- سعيد الديوه جي. اليزيدية ص 45.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 170 - 173.

المجلوبة من المنابع المقدّسة في «لالش» أي من العين البيضاء، أو بمياه عادية إذ يبثّ فيها حبيبات «البراتّا». فتصبح مقدّسة والعادة ان يقوم القوالون بجلب المياه من منبعها الأصلي في الشيخان للعماد والتطهير. اما ختان الصبيان اليزيديين، فانه يجري عندما يكون الطفل بين السنة الثالثة والسنة السابعة من عمره، ولكنه يتأخر أحياناً إلى ما بعد السن المحدّدة، انما يجب أن يختن المرء قبل الزواج. وهذه الرتبة تجري بمراسم خاصّة يقوم بها الوالدان.

ويرتبط بهذا الطقس «الكرافة» وتتمثّل في تعيين العائلة أحد معارفها أو جيرانها أو شركائها في العمل «كريفا» أي قريباً ليمسك الولد أثناء عملية الختان حيث يضعه في حضنه. وقد يكون هذا الشخص يزيدياً أو مسلماً. لكن الباحث اليزيدي درويش حسّو يقول: «انه يجوز أن يكون الكريف من الأديان الأخرى»[1].

الطقس الجنائزي

لليزيديين طقوسهم وشعائرهم الخاصّة أثناء الموت والجنازات، وهي متأثّرة إلى حدّ كبير بعقيدتهم التي تؤمن بتناسخ الأرواح والتقمّص. وأغلب الأمم الشرقية التي تؤمن بالتقمّص والتناسخ تحرق جثث موتاها، كالصينيين والهنود، الا ان اليزيديين يدفنون موتاهم. ومراسم الموت والجنازات عندهم كثيرة الشبه بمراسم المسيحيين والمسلمين معاً.

تبدأ هذه المراسم بالوفاة، فإذا احتضر يزيدي، حضر شيخه وأخوه وأخته الأبديان. فيذيب الشيخ شيئاً من تراب مرقد الشيخ عدي بن مسافر المجبول بماء عين «زمزم» أو ما يسمّى «البراتة» في قليل من الماء، ويصب قطرات من هذا الماء في فم المحتضر، ويرش قطرات أخرى على وجهه. فان لم يجدوا شيخه أو أخاه الأبدي للقيام بهذا الواجب الديني، قام أحد افراد عائلته بهذا الواجب الطقسي. وحين يلفظ المحتضر انفاسه، يغسل

---

(1) عبد الرزاق الحسني اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 94.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون. ص 96.
- مجلّة المشرق البيروتية جـ 2 ص 723 سنة 1899.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 64.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 139 - 140.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار. الفصل الرابع. ص 169 وما بعد....
- محمد التونجي. اليزيديون. شرائعهم ومقرراتهم الدينية ص 136 وما بعد.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 128.

غسلاً دينياً، ثم توضع البراته في كفيه، أو في عينيه، ويذرّ الباقي من التراب على مقاديمه، كما يفعل المسلمون برش الكافور على مقاديم موتاهم. ثم يربط رأسه بمنديل ابيض، وتحشى منافذ جسمه بالقطن. ويلبس افخر ثيابه البيض، على حال ما يفعل المسيحيون، في حال موت احدهم. ثم يكفّن بنسيج بلدي، ويخاط الكفن عليه، ويشد عند قمّة رأسه، ومن وسطه، ومن قدميه. وبعد ذلك يرفعونه على عودين مغّطسين ومطّهرين بماء زمزم ويسيرون به إلى مثواه الأخير على نقالة خشبية، يتقدّمهم «قوّالان» يضرب احدهما على دفّه ضربات الحزن الجنائزية، ويشاركه الآخر بشبابته، عازفاً انغام الحزن الدينية، والمشيّعون خلفه، والنسوة يولولن «هاو. هاو. هاو». فإذا كان الفقيد شيخاً كبيراً، أو شاباً عزيزاً، اطلقوا في الفضاء الأعيرة النارية اكباراً لموته وهول الفاجعة، واحرقوا البخّور عند حمله، توديعاً له، وتعطيراً لروحه. واذا كانت المتوفاة عروساً، أو في سن الزواج، البسوها افخر لباسها، ووضعوا عليها بعض حليّها. وعند المقبرة يستقبل النعش خادم المقبرة الذي حفر للميت الجديد حفرته الأخيرة. وينزل الجثمان في قبره من طرف القوّالين وخادم المقبرة، وأهل المتوفي. ثم ينزل إلى القبر الشيخ المسؤول عن الميت ويفك ربطة الرأس. بعدها يأتي القوّالان ويشرعان في تلاوة «التلقينة» ويسموها «الترقينة» وهي:

«إن الإنسان لابدّ أن يموت عاجلاً أم آجلاً، ولكن طوبى لمن أرضى الله والناس، ودخل القبر بوجه أبيض».

وكل من شيّع الميت حثا على تابوته التراب عند دفنه وقال: «إنسان كنت تراباً ورجعت اليوم إلى تراب». ويجب ان تتم عملية الدفن نهاراً وقبل غروب الشمس.

وتقع قبور اليزيديين بالقرب من مزاراتهم وقراهم وتجمعاتهم. ولا يجوز دفن اليزيدي الاّ في مقبرة يزيدية. ويسرج اليزيديون شعلاً من النار ليلاً على قبورهم، ظاهرها ابتهاجاً بذلك القادم، وحقيقتها ارهاب الوحوش، آكلة لحوم البشر من نبشها. واذا كان الميت شخصية معروفة، وضعوا له فراشاً في القبر تحته، ولا تنقطع مراسم الجنازة عند دفن الميت، حيث تستمر المناحة ثلاثة أيام متتالية، فتذهب النساء مرتين في اليوم إلى قبر الفقيد[1]. يتقدّمهن الدف والشبّابة، ومعهن الطعام للحاضرين. وفي كل يوم من الأيام

---

(1) هذه العادة كانت متبعة سابقاً عن بعض الطوائف المسيحية. وفي صغري كنت أرى أمي تذهب مع النسوة في اليوم الأول والثاني والثالث إلى المقبرة، ولما كنت أسألها عن ذلك فكانت تجيب: «بأننا نذهب لنصلّي عن نفسه» ولكن هذه الصلاة كان يرافقها البكاء والنحيب وقد رأيت هذا وسمعته «ولكن هذا كان يتم مرّة واحدة عند الصباح» (المؤلّف).

الأربعة، التي تلي الأيام الثلاثة المذكورة، يذهب أهل الفقيد إلى قبره دون دف وشبابة، إلا أن القوّالين يلحقون بهم لإنشاد أناشيدهم الدينية، بغية الحصول على عطاياهم وصدقاتهم. وبعد أسبوع من تشييع الجنازة تضحي عائلة الميت ببعض الذبائح، وتنظّم حفلة تسمّى «الحفتكة» أي أسبوعية الوفاة. وفي يوم الأربعين يذهب الرجال والنساء للمرة الأخيرة إلى قبر المتوفي، وبعد عام من الوفاة يذبح أهله أضحية بهذه المناسبة، وبعدها يرتبون حفلاً، تكريماً لروح الفقيد، وتسمّى هذه المناسبة بالخيرات[1] *.

محرّمات اليزيديين وأعرافهم

يعدّد «مصحف رش» مجموعة من المحرّمات، التي يحظر على اليزيدي فعلها أو ذكرها أو حتّى سماع التلفّظ بها. ولكن مع تقدّم العصر ووسائل الإتصالات، والمخالطة، والإعلام المسموع والمرئي، أخذت هذه المحرّمات بالتراجع، والبعض منها بدأ يندثر كلياً.

1 - كان يحرّم على اليزيدي أن يتعلّم القراءة والكتابة مطلقاً، ويبقى العلم وقفاً على عائلة واحدة، من سلالة الشيخ حسن البصري، الذي يقولون أنه كان كاتباً عند الشيخ عدي بن مسافر. ومرّد هذا التحريم خشية الرؤساء من إطلاع أبناء المذهب على الحقائق الدينية عند الطوائف الأخرى، الأمر الذي يؤدّي حتماً إلى وقوع خلافات ومشاكل وإنشقاقات فيما بينهم، وقد ينتهي الأمر ببعض أبناء الطائفة اليزيدية إلى نبذ عقيدتهم الدينية، والخروج على تقاليد الآباء والأجداد، والتحول إلى عقائد وديانات أخرى. لكن الفئة المثقّفة والمستنيرة من الطائفة اليزيدية، ترفض قطعاً

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 99 - 101.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 131 - 132.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 174 - 175.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 143 - 147.
- علي الشرقي. مجلّة العرفان. عـ 11 ص 819 سنة 1925 صيدا. لبنان.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 71.
- مجلّة المشرق البيروتية عـ 2 ص 653 سنة 1899. لبنان.
- عباس العزاوي. تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ص 153 بغداد سنة 1935.
- الأسدي. موسوعة حلب جـ 5 ص 397.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 132.

* هذه العادات هي أقرب إلى المسيحية منها إلى الإسلام. «المؤلّف».

هذا التحريم وتعتبره من الأخطاء الكبيرة التي جرت في التاريخ اليزيدي، وبحق اليزيديين. ويرى الباحث اليزيدي درويش حسّو: أن هذا التحريم يخالف أيضاً القوانين الزرادشتية، التي تعتبر القسم الأساسي للديانة اليزيدية وقد بدأ الشيوخ اليزيديون بالسماح لأبناء الطائفة بالدخول إلى المدارس الحكومية. وغيرها، وتلقّي العلوم الحديثة، مجاراة للعصر، وكأمر لا بدّ منه في هذه الأيام. واليوم لا يختلف وضع اليزيديين عن مواطنيهم من الديانات والمذاهب الأخرى، حيث إنخرطوا في التعليم بجميع مراحله، وتخرّج منهم آلاف الشباب من الثانويات، ومعاهد إعداد المعلمين، والجامعات بكلياتها المختلفة، ومنهم الأطباء، والمهندسون، والمحامون، والمدرسون، وأساتذة الجامعات، إضافة إلى تعاطيهم الزراعة والوظائف، والفعاليات الإقتصادية والمهن الحرّة بكل قطاعاتها وأنواعها.

2- لا يجوز لليزيدي أن يدخل مساجد المسلمين، ولا مدارسهم الدينية، حيث يقرأ القرآن ويفتتح بالإستعاذة من الشيطان، وأن يرى المسلم يؤدي صلاته لا في هذه المساجد ولا في غيرها من مواضع العبادة. وقد ورد في «مصحف رش» نص تحريمي صريح يقول: «وما يجوز أن نلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا. ولا كل اسم يشابه ذلك مثل قيطان وشط، وشر ولا نلفظ ملعون، لعنة، نعل، وما أشبه...».

ويرى الباحث اليزيدي درويش حسّو: «إن الله خلق «سيدي بن جر»، ومن نسله اليزيدية الإزداهية، وأنه حرّم على سيدي بن جر كل أنواع الكفر والإهانة والإلحاد. وخاصة الكفر بالله وملائكته. أما الكفر بالملك طاووس فيعد عند اليزيدية من الكفريات الرئيسية، أي من الكبائر، أو الخطايا المميتة، ومن كفر بإسم الله، وبإسم طاووس ملك، وبإسم الملائكة وكفر بالمخلوقات، أو نطق بكلام الكفر بأي صورة كانت فهو كافر، وليس بيزيدي، وإن تسمية طاووس ملك بإسم آخر يعد إهانة له، وهو حرام عند اليزيدية. فالشتم بجميع أشكاله وأنواعه حرام على اليزيديين، واليزيدي المؤمن بالله ويطبق الشريعة اليزيدية وتعاليمها لا يشتم ولا يكفر. وإذا أهانه أحد بشتيمة فلا يردّ عليه بمثلها. وينطلق اليزيديون من كلام زرادشت حول الكلام الطيّب والعمل الطيّب».

3- السرقة حرام عند اليزيدية، وكذلك الغش والخداع.

4- الزنى والخيانة في الحياة الزوجية من المحرمات، وكذلك الخيانة مع الصديق والجار وغيرهما....

5 - يحرّم على اليزيدية من البقول والخضروات: أكل الخس والملفوف والقنبيط واللوبياء، والقرع، والخضروات التي تسمّد بمخلّفات الحيوانات والناس، وإن الخس عندهم من أخس ما خلقه الله على وجه الأرض، ومجرّد رؤيته حرام، حتّى إذا أرادوا أن يلعنوه قالوا ذلك الوحش. وإذا أراد أحدهم أن يهين يزيدياً قال له: «خس الموصل في فمك». وقد جاء في «مصحف رش»، «حرم علينا الخس لأنه على اسم نبيتنا الخاسية». والخاس، باللغة الكردية هم، «رجال الدين المقدّسين».

6 - يحرم على اليزيدية من اللحوم، لحم الخنزير، ولحم السمك على اختلاف أنواعه، وكذلك لحم الغزلان، كما يحرّم على الشيخ وتلامذته اكل لحم الديك، احتراماً لطاووس ملك. وقد جاء في كتابهم المقدّس «مصحف رش» حرام علينا اكل الخس، لأنه على اسم نبيننا الخاسية، «والسمك علينا حرام» احتراماً ليونان النبي، والغزال، لأنه غنم أحد انبيائنا، والشيخ وتلامذته حرام عليهم اكل الديك احتراماً لطاووس ملك «والشيخ وتلامذته لا يأكلون القرع».

7 - يحرّم على اليزيدي حلق شاربيه، أو قصهما بالمقص، غير انه يستحب تخفيفهما. اما اللحية فيجوز فيها كل ذلك، بل يستحب، والعادة اليوم عند اليزيديين، ان لا تحلق العامة لحاها ولا تقص شواربها. اما القوالون، والفقراء، والبيرة والشيوخ، فلا يجوز لهم ذلك، شأنهم في هذا الأمر شأن رجال الدين في بقيّة المذاهب والشيع، وقد جاء في مصحف رش: و«أيضاً من قوانيننا ان القوالين لا يعبروا موس على وجوههم».

8 - لا يجوز لليزيدي ان يبوّل وهو واقف، ولا ان يلبس سرواله وهو جالس، وان لا يدخل نبع ماء حار، ولا ان يخرج شيئاً من داره لمدّة أسبوع إذا ولد له مولود جديد، ولا يسند فعل منكر إلى أحد رجال الدين. لكن هذه العادات في طريقها إلى الإندثار والإختفاء، ذلك ان اليزيديين يختلطون الآن بالناس من جميع الأديان والطوائف والمذاهب كافة، في العمل، والفنادق، والمطاعم، والجيش، والمدارس، والمطارات ويزورون أوروبا وأميركا، وتجدهم في المدن لا يتميّزون عن الآخرين، إلاّ ببعض المظاهر الخارجية البسيطة، والتي ما زالت بقاياها عند بعض أهل الريف منهم.

9 - يعتقد اليزيديون ان الحمام، والمرحاض من ملاجئ الشيطان، فلا يدخل اليزيدي مرحاضاً ولا يغتسل في حمام، لكنّهم تسامحوا في ذلك في الآونة الأخيرة، كما يحرّم عليهم ارتياد مجالس الأنس والطرب، تذليلاً للنفس، وانكاراً للذات.

10 - يحرّم على اليزيدي ان يتغيّب عن بلده أكثر من سنة، فإذا اضطرّ إلى ذلك حرّمت عليه زوجته، كما حرّم عليه الإقتران من امرأة اخرى. لكنهم الآن تسامحوا في ذلك، والواقع انهم يغيبون عن منازلهم أكثر من هذا الوقت بكثير، حيث يغترب عدد كبير منهم لتحسين ظروفهم المعيشية، ويبدوان شيوخهم يتفهّمون ذلك، فيتسامحون معهم في المسائل غير الجوهرية.

11 - يحرّم على اليزيدي النظر إلى وجه المرأة غير اليزيدية، ومداعبة المرأة التي حرمتها الشريعة عليه من جنسه.

12 - لا يجوز لليزيدي ان يبصق على الأرض ولا في وجه إنسان أو حيوان، لما في ذلك من رمز الإهانة لطاووس ملك، ولا ان يستخدم الفرس والحصان في حمل الأثقال، ولا ان يلقح فرسه من حمار، أو يقتني فرساً لقّحت من حمار، لكي لا تنجب بغلاً.

13 - حرّم على اليزيدية لبس الثياب الزرقاء، ويلتزمون بلبس الثياب البيضاء ان كانوا من العامة والثياب السوداء ان كانوا من خدمة الدين، اما الثياب الحمراء فليست محرّمة، لكنهم قلّما يلبسونها. وان الصابئة أيضاً تحرم اللباس الأزرق.

14 - حرّم عليهم الشرب من كوز أو جرّة تبقبق، لأنهم يزعمون ان ما يبقبق هو روح حيّة موجودة فيها. وعند بعضهم ان من يحمل الأبريق منهم كأنه اعلن اسلامه.

15 - لا يجوز لليزيدي أن يحلف عند غير اليزيدي، ولا أن يستعمل الموس الذي حلق به غير اليزيدي، ولا يقتل، أو يزني، أو يكذب، أو يخدع، ولا يبيع ملكه لغير اليزيدي، ولكن اليوم بسبب تقدم العصر، وبحكم التداخل الإجتماعي والإقتصادي والمعيشي، لا تستطيع أي جماعة أو فئة ان تظل معزولة عن غيرها. ولا يمكن لأحد ان يعيش معتمداً على علاقته بابناء دينه أو طائفته فقط، ويزيديو اليوم، يتاجرون ويبيعون ويشترون ولديهم متاجر مفتوحة لكل إنسان، وبدورهم يحصلون على حاجاتهم من محلات ومتاجر ومنشآت تعود لمختلف شرائع المجتمع.

16 - يحرّم على الفقراء والكواجك النوم على السرير، كما يحرّم على الرضيع أن يرضع عند غير اليزيدية، ويحرّم على الأفراد ارتياد محلات الأنس، والطرب أو الجلوس على الفراش الوثير، ويستثنى الأمير من ذلك، لكن هذه المحرّمات في طريقها إلى الزوال، ولم تعد محلاّت الأنس والطرب حكراً على جماعة دون غيرها. والنوم على الأسرة الوثيرة لم يعد من مزايا أمير اليزيديدية، وانما أصبح من حق كل مقتدر، والمفروشات

العصرية لا تفرّق بين الطوائف والديانات، ولا بين الغني والفقير. وان هناك مجموعة ممّا اطلق عليها التحريم والمحظورات فهي في طريقها إلى الزوال إذ لم تكن زالت إلى الأبد.

17 - يعتقد اليزيديون ان الملائكة تتصل فيما بينها في شهر نيسان، لهذا فانهم يحرّمون الزواج، وتعمير البيوت في هذا الشهر المذكور. ويقولون ان كثيرين من الذين تزوّجوا بهذا الشهر ماتوا، وهكذا الذين عمّروا بيوتاً في هذا الشهر وما نجحوا.

18 - لا يجوز لليزيدي أن يطلع غير اليزيدي على كتابيه المقدّسين، وقد جاء في كتاب الجلوة: «وهو الكتاب الذي لا يقرأه الخارجون على الملّة».

19 - لا يجوز لليزيدي أن يأكل من ذبيحة غيره، ولا أن يشرب في آنية سواه.

20 - حرّم على اليزيدي الاغتسال على جنابة، والاستخباء بعد قضاء الحاجة، وتقليم الاظافر.

ومن اعراف اليزيديين

1 - انهم يقدّسون بعض الأشجار الكبيرة والأدواح العالية القديمة، فيكسونها بالألوان، ويلفونها بالخرق والأقمشة، والاشارات المختلفة، وبعضهم من يستخدم أوراقها للشفاء من بعض الأمراض. ومنها شجرة الست نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب في قرية «بعشيقا». وشجرة توت في قرية «بحزاني» يسمّونها شجرة «الشيخ مند». وشجرة بلوط كبيرة تقع بين مقبرة الشيخ عدي وقرية «عين سفني» يسمّونها «شجرة الكواجك» وشجرة في أعلى جبل «هوكان» وأخرى بالقرب من قرية «ميركي» أمام «جبل مقلوب». وأخرى في قرية «برتيسك» وتقع بين قريتي عين سفني وباعذري.

2 - ويحلف اليزيديون بالله، وبطاووس ملك، وبالشيخ عدي، وبالشيخادي، وبالشيخ عبد القادر الكيلاني، وبالخرقة السوداء، وبلابسيها، وبرؤوس أصحابها، وهم لا يحنثون بإيمانهم ولا بقسمهم أبداً.

3 - إذا مرض ولد بالحصبة أو بالجدري أحضر أهله تراباً من مرقد الشيخ عدي وذوّبوه في الماء، وسقوه إيّاه. كما يدهن جسم الولد بذلك التراب المعجون بالماء للشفا. وإن أصيب بورم يذهب إلى بيت البيير في قرية «مام دشا» بقصد الشفاء.

4 - يكرّم اليزيديون الظواهر الطبيعية على اختلاف أنواعها: كالسحاب، والبرق، والنار، والشمس، والقمر وسائر الكواكب. كما يكرّمون الخبز والسرج.

5 - يغسلون أكفانهم في نهر الشمس، زاعمين أن الموتى لا تدخل الفردوس ما لم تغسل أكفانها في هذا النهر. وغسل الأكفان عندهم كناية عن غسل أدران الذنوب.

6 - في سنجار طقس لا يمارسه يزيدية الشيخان، ويتمثّل في قيام السكان اليزيديين برمي قطع من النقود الفضّية المتداولة في شق بجبل سنجار بين قريتي «يوسفان» و«البكدان» ينتهي إلى هاوية لا يعرف مداها، ولا منتهاها، فلا يجرؤ سارق على الوصول إليها. وهم يعتقدون بأن مهديهم المنتظر، وهو «شرف الدين»، سيظهر قريباً، ويلتقط ما أدّخره أصحابه له من نقود، فيستعين بها على تطهير الأرض من الرجس والظلم والفساد. أما الشق المذكور فلا يعرف موضعه غير أسرة «البايير» وهي التي تتسلّم النقود وترميها، ويسمّى الشق «خزناء شرف الدين».

ملاحظة: هذه المحرّمات والأعراف هي في طريق الزوال، وقد أصبح أكثرها من الماضي، فقد تغاضى عنها معظم اليزيديين ولا سيّما المثقّفون والمستنيرون منهم، وتبنّوا عادات وقوانين وأعراف البلدان التي ينتمون إليها، أو البلدان التي يقطنون فيها، وذلك تمشياً من ثقافة العصر[1].

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في ماضيهم وحاضرهم. ص 92 - 98.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 157 - 158.
- الأب سهيل قاشا: اليزيدية ص 326 - 327.
- الأب أنستاس الكرملي: مجلّة المشرق عـ2، 1899 ص 551 و 723.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 38 و 291.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 87.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 87.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 140 - 145.
- أنظر النص الكامل لمصحف رش في الفصل السابق.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 118 - 119 و 121.
- Menant. J. Les Yézidis Episodes de l'histoire des adorateurs du diable. Paris 1892.
- Mesmer E. Les Yézidis adorateurs du diable. Revue de l'Orient. Bulletin de la société orientale de Paris. T. VIII Mai - Août 1845 p. 292 - 294.

الفصل السادس عشر

المراتب اليزيدية والتنظيم الإجتماعي

تمتاز اليزيدية بنظام دقيق في طبقات مجتمعها، وقناعة كل طبقة بالتي هي عليه لصلة مرتبها بدينها، كما تمتاز بتقسيم الرئاسة إلى قسمين: دينية، ودنيوية، من غير أن تتدخل رئاسة في مهام غيرها، وبانصياع الشعب لأوامر الرئاستين، للمحافظة على المجتمع اليزيدي. ولهذا فإن المراتب الدينية مرتبطة بالشعب تمام الإرتباط، والمراتب جميعها ملتحمة بالرئاسة الدنيوية[1].

وقد حافظت اليزيدية على أثر أصولها عبر التنظيم الديني، أكثر ممّا حافظت عليه في معتقدها. فنجد في تسلسل الرتب لديها ما هو شبيه أو موجود في الطرق الصوفية، التي أسّسها الشيخ عدي بن مسافر. فإن مرتبة الشيخ أو البير، أو الفقير أو القوّال، تمثل شاغل منصب صوفي تمّ نسيان معناه الحقيقي. إلا أن واجبات المريدين[2] نحو رؤسائهم الدينيين ما تزال تظهر من بين أهم الإلتزامات، التي تفرضها الديانة اليزيدية على أتباعها[3].

وكل يزيدي مهما كانت طبقته، مرتبط بخمسة واجبات: أن يكون له معلم. وهذا المعلم هو الله ذاته، وشيخ وبير وأخ في الآخرة، ومربٍّ. ولم يعد لدى الشيوخ والبيرة وعي كبير لدورهم كمرشدين روحيين. ومع هذا يبقى مريدوهم تابعين لهم تبعية تامة، لا تتجلى هذه التبعية في إبداء الإحترام وحسب، بل في دفع أتاوة سنوية أيضاً.

---

(1) محمد التونجي. اليزيديون ص 105.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 63.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 223.
- د. خلف محمد الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 153.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 32.

(2) يستعمل مصطلح مريد للإشارة إلى كل يزيدي ليس له رتبة دينية. مع ذلك يمكن أن تقول عن فقير أو بير أنه مريد لهذا الشيخ أو ذاك. (المؤلّف).

(3) روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 91.

لكن هذا النظام التراتبي لم يعد قادراً على الإستجابة لغايته الأولى، هو يدين فقط للأهمّية الإجتماعية، التي كان قد حققها في الاستمرار بعد زوال العدوية. إنما لا يزال حتّى يومنا هذا.

يشكّل الدعامة الأكثر متانة للمجتمع اليزيدي. فكل يزيدي يكبر ويتزوّج ويموت في الطبقة التي ينتمي إليها منذ الولادة. وهكذا تكون واجباته وامتيازاته أغلب الأحيان محدودة منذ قدومه إلى الدنيا[1].

وفي المراتب المدنية، وحسب التسلسل اليزيدي يأتي الأمير أو «المير» وأفراد عائلته بالدرجة الأولى. وتقول بعض الروايات اليزيدية، أن رئيسهم وأميرهم يرتقي بنسبه إلى الخليفة يزيد بن معاوية، ويدعونه «مير شيخان» أي أمير الشيخان، فيما تقول روايات أخرى، أنه من سلالة الشيخ شمس. والواقع على ما يبدو أنّه يتحدّر من الخلفاء الأوائل للشيخ عدي بن مسافر. في حين تقول الرواية الثالثة: أن المجتمع اليزيدي له قيادة في الوقت الحاضر، تتألف من سبعة اشخاص، برئاسة أمير اليزيدية، الذي ينتسب إلى عائلة «شيخ بكر - شيخو بكر». وجاءت تسمية الامير بدءاً من ابن درويش آدم، وهو: «إبراهيم» القادم أصلاً من مناطق اليزيدية الواقعة بين بحيرتي «أورمية ووان» والتي يطلق عليها اسم بلاد «السرحد». وهي عائلة تنتشر في أنحاء كردستان المختلفة، وصولاً إلى بلاد خراسان. ويعزون أن زرادشت ينتمي إلى هذه العائلة.

وهذا الأمير هو رئيس الزمان والعالم والسياسة، ويلقّب «مير شيخان» أو «أمير الشيخان» ويقيم عادة في قصر الإمارة اليزيدية، الواقع في قرية «باعذري» التابعة لقضاء الشيخان، على مسافة 45 كم شمالي شرقي الموصل، بين قريتي «القوش» و «عين سفني».

يحتفظ الأمير من بين جموع اليزيدية بالسلطة المطلقة، على الصعيدين الروحي والدنيوي على حدّ سواء. ويمكن له أن يحرّم وفقاً لمشيئته كل مؤمن يعترض على قراراته. وهو وكيل الشيخ عدي بن مسافر، أوكله موضعه وقال له: «أنت ولدي وقبلتك محل ذرّيتي، وهي حرام على من لا يسير على أصول هذا الدين، وكلها سلمتها بيدك». ويتم إنتخاب الأمير من قبل الطائفة، شريطة أن يكون من نسل الأسرة الحاكمة على حسب عاداتهم الموروثة، ولا يشترك في الإنتخاب رجال الدين، ولا زعماء القبائل ولا أفراد الملّة.

(1) إسماعيل جول: اليزيديون ص 42.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 91 - 92.

والأمير مصون، ومعصوم، وغير مسؤول، حيث يعتقدون بعصمته. وهم يعتقدون أن جزءاً إلهياً قد حلّ فيه. ويولونه القضاء المطلق على رعيته. وهو مفترض الطاعة في ملّته. فمن يعتدي على أوامره، أو ينال من كرامته، أو يخالط من غضب عليه، يعرّض نفسه للقصاص الصارم والهلاك، مهما كان مقامه. ويكون القصاص باستباحة بيته وماله، وبإسقاطه من الحقوق المدنية اليزيدية والروحية، ذكراً كان أم أنثى، كبيراً أم صغيراً، فيتجنّبه أهله ومعارفه، حتّى زوجته، إلى أن يعفو الأمير عنه، أو يموت غير مأسوف عليه. فخضوع اليزيدية له ضرب من العبادة، لأنهم لا ينكرون عليه شيئاً يطلبه منهم. وما يستحسنه يصير فرضاً واجباً على فرد من أفراد ملّته، بلا معارض ولا منازع، وهو إلى ذلك الوارث الشرعي لمن ليس له أحد من الذكور من عصبته، والمستأثر بمهر النساء اللاتي ليس لهن أحد من ذوي أرحامهن، فإذا خطبت إحداهن ولم يكن لها أحد من الأرحام تحوّل مهرها إلى الأمير. ولذا كان عليه أن يكون عادلاً وشهماً ومنصفاً وكريماً ومستقيماً. وكانوا إلى عهد قريب إذا مرض الطفل، أو أصيب بعاهة، نذره والده للشيخ عدي، فإذا سلم الطفل أو شفى، غدا ملك الأمير. كما أن النساء اللاتي ما كنّ يحملن ينذرن إلى الله إذا رزقهن ولداً، وهبنه للأمير، وله حق الإحتفاظ به أو بيعه[1].

والأمير هو المتولي على أوقاف الشيخ، والمتصرّف بغلال أرضه وأوقافه، وإليه تأتي

---

(1) هذه العادة وهذا التقليد، لم يعد لهما وجود في صفوف اليزيدية الآن.

- Siouffi. N. Notice sur la secte des yézidis. p. 259.
- مجلّة المقتطف المصرية عـ 13 ص 393 سنة 1879.
- مجلّة الجنان البيروتية جـ 7 ص 528 سنة 1876.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية. ص 295.
- مجلّة المشرق البيروتية جـ 2 ص 550 سنة 1899.
- إسماعيل جول: اليزيديون ص 42.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 159 - 160.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 223 - 224.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 65 - 66.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 153 - 155.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 92 - 93.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 32.
- جون كيست. تاريخ اليزيديين ص 90 - 91.

النذور والصدقات والغرامات التي تُفرض على من يخالف أحكام الشريعة، وكذلك الرسوم التي تُفرض على رعاة الماشية، فيتصرّف في كل ذلك بمطلق مشيئته، وليس لأحد أن يحاسبه على تبذيره، لأنهم يحملون صغار أخطائه على حسن نيته. وهو المكلّف بمساعدة الضعفاء من أفراد اسرته، والمسؤول عن السناجق التي في بيت إمارته، فلا تخرج الا بأمره، ولا يطاف بها إلا بعلمه وبموافقته. وله طاقية خاصة به، هي بمثابة التاج يضعها على رأسه أثناء الليل والنهار، معتقداً أن الدين في وجودها، إذ يقال أنها من مخلّفات الشيخ عدي، فلا يجرؤ أحد إلى الإساءة إليه وهي على رأسه. ولا تقتصر هذه الحصانة على الأمير فحسب، بل تشمل ذكور أفراد عائلته.

ولا يجوز خلع الأمير ولا عزله. وهو لا يتخلى عن منصبه إلا بالموت أو القتل. والقتل وسيلة يلجأ إليها الورثة المحتملون، على الأغلب، ليعجّلوا نجاحاً بطيء القدوم. وقلّة هم الأمراء اليزيديون الذين يموتون ميتة طبيعية.

وإذا مات أو قتل الأمير، انتقلت مخلفاته المنقولة وغير المنقولة إلى الذي يخلفه في الإمارة، دون أن يشاركه في ذلك أحد، إلا في ما يتعلّق بألبسة المتوفي، فإنها تكون للبابا شيخ.

الشيوخ

يشكل الشيوخ الطبقة الثانية عند اليزدين. وهي لا تشمل سوى عدد صغير من العائلات التي تعود بأصولها إلى الشيخان، دفعتها وظائف أفرادها إلى التفرّق في المجتمعات اليزيدية المختلفة. وتدّعى الحكاية اليزيدية، أن أسلاف الشيوخ هم الملائكة الذين تجسّدوا لكي يسنّوا القوانين للناس. وحسب كل إحتمال فإن أصحاب هذا المنصب، يمثّلون الفروع الثانوية المختلفة لسلالة «صخر أبي البركات» حفيد الشيخ عدي، فيما يمثّل بيت الأمير الفرع الأصلي لهذه السلالة.

وتترافق وظائف الشيخ بسلطة مهمّة، فكل شيخ مكلّف بعدد من المريدين الذين يخصونه منذ ولادتهم. وعند موته، يتقاسمهم ورثته الموصى لهم، مع ما تبقّى من أمواله. وينتج عن هذا النمط من الإرث حيرة عجيبة: فمن النادر أن يرتبط جميع أفراد القبيلة، أو حتّى العشيرة بالشيخ نفسه، بالمقابل، فإن مريدي كل شيخ متفرقون في قرى ومناطق تكون أحياناً بعيدة جداً عن بعضها البعض.

ومنصب الشيخ ليس مجّانياً. وعلى المريدين، وتحت طائلة الحرمان، أن يدفعوا أتاوة لشيخهم، الذي يجمعها مرّة في السنة في بعض المناطق، وفي مناطق أخرى مرتين في السنة. ويدفع كل مريد حسب موارده. وهذا التزام يواجه بطيب خاطر. فيدفع الأهل والأصدقاء عن الغائبين، الذين لا يتوانون عن سداد الدين لدى عودتهم. ويضاف إلى هذه الضرائب والأتاوات النظامية تعويضات الأتعاب التي تجنى خلال حفلات الزواج، والطقوس الجنائزية، كما يضاف إليها عطايا الزوّار بالنسبة للشيوخ، الذين يأخذون على عاتقهم حراسة المزارات. وهناك شيوخ سحرة أو شافون، يستغلّون مواهبهم الخارقة لجني دخل معتبر. وتقسم طبقة الشيوخ إلى قسمين: البابا شيخ، والشيخ.

البابا شيخ

البابا شيخ أو الشيخ الكبير، هو قدوة المشايخ في الأحكام الدينية، ورأس الأئمة في سائر الأمور الروحية، والمعوّل عليه في الحكم والعدل والقول والفصل. ويكون من سلالة الشيخ فخر الدين، من السلالة الشمسانية، أبناء عبد شمس. وتختصر وظائفه في القضايا الدينية العامة: الحج المقدّس، والصلاة، والصوم والزكاة، وتقدّم الوظائف الدينية وتأخرها، وينظّم أعمال الكواجك. ويستشيره الأمير في الأمور الدينية إستشارة مطلقة، ويعمل بتوجيهاته في مسائل كثيرة وأغلب الأحيان. وإن أراد الأمير إجراء إصلاحات ما في بناء مرقد الشيخ عدي، كلّف بابا شيخ بالإشراف عليه بنفسه، على أن يساعده في ذلك البعض من أهل الخبرة والنفوذ. وهو الذي يخرج السجادة المقدّسة التي لديه، لينظر إليها أبناء الطائفة ويتبرّكوا بها، ويقدمون نذوراتها لها. ويأتيه اليزيديون من جميع المناطق والجهات لإستفتائه في بعض القضايا الروحية.

ويقيم البابا شيخ في القرية التي هو من أهلها، فلا يجوز له أن يحلق لحيته، ولا أن ياكل بغير ملعقته، ولا أن يشرب من كأس أو فنجان شرب به غيره، ولا يجلس على غير سجادته، وإذا حلّت أيام الطّواف والزيارة، مشى حافي القدمين، سواء كان الوقت صيفاً أم شتاءً، صاحياً أم ممطراً. يلبس بدلة من الخام أو الصوف الأبيض، ويربط فوقها حزاماً مفتولاً من الصوف الأسود طوله حوالي تسعة أمتار، وفيه بعض الحلقات أو الكرات المقدّسة. وتحت إمرته عدد من المشايخ، ينفّذون أوامره في قراهم أو محلاّت إقامتهم، ويحرّم عليه شرب الخمر، خلافاً لما عليه أبناء الطائفة من تحليل شربها.

ويتكوّن المجلس الديني اليزيدي ومسؤولي الإدارة الدينية والزمنية حالياً على الشكل التالي:

أ - مير شيخا (الامير) رئيساً.
ب - ميرحاج. المسؤول عن مالية الأمير وشيخو بكري.
جـ - بيش إمام مسؤول «البيش إمامية» ومشايخ الملك شيخ حسن.
د - بافي شيخ البابا شيخ (الباب شيخ)
هـ - شيخي وزير مسؤول الشمسانية كافة.
و - رئيس القوّالين، وهو مسؤول القوّالين في المجلس الديني.

الشيوخ

يمثل الشيوخ الطبقة الثانية في المراتب اليزيدية، وهم كهنة العقيدة اليزيدية. ويوجد حالياً حوالي ثلاثمائة عائلة من الشيوخ، يقوم أفرادها بواجب الكهان للعوائل الإعتيادية، وتودع إدارة شؤونها الدينية بعهدتهم. وهم مخوّلون في التجول بين القرى جميعاً. وينتمي شيوخ اليزيدية كما يزعمون إلى ثلاث أصول:

1 - الإدانية «العدنانية»
2 - الشمسانية «أبناء عبد شمس»
3 - القاتانية «القحطانية»

وينتهي نسب كل أسرة من أسرة هؤلاء الشيوخ إلى أصل من هذه الأصول الثلاثة. ويكاد يكون لكل أسرة عمل خاص. فقد تخصصت أسرة الشيخ حسن وهي من الأصل الأداني، بالقراءة والكتابة اللتين حرّمتا في القرون السابقة على غيرها. وخصّت أسرة الشيخ فخر الدين وهي من أصل شمساني بمقام «بابا شيخ». وقد حرّم المذهب اليزيدي التزاوج بين أسر هذه الأصول الثلاثة تحريماً مطلقاً. كما فرض على كل يزيدي، ذكراً كان أم أنثى، أن يكون له شيخ يقاسمه رزقه، ويكفّر عنه سيّئاته، ويسمّونه «الفوضات الأنحاء» ويحضر وفاته ويغسله ويكفنّه ويقبره.

وشيوخ اليزيدية مثلهم كمثل الكاهن عند المسيحيين، والإمام عند المسلمين، ولهم أيضاً «البيش إمام» الذي يضاهي المفتي عند المسلمين، والبطريرك عند المسيحيين. وهناك عند اليزيدية أيضاً «إختياري مركاهي» ودوره يماثل «البابا» في الديانة المسيحية الكاثوليكية، للشؤون الدينية فقط.

ويؤكّد الباحث اليزيدي درويش حسّو، عن الأصول الثلاثة التي ينحدر منها مشايخ اليزيدية: «العدنانية، والقحطانية، والشمسانية» أنها جاءت من العربية في عهد «شيخادي» الذي كان من الأصل القحطاني. وإن الأسماء الكردية الحقيقية لأسر وسلالات المشايخ اليزيديين، مستمدّة أساساً من أسماء الملائكة، التي ترعى شؤون الأمة اليزيدية، والإنتماءات الكردية لهذه السلالات، وهي:

عائلة الشيخو بكري «الشيخ بكر»، من أحفاد المير «إبراهيم آدم السرحدي الخرساني» وهي عائلة إزداهية زرادشتية، تعدّ عائلة الخاصة وأنبياء اليزيدية. ويقال أن زرادشت ينتسب إلى هذه العائلة، التي انتشرت ما بين بحيرتي «اورمية» و«وان»، وهاجرت إلى بلاد خراسان، في الشمال الشرقي من إيران الحالية. ومن الوظائف الهامة التي تقع على عاتق السلالة «الشيخو بكرية»، وظيفة أمير الشيخان، أي أمير اليزيدية بعامة، الرئيس الديني والسياسي لهم. فالسلالة الشيخوبكرية هي التي تفرز من أفرادها أمراء اليزيدية. ومنصب الإمارة اليزيدية تتولاه حالياً عائلة جول بك «السرحدية». وهي عائلة كبيرة تعيش في شمال العراق، في المركز الديني الرئيسي لليزيدية، ويتوزّع أفرادها وفروعها في الشيخان وسنجار.

الشمسانية: وهي الأسرة الدينية المختصّة بالمشايخ، هاجرت من تبريز إلى شمال العراق. ولأن أفرادها هاجروا من الشرق، أطلق عليهم «روج هلات» أي الشمسانيين. ويذكر التاريخ الخاص بالملائكة اليزيدية: إن الشمسانية تمثّلت في عدد الإخوة وهم:

الشيخ ملك فخر الدين

ملك شمس الدين

ملك سجادين

ملك ناصر الدين

وتعد هذه العائلة الدينية إحدى أقوى العائلات الرئيسية، والهامة في تاريخ اليزيديين. وفي يدها الآن المنصب الديني الهام جداً، أي منصب «إختياري مركاهي»، أو «البابا شيخ»، وهي من أعلى الرتب الدينية، ومقام صاحبها يأتي بعد «ميرشيخان»، أي بعد أمير اليزيدية عامة، سواء في الأمور الدينية أو الزمنية، «والاختياري مركاهي» بمثابة الوزير الأول سياسياً، والمستشار الديني الأكبر لدى أمير الشيخان.

الإدانية: وهي عائلة الملك شيخ حسن «شيخسن»، العائلة الخاصّة المختصّة بالمشايخ اليزيديين. وتنتشر في منطقة الجزيرة الفراتية السورية، في محافظة «الحسكة»، وتتولى مسألة الإرشاد الديني، وفي يدها مقام «البيش إمام»، وهو ما يعادل مقام المفتي العام لدى المسلمين السنة، وبمثابة البطريرك لدى الطوائف المسيحية. وهي وظيفة، يُسمّي صاحبها «المجلس الديني اليزيدي» بأمر من أمير الشيخان.

وهذه السلالات الثلاث، تمثل الإخوة في الدين. ومن هنا فلا يسمح لها بالتزاوج فيما بينها، أي بين الأسر الثلاث، وكذلك لا يسمح بالتزاوج بينها وبين باقي اليزيديين. فالزواج يكون ضمن نطاق العائلة أو العشيرة فقط.

ويعتقد مشايخ اليزيدية كافة، أنهم من سلالة يزيد بن معاوية الأموي، وأن جزءاً إلهياً قد دخل فيهم فمنحهم القدرة على تغيير مجرى الأحداث، والتصرّف بشؤون الكون، وأباح لهم الإنتشار بين القرى اليزيدية كافة. وهم لا يحلقون ذقونهم، ولا يقصّون شواربهم. أما لباسهم، فهو الأبيض، فيما عدا قطعة من القماش الأسود تعلّق بالعمامة، مع رباط أحمر يتمنطقون به، فيميّزهم عن بقيّة الطبقات.

وتزعم الغالبية من اليزيديين، أن أجداد الشيوخ الموجودين اليوم أحياء على الأرض، نزلوا من السماء شيوخاً أئمة، وفيهم أنواع من الفضائل، التي تميزهم بعضهم عن بعض، ولكل شيخ إختصاص في معالجة الاوبئة وردّ النكبات، منحه الله هذه الإختصاصات في السماء. فسلالة الشيخ «منت» مثلاً، منحت أن تقوم بالعجائب والخوارق في رصد الأفاعي والعقارب، أي ترقبها. ويزعمون أنهم إذا أمسكوا الأفعى الخبيثة لا تؤذيهم، وهم يأكلون لحومها. وبعض هؤلاء الشيوخ يلقب بالشيخ المهدي. ولسلالة هذا الشيخ قوّة، هي أنّه إذا حدث وباء الطاعون أو نحو ذلك من الامراض الوافدة، جاء الشيخ إلى القرية، ورسم بالفدّان دائرة حولها، زاعماً بذلك أنّه افتداهم من الأوبئة، فلا تعود وتفتك بهم، لأنّه قدّم نفسه قرباناً لطاووس ملك. وقد يعفو طاووس ملك عنهم بدون توسّط الشيخ، إذا رأى ذلك مناسباً لهم.

ولكل شيخ مريدون محسنون إليه. ويتحسّن وضع الشيخ كلّما كان وضع مريديه حسناً. والعادة أن يطوف الشيخ على مريديه مرتين في السنة. فيجمع من أصحاب المواشي غنماً وبقراً وسمناً وصوفاً ونحو ذلك... ومن الزرّاع حنطة وشعيراً وقطناً وأرزّاً. ومن الرّحل «كوجه» (وتلفظ «كواجر»)، ونقوداً من الأغنياء، ومن لا يرضي شيخه يجرّم

وإذا تقاعس عدّ كسقط المتاع الذي لا يشترى ولا يباع، ممّا يدل ان منصب الشيخ ليس مجاناً.

ومن شيوخهم من يلقب بـ«شيخ جروة» وخوارقه موقوفة على طرد العقارب بقوّة الماء، فإنّه يقرأ عليها بعض الصلوات، ثم ينفخه في زوايا البيت، فيدفع له الناس مالاً على عمله هذا. ومنهم من يلقّب بشيخ «ديكله»، أي شيخ الديك، ومهنته أن يجول في القرى، وفي أي بيت وجد دجاجة نرقاء (قرقة) أخذ منها فرّوجاً واحداً، فيجمع أكثر من ثلاثين فرّوجاً من كل قرية[1].

البير

تعني كلمة بير بالكردية «المسن أو العجوز» وتجمع بكلمة «بيورة»، أي الشيوخ. وأصلهم كالشيوخ من منطقة الشيخان، ويتوزعون على عدد صغير من العائلات. ومن الجدير بالملاحظة، أن كلمة «بير Pir» في الكردية لها نفس كلمة معنى شيخ بالعربية. ودور البيرة مماثل تقريباً لدور الشيوخ، ويمكن أن نفترض أن فروقات الرتب واللقب التي تفصل بين هاتين الفئتين من أصحاب الرتب، وجدت بسبب المنشأ الإتني المختلف. فالشيوخ يتحدّرون من أقارب الشيخ عدي العرب مثله، والبيرة هم سليلو بعض مريدي الشيخ عدي الأكراد. وما يؤكّد هذا، أن جميع عائلات البيرة باستثناء واحدة تحمل أسماء

---

(1) درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 41 - 46.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 73 - 74.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 157 - 159.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 162 - 164.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 226 - 227.
- جون س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 95.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 94 - 95.
- إسماعيل جول: اليزيديون ص 42.
- Olivier G. A. Yézidis. Voyage dans l'empire Ottoman et la Perse. Vol II, Paris 1804.
- Perdriz et Paul. Documents du XVII siècle relatifs aux yézidis. Bulletin de la société géographique de l'Est. Paris 1903, p. 281 - 230.
- Pongnon. H. Sur les yézidis du Sindjar Roc. N°. XX 1915 - 1917, p. 327 - 329.

كردية، في حين أن عائلات الشيوخ، ما عدا عائلة الشيخ «مند Mand» تعرف بإسم عائلات عربية.

ويزعم الباحث اليزيدي درويش حسّو، أن البيرة، إختصوا بالشؤون الدينية منذ القدم، إنسجاماً مع ربطه الدائم بين اليزيدية والزرادشتية. وكانوا يمارسون هذا العمل منذ عصر زرادشت، وعصر الإزداهية القديم، وأن «البيرانية» من هم من أحفاد «البيري كار» أي الأحفاد المتحدّرين مباشرة من طاووس ملك وهم: «بيري أوسهانا، بيري سيبا، وبيري حاج مامدي».

وتطلق هذه الصفة على من هم دون مرتبة الشيوخ. والبيرة من أسر متعدّدة ويشترط أن يكونوا جميعاً من سلالة بيرية، لأن وظيفتهم وراثية. وقد منحتهم الشريعة اليزيدية حق إجراء الزواج، وتوثيق العرى، وحق التجوّل بالقرى والقصبات، وهم مكلّفون يوم عيد الجماعية، وأيام الأربعينيتين بالذهاب إلى قرية الشيخ عدي لإطعام المريدين بأموالهم، ولإرشادهم ووعظهم. وهم يعتقدون أن رحمة الله وغفرانه بأيدي هؤلاء البيورة، والتربة المقدّسة تحت إختيارهم.

والبيورة أميون جميعاً، إلا جماعة صغيرة منهم تسكن «بعشيقا». وإذا كان للبير عدد من الأولاد، فالبكر وحده يحق له الإمتياز، ليكون بمنزلة الفقيه والمنلا الأكبر عند المير. وحتى نهاية القرن العشرين كان هناك حوالي مئاتي عائلة من البيورة، تنتمي إلى قبائل رئيسية منحدرة عن المريدين الأوائل للشيخ عدي وهم أربع فرق:

أ - بيرهسن ممان

ب - بيرانات

ج - بير آلي

د - بيرهجال

وعلى كل أسرة أن تدفع 5% من أرباحها لبيرها. ومثل هذا معروف لدى الفرس والأتراك، والكرد، وشيوخ القبائل العربية. حيث يذهبون إلى رؤسائهم الدينيين ويدفعون لهم، ويرجونهم الدعاء لمرضاهم بالشفاء وبقضاء حاجتهم. واليزيديون يترقّبون الفرج من بيورتهم كلما داهمهم داء أو وباء، أو حلّت بهم كارثة.

وحارس مزار لالش يدعى «بابا جاويش». وهو أبرز شخصية من هذه الفئة، ويجب أن يبقى «اعزب»، وهو وسائر البيورة يشاركون في الإحتفالات الدينية، وبقية أوقاتهم

يقضونها في العبادة والتأمل[1].

الفقير

تطلق لفظة فقير على الزاهد في أمور الدنيا. والمتعبّد اليزيدي، عزف عن زخرف الدنيا في سبيل الآخرة والخلود والنعيم. وفقراء اليزيدية هم صلحاء الطائفة وزهّادها، وقد يكون أصل هذه الجماعة من الهنود:

ففقراء اليزيدية على العكس من مختلف أفراد الطبقات، لا يشغلون أية طبقة دينية. مع ذلك، فهم يتميّزون عن عامة اليزيديين بالنظام الصارم الذي ينبغي عليهم أن يخضعوا له. إنهم ملزمون بصوم 92 يوماً في السنة، وبالإمتناع الدائم عن التدخين والكحول، وبالنوم على فراش صوفي خشن. ويحظر عليهم قص شعورهم وحتى تشذيب لحاهم. وأتباع الطريقة القادرية والتخدّجية لا يقصون شعر رأسهم. كما لا يسمح لهم لا بحمل السلاح ولا بسفك الدماء، ولا يحق لهم حتّى قتل الحيوانات. إن أغلبيتهم موسوسون إلى حدّ أنهم يتحاشون وطء النمل وسائر الحشرات عندما يسيرون ولا أحد من بينهم يفطن إلى قتل القمل والبراغيث الموجودة في ملابسهم الشهيرة، إنما يكتفون بإلقاء كل واحدة منها على حدا، دون أن يجرؤوا على تلطيخ أيديهم بهذه الدماء البريئة. والحق انّهم في الوقت الحالي لا يحترمون كثيراً هذه القواعد، وهم يلفتون الأنظار بلباسهم الذي هو علامة مركزهم الرفيع أكثر ممّا يلفتونها بتقشفهم.

يضع الفقراء على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأسود، تحيط بها عمامة ثقيلة من اللون ذاته. ويغطي نصفهم الأعلى قميص من الصوف الخشن أسود أيضاً ومكفّف بالأحمر «خرقة» ويحيط به نطاق من الحبل المجدول باللون الأحمر والأبيض.

---

(1) د. محمد التونجي. اليزيديون ص 164 - 165.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 46 - 47.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 73 - 74.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 230.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 96.
- إسماعيل جول: اليزيديون ص 42.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 159 - 160.
- جون س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 225 وما بعدها.
- زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم ص 139 - 141.
- راجع الفصل الثاني من كتاب «رشيد الخيّون» الأديان والمذاهب بالعراق، ص 73 وما بعد.

وفتحة ياقة هذا الثوب أضيق منها في القميص اليزيدي العادي، والخرقة طويلة بما فيه الكفاية من الأمام، فتصل إلى الركبتين، لكنها تقف عند أسفل الظهر من الخلف ويكتمل هندام الفقير بسروال أبيض فضفاض مضموم عند الكعب، وبسترة بيضاء يُشدّ عليها حزام أحمر وأسود. وعلى الفقيران لا ينزع أحدى هاتين القطعتين من هذا التجهيز حتّى عند النوم[1].

هذا اللباس بالنسبة لليزيديين يبعث على الهيبة والوقار ولا يجرؤ أحد، حتّى في حالة الدفاع عن النفس على ضرب فقير يرتدي هذا اللباس. بإمكان الفقير أن يضرب أخاً له في الدين، دون أن يحاول هذا الأخير الدفاع عن نفسه. وما على الضحية الا أن يدير ظهره ويصالب ذراعيه في خضوع تام لهذا الضرب. وأدنى عنف يرتكب بحق أحد أعضاء طبقة الفقراء يمكن أن يضرّ بسلامة المذنب. ثمة امتياز آخر للفقراء وهو أنهم يستطيعون مصادرة الأشياء التي تعجبهم في بيت ما، دون أن تجدي احتجاجات المالك نفعاً[2].

---

(1) عندما ثبّت إسماعيل بك النظام الديني للمجتمع اليزيدي في أرمينية، فرض لصالح الفقراء أتاوة أقل بقليل من تلك التي يتلقاها البيرة.

راجع أيضاً:

Rousseau J. B. L. Notice sur les yézidis. Description du Pachalik de Baghdad, - p. 183 - 210, Paris 1809.

Sceleri. O et Wikander. Un témoignage Kurde sur les yézidis du Djabel - Sindjar. Orientalia. II, p. 112 - 118. 1953.

- إسماعيل جول: اليزيدية قديماً وحديثاً ص 91.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 70.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 231.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 98 - 99.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 160 - 167.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 166 - 167.
- جون س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 225 - 226.
- رشيد الخيّون. الأديان والمذاهب بالعراق. الفصل الثاني ص 73 وما بعدها.

(2) تقول الروايات اليزيدية. إن هذا اللباس إمتداد لذلك الذي كان الشيخ عدي يرتديه وقبله آدم عندما كان موجوداً في الجنّة، ويبلغ تبجيل اليزيدية لهذا اللباس درجة التقديس الأعمى «فإن يمينهم الإحتفالية هي القسم بفضيلة لباسهم الأسود أو «الخرقة» واختبار هؤلاء الذين يشرّفوا بلبسه». إن اليزيديين يقسمون الخرقة البالية، التي تستعمل بقاياها كتمائم. وفي مرقد الشيخ «مند» بجوار مرقد «ككي عزيز» تحفظ مجموعة من الأسمال التي كانت، وفق الرواية اليزيدية. تخص الشيخ مند ذاته.

إن جو الرهبة الذي يحيط بالفقراء، ليس مستغرباً مقارنة مع التفوق الذي حققوه في منطقة سنجار، حيث صار المؤمنون يخشون جانبهم أكثر ممّا يحترمونهم.

واللقب الذي يحمله الفقراء وحقهم في الإستجداء، واللباس الخاص الذي يميّزهم والذي يضفي عليهم نوعاً من القدسية، يوحي بفكرة أخوية «جمعية إخوان» من النسّاك أكثر ممّا يوحي بفكرة طبقة مشابهة لطبقة الشيوخ، أو لطبقة البيرة. كما أن خصائص الفقراء وتفاصيل ملابسهم التي تقربهم من إتباع الطرق الإسلامية، قد تجعلهم أحياناً الورثة المباشرين للعدوية. عندما نعرف ان العدوية كانوا مجرّد أفراد من طبقة مفتوحة للجميع في البداية، ما لبثوا ان اتجهوا إلى ضم متطوّعين جدد من نفس العائلات دون سواها، وإلى عدم الزواج الا ببنات نظائرهم، أي انهم اتجهوا إلى إنشاء طبقة خاصة في المجتمع اليزيدي.

ويبدو أن هذا التطوّر لم ينته الا حديثاً، ففي القرن السابع عشر، كان بإمكان أي يزيدي أن يتدرّب ويصبح فقيراً. وكان مألوفاً جداً في ذلك الحين رؤية أناس لا يشغلون وظائف دينية، يأخذون لباس الشيخ عدي. لكن في الوقت الحاضر لم يعد أي مريد يهتم بأن يصبح فرداً من طبقة الفقراء، والفقراء يتعاقبون من الأب إلى الإبن.

مع ذلك ورغم الطابع الوراثي لهذه الرتبة، لا يولد الفرد فقيراً كما يولد شيخاً، أو بيراً. وحتى سن الرشد لا يتميز شباب الفقراء في شيء عن سائر اليزيديين، ولا يتمتّعون بأي امتيازات. ولا يحق لهم إرتداء اللباس الشعائري الا بعد البلوغ. ويتم ذلك خلال إحتفال خاص. ومنذ ذلك الحين يشاركون في جميع إمتيازات طبقتهم.

والسائد الآن أن منصب الفقير متوارث، وواجبات الفقير أن يرعى الناس في غياب الشيخ، وأن يعلّم الأولاد علوم الدين وأمور الملّة.

القوّال

تطلق صفة القوّال على الحادي أو مرتّل الأناشيد الدينية في المحافل، أو في أيام الأعياد والأفراح. والقوّالون شعراء مجيدون، وأغلبهم محليّون. ويزعم اليزيديون أنهم رافقوا الشيخ عدي عبر بادية الشام، وظلّوا معه على المحبّة، فمنحهم حق إنشاد القصائد والمدائح الدينية باللغتين العربية والكردية، وخصّهم بحفظ أسرار الشريعة والحوادث التاريخية. ويعتزّون بأنهم يصاحبون طاووس ملك، في التجوال بين القرى اليزيدية،

لجمع الصدقات والأتاوات والنذور التقليدية، وإنشاد الأناشيد اللازمة عند دفن الموتى. كما أنهم يتباهون بجمع الأقذار والأوساخ من تربة الشيخ عدي في ختام كل زيارة، أو تنظيفها من القاذورات التي يتركها الزائرون أحياناً، معتقدين أنهم يتوارثون هذا الشرف أبًا عن جدّ.

يعلّم كبار أصحاب هذه الطبقة أبناء القوالين علم الغيب، والرقص الديني، والضرب على المزاهر، وإنشاد القصائد، حتّى يخلفوا آباءهم القوالين في حرفتهم.

وليس للقوّالين أن يتزوّجوا من غير سلالتهم. كما لا يجوز للشيوخ أن يتزوّجوا بنات القوّالين. إلا أن «بابا شيخ» أصدر فتوى دينية في الربع الأخير من القرن العشرين، أجاز فيها تزويج أبناء القوّالين من بنات المريدين، خشية انقراض الأولين.

وللقوّالين طاقية، أو قلنسوة خاصة بهم، يسمّونها «كمة القوالين» فلا يجوز الحلف بها كذباً، كما أنهم لا يحلقون لحاهم، ولا يقصون شواربهم، ولا شعر سوالفهم وصدوغهم، ويسكنون في قريتي «بعشيقة» و«بحزاني». وهم يقيمون بالسفارة والنيابة عن أمير الشيخان، ويتجوّلون باسمه لجمع النذورات.

ومهمتهم الأساسية زيارة الجماعات اليزيدية حيثما كانوا، وأينما استوطنوا. وهم يحملون معهم صورة طاووس ملك، دليلاً على هويتهم. وعندما يحل القوّال في إحدى القرى، يمنحه مضيفه غرفة منزله، فيثبت القوّال السنجق على منصة في تلك الغرفة، ثم يشرع بجمع التبرّعات. بينما يعظ الناس ويخطب فيهم، ويحثهم على التبرّع. ويوسم كل سنجق عادة باسم المنطقة الموجّه إليها. وقد تصل مواكب القوالين إلى ألمانيا لكثرة المهاجرين إليها من اليزيديين. وحين تتم عملية التبرّع يعود القوالون أدراجهم إلى «باعذري»، حيث يودعون السناجق لدى الأمير في قصره. إن رحلات القوّالين طويلة جدا وخطيرة أحياناً، لذا يحصل القوّالون على أجر كبير يقتطع من العطايا التي يجمعونها.

وما يمليه القوّالون على اليزيدية نقلاً عن لسان الشيخ عدي، وطاووس ملك:

«المال مالي، والبشر عيالي. أنا أُفقر وأنا أُغني، أنا أحب الذين يدعونني باطناً. والذي ينكرني قدام الناس، أنا أنكره في السماء. أنا أحب الذي يحبني من كل قلبه، يقطع من لحمه ويكرّمني. وأنا ارضى عنه وأتجاوز سيّئاته. وأقبل منه عوض الصوم والصلاة، ولا يشكّ فيّ، ويدعوني دائماً. فأنا حاضر عنده وعند الضيقة. وأنا لا يخطئ، ولا يزني، ولا يكفر،

ولا يعمل مثل باقي الطوائف الخارجة، ولا يحسد، وفي يوم القيامة، أسامحه، وأرجو الرب أن يغفر له ويدخله الجنّة».

ولا تتحدّد أهمّية القوال في الديانة اليزيدية كونه، ينشد الأناشيد والمدائح والوصايا الدينية، في الحفلات والمراسيم. وليس في ترديد فضائل الشخصيات الدينية، والمشايخ، ورواية القصص والحكايات التاريخية عنهم. وليس في العزف ومصاحبة السنجق عند التجول في القرى والأماكن اليزيدية. ولا في إجراء مراسم دفن الموتى، إنما تكمن أهمّية القوّال في قدرته على حفظ النصوص الدينية، وفي ثقافته الدينية التي لا يستهان بها، بالنسبة للمجتمع اليزيدي، الذي كان يفتقر لوجود القرّاء والمثقّفين الذين يتحملون على عاتقهم معرفة التاريخ والدين اليزيدي، كما في الوقت الحاضر.

وفي عودتنا إلى الطقوس الأشورية، التي كانت سائدة في المنطقة، التي يسكنها اليزيديون الآن، قد نجد الشبه الكبير بين هذه الطقوس وتلك. بحيث كان يعتبر الأشوريون الموظف الديني المكلّف بنصب الطبول، ونشر البخور، وسكب الخمر على أجساد الأضحية وإراقته، كاهن الإبتهالات، ويدعى «الكالو». والوظيفة الأساسية للكالو، الإنشاد والتراتيل التي تتخذ من شكل الصلوات الموجهة للآلهة. وكذلك الأغاني الدينية، وما ترافقها من آلات موسيقية، كالطبل والقيثارة، تعتبر طقساً دينياً. وينشد القوّالون الطقوس الصعبة، ويكون غيرهم من الطبقة الدنيا، مساعدين في أداء الأناشيد. ويمكن أن يعمل الكالو في بابل كاتباً، يجمع بين عدّة وظائف، وليس من الضروري أن يكون من طبقة عليا.

ويزعم بعض الباحثين، أن كلمة قوّال، ليست مشتقة من قال يقول قولاً بالعربية، إنما يظهر أنها مأخوذة من الكلمة السومرية «كالو - kalo» وتعني الكاهن، أو الرجل المتديّن، أو الكبير السن. وفي اللغة الكردية تستخدم كلمة «كالو» بنفس المعنى في لهجة أهل «شنكال» الكرد. وهي مركّبة من «كال - شنكو»، بمعنى الرجل المتديّن، الكبير. وتذكر بعض المصادر التاريخية، بأن هناك معبداً كبيراً للإله «سن» في جبل شنكال، ممّا قد يقدّم دليلاً على ان جذور كلمة قوّال مرتبطة بشكل، أو بآخر، باللغة السومرية أو البابلية.

وفي العصر البابلي كان ال «كالو» يخدم في المعابد، ويعزف الموسيقى الدينية على الدفّ والشبابة، في الأعياد والمناسبات الدينية.

وهذا يظهر جلياً في العصر الحاضر عند اليزيديين، حيث يلعب القوالون دوراً مميزاً في العديد من الأعياد الدينية، ويعزفون على آلاتهم الموسيقى المقدّسة.

ومهنة القوّال في الديانة اليزيدية، تتشابه مع مهنة وتسمية الـ«كالو» البابلية، والتي تعني منشد المراثي. ولم تتشابه هذه المهنة مع بعضها في الأديان الأخرى. وتشير النصوص السومرية المسمارية إلى الموسيقيين واصنافهم، واختصاصاتهم، ومراكزهم الوظيفية، بأن معظمهم كانوا من الكهنة ورجال الدين التابعين للمعبد أو للهيكل.

وإلى جانب المهام الموسيقية لهؤلاء الكهنة، كانوا يقومون بأداء أعمال أخرى، تخصّ الحقول، وأبنية المعبد، وتنظيف قنوات الري. لأن القسم الأعظم من أراضي الدول المدينية[1] في العصر السومري كان يعود إلى المعابد. وكانوا يتقاضون لقاء أعمالهم، الفضة والملابس والأصواف، وبعض المتاع.

والقوّالون اليزيديون، يؤدون تقريباً نفس المهام، حيث يدفنون موتاهم على أنغام الموسيقى «الطبل، والشبابة» التي يعزف عليها القوالون فقط.

ويورد الباحث زهير كاظم عبود نقلاً عن الباحثة «إيڤلين كينكل»:

«إن الكهنة كانوا يعزفون بالآلات الموسيقية الألحان الجنائزية، ويتهيئون لإجراء مراسم الدفن. ويشترك هؤلاء العازفون بأخذ ثمن أتعابهم، من الحنطة والخبز، وبقايا مخلّفات الموتى، بما فيها الصوف والملابس، وتضاف إليها الآن عند اليزيديين الحلوى والنقود»[2].

الكواجك

الكواجك طائفة من عوام اليزيدية، معروفة العدد، منتشرة في منطقتي الشيخان، وسنجار، إنتشاراً كبيراً. يتميّز أفرادها عن أبناء طائفتهم كافة بلباسهم الأبيض ونطاقهم الصوفي الأسود والأحمر، وبالحلقات ذات القيمة الدينية المعلّقة بهذه الأحزمة. وتقتصر وظائفهم الدينية على غسل الأموات وتكفينهم، ودفنهم، واكتشاف مصائرهم، إن خيراً أو شرّاً. وكذلك الإتصال بعالم الغيب، والشهادة لمعرفة أسرار حال المستقبل. فإذا أراد «الكوجك» أن يتنبّأ عن المستقبل، إلتحف بعباءته، واضطجع على الارض، وأخذ يدمم

---

(1) المدينة الدولة. لأن كل مدينة كانت تشكل في بعض الأحيان دولة قائمة بذاتها. (المؤلّف).

(2) زهير كاظم عبود. التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. القوالون ص 111 وما بعد...

ويرنّم، ثم يروي للحاضرين ما يتراءى له من المغيّبات، زاعماً أنه يعرف كل ما حدث في العصور الخالية، والوقائع الماضية، من أيام آدم إلى يومنا هذا، كما أنّه يوحي بمصير الأموات الجدد.

إضافةً إلى ذلك يقوم الكواجك بخدمة بيت «الشيخادي» أو مزار الشيخ عدي، أو «البيت اليزيدي الكبير» وبقيّة المزارات المقدّسة في «لالش». ولهم في مرقد الشيخ عدي خدمات شاقّة، كنقل الأحجار، وقطع الأخشاب، وتنظيف الساحات من الأوساخ والقمامة، بعد كل زيارة لأبناء الطائفة. وهم يمارسون هذه الواجبات تحت إشراف، «الجاويش» رئيس الورشة، وهو الكوجك العازب الذي يقيم في المرقد طوال حياته، وتُشترط العزوبية الدائمة عليه، لأنه لا يجوز إجتماع الجنسين في حرم الشيخ عدي أو «الحرم الكبير».

وقد أوجبت العقيدة اليزيدية، إحترام الكواجك، وتصديقهم في أقوالهم وأفعالهم، حتّى وإن كانت نوعاً من الشعوذة. ويزعم البعض من اليزيديين، أن الذي يقوله الكوجك في أكثره حقيقة وواقع. وقد جاء في الفصل الأخير من كتابهم المقدّس «الجلوة» ما نصّه: «إحفظوا سنني وشرائعي، طيعوا واصغوا لخدّامي بما يلقنوكم به، من علم الغيب الذي هو من عندي».

وقد يستغل بعض الكواجك هذا النص، فيدّعي القدرة على شفاء المرضى وقراءة المستقبل، لتأمين بعض المنافع المادية.

ولكل يزيدي ألف في نفسه القدرة والجلد، أن يترّيض رياضة روحية خاصة، تؤهله لأن يكون كوجكاً، يكتشف مصائر الناس، ويكاشف أرواح الأموات، ويستكشف أسرار الطبيعة. وذلك بأن يدخل «منبر الأربعين شيخاً»، ويزور «الأربعين سراجاً»، ويحلف يمين الولاء والخدمة للشيخ عدي، ويطلّق الدنيا وماضيها من نعيم زائل، ومغريات متنوعة، ثم يصوم أربعين مرّة «أربعين يوماً»، ويقصد تربة الشيخ عدي مرّة ثانية، فيزور الأربعين سراجاً، ويدخل منبر الأربعين شيخاً، ويقصده الـ«بابا شيخ» فيبارك له، ويمنحه سلطة ممارسة الواجبات المذكورة.

وإذا حلّ بالبلاد بلاءً، أو ضيق، يطلب «بابا شيخ» من الكواجك جميعاً الدعاء والصلاة، لكشف هذا البلاء. وهم يجتمعون لهذا الغرض في مرقد الشيخ، أو في منزل «بابا شيخ»، أو في أي مكان آخر عدّة ساعات. وبابا شيخ يجمع الكواجك عشر مرّات سنوياً،

في عشرة اعياد، حيث يتوجّهون نحو مرقد الشيخ عدي، فيخدمون المكان وينظفونه. يقول روجيه ليسكو:

«الكواجك رغم هذا كلّه، هم على الأغلب أناس عاديون، أتوا للحج في الشيخان. فقرروا أن يعتزلوا الناس، ويكرّسوا بقية حياتهم لخدمة الشيخ عدي».

ويلاحظ أن كلمة كوجك تستعمل أيضاً للإشارة إلى مدّعي الرؤيا «النصف تنبوئية»، والنصف سحرية، الذين يظهرون بين القبائل، أحياناً ويكسبون فيها نفوذاً سياسياً بقدر ما هو ديني. وقد لعب البعض منهم دوراً هاماً في التاريخ اليزيدي. فما زال اليزيديون يتغنّون بكرامات الكوجك إبراهيم المتوفي منذ أكثر من قرن ونصف، وبمغامرات الكوجك ميرزا، الذي أعدمه الأتراك في القرن التاسع عشر.

المريدون

المريدون هم من عامة الشعب، ذكوراً وإناثاً، كباراً وصغاراً، من أهل القبائل وأهل القرى، يخضعون لأوامر رؤسائهم الروحيين خضوعاً مطلقاً، ويتقبّلون أوامرهم ونواهيهم دون مناقشة، أو إعتراض. منذ فرضت الشريعة عليهم الطاعة العمياء، وأوهموا أن التدخل في الأمور الدينية، أو التساؤل عن أسرار العقيدة اليزيدية يخرجانهم من الإيمان، ويحلاّن بهم الذل والهوان.

ولا بدّ أن يكون لكل مريد أو مريدة شيخ وبير، فيقدّم إليهما النذور والخيرات، ويتلقّى منهما التعليمات والإرشادات. فإذا مات أحدهما، أو حرمه الأمير، ولم يكن بين سلالته من يحلّ محلّه، لجأ المريد إلى الأمير فيختار له بدل المتوفي، أو المحروم شيخاً أو بيراً جديداً، لقاء مبلغ من المال يتفقان عليه. والمريد الذي لا شيخ له ولا بير، يعد خارجاً على العقيدة اليزيدية.

والمريديون يتزاوجون فيما بينهم، فلا يحق لهم مصاهرة السلالات الأخرى. وهم أشبه بالمنبوذين في الهند «Parias» وربما هم كالبقرة الحلوب بالنسبة لبقية أفراد الشعب اليزيدي.

أما السدنة فهم قليلو العدد، لدرجة أن أحداً لم يشر بعد إلى وجودهم. وحسب العرف حتّى الآن، فإنهم لا يشغلون سوى قرية واحدة هي «قرية بشكير» في جبل سنجار. لكن طبقتهم ممثلة في الشيخان هي الأخرى. ويتوقّف دورهم على العناية بالمزارات، وعلى إشعال الأضواء التي يجب أن تظل مشتعلة على الدوام من مساء يوم الثلاثاء إلى صباح يوم

الأربعاء في كل مزار[1].

في نظرة شاملة إلى التراتبية، وصلاحيات الطبقات عند اليزيديين، يتبين لنا وجه الشبه القريب بين النظام اليزيدي وتركيبة المجتمع الهندوسي، حيث جاء في نظام الطوائف الهندوسية:

«عندما أطلّت الحياة على كل البشر، وجدتهم غير متساوين على الإطلاق، برغم أنّهم جاءوا جميعاً من «مانو» أول البشر. فالذي حدث تماماً، أن أربعة أنواع من البشر جاءوا من مانو.

فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية، وهم الكهنة البراهمة.

ومن ذراعه جاء ما يليهم في الأفضلية، وهم الملوك، والمحاربون أو «الأكشترية».

ومن فخذه جاء أرباب المهن في العالم، بين زرّاع، وتجّار، ممّن يوفّرون مسائل العيش للكهان، والملوك، والمحاربين، وهؤلاء هم «الفيشية».

ومن قدميه جاء بقية الناس، الذين ينتمون إلى «الطبقة السفلى» وليس لهم مهنة سوى خدمة الطوائف الثلاث السابقة، في أخسّ حاجاتها. وهؤلاء الذين يسمّون «بالشودرا» أو المنبوذين «Parias».

ومضت الطوائف الأربع منطلقة في الأرض، لكل منها واجب ومهمّة:

---

(1) بخصوص هذه الطبقات الثلاث راجع:
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 77 - 78.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 48 - 49 و 53.
- سعيد الديوه جي: اليزيدية. ص 199.
- الدكتور بروسكي. مجلّة المقتطف المصرية عـ13 ص 393 سنة 1889.
- د. خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 163 - 164.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 168 - 170.
- الأب سهيل قاشا. اليزيدية ص 233 - 236.
- صدّيق الدملوجي. اليزيديون. ص 70.
- إسماعيل جول: اليزيديون ص 91.
- روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 98 - 102.
- جون س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 92 - 93.
- Ibid p. 93.
- Siouffi. N. Notice sur le cheikh Adi et la secte des yézidis. p. 91.

1 - البراهمة، لدراسة أسفار «الفيدا» المقدّسة، وهي الكتب بقوانينها وشرائعها وتعاليمها، وتقريب القربان، وإدارة الضحايا، ولهم الأخذ والعطاء.
2 - الملوك والمحاربون، لحماية الشعب وممارسة الإحسان والتضحية، وتلاوة الكتب المقدّسة، وعدم الإنهماك في الشهوات.
3 - التجّار والزرّاع لتربية المواشي، وإيتاء العطاء والتضحية، ودراسة الكتب المقدّسة، والبيع والشراء وحرث الأرض.
4 - المنبوذون، ليس عليهم سوى أن يضعوا أنفسهم تحت أقدام كل فرد من الطبقات الثلاث الأخريات.

وقال الكهنة: «أنه هكذا جعل براهما البشر أربعة أنواع مختلفة من الناس في طبقات بعضهم، افضل من بعض، وبعضهم أسوأ من بعض. أما البراهمة فهم على رأس كل الطبقات. حتّى الملوك عليهم أن يحذروا فرض ضريبة على برهمي، حتّى ولو نضبت كل موارد المال الأخرى، لأن البرهمي إذا ما ثار غضبه، يستطيع أن يسحق الملك وجيشه جميعاً، بتلاوة لعنات ونصوص مسحورة. فكل ما هو كائن في الوجود هو ملك البراهمة. والسخاء في العطاء للبرهمي من أسمى الواجبات الدينية، حتّى إنه يستطيع إذا لم يجد ترحيباً كريماً في أحد البيوت أن يذهب عن صاحب البيت كل ما كان يستحقه من جزاء على ما سبق من حسنات. أما إذا اقترف البرهمي ما شاء من الجرائم، فليس يحق عليه القتل. وكل من حاول ان يضرب البرهمي فلزام عليه أن يُصلي عذاب النار مئة عام. فإذا ضربه بالفعل، فقد حُقت عليه الجحيم ألف عام».

أما الشودري المنبوذ، فالإمتثال المطلق لاوامر البراهمة، هو أقصى ما عليه من واجبات. إن خدمة المنبوذ للبراهمة هي أفضل عمل يحمد عليه. ولا يجوز له أن يجمع ثروة أيّاً كانت، ولو كان على ذلك من غير القادرين. لأنّه إذا جمع المال فسيتيح له ذلك أن يطاول البراهمة بوقاحته. وهو إذا علا فوق من هو أعلى منه بيده أو عصاه، قطعت يده. وهو إذا نادى من هو اعلى منه بإسمه أو اسم طائفته متكلّماً، فعقابه أن يدخل في فمه خنجر محمي مثلث النصل، طوله عشرة قراريط. ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه، وفي أذنيه، إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم.

وقد يحدث أن يعتدي رجل منبوذ على عفاف زوجة براهمي. فإذا حدث هذا، صودر كل ما يملكه، وأنزل به عقاب يجعله لا هو بالذكر، ولا هو بالأنثى. وإذا قتل زميلاً له، كان عليه أن يكفّر عن جريمته بعشر بقرات يهبها للبراهمة، أما إذا قتل أحد «الفيشية»،

فكفّارته للبراهمة مئة بقرة، وإذا قتل أحد «الكشتارية»، ارتفعت الكفّارة إلى ألف بقرة يعطيها للبراهمة. أما إذا قتل برهمياً، فلابدّ من قتله. لأن العقاب بالقتل لا يكون الا للبراهمي.

وقال الكهنة البراهميون: هكذا كلّما ارتفعت الطائفة التي يولد منها المرء زادت امتيازاته في الحياة، فالذين من الطائفة العليا وحدهم الذي يمكن أن يصبحوا كهنة ومعلّمي عقيدة. أما الذين يولدون من الطائفة السفلى، فلا يمكن أن يصبحوا كهنة ولا حكّاماً، أو أن تكون لهم مراكز هامة من أي نوع.

وإذا ولد إنسان في طبقة دنيا، فمهما بلغ من الطيبة والصلاح والذكاء والشجاعة، فليس له أن يستمتع بنفس الإمتيازات في الحياة كواحد من الطوائف الأعلى. إنما إذا كان صالحاً في هذه الحياة فسيجازى عن صلاحه في الحياة الآخرة.

ويقول الكهنة: لكل كائن حي روح. وهذه الروح تأتي من براهما روح العالم. وبراهما لا يموت قط. وهكذا فإن روح الكائنات الحية التي تأتي من روح العالم لا تموت قط.

وعندما يموت الإنسان تخرج روحه من جسده، وتدخل على الفور جسد طفل ولد لتوّه. فإذا كان الإنسان ممّن يحيون حياة طيّبة صالحة ولد في طائفة أعلى. بينما يولد في طائفة أدنى إذا كان يحيا حياة فاسدة مليئة بالشر.

وإذا استمر يحيا حياة فاسدة بعد حياة أخرى أكثر فساداً، يظل يولد في طائفة أدنى من طائفته مرّة بعد أخرى. وقد يولد عليلاً ليظل يشقى طوال حياته عقاباً له على ما أساء... بل وما من بأس في أن يولد حيواناً أعجم[1].

---

(1) جون كولر. الفكر الشرقي القديم ترجمة كامل يوسف حسين. الفصل الأول المذاهب الفلسفية الهندوسية ص 27 وما بعد... عالم المعرفة عدد 199 الكويت تموز 1995.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبدالفتاح إمام: الهندوسية ص 135 وما بعد... عالم المعرفة عدد 173 أيار 1993 الكويت.
- سليمان مظهر. قصة الديانات القسم الثاني. عقيدة الهندوس ص 79 - 84 الطبعة الثانية. مكتبة مدبولي القاهرة 2002
- بريديل كيث. الأديان الناشئة في الشرق الأقصى. تاريخ العالم. الفصل الأربعون ص 524 وما بعد...
- تاريخ الحضارات العام. جـ 1 الكتاب الثاني. الفصل الثاني الديانات ص 623 بإشراف موريس كروزيه. منشورات عويدات. بيروت - باريس الطبعة الثانية 1981.
- موسوعة بهجة المعرفة. المجموعة الثانية. الإنسان والمجتمع. البرهمية والبوذية ص 106. الطبعة الثانية. دار المختار للطباعة والنشر والتوزيع. جنيف - سويسرا 1980.

الفصل السابع عشر

الأعياد اليزيدية

الأعياد اليزيدية كثيرة، وهي أعياد دينية وقومية واجتماعية، بعضها خاص بطوافاتهم الدينية، وبعضها بأعيادهم الخاصة ومسرّاتهم، والبعض الآخر عبارة عن مزيج من أعياد المجوس والمسيحيين والمسلمين، مع بعض التغييرات التي أدخلت عليها، لتتوافق وتعاليم اليزيديين. كما أنهم يشاركون بعض الناس، أو أصحاب الأديان المجاورة، أعيادهم واحتفلاتهم. وهم ميّالون في أعيادهم كثيراً إلى الإبتهاج والإحتفال. والأعياد اليزيدية على نوعين: أعياد ثابتة وأعياد متنقّلة. ويبدو أنها جميعاً تخلق مناسبةً لطقوس متشابهة. فالإحتفال بكل عيد يتميّز بشكل رئيسي: زيارة المريدين لشيخهم، وبأفراح عائلية، وبتطواف حول المزارات المحلّية.

1 - عيد رأس السنة: يقع هذا العيد في أول يوم أربعاء من شهر نيسان «شرقي» أو 14 نيسان «غربي»، ويسمّونه في اللغة الكردية «سري حال» أو «سرسالي»، وهي كلمة مركّبة من «سري» بمعنى رأس و«حال» أي سنة. فإذا كان اليوم الأول من شهر نيسان شرقي يوم الخميس، فإن العيد يبدأ عندهم يوم الأربعاء الموافق 7 منه، أي 20 نيسان غربي. ويزعم اليزيدون، أن طاووس ملك هبط في مثل هذا اليوم من أجلهم، وليخلّص موسى وصحبه من الفراعنة.

وفي ليلة عيد رأس السنة، يرتدي الشباب والصبايا، أفخر الثياب والزينة، حيث تبكّر الصبايا إلى الحقول والجبال المزدانة بالأزاهير في هذا الشهر، فيجمعن منها شقائق النعمان الحمراء، ويعلقنها على ابواب بيوتهن، وعلى الجدران، وبين الغرف، ويصففن الأزهار في النوافذ، ومنهن من يركزن الأزهار على قشور البيض الملوّنة، زاعمات أن ذلك يسهّل على الملائكة تمييز بيوت اليزيدين عن بيوت أهل الأديان الأخرى.

وتكثر في هذا العيد المقامرة بالبيض الملوّن وبالدراهم. ويقدّمون لمن يزورهم البيض المصبوغ بالألوان الزاهية المختلفة. حيث يُشرع بالمقامرة مع الزوار، والحضور، والمعايدين، وتزدحم الطرقات والساحات والشوارع والأزقة بالمقامرين بهذا البيض، وبالمتفرّجين. ويختلط الجميع بعضاً مع بعض، رجال ونساء وأولاد، الا ان المقامرة

تقتصر على الذكور دون الإناث[1].

وفي هذه الليلة، تزيّن البيوت بالأزهار والأشجار على السواء. وطعام ليلة العيد لحم. ولا بدّ لكل بيت يزيدي أن يشتري لحماً، أو يذبح ثوراً، أو خروفاً، أو دجاجة. وأن يعدّ أفخر الأطعمة لهذه الليلة. وفي اليوم التالي، يوزعون هذه الأطعمة على الفقراء، والمارة، وأبناء السبيل، والمساكين. وفي هذا اليوم أيضاً، تعدّ النسوة طعاماً، وتذهب به إلى المقابر ليوزّع على المحتاجين عن أنفس الموتى. فتناول اللحم في هذا العيد واجب على كل يزيدي.

ويعتبر اليزيديون شهر نيسان الشرقي بأكمله عيداً مقدساً. وهم لا يتزوّجون، ولا يحفرون أرضاً، ولا يقيمون بناءً أو يشيدون منزلاً جديداً، ولا يكتبون عقد بيع أو شراء. وينظّمون طوافات شعبية رائعة، على شكل كرنفالات، أو عراضات في كل يوم جمعة من أيام الجمع الواقعة في هذا الشهر. فيذهبون لزيارة المقامات والمزارات القريبة والبعيدة، فيعقدون حلقات الرقص والدبكة المختلطة بين الرجال والنساء، على أنغام أصوات الزمور والطبول، ويمضون أيامهم بالطرب والانس والخمرة، والولائم. ويقدّمون الهبات ويصفّون حساباتهم بشكل ودّي، ويدفعون العشور المستحقة عليهم للصندوق العالي.

ويذهب القوّالون بطبولهم وشباباتهم، ويدورون بين القبور بأناشيدهم وترانيمهم إستجلاباً للرحمة والمغفرة للموتى، فينالون مقابل ذلك أجراً من أهلهم وذويهم. أما الفقراء، فيأخذون الشيوخ إلى قبور موتاهم للترحّم عليهم، بضرب الطبول دون الترنّم بالغناء المقتصر على القوّالين.

ويزعم اليزيديون أن في منتصف ليلة رأس السنة، تأتي ملائكة السماء فتجلس مع العباد، وتسجد مع الساجدين من علماء وروحيين، وتبارك المنازل اليزيدية المحتفلة. وإن الكون كله يسجد للخالق الأعظم في هذه الليلة، ليلة نزول طاووس ملك. ويعتقدون أن أرواح الموتى تخرج من القبور وتشارك في ذلك. وعلى رجال الدين والعامة السجود شكراً، وعلى الملائكة توزيع البركات والخيرات على الأحياء والموتى من مخلوقات الله. لأن الله يجلس على عرشه يأمر الملائكة بالعمل الطيّب، ويقول: «إنني

---

(1) هذا التقليد متبع عند المسيحيين في عيد القيامة (الفصح) والذي يكون موقعه أغلب الأوقات في شهر نيسان. ويلوّن هذا البيض بغليه بالماء مع قشر البصل الأحمر، أو الزهور الملونة. إلا أن المسيحيين لا يقامرون بالدراهم. (المؤلّف).

أتنزّل إلى الأرض بالتسبيح والكل واقفون تحت قدمَي الله، فيعرفونه جميعاً. فيمهر الله الطيّبين منهم بمهره، ويأمر الله طاووس ملك أن ينزل إلى الأرض، ليعينهم بقدرته، وكل شيء بإرادته»[1].

2 - عيد مربعانية الصيف: لهذا العيد عند اليزيديين عدّة أسماء. عيد الشيخ عدي «الشيخادي» العيد الكبير، وعيد «مربعانية الصيف»، ومدّته خمسة ايام، تبتدئ من اليوم الحادي عشر من شهر تموز «شرقي»، وتنتهي في السادس عشر منه، من «31 تموز إلى3 آب غربي». وفيه يذهب الكواجك وبعض رجال الدين إلى مرقد الشيخ عدي، ليصوموا ثلاثة أيام، ثم يعودوا إلى منازلهم، ويتابعون صومهم أربعين يوماً، لأنّهم يعتقدون أن الشيخ عدي كان يصوم أربعين يوماً في الصيف، وأربعين يوماً في الشتاء. ولكنّهم قلّما يتمّون هذه المدّة، لأن الصائم، إذا بات بنيّة الصوم، وقدّم إليه أحد معارفه شيئاً في صباح اليوم التالي، وطلب إليه أن يأكل على بركة أحد المشايخ، أو على بركة أحد السناجق، وجب عليه الإفطار فوراً وأصبح في حلّ من صيامه أو من إتمام هذه الفريضة. فإذا قاربت هذه المدّة الإنتهاء، عاد الصائمون إلى مرقد الشيخ عدي، فصاموا الأيام الثلاثة الباقية من الأربعين يوماً، وهناك يعيّدون ويذبحون، ثم يعودون إلى قراهم مستبشرين فرحين.

ويتولّى أهل قرية «بحزاني» تنظيف المرقد بعد انصراف الناس.

3 - عيد الجماعية: هو العيد الرئيسي العام. وربما كان من أهم الأعياد اليزيدية، ومن أعظمها شأناً، وأاكثرها خطورة. ويدوم سبعة ايام. يعقدونه في لالش، إحتفالاً بأول وعظ للشيخ عدي. وهم يزعمون، أن في هذا العيد تغفر الخطايا والذنوب، وتستنزل الرحمة والبركات. ويستدل على كنه السنة المقبلة، إن خيراً، وإن شرّاً. وهو عبارة عن سلسلة إحتفالات دينية، تستمر سبعة أيام، واجبة على كل يزيدي ويزيدية. تبتدئ من اليوم الثالث والعشرين من شهر أيلول شرقي «6 تشرين الأول غربي»، وتنتهي في الثلاثين منه «13 تشرين الأول غربي». وفيه يأتي اليزيديون من كل الأنحاء والمناطق

---

(1) الصندوق العالي: خزينة الأمير:

هذا التقليد وهذا الاعتقاد موجود عند المسيحيين، وبخاصة المشارقة منهم. وفي التقليد المسيحي الغربي الكاثوليكي هي ليلة عيد الغطاس، تسمّى بليلة القدر. وعيد الغطاس عند المسيحيين الغربيين الكاثوليك، هو عيد الميلاد عند المسيحيين الشرقيين، الأرمن الأورثوذكس والسريان الشرقيين، ويقع في السادس من كانون الثاني. (المؤلّف).

اليزيدية، وهم بأفخر ثيابهم، والنساء بأفخر حليهن. فيحيون عيد الجماعية في مرقد الشيخ عدي في اللهو والإنشراح، وزغاريد النساء، وتصفيق الشباب، بعد أن يكونوا قد قطعوا السراط[1].

فعلى الذي توجّه إلى هذا المقام أن يخلع أحذيته، ويمشي حافي القدمين إلى المرقد. ويحلّ كل منهم في المحلّ الذي أعدّه له شيخه أو بيره. وفي لالش هذا، محرّم على اليزيدية طوال أيام هذا الأسبوع، إصطياد الطيور، أو قتل الوحوش، أو قطع الأشجار، أو إيذاء بعضهم بعضاً، مهما كانت العداوة بينهم، لأن وادي لالش منطقة مقدّسة، وأرض حرام، مكرّمة في العقيدة اليزيدية. وأغلب المشاكل والعداوات السابقة تحلّ بتدخل جماعة من رؤساء الدين والروحانيين بغير دليل أو شهود. والدليل هو صفاء القلوب، ويكون بتبديل «البرات» بين الطرفين، أو يقوم الشيخ بإعطاء البرات للطرفين. وعلاوة على ذلك يجب أن يتخطّوا عتبات المراقد كلّها، فلا يسمح لأحد أن يطأها بقدمه. ولا يسمح لهم بمعاشرة نسائهم في هذه الأيام «الحرام». فلا رفث، ولا فسوق، ولا جدال في الحج. إن بعض التقاليد تبيح لهم تهريب النساء والفتيات، ما داموا في حمى الشيخ عدي.

في هذا الوقت، يصعد الكواجك مرتين كل يوم من أيام هذا العيد السبعة، إلى جبل «عرفات» في «اللالش» ليجمعوا الحطب لمضيفي الشيخ عدي، وينزلون به محمولاً على ظهورهم.

ويحجون إلى بقية المزارات المقدّسة في لالش، دون أن يسوّغ لأحد منهم إنتعال شيء في قدميه، ودون أن يحمل معه كفاية من الخبز والبصل والبرغل والجريش. فإن لكل مزار سادناً، أو مقيماً مكلّفاً بخدمة المزار وزائريه. وعلى هذا السادن أو المقيم، أن يعدّ أكلة واحدة تسمّى «سماط» لمريديه، من غلّة أوقاف صاحب ذلك المزار. وممّا يجمعه من النذور والصدقات والهبات. حيث من واجب كل يزيدي زائر لكل مرقد من هذه المراقد في هذا الموسم. أن يقدّم مقداراً من النقود لسادن ذلك المرقد، ومن لم يهده شيئاً، لا يقبل له حج، ولا تغفر خطاياه.

وهناك عدد من المزارات والحجرات على أسماء أوليائهم معدّة للزائرين، يعطي أمير الشيخان أبوابها بالإلتزام، إلى شيوخ القبائل اليزيدية وبيورتها، فيحج إليها مريدو الشيوخ

---

(1) السراط. جسر بشكل قنطرة صغيرة فوق الماء الذي يجري في وادي لالش، حيث اليزيديون يخلعون أحذيتهم، ويغتسلون بمائه، ويتوجهون إلى مرقد الشيخ عدي.

والبيرة، حيث أن لكل بير عدداً من المريدين والمريدات. وكثيراً ما تضيق هذه المزارات والحجرات بساكنيها، فيتركها الرجال للنساء والاطفال، ويقضون أوقاتهم في ساحات المرقد، وفي ظلال جدرانه، وفي شعاب الجبل وكهوفه، مستمتعين بنشوة روحية رفيعة، على أنغام القوالين أثناء الليل وأطراف النهار، مقابل الهدايا والإكراميات النقدية المتدفقة عليهم في هذه الأجواء الروحية، بدون حساب وتردّد.

وأما الأعمال والطقوس التي تتم في هذا العيد، فهي: القاباغ، ونصب تخت الشيخ عدي، وسماط جلميرة، والإغتسال في مياه زمزم اللالش.

أ - القاباغ: كلمة تركية أو كردية، يراد بها إطلاق الرصاص بالجملة، وهي عند اليزيديين علم لأحد الأعياد. فإذا انتهى يوم الخامس من عيد الجماعية وحل اليوم التالي، تسلّق اليزيديون الجبال المحيطة بمرقد الشيخ عدي، وشرعوا في إطلاق الرصاص بالجملة، إبتهاجاً بحلول اليوم المذكور. ويضمن أمير الشيخان ثمن الطلقات. ثم ينحدرون إلى فناء المرقد، فيعقدون حلقات الدبكة مختلطين رجالاً ونساءً على شكل حلقات مستديرة. والقوّالون يضربون بدفوفهم، ويزمّرون بشباباتهم فرحاً[1] وحبوراً. ويهيئ أمير الشيخان ثوراً كبيراً أبيض اللون يكون قد أمر بربطه في مرقد الشيخ عدي مدّة أربعين يوماً، فيطلب إلى الحاضرين أن يحموه من أذى الغير، حيث يتسلّمه الشبان المدججون بالسلاح من عشائر «الماموسية، والقادية، والترك» ويأخذونه إلى مزار الشيخ شمس، مردّدين أوراداً وأذكاراً، لا يفهمها غيرهم، ويتعهدون بإعادة الثور إلى مرقد الشيخ عدي سالماً من أي أذى. ويندسّ بينهم في تلك الآونة شخصان من اليزيدية، فيحتال أحدهما على الثور فيسرقه، فتحصل ولولوة بين القوم، ويسترجعون الثور فوراً، دون أن يدلّوا أحد على السارق، متجاهلين اسمه، متغافلين عن وجوده بينهم. ثم يقتادون الثور إلى مرقد الشيخ عدي بين التهليل والتكبير، وعندها تقف القبائل في الموضع المسمّى «ميدان الجهاد»، أو «السوق الكبير»، ويتقدّم عشرة من البواسل للمحافظة على الثور، فيعلن الأمير هروبه، ويطلب إلى الحاضرين الإنصراف إلى شؤونهم الخاصة، لانتفاء الحاجة إليهم. ولكن الرجل الذي سبق له أن سرقه، يدخل إلى المرقد، مع زميله الذي اندسّ معه من قبل، موهمين الناس أنّهما من أتباع الأمير المنوط بهم أمر المحافظة على

---

(1) تعرف هذه الدبكة بالشيخانية. وتعود أصول هذه الدبكة إلى الأشوريين. وتعتبر من أرقى الدبكات الأشورية. (المؤلّف).

الثور، فيهربان به إلى مزار «الشيخ شمس» على مقربة من مرقد الشيخ عدي ويوسعانه مع أتباعهما ضرباً مبرحاً بالسياط والعصي، فيذبح الثور سرّاً، ويعطى لحمه إلى سادن مزار «الشيخ شمس»، معلنين أنه لحم النذر، فيطبخه حتّى الإهتراء. وكل من استطاع الحصول على قطعة منه، مهما صغرت نال الأجر والثواب.

ب - **نصب تخت الشيخ عدي**: هذا التخت عبارة عن حلقات قديمة مفرغة من البرونز الأصفر، يبلغ عددها ستين حلقة، مع عودين طويلين مقدسين، وسجادة رثة بالية، يعتقد اليزيديون أنها التخت الذي كان يجلس الشيخ عدي عليه، ويسمّونه «برشباكي»، وهو لا يزال في حوزة رجل من قرية «بحزاني» يسمّى «الشيخ بريم». فإذا حلّ اليوم الاخير من عيد الجماعية، يعلن أمير الشيخان وضع نصب التخت في المزايدة العلنية، فيتسابق رؤساء القبائل على شرف هذا النصب. فهو عندهم فخر دونه كل فخر. فإذا انتهت هذه المزايدة، بدأ القوالون بضرب الدفوف، والعزف بالشبابات، والدوران حول التخت، وشرعت القبيلة التي دفعت أغلى الثمن لنصبه، في رصف الحلقات المذكورة فوق السجادة العتيقة، على أبعاد متساوية ومتقاربة، ثم يربطون بعضها إلى بعض بخيوط قديمة معمّدة في بئر «زمزم»، ويوثقونها إلى العودين الطويلين المقدّسين. وعندها يحضر شيوخ القبائل لحمل التخت إلى «حوض الكلوكي»، في ساحة الشيخ عدي، وتعميده فيه، فيتهافت الناس على لمسه وتقبيله، لانهم يعتقدون أو يرون في هذا التقبيل، واجباً دينياً لا يسوغ ان يحول الإزدحام أو الضرب المبرّح، الذي يركن المسؤولون عن حفظ النظام والأمن إليه، دون أدائه، وقد يغلو البعض فيتسلّق الأشجار، ويرمي بنفسه على التخت فيموت، وهو يعتقد أنّه مات شهيداً في سبيل أداء هذا الفرض الديني، فإذا تمّت مراسم التعميد وسننه بنجاح، استبشر القوم واستدلّوا على خصب السنة المقبلة وبركتها. أما إذا حالت شدّة الإزدحام دونه، فإنهم يعودون بقلوب كسيرة، وزفرات تتصاعد إلى السماء، لأن عدم الوصول إلى الماء دليل الجدب وانتشار المرض في السنة الجديدة. وسواء أنجحت عملية التعميد أم لم تنجح، فإن الأمير يهدي القبيلة التي تشرفت بنصب «تخت الشيخ عدي - برشباكي» هدية سنيّة، كعباءة أو نحوها، وأن المتفرجين يطلقون العيارات النارية بكثرة، إبتهاجاً بنصب هذا التخت.

جـ - **سماط جلميرة**: يقول يزيدية عين سفني، إنّه كان للشيخ عدي أربعون تلميذاً باراً يخدمونه بإخلاص، ولا يتردّدون عن التضحية بأرواحهم في سبيل المحافظة عليه، معزّزاً مكرّماً، وأن «فخر جلميرة» كبير هؤلاء التلاميذ كان من قرية «عين سفني»،

ولهذا بنوا مقاماً له هناك. فإذا انتهت أيام «عيد الجماعية» قدّم رجال عين سفني ثوراً على محبة فخر جلميرة، يسمّونه «سماط جلميرة»، ثم يذبحونه ويطبخونه حتّى يهترئ لحمه. فيجتمع اليزيديون كافة، للمطالبة بحصّة لهم من هذا اللحم، فلا ينالون منالهم الا بشق النفس، إذ يأخذ كل من الأمير والشيخ الوزير، والبابا شيخ قطعةً كبيرةً من القدر، ويرميها فوق الرؤوس، فيتلقّفها الناس بشوق عظيم، ويمزقونها بتهالك، ليفوز كل واحد بلقمة، أو بنتفة مهما كانت صغيرة الحجم، وكثيراً ما يضطر البعض إلى مدّ يده إلى الماء المغلي لينال مرامه، معتقدين أن كل من أكل من هذا اللحم، ولو قليلاً أصابه شيء من الإيمان وأفاد من «بركات جلميرة».

د - **الإغتسال في زمزم**: في لحف الجبل الذي يرقد فيه الشيخ عدي بن مسافر الأموي، نبع ماء رقراق يصل إليه من نفق لا يتّسع لغير شخصين، ولا تنيره غير كوّتين، يقال له «بئر زمزم». تفنن اليزيديون في سبب تسميته بهذا الاسم بالذات. إذ أن المعروف ان «بئر زمزم» هو اسم أشهر بئر تقع في الحجاز في منطة الحرم الشريف عند المسلمين بمكّة قرب الكعبة، في المملكة العربية السعودية اليوم. كما تفنّن اليزيديون أيضاً في ذكر علاقة الشيخ عدي بهذا النبع. وقد لخّص الأب أنستاس الكرملي أقوالهم وآراء غيرهم في الكلمات التالية:

«عمق هذا العين متر تقريباً، وقطرها متران، ويسمّونها عندهم «بئر زمزم» لأن الشيخ عدي، كان قد جاء يوماً إلى هذا المحل، ولم ير فيه ماء، فطلب منه المتشيّعون أن يجترح لهم آية، فأخذ الشيخ عكازته وضرب الصخرة وقال للماء بالعربية «زم، زم، زم» فزّم. وفي رواية أنه قال أريد ماءً زمزماً أي كثيراً، فكان كذلك. وقال آخر ان الشيخ عادي، كذا، بعد أن أنبع الماء أجرى إليها شيئاً من ماء القدس الشريف، وقال آخر: بل من ماء الاردن».

ويقول السيد عبد الرزاق الحسني: «وقد حاولنا عبثاً الوصول إلى هذا النبع الجاري، على الرغم من المساعدات القيّمة التي أسداها لنا أمير اليزيدية «تحسين بك بن سعيد بك» وجدّته «ميان خاتون» في زيارتنا لمرقد الشيخ عدي، في يوم الخميس الموافق 17 نيسان سنة 1947».

وقد جرت العادة أن ينتهز اليزيديون فرصة «عيد الجماعية»، فيدخلون إلى الجبل، وينزلون في ماء «زمزم» إلى ركبهم. ويغسلون أيديهم ووجوههم، لتتم عندئذ مراسيم الحج وشعائره. وكل من صحب شخصاً غير يزيدي إلى البئر المذكور حرم هو وسكان

قريته من إتمام مراسيم الزيارة والإغتسال في «زمزم»، وأخرجوا من المرقد بالقوة.

ويعتبر عيد الجماعية بالنسبة إلى رؤساء اليزديين مناسبة جليلة، تناقش فيها قضايا المجتمع، ففيه يختلط البابا شيخ والمير والشخصيات الدينية الأخرى مع الحشود بحرّية، وهي المرة الوحيدة في السنة، التي يقابلون فيها أتباعهم. أما العامة فإنهم، بالإضافة إلى ما ذكرنا، يزورون الأماكن المقدّسة، ويعمدّون أطفالهم في آبار النبعة البيضاء، وتوزّع عليهم فيه أقراص من تربة الشيخ عدي، ويعمّ الرقص والغناء بينهم طوال الأسبوع.

4 - عيد يزيد أو «عيد الأزدي»: يعتقد اليزيديون أن حكم الصيام، الذي جاء به القرآن، لم يفهمه المسلمون على حقيقته. فقد نزل باللغة الكردية «سه روز» أي ثلاثة أيام، وليس «سي روز» أي ثلاثون يوماً، وإنهم لهذا السبب يصومون أيام الثلاثاء، والأربعاء، والخميس، التي تسبق أول يوم جمعة من كانون الأول الشرقي، أقصر أيام السنة وأبردها، ويجعلون اليوم الرابع «الجمعة» «عيد الإفطار» يسمّونه «عيد صوم يزيد»، معتقدين وفق إحدى الروايات، أن يزيد الذين يسمّونه بإسمه، وينتسبون إليه، ولد في اليوم المذكور، أو أنّه يدعى «عيد الازداه» الذي يعني «ولدت»، ويقصد بذلك نزول الأزداه ورسالته على الأرض، وفق رواية أخرى.

في هذا العيد يقيم اليزيديون الولائم والأفراح، ويشتركون في الرقص والمغازلات، ويتبادلون أطيب التهاني والتبريكات، ويضعون خبزاً يسمّونه «صووك» فيوزّوعونه جزافاً، ويزورون قبور موتاهم، لاستنزال الرحمات عليهم، وربّما تناول قسم منهم الشراب بإفراط في هذا العيد.

5 - عيد بلندة: يقع هذا العيد في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول شرقي، أي بعد عيد يزيد بخمسة وعشرين يوماً، حيث يستقبلون فيه تساقط الثلوج ويسمّونه «عيد بلندة»، أو عيد الميلاد، مدّته أحد عشر يوماً، ويقولون في أصله: أن الشيخ عدي ولد في مثل هذا اليوم. فيوقدون النار في دورهم وإصطبلاتهم مساءً، ويتخطاها كل واحد من افراد العائلة ثلاث مرّات، متبركين بها، وماسحين جباههم بلهيبها، ثم يشوون فيها التمر والزبيب، ويأكلونه مشوياً.

6 - عيد العجوة: يقع هذا العيد في اليوم السابع من شهر كانون الثاني شرقي، 20 كانون الثاني غربي، أي بعد مرور 12 يوماً على عيد الميلاد، ويعملون فيه رغيفاً كبيراً من الخبز، يضعون فيه نواة بلح عجوة، أو زبيبة، ويجعلونه على ظهر أحد أولادهم. وبعد يوم أو يومين، يستدعون أحد أفراد العائلة من خارج البيت، ويكلفّونه بتوزيع هذا الرغيف

على أهل البيت كافة، فكل من أصابته القطعة التي فيها النواة أو الزبيبة، كان صاحب السعد والطالع عندهم في ذلك العام، ونال جائزة الأمير المعدّة لهذا الغرض. كما أنهم يصنعون كليجة أخرى مكوّرة بإسم مريم العذراء، ويضعونها داخل مؤونة الطحين من أجل البركة. ويدعون عيد العجوة أيضاً عيد الأموات.

7 - عيد مربعانية الشتاء: يقع هذا العيد في العشرين من شهر كانون شرقي، من كل سنة (3 شباط غربي)، أي بعد حلول عيد العجوة بخمسة عشر يوماً، ويجري فيه ما يجري في عيد مربعانية الصيف، من صوم وإفطار وزيارة. ويزعم اليزيديون أن في هذا العيد قرّب الشيخ عدي إليه أربعين من رجاله الصادقين، معلّمهم أصول الدين اليزيدي وحل الرموز.

8 - عيد القربان: أو عيد الضحية والتضحية: عيد يجاري فيه اليزيديون مجاوريهم من المسلمين، مجاراةً لا تديناً، وهو يقع في أول يوم من أيام «عيد الأضحى» عند المسلمين، ولهذا يسمّونه عيد الحج، وعيد القربان. ويقولون أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ولده إسماعيل، أو أن إبراهيم نذر ولده إسماعيل ذبيحة لوجه الله، فنبهه الملك فخر الدين إلى قراره ونذره، وعندما همّ النبي المذكور بوفاء عهده ونذره، أي بذبح ولده، أنزل الله عندئذ كبشاً فداءً له. وإن صورة ذلك الكبش ما تزال محفوظة في «خزينة الرحمن» في «باعذري» وعلى كل يزيدي أن يقدّم أضحية في هذا اليوم. وفي هذا العيد يصعد الجاويش إلى جبل الشيخ عدي، وعلى رأسه طبق من الخبز الرقيق، ومعه جماعة من اليزيدية، فيقف على صخرة عالية، ويرمي طبق الخبز في الهواء. فمن تناول منه قطعة خبز قبل غيره، وركض عاجلاً إلى ماء الشيخ عدي، الذي يبعد عن ذلك المكان مسيرة نصف ساعة، وغطس في الماء أولاً نال مرماه، وحظي بجائزة. وهذا العمل يجب أن يتم قبل إنجازه مراسم الحج. ثم يعكفون على المسرّات، حتّى إذا حل الصباح ختم العيد بالتهاني والمصافحة.

9 - عيد خضر الياس: يقع هذا العيد في أول خميس من شهر شباط شرقي، الموافق 14 أو 15 شباط غربي. وقد يصوم اليزيديون الأيام الثلاثة التي تتقدّمه، أي أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء، وذلك إحتراماً للنبي خضر الياس المقدّس عند اليزيديين. وقد يصومون يوماً واحداً فقط. إلا أنّه يتوجّب الصيام ثلاثة أيام على كل من كان يدعى «الياس». ويبدو أن هذا العيد مقتبس من عيد خضر الياس عند المسيحيين، حيث يسمّونه «مار جرجس» فكلا العيدين يقع في وقت واحد. أما الصوم الذي يصومه المسيحيون

قبيل هذا العيد، فيسمّى «الباعوتة»، ومدّته ثلاثة أيام كما هو عند اليزيديين. ومن عادة يزيدية سنجار أنهم يقلون الحبوب في هذا العيد، ويصنعون منها سويقاً يوزّعونه على الأهل والجيران والمعارف.

ووفق الروايات المسيحية فإن القديس جرجس، كان أساساً من أمراء كبدوكية استشهد على أيام «ديوقليسيانوس». ويعيد له المسيحيون في 23 نيسان.

أما الروايات الإسلامية فتطلق عليه لقب «خضر الياس» ومنها من تطلق عليه «الخضر أبو العباس».

ويقول الاب سهيل قاشا: «أما بالنسبة ليزيدية العراق، سيما في سنجار وبعشيقة وبحزاني وسائر القرى، فالمقصود بـ«الخضر الياس» هو «مار بهنام الشهيد». ولاعطاء هذا اللقب على الشهيد المسيحي قصة تاريخية، وممّا يؤكّد لنا ذلك هو استيلاء اليزيدية فترة من الزمن وإدعائهم أن الدير يعود لهم. وبهذا ما زالوا يقدّمون له النذور ويزورونه بين فترة واخرى، وخاصة لطلب إنجاب الأولاد للأمهات والعواقر. وعليه نجد عدداً كبيراً من أبناء اليزيدية والمنطقة اسمهم الياس أو خدر أو خضر.

10 - عيد المحيي: عيد المحيي، أو عيد ليلة القدر، هو من الأعياد الإسلامية، أو من الليالي المباركة عندهم يحيونها حتّى الصبح. وقد قلّد اليزيديون مجاوريهم من المسلمين في إحياء ليلة النصف من شعبان. فترى رجال دينهم وكبار رؤسائهم يهرعون إلى مرقد الشيخ عدي، يصلّون ويتعبّدون، ويتلون آيات الذكر العظيم متّجهين نحو قبلة المسلمين منذ المساء حتّى مطلع الشمس. أما العوام فإنهم يحيون هذه الليلة في بيوتهم، دون أن يشتركوا في الصلاة التي تقام في معبدهم. كما أنّهم يعظّمون ليلة القدر الإسلامية ويجلّونها كثيراً. ولكنها عندهم في ليلة 15 رمضان من كل عام. ويعتقدون ان الملائكة تنزل في هذه الليلة إلى الأرض، وتكشف أرواح من يموت في هذا العام، ومن يولد منهم. ويستمر العيد في النهار الثاني، ولا ينامون فيه كذلك. فالليل إكرام لملك الموت، والنهار إكرام لملك الشمس. وهم يصنعون الأطعمة في هذا العيد ويتهادونها.

11 - الطوافات: عند اليزيديين طوافات محلّية، هي بمنزلة الأعياد والإحتفالات الشعبية الجماعية عند سائر أهل المذاهب والأديان. ففي ليلة يوم الجمعة الذي يلي عيد رأس السنة، يجتمعون في قرية «بعشيقا» للتعبّد وللطواف حول مرقد الشيخ محمد (الذي يقولون أنه محمد بن الحنفية) مختلطين رجالاً ونساء، شيوخاً وأطفالاً، من أول الليل إلى

شروق الشمس، فإذا أصبح الصبح، كانت «بعشيقة» مائجة بالرجال والنساء، الذين يشتركون في دبكاتهم الشعبية الشهيرة، وتناول المشروبات، وإقامة معالم الزينة والأفراح، وتستمر الأمور على هذا المنوال إلى وقت العصر، فينصرفون حينئذ إلى أهلهم وذويهم بعد أن يكونوا قد أعياهم التعب.

وفي ليلة الجمعة الثانية يجتمعون في قرية «دراويش» شرقي الموصل، قبل بعشيقا، للطواف حول مرقد «حسن فردوش» فيأتون ما أتوه في بعشيقا من رقص وغيره.

وفي يوم الأحد الذي يلي الجمعة يطوفون حول «سعيد مسعود». وفي يوم الأربعاء، يطوفون حول مرقد «ملك ميران».

وفي ليلة الجمعة الثالثة، يجتمعون في قرية «بحزاني» للطواف حول مرقد «الشيخ أبي بكر». وفي يوم الأحد الذي يليها، يطوفون حول مرقد «ناسردين». وكل هذه المراقد في «بعشيقا» وفي «بحزاني». أما في ليلة الجمعة الرابعة فيكون الإستعداد للطواف في «قرية باعذري» مركز الإمارة اليزيدية. وهم في جميع هذه الطوافات يتعاطون المشروبات الروحية، ويذبحون الذبائح، ويأكلون أفخر الطعام، ويتبادلون أنواع المغازلات البريئة المنتشرة عادة في الأرياف.

ومن طريق ما يجري في الطوافات، أنهم يجمعون رؤوس الذبائح، ويضيفون إليها قطعة من اللحم، تؤخذ من موضع معّين من الذبيحة، يسمّونها «شيخ مند شيخ فخر» فتقام عليها المزايدة التي تصل إلى أثمان باهظة، وبعد أن يقع السعر الأقصى على أحدهم أو على اسرة معيّنة، يأخذونها فرحين سعداء، ليطعموا منها أهلهم وذويهم، لكي «يضمنوا» لهم بركاتها السعادة والرفاه.

12 - أيام الجمع: يعطّل اليزيديون اشغالهم في أيام الجمع كالمسلمين، ويحرّمون الإشتغال فيها مطلقاً، ويقولون أنهم كانوا يعطلونها في أيام الأربعاء، ولكنا لم نغيّر فيما قرأناه وتحققناه، على ما يؤيّد صحة هذا الإدعاء. ففي ليلة كل جمعة يعتلي أحد سدنة المقامات سطح داره، ليدعو الناس إلى زيارة المقام الفلاني في اليوم التالي. فتجري إحتفالات دينية رائعة في المزارات التي يعينها الامير، وتولم الولائم لهذا الغرض.

13 - عيد حضور السنجق: ليس لهذا العيد يوم معيّن، أو تاريخ محدّد، ولكن لا بدّ من وقوعه أكثر من مرّة في كل سنة. فالسنجق كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، يجب أن يزور المناطق اليزيدية ثلاث مرّات في السنة، مرّة في الربيع، وأخرى في الصيف، وثالثة

في الشتاء. ويسمّى الدخل الذي يحصل من هذه الزيارات «تبرعات الطاووس». وعند مجيء السنجق وقضائه ليلة واحدة في كل قرية من قرى اليزيدية، يستقبله الأهلون بالفرح والإبتهاج، ومظاهر الإجلال والإكرام، وهم حفاة، معتقدين أن روح الله تحل في القرية التي يحل فيها السنجق. فإذا كان في تلك القرية نزاع، أو خصام، أو حادثة قتل، أو دم، فيجب أن يزول كل أثر لذلك الخصام في ليلة مبيت السنجق المعظّم في القرية[1].

---

(1) بالنسبة للأعياد اليزيدية ينظر المراجع التالية:
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 191 - 197 و 120.
- درويش حسّو. الإزداهيون اليزيديون ص 106أو 112 و 114 - 115 و 116.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 106 - 108.
- خلف الجراد. اليزيدية واليزيديون ص 169 - 183.
- روجيه ليسكو. اليزدية في سورية وجبل سنجار ص 72 - 74.
- سهيل قاشا. ص 150 - 167.
- إسماعيل جول. اليزيدية قديماً وحديثاً ص 82.
- محمد التونجي. اليزيديون ص 182 - 192.
- مجلّة المشرق البيروتية عـ 2 ص 310 سنة 1899.
- عبد الله صديق. المجلّة - الموصل عـ 1 ص 751.
- الراهب بهنام الموصلي السرياني. مجلّة المشرق البيروتية ص 38 - 44 سنة 1952.
- أحمد تيمور. اليزيدية ومنشأ ملتهم 21 - 23.
- جورج حبيب اليزيدية بقايا دين قديم ص 133 و 68.
- سعيد الديوه جي ص 121.
- عبّاس العزاوي: تاريخ اليزيدية واصل عقيدتهم ص 145.

الفصل الثامن عشر

المراقد والمزارات اليزيدية

توطئة

كان للظواهر الطبيعية في ميدان اللامعرفة أهمّية جوهرية ملموسة لحياة الإنسان، تطلّبت بدورها معارف وتفسيرات. وهكذا، مال الإنسان منذ البداية، لتعبئة هذا الفراغ، ولتعويض ضعفه، مجرّباً، إيجاد تفسيرات لتلك الظواهر، التي تخرج عن تجربته الإيجابية، صانعاً مفاهيم وتصوّرات خيالية، كوّنت أكثر الأحيان ميدان العقيدة الدينية عنده.

فإن تطوّرات الإنسان عن نفسه في مراحله الأولى، وعن الطبيعة المحيطة به، تكمن في أن الإنسان لا يفصل نفسه عن الطبيعة، ويلتحم بظواهرها وقواها. ونتيجةً لمراقبته لعدّة ظاهرات، ينسب الإنسان لنفسه إمكانية دعوة أو إنتاج تلك الظاهرات. ومن جهة أخرى، ينسب إلى القوى الطبيعية تلك الحاجات، التي نسميها غير حيّة، أي دون روح، قدرات وإمكانات، هي من خاصّيات الإنسان فقط، وبمعنى آخر، يلبس الطبيعة تلك الحياة، التي يحياها. وقد دعي هذا المركب للتصورات بـ«الأنيميسم Animisme»، أو الروح في اللاتينية «Anima».

أحد الأشكال التي ينعكس فيها هذا التصوّر العام، وأحد أهم أشكال الدين الباكرة «الطوطمية Totemisme». وهي اقتناع بوجود علاقة إنسان بحيوان ما - هذا على الأغلب - أو نبتة، أحياناً أداة ليس فيها روح، وحتى ظاهرة طبيعية.

وإلى جانب الطوطمية، تنعكس الديانة البدائية على شكل سحر، وتعني بوجود إمكانية تأثير الطبيعة غير المرئية في إحدى ظاهراتها المنفعلة. والعكس أيضاً بتأثير الناس على الطبيعة. وأخيراً، نفس تلك التأثيرات من شخص على آخر.

من هنا تصوّرات كثيرة ومختلفة عن علاقة مواد وظاهرات، وعن أسباب حوادث، وعن قوى ما فوق الطبيعة. وكذلك اعتقاد الإنسان في مراحله الأولى، بالتأثير على الطبيعة، والناس الآخرين بإرادته الذاتية، وبالإتجاه المرغوب، ولذلك استعملت أساليب ووسائل مناسبة.

وفي استقصاء الوسائل المناسبة، يذهب الإنسان غالباً بطريق شبه خاص. فلكي يستمطر الماء يرش الماء، ولكي يضاعف المحصول ترسل النساء شعورهن، ولإبعاد

الكوارث تُزنّر دور العبادة بالأقمشة، وتقصد المزارات، وترفع الأدعية، وتربط بعض الأقمشة والمناديل في بعض الأشجار، ويُرشّ الماء المقدّس لإبعاد الزواحف والحشرات، وتُرسم دائرة حول الشخص لأبعاد الأذى عنه. ومن الكلمات: توسّل، إستحلاف، رقية، صلاة.

وتستخدم التأثيرات السحرية، والتعويذ للحصول على منفعة خاصة، أو ربح، ولإصابة أحد بمصيبة. ولا تبقى الأشكال الدينية المرسومة دون حركة في صيرورة تطوّر المجتمع البدائي. وتمتزج الطوطمية والسحر بشكل فريد مع أشكال ديانة مشكلة حديثاً، باقية على مدى التاريخ عناصر الدين الجوهرية. فهذا الإنسان مقتنع تماماً بواقع السحر، وغير متذبذب في اعتقاده الذاتي بجهله. فكل شيء متصور لديه، واضح ومفسّر ضمن هذا البرنامج.

وبقدر ما تكون المعارف بطيئة التطوّر، تكون معرفة الإنسان بجهله أقلّ. ومع تراكم ونمو تجربة مناسبة يزداد الوعي بجهله، ويستمر في البقاء في سلطة التصوّرات الخيالية. ويحاول الإنسان أن يخضع هذه القوى، ويجرّب أن يجد قوى جديدة، ووسائل أكثر واقعية لتسليم نفسه لذلك السحر كاستحضار الأرواح، والجن وغيرها..

من هنا، ومع تحديد القوى الخيّرة والشرّيرة، وتأثير القوى الخيّرة والشرّيرة، ومع ظهور الخوف أمام القوى الشريرة، ينشأ ميل لاستمالة هذه القوى الطبيعية إلى الذات، بعدم إغضابها، وممالأتها، وملاطفتها، وجذبها. وينعكس ذلك في أولوية تقديم مختلف المقرّبات والأضحية والقرابين. وقد كان القربان في البداية أضحية حقيقية، وأصبح مع مرور الزمن أضحية رمزية. وفي هذا يقوم السحر بدور كبير في العبادة، وتكتسب الطوطمية هنا، أهمّية جديدة. حيث يصبح الطوطم العشيري حامياً ومدافعاً خاصاً عن العشيرة، ويشبك السحر بالطوطمية، فيحرز الطوطم عبادة.

ومن هنا، تحوز عبادات الأرض والشمس، والماء، والنار، والأشجار، وبعض الحيوانات التطوّر والإنتشار الغالبين، ومن هنا أيضاً عبادات وتكريمات صيدية، وزراعية، ورعوية، وكذلك تكريم وعبادة الحجارة الكبيرة التي انتشرت بكثرة، والتي تجسّد قوى الطبيعة. ولا تزال توجد حتّى هذا اليوم عند بعض القبائل والأقوام منشآت عبادية، من صخور كبيرة، أو بلاطات حجرية كبيرة، ومقدّسات طبيعية في الأشجار والينابيع.

ومن ثم تطوّرت فكرة الحياة الأخرى، وظهرت هذه الحياة بداية كأنها حقيقة فيزيكية وروحية. فأتت سلسلة الإحتفالات المدفنية وبناء قبر على شكل بيت، وقبر مغطى

بحجارة، كي لا يخرج الميت من قبره، ويتحوّل تزويد الميت بالطعام في وليمة العالم الآخر.

واعتبر فيما بعد ان الموت تلاشي الوجود الفيزيولوجي نهائياً، مع استمرار وجود النفس. وهذا بدوره ينبت سلسلة أفكار وطقوس، ويبرز فكرة عالم الأرواح السفلي، وخلود النفس، وفكرة مجازاة النفس، وتأبين النفس، ومن ثم الفكرة اللاحقة لانتقال وتجسّد النفس. والاعتقاد ان النفس تستمر في ما خلّفه الميت من أشيائه وأمتعته الشخصية. وتستطيع النفس ان تسكن في شكل مادي، في المجتمع العشائري المتطوّر، تشكل من هذه التصوّرات تقديس وعبادة لأعضاء العشيرة الموتى، الذين قاموا بدور اجتماعي معلوم، ولرؤساء العشائر، وللصالحين من العشيرة، وللمحاربين أحياناً[1].

ولليزيدية عقائد خاصة في مشايخهم، ورجال دينهم، وفي بعض الأضرحة والمقامات في ديارهم، وبعض الأحجار الناتئة بين قبور موتاهم، أو على مقربة من مساكنهم. إذ لا يجوز لهم أن يقيمو في أرض لا نصب فيها لأحد أئمتهم، ولا ضريح فيها لأحد مشايخهم. وهم يتقرّبون إلى هذا النصب وهذه الأضرحة بمختلف أنواع العبادة، دفعاً للشرور المتوقّعة، وطمعاً في الشفاعة.

والمتجوّل في وادي لالش المقدّس في أمسيات أيام الأربعاء والخميس خاصة، يشاهد الشموع والسرج تنير المسالك وتهدي الضال، وترشد التائه. فهم يضيئون القناديل المليئة بالزيوت على أعتاب المزارات والأضرحة، وفي مسالك الوادي المختلفة، وقرب القباب المقدّسة.

ولا يمكن للأجنبي أن يحيط علماً بفكرة هذه المواضيع المقدّسة، لأن ذلك يتطلّب وقتاً طويلاً، وتضحيات لا بدّ منها. وقد وضع القس «إسحق» قائمة بهذه المزارات نقلها صدّيق الدملوجي في كتابه «اليزيدية» دون أن يشير إلى مصدرها. وكتاب اليزيدية للقس إسحق، كما سبق وذكرنا هو كتاب باللغة السريانية، وجد في «دير القوش» سنة 1900م،

---

(1) الميثولوجيا ونشوء العبادات القديمة. ترجمه د. حسّان إسحق ص 8 و 58 دار الأبجدية دمشق 1993.
- محمد عبد المعين خان. الأساطير والخرافات عند العرب. الطبعة الثالثة. بيروت 1981.
- يخينون بالوف. الموسوعة الفلسفية، وزنتال - يودين. ترجمة سمير كرم. ص 547. دار الطليعة. بيروت.
- د.م. أو. كوسفين. دراسات في تاريخ الحضارات ما قبل التاريخ المكتوب. تعريب مروان عبود. ص 175 - 184. دار المأمون. بيروت 2000.
- إليوت سميث. فكرة الإنسان عن خوارق الطبيعة. تاريخ العالم. الجزء الأول. الفصل العاشر ص 364 وما بعد.

نقله إلى العربية «الياس خوشا باشكوانا» سنة 1932م[1].

ومن أهم مزارات اليزيدية:

I - مزارات قضاء الشيخان:

1 - محمد رسّان. يقع في سفح جبل مقلوب، محاذياً لقرية «كليشين» وهو من أصحاب الشيخ عدي.
2 - عبد رش: العبد الأسود. وكان خادماً للشيخ عدي، وهو في قرية «كنداله».
3 - شيخ محمد: في قرية «كرخالص». يعتقدون أن ترابه يفيد القروح والرمد.
4 - شيخ حنتوش: في قرية «عين سفني» ويسمّونه «حنتوش عربي».
5 - الشيخ شمس: ويريدون به الشيخ شمس الدين أبو محمد الحسن بن عدي الثاني، في قرية «عين سفني» الذي يعزى إليه وضع الديانة اليزيدة، وله عدة مقامات في الشيخان وسنجار.
6 - الشيخ قند: في قرية «عين سفني» ويقال ان له مزاراً في حلب.
7 - الشيخ خان شمسان: في قرية «عين سفني».
8 - الشيخ أمشلح: في قرية «أشكفتيان». ويقال أنّه من تلامذة الشيخ عدي.
9 - الشيخ فخر الدين: في قرية «مام شقان».
10 - الشيخ سن: في قرية «إيسيان».
11 - الحاج رجب: في «بيرستك» وذكرها بعض المؤرّخين «بيرستق»
12 - بيرقات في قرية «كيس قلعة».
13 - بيرمند: في قرية «الجراحية» شرق قرية «باعذري».
14 - شيخ محمد: في قرية «دوغات».
15 - الحاج فارس: في قرية «خطّاره» ويسمّونه حاجي فارس.
16 - الشيخ سياطي: في قرية «باطط» المسلمة.
17 - شهسوار: في قرية «بيبان» وهو تحريف «شاه سوار» أي «فارس الفرسان».
18 - مهدار: في قرية «بوزان» وفيها مرقد جمهرة من الصلحاء القدماء.
19 - شرف الدين: في قرية «بيت ناز».

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. ص 119 - 120.
- دكتور خلف الجراد ص55.

20 - الشيخ عنزروت: في قرية على قمة الجبل، بين مرقد الشيخ عدي وأشكفتيان.

21 - الشيخ شمسان: في قرية قرب سفح جبل مقلوب.

22 - ملك ميران: في قرية «بعشيقا» ويعد من صلحاء اليزيدية.

23 - ناصر الدين: في قرية «بعشيقا».

24 - الشيخ محمد: في قرية «بعشيقا»، ويزعمون أنّه «محمد بن الحنفية»

25 - الشيخ شيدك: في قرية «بعشيقا»، وتنسب إليه المكرمات.

26 - الشيخ أبو قحون: قرب قرية «بجزائي» وتنسب إليه المكرمات.

27 - الشيخ شمس.

28 - الشيخ حسن.

29 - الشيخ أبو بكر.

30 - الشيخ سجادين.

31 - الشيخ مند.

32 - الشيخ ناصر الدين.

33 - الشيخ عبد القادر.

34 - الشيخ عبد العزيز.

35 - عبد رش.

36 - ست خجيجي.

37 - ست جيبي.

38 - سعيد ومسعود.

39 - الشيخ زندين، وهو تحريف زين الدين.

وكل هذه المزارات: تقع في قرية بحزاني القريبة من «بعشيقا».

40 - الشيخ محمد العمري: في قرية «باطط» المسلمة، مقر الشيخ سيباطي.

41 - الشيخ موسى صور: ويَقولون أنّه ملك الهواء ورفيق عبد رش.

42 - الشيخ إبراهيم الختمي.

43 - الشيخ طوكل.

44 - الشيخ كراسي.

45 - لكمدين بابا.

46 - بهلوك بك دانا.

47 - الشيخ إبراهيم الخوزستاني.
48 - خاتونة فخر.
49 - هسن أو حسن جلال.
50 - أندريس خياط.
51 - بوقطار بابا.
52 - أومر أو عمر خاله.
53 - الشيخ بايزيد البسطامي.
54 - بلال الحبشي.
55 - الشيخ إسماعيل العنتري.
56 - الشيخ عبد القادر الكيلاني.
57 - بيرهمالي.
58 - بيرايسيبيا.
59 - مام إسيان.
60 - بير مندكور.
61 - بير حسن ممان.
62 - ميمي إليسيا.
لكل من هؤلاء الأولياء مقام في مرقد الشيخ عدي.
63 - ستون مزاراً: اسم لصخرة كبيرة على هيأة الأسطوانة، رابضة في مرقد الشيخ عدي، يعتقدون ان الشيخ وضعها خصيّصاً لتعيين الحظوظ. فكل من استطاع أن يحتضنها فهو صاحب الحظ السعيد.
64 - الشيخ محمد الرحماني.
65 - بيرخوشابه.
66 - بوي قلندر.
67 - مار كوركيس.
68 - الشيخ بابك.
69 - زينل بك.
70 - شيخكي دوملي.
71 - كوجك لالش، أي لالش الصغير.

ولكل من هؤلاء الأولياء مقام في مرقد الشيخ عدي.

72 - الشيخ حسن في قرية «ماشافان».

II - مزارات جبل سنجار في العراق وسورية

1 - بليلي عبش.

2 - شي شمس. في «قرية الجفرية» قبة يقصدها الناس للشفاء من أمراض العيون.

3 - آمادين: في قرية «الهليجان» قبة يقصدها الناس للشفاء من الجنون.

4 - بلقاسم: في «جرسه» قبة وشجرة سنديان مقدّسة. يتعالج الذين يعانون آلاماً في الأذنين، بإدخال ثمرة بلّوط مقطوفة من هذه الشجرة في العضو المريض.

5 - شرفدين - في علدينا. قبة يقصدها الناس للشفاء من كل الأمراض. هذا المزار هو الأكثر شعبية بين كل مزارات سنجار.

6 - آمدين. في الميهيركان. قبة يقصدها الناس بكثرة.

7 - جيل ميرا: هذا المزار موجود عند ذروة جبل سنجار. وهو يشتمل على كهف وقبة متجاورين. وجبل ميرا تعني الـ«الأربعين رجلاً». ويزعم اليزيديون أن هؤلاء هم الملائكة الفرسان الأربعون، الذين كانوا في خدمة فرخدين، ومنذ أن صعد فرخدين إلى السماء، فإن هؤلاء الفرسان ينتظرون قدوم أمير يزيدي يكون أهلاً لمساعدتهم له. وسيساعدونه على بسط سيطرته على العالم بأسره. ويزعمون أنه إذا أخذ المرء معه حفنة من تراب المزار، فإن بإمكانه مجابهة كل الأخطار دون خوف. وهذا المزاد مقصود بكثرة من قبل العشائر اليزيدية الجنوبية.

8 - بير زكري. هذا المزار بالقرب من بلد سنجار، وهو مزار إسلامي يقصده أناس من كل المعتقدات.

9 - عبدالعزيز: يقع في قرية المجلونية، قبة يقصدها السكان المجاورون.

10 - قبر علي. مزار إسلامي يقصده اليزيديون.

11 - شيخ بركات. يقع في قرية نخسة، وهو عبارة عن قبّة. يزعمون أن قليلاً من تربة هذا المزار يشفي المواشي من الجرب.

12 - الشيخ شمس في قرية «بشتكري».

13 - شيبو قاسم. يعتقد عبد الرزاق الحسني أنّه أحد السادة العلويين.

14 - الشيخ حسن في قرية «كاباره».

15 - الشيخ دقيق: له مقام بين قريتي «حمسكي» و«باره».

16 - الشيخ عبد القادر: في قرية «المجنونية».

17 - محمد رشان: في شمالي قرية «قبّة».

18 - الشيخ رومي السنجاري: قرب قرية «أديكه».

19 - علي بن هاب: مزار إسلامي. تشترك قبيلة «الهبابات» اليزيدية في تقديسه.

20 - الشيخ أسود: قبره وسط خرائب سنجار. يقصده اليزيديون والمسلمون على السواء.

21 - الست زينب: يقع مقامها على ربوة عالية في المدينة.

22 - سلمان بك: في مغارة بمضيق «قجراغ» قرب سنجار.

23 - كان بير أخابي: ينبوع ماء كبير. في قرية «كولكان» قرب أرستر[1].

III - مزارات جبل سمعان في سورية

1 - بارساهانوم. قبة ليس لها أي خصوصية. يقع في قرب القسطل

2 - شيخ هيمت. يقع في قرية القسطل. وهو قبة مجاورة لكهف ترتاده النسوة أيام الجمعة: وهن يحملن معهن الطعام، وتربة هذا المزار تشفي من أمراض العيون.

3 - شيخ غريب: في قرية سنكلّة. قبة وشجرة صنوبر مقدّسة

4 - بريم صادق وعبد الممان. بين قريتي مشعلة وقطمة.

5 - جب رابي: في مدينة أعزاز. نبع موجود حالياً في حديقة البلدية.

6 - جنل خاني: قرب عرشي قيبار

هذا المزار أيضاً، مثله مثل «جبل ميرا»، في سنجار، مخصّص للملائكة فرخدين الأربعين. وهو عبارة عن كهف يقع على حافة جبل، نصل إليه بالسير بمحاذاة مجرى سيل يبقى معظم أوقات السنة دون ماء. أرض المغارة مغطاة بأعمدة من ترسبات فحمات الكالسيو (صواعق) على شكل اثراء. والماء الذي يرشح من السقف يتجمّع في حوض طبيعي صغير، والنساء يشربن منه ليزداد إدرار الحليب لديهن. خارج الكهف ثمّة شجرتان مقدستان: شجرة تين يلف الزوار على أغصانها خرقاً بالية، وشجرة زيتون يمنع قطاف ثمارها. ويحيط بالمزار حرم كانت حدوده تتطابق فيما مضى مع حدود غابة سنديان أخضر، دمّرها الأتراك، كما يبدو أثناء الحرب العالمية الأولى، ولم يبق منها إلا بعض الكتل

---

(1) عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الطبعة العاشرة ص 119 - 122.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية.

المتناثرة. وعلى بعد بضع مئات من الامتار شرقي جبل «خاني» تنتصب شجرة كبيرة يستند إليها مقام الملك هادي. بناء المقام مجرّد أحجار منضدة فوق بعضها. ويقال أن الشيخ هادي (عادي) بناه بعد أن قضى في جبل خاني خلوة لمدّة أربعين يوماً. ويقال كذلك ان الشيخ استخدم الحليب لجبل ملاط للبناء. في كل ربيع يجتمع يزيدية القرى المجاورة ومسلموها، في جبل خاني، حيث يذبحون الأضاحي، ويأكلون لحومها. تجلس كل عائلة في مكانها المخصص لها على إحدى الصخور المجاورة لمدخل الكهف. وعادة يشغل الوجهاء الأمكنة الأقرب للمزار.

7 - الملك هادي.

8 - جبل خاني: هذا المزار مجاور لمزار جبل خاني الأول، وهو أيضاً عبارة عن كهف، الا أنّه أقل شعبية، ولا يزوره الناس، الا بقصد الشفاء من «مرضى العصبي» «الروماتيزم».

9 - شيخ سفيل: قرب قرية «ترنده»: وهو عبارة عن سور حجري عند قدم جبل سمعان. يزوره الناس الذين يعانون من داء المفاصل، مصطحبين معهم بعض الدواجن التي يذبحونها ويأكلونها هناك، وعندما يفرغون من الأكل، يفركون أعضائهم المصابة بتربة المزار.

10 - شي (الشيخ) عبد القادر: هذا المزار عبارة عن بعض الأشجار المقدّسة وقبّة مبنية بلا إتقان، ونبع تسبح فيه أسماك كبيرة يمنع صيدها. ورغم قدسية المكان لا تمتنع النسوة من غسل الأواني والثياب فيه[1].

11 - شيخ سفيل: في قرية «قره باش»

12 - شيخ سعيدي: في قرية «قره باش»

13 - شيخ محمد: في قرية «قره باش». ويدعى هذا المزار شيخ بكر، يأتي المحمومون لزيارته، فيلقون شيئاً من الخبز في النبع، ثم يعلّقون قطعاً من ثيابهم على الشجرة، طلباً للشفاء.

14 - شيخ عبد الرحمن بن عوفي. في قرية «قره باش»: تأتي النساء العاقرات إلى هذا المزار لكي يرزقن بالأطفال.

---

(1) في بحزاني أيضاً بالشيخان يوجد نبع فيه أسماك مقدّسة. تنبع مياهه من أسفل شجرة.
- ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 279 - 281.

15 - شيخ حليف: خليفة الشيخ هادي (عادي) يقع في قرية باسوطا. وهو عبارة عن قبة حسنة البناء تجاور نبعاً. يتردّد إلى هذا المكان المصابون بداء المفاصل، والنساء العاقرات اللواتي يغرسن بعض «الأماليد» في تربة المزار، على نيّة تحقق الأماني والرغبات. وكان سكان برج «عبدالو» يدفنون موتاهم حول المزار حتّى وقت قريب. اما الآن فإن سكان «باسوطة» يمنعونهم من ذلك.

16 - برج عبدالو: يوجد في هذه القرية نبع محاط بأجمة من الأشجار، ورغم أن هذا المكان لا يتمتع بمزايا خاصة، وليس له اسم خاص، فإنه سيتحوّل إلى مزار عمّا قريب، وصار السكان يدفنون فيه موتاهم منذ ان منعوا من دفنهم في باسوطا.

17 - شيخ محمد: فوق قرية «غزوية» سور من الحجارة في الجبل. يزوره الناس للشفاء من داء المفاصل.

18 - شيخ ركيب الشادري: «الشيخ خضر».

19 - أبو كعب.

20 - شيخ علي «بوسوفان»: وهو عبارة عن قبة جميلة، بنيت بمواد قديمة. في الجدار نقش مرصّع.

21 - الشيخ بركات: على قمة جبل بركات. قبة يكثر الناس من زيارتها للشفاء من كل الأمراض.

22 - شيخ قصاب في قرية «كوندي مزن»: هو كناية عن قبة على سفح هضبة، بداخلها قبر يبدو أنه حديث العهد، وكتلتان حجريتان محفورتان على شكل جرنين، يجتمع فيهما الماء، الذي يترشح من السقف. وهذا الماء يشفي من أمراض العيون.

23 - ككي عزيز: يقع هذا المزار في «قره داغ» وتحديداً في «قوشطانة» قضاء «رمقلة» وقد بني على مغارة تم تقسيمها إصطناعياً إلى ثلاث حجرات كبيرة. لا يستطيع الزوّار أن يدخلو سوى الحجرتين الأوليتين. أما الحجرة الثالثة فلا يصل إليها غير حرّاس المزار. وبداخل هذه الحجرة الأخيرة، كان يوجد صدع تصدر عنه أبخرة كبريتية. كان هذا المزار مخصّصاً لأحد مريدي الشيخ «عدي» الذي نسيت هويته الحقيقية، ولا يعرف عنه سوى لقبه «ككي عزيز» أي يعني الأخ العزيز.

وكان بعض الفقراء يحرسون المزار، ويقبضون عائدات الأملاك التابعة له، إضافةً إلى امتلاكهم لطاووسين. وعلى بعد مسيرة من هذا المزار، توجد مغارة أخرى مخصصة لشيخ «مند» تحفظ فيها ملابسه.

وفي سنة 1925، عندما دمّر الأتراك هذين المزارين، نقلت محتوياتها من رفات، أو بقايا، سرّاً إلى بيت درويش آغا في سورية. وقد أصبحت هذه المحتويات ملكاً «لجميل آغا» في الوقت الحالي، يعرضها مرّة في السنة. وكذلك يملك جميل آغا الوثائق المتعلقة بأملاك «أوقاف» ككي عزيز. وقد ترجم جميل آغا الوثائق الاصلية إلى العربية، ثم أتلف النص الاساسي، معتبراً، حسب رأيه، أنّه عديم الفائدة، ويقال أنّه أضاعها الآن[1].

حرم ومزار الشيخ عدي

لا زال مرقد الشيخ عدي بن مسافر كما كان بوجه عام، رغم أن البوابات الفردية، أو الساحات والغرف قد تم تغيرها وتحديثها، وخاصة في السنوات الأخيرة عندما بوشر ببرنامج كبير للترميم والتحديث. وفي المناطق المحاطة بالحرم أقيمت عدة مبانٍ جديدة، والمدخل إلى هذا الحرم في لالش، من جهة الشرق عبر الطريق الذي يفضّله الزوّار القادمون بالسيارات، وكذلك من الغرب عبر مشاة، يبدأ من باعذري، وهذا الطريق يسلكه تقليدياً الأمير وبطانته. وكان المدخل إلى الحرم في الأصل من جهة الغرب، عبر بوّابة مؤدّية إلى ساحة خارجية، تصطف عليها مرابط الخيول. والجداران الغربي والجنوبي لهذا الفناء قد هدما، ومن هناك يترجّل الزوّار ليعبروا الجدول المتدفق من النبع الأبيض، إلى باحة مفتوحة، لا زالت أشجار التوت الهرمة بثمارها الحلوة البيضاء توجد فيها.

وفي الزاوية الشمالية الشرقية من هذا الفناء الخارجي، هناك مدخل مهيب مع بوّابة خشبية ثقيلة، بنيت من قبل ميان خاتون، وتم تحديدها سنة 1979، يرمز إلى مدخل الحرم. والجدران على الجانبين مزخرفة، بنقوش ترمز إلى العاملين والحيوانات، وأشكال هندسية. وثمة ممرّ على شكل قنطرة، يخلع عنده الزائر حذاءه قبل دخول المناطق المقدّسة، وبعده تأتي عتبة حجرية وبعض الأدراج إلى أسفل، حيث توجد ساحة داخلية مسوّرة، الجدار الغربي لهذا السور، تهدّم، ثم أعيد ترميمه قبل عدة سنوات. لكن بعض الأحجار القديمة المنقوشة لا زالت ترى في الحائط الجديد.

الباحة الداخلية مبلّطة ببلاط حجري، وتظلل أغلبها أشجار التوت المعمّرة. وفي الزاوية الشمالية الغربية يزيّن جدار واطئ عريشاً، حيث يستقبل بابا شيخ ضيوفه، ويشرف على توزيع «البرات». وفي الأعياد تجري حفلات الرقص، وتعقد حلقات الدبكة، على

---

(1) روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 282 - 287.

Massignon Louis. Les Yézidis du Mont Sindjar, adorateurs d'Iblis. -

أنغام الشبابات والزمور، وقرع الطبول تحت ظلال الأشجار.

وفي أقصى يسار الجدار الشرقي لهذه الباحة، يؤدّي مدخل منخفض إلى ضريح، رمم لمرات عديدة خلال القرن العشرين، وهذه البوّابة تحمل على مدخلها زخارف ورسوم أصلية، صوّرت لأول مرّة سنة 1849. ومباشرة إلى الجهة اليمنى من المدخل، هناك صورة أفعى منقوشة، يصل ارتفاعها إلى مترين، وأهمّيتها غير معروفة. وفي الأماكن الأخرى، على الجدار الشرقي الذي أعيد بناؤه كلياً بين سنة 1979 وسنة 1981، وعدد قليل من الأحجار القديمة لا زالت تعرض رموز الماضي، أثرت فيها التغيرات الجوية تأثيراً واضحاً. وفي أحد الأمكنة كتابات نذرية، قام بتأليفها حجاج القرن الثامن عشر، لا زالت محفوظة.

والحجرة الأولى في المعبد طولها حوالي 20م وعرضها حوالي12م، تمّ ترميمها في السنوات الأخيرة. وهناك خمسة أعمدة حجرية، تقسم الغرفة طولياً، وهي مغطّاة بأقمشة ملوّنة، ودرج صغير يجعل الجانب الأيسر أعلى بقليل من الجانب الأيمن. وهناك في الطرف الأيمن من المدخل، حوض ماء عمقه حوالي المتر، يسمّى بإسم الشيخ ناصر الدين. وكل قطرة ماء تسيل من ذلك الحوض، تسجل ولادة أو وفاة شخص يزيدي.

وهناك ضريح عند وسط الجدار إلى اليسار، ويعتقد أنّه يعود للشيخ أبي البركات، الخليفة الأول للشيخ عدي بن مسافر، وعلى بعد أقدام بمحاذاة نفس الجدار هناك غطاء منقوش معلّق على الشباك، ومن خلاله يمكن رؤية الجانب الخلفي لضريح الشيخ عدي في الغرفة المجاورة. وعند نهاية الحجرة هناك باب يؤدّي إلى غرفة أخرى – صالة شرف الدين، تتصل بالزوايا التي بمرابع يشغلها الأمير عند الأعياد. وإلى اليسار من هذا الباب تجد مدخلاً آخر، يؤدي إلى غرفة صغيرة، تحتوي على تابوت الشيخ حسن، وقبة مخروطية ترتفع حوالي 11م فوق السطح المستوي للمبنى.

إلى الطرف الغربي من هذه الغرفة، هناك غرفة أخرى، يفصلها جدار عن الحجرة الرئيسية، تحتوي على ضريح الشيخ عدي، وغرفة طويلة إلى الغرب من الحجرة التي تحتوي على ضريح الشيخ عدي، تستخدم لخزن جرار زيت القناديل وتمتد غرفتان اخيرتان بعيداً باتجاه الغرب. وعند نهاية الغرفة الاخيرة يقع ضريح الشيخ أبي بكر، صاحب الشيخ عدي، الذي تنحدر العائلة الاميرية اليزيدية من نسله. كما تقوم قبة مخروطية فوق هذا الضريح.

وهناك سلّم حلزوني يؤدّي إلى الحجرة التي تضم ضريح الشيخ حسن بالأسفل في المبنى التحتاني من المعبد. وبخطوات قليلة إلى الأسفل، يتراءى للزائر ممرّ مظلم، يربط عدداً من الغرف، وهو عبارة عن قناة مهمتها نقل المياه الفائضة من زمزم إلى أحواض مغلقة، حيث تقام مراسيم تعميد الكهنة والحجاج[1].

المصدر الرئيسي للنبع - حسبما يعتقد - هو تدفق المياه من الصخرة، إستجابة لدعوة الشيخ عدي، والذي صوّر لأول مرّة سنة 1990. ولكن اليزيديين مسموح لهم بالوصول إلى هذه المنطقة. وغرفة أخرى لا يراها الزوّار وهي «خزينة الرحمن» حيث يودع فيها الطاووس العظيم والسناجق عند حلول عيد «الجماعية»[2].

وكما سبق وذكرنا، فإن وادي لالش إضافة إلى مرقد الشيخ عدي وبعض صحابته، فإنه يحوي عدداً من المزارات اليزيدية، كبيت المعمودية على علو من النبع الأبيض، ومعبد الشيخ شمس الدين بقبته المخروطية الشكل، والتي يعلوها كرة مطلية بالذهب تعكس الأشعة الأولى لشمس الصباح، ومعبد «بيرهجاني»، ومعابد أخرى عديدة، إضافة إلى مرقد عبدالقادر الكيلاني والحسين بن منصور «الحلاج» الصوفي، الذي كان أول من صرّح بعفو الله عن الملاك المطرود. وصلب بتهمة الزندقة والإلحاد سنة 922م.

وكما ذكرنا أيضاً، هناك تقليد حافظ عليه بثبات وعناد كلدانيو شمال العراق، مفاده أن معبد الشيخ عدي بن مسافر كان في يوم ما كنيسة مسيحية، أنشئت حسب بعض المصادر من قبل راهبين نسطوريين يدعيان «جون وجيسو اسابران» عاشا في القرن السابع للميلاد[3].

ويبقى معبد لالش لغزاً، لكن بعض الخبراء يزعمون بأنّهم تعرّفوا فيه على ملامح خاصة بالهندسة النسطورية، بينما الآخرون يعتبرون المبنى مسجداً جبلياً، واليزيديين بأنفسهم يسلّمون بأنّه من الجائز أن يكون المعبد في يوم من الأيام كنيسة مسيحية.

فوق المدخل المؤدّي إلى المعبد، والتي تظهر قدم البناء كتابات هي التالية:

---

(1) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 99 - 102.

(2) إسحق جيل ص 67.
- جرترود بيل. عامورا إلى عامورا ص 277 - 278.
- ستيفنس درارور. ملك طاووس ص 197 - 201.
- رواية لتاريخ وطقوس يزيدي الموصل عدد 85 ص 500 سنة 1972.

(3) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 103 - 105.

بسم الله الرحمن الرحيم
خالق السماء والأرض
تحت هذا المبنى
يرقد الشيخ عدي الهكاري
شيخ الإيزيديين 695

ويبدأ التاريخ الهجري سنة 695 من 10 تشرين الثاني وإلى 29 تشرين الأول سنة 1926. وهذا هو العام الذي اعتنق المغولي «الخان غازان» فيه الإسلام واستهله بملاحقة الكنيسة النسطورية[1].

(1) مجلة المشرق عـ 61 ص 84 - 100 سنة 1967.
- هـ. أ. ج. بيرس واللورد وركوورت. تركيا الآسيوية ص 85.

الفصل التاسع عشر

اليزيديون والدولة العثمانية

مع حلول القرن السادس عشر، ظهرت قوّتان جديدتان تتنافسان للسيطرة على منطقة كردستان. تمثّلت القوة الأولى بالدولة الصفوية الشيعية في إيران سنة 1501 - 1722. في حين تمثّلت الثانية بالدولة العثمانية. وقد قاوم سكان هذه المنطقة النفوذ الصفوي الشيعي، إلاّ أن الشاه إسماعيل الصفوي، تمكّن من إخضاعهم والسيطرة على مناطقهم، في الموصل وسنجار سنة 1507. وقد تعرّض اليزيديون في سنجار، أثناء هذه الحملات إلى عمليات مذابح جماعية وإبادة على يد الصفويين، من 1504 حتّى 1509 [1].

وقد أدّى الصراع الصفوي العثماني إلى انقسام مذهبي، شيعي، سنّي بين أكراد هذه المنطقة. بحيث وقف الشيعة إلى جانب الدولة الصفوية، في حين ساند السنّة الدولة العثمانية. أمّا موقف اليزيديين فبقي متأرجحاً بين الفريقين، ما لُبثوا بالنهاية إلى أن وقفوا إلى جانب الدولة العثمانية، أسوةً بالأكراد السنّة. وبعد معركة «جالديران» سنة 1514، ومعركة «قوج حصار» سنة 1516، وانتصار الدولة العثمانية، وانكسار الصفويين، والسيطرة على منطقة سنجار، أصبح اليزيديون مثل بقية المناطق الكردية ضمن السيطرة العثمانية[2].

ولضمان ولاء هذه المنطقة وسكانها، أغدقت الدولة العثمانية على زعمائها الكثير من الإقطاعات والأراضي.

وقد تمثّلت قوّة ونفوذ اليزيديين، في مراحلها الأولى، على إمارة «داسني» في كردستان الجنوبية، حيث كانت مراكز قيادتهم تتمركز في منطقة الشيخان، وفي فترات لاحقة، تمدّدت هذه الإمارة، لتشمل المنطقة الواقعة بين الزابين الكبير والصغير. وكانت دهوك مركز إمارة «داسني» اليزيدية، بزعامة الأمير «حسين بك الداسني»، ثم انتزعت منه فيما

---

(1) أحمد تاج بخش. تاريخ الصفويين ص 62 شيراز غيران سنة 1372 هـ.
- صدّيق صفي زاده. تاريخ كردستان ص 668 - سنة 1378 هـ.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 29 - 30.
- عبدالله الرازي. تاريخ إيران ص 413. طهران 1378 هـ.

(2) ميرزا شكرالله سنندجي. تاريخ وجغرافية كردستان ص 47.
- شمو قاسم الدناني. حسين بك الداسني. مجلّة لالش عـ8 ص 40. دهوك سنة 1997.

بعد، لتؤول إلى «حسين بن يزيد الدين»، الذي ضمّها إلى مملكته الوراثية.

وقد تعاملت الدولة العثمانية في هذه المنطقة، في مراحلها الأولى، مع جميع القوى بالحكمة، دون التفرقة بين الأديان والمذاهب والأعراق، ممّا جعل اليزيديون يستفيدون في البداية من هذا، مع العلم أنهم لم يحصلوا على اعتراف رسمي بهم كمجموعة دينية. وقد فوّض السلطان سليمان القانوني إلى الأمير اليزيدي «حسين بك الداسني» حكم الموصل أثناء زحفه نحو بغداد. وفي سنة 1534، عيّنه سنجق بك على الموصل. ويذكر «شرفخان البدليسي»: بأن السلطان سليمان خان في سنة فتح بغداد سنة 1534، أناط إمارة أربيل بالأمير «حسين بك الداسني»، ثم أضاف إمارة سوران الكردية بكاملها إلى أربيل[1].

شكّلت ولاية حسين بك الداسني العهد الذهبي لليزيديين، وبلغت الإمارة اليزيدية ذروة مجدها، تخضع لها ثلاث إمارات: إمارة الموصل، وإمارة أربيل، وإمارة السوران.

لكن الدولة العثمانية بعد أن سيطرت على كامل سوريا والعراق، وانتفت حاجتها إلى اليزيديين، استدعت حسين بك الداسني إلى الآستانة، وجردته من منصبه، وحكمت عليه بالإعدام بحجة سوء الإدارة. وقد أدّى هذا العمل إلى إثارة حفيظة اليزيديين، ومن ثم الثورة على الدولة العثمانية، التي استخدمت ضدّهم السلاح الديني والمذهبي، وأمرت بإصدار فتوى بحقهم، أصدرها مفتي الدولة الرسمي «أبو السعود العمادي» المتوفى سنة 1575، أباح فيها قتلهم علناً وبيعهم في أسواق النخاسة شرعاً. وقد جاء فيها:

---

(1) شرف خان البدليسي. شرفنامه ص 141 و 272.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 32.
- محمد أمين زكي. تاريخ الدول والإمارات الكردية في العصر الإسلامي. ترجمة محمد علي عوني ص 399. مطبعة السعادة. القاهرة 1948.
- علي شاكر علي. ولاية الموصل في القرن السادس عشر ص 69 - 70 و 97 .

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

«اللهم إلهمنا الصواب، وفصل الخطاب، وجنبنا العي والغي والإرتياب، وهب لنا من لدنك رحمة، إنّك أنت الوهّاب. أما بعد فهذه كلمات في بيان مذهب الطائفة اليزيدية وحكمهم، وحكم الأموال الكائنة بين أيديهم. أعلم أنهم متفقون فيما بينهم على أباطيل من عقائد وتأويل، كلها ممّا يوجب الكفر العتيد، والضلال البعيد.

فمنها: أنهم ينكرون القران الشرع ويزعمون أنّه كذب، وأن مثل هذيانات الشيخ فخر هي المعوّل عليها، والتي يجب التمسّك بها. ولذا يعادون علماء الإسلام ويبغضونهم، بل إن ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل كما وقع غير مرّة، وإن وقعت كتب الإسلام بأيديهم يلقونها بالقاذورات بل يمزّقونها.

ومنها أنهم يحلّون الزنا إذا جرى بالتراضي. أخبرني من أثق به أنه رأى ذلك مسطوراً في كتاب لهم يسمّونه «جلوة» ينسبونه للشيخ عدي.

ومنها: أنهم يفضلون عدياً على النبي ﷺ بمراتب يقولون أنه لا مناسبة بينهما.

ومنها: أنهم يصفون الله بصفات الأجسام، كالأكل والشرب والقيام والقعود وغيرها.

ومنها: أنهم يحكون حكايات في شأن الله تعالى ورسوله وعدي، تشتمل على ذكر تذلل الله ورسوله بين يدي عدي، وعلى تحقير شأنهما، والإستهزاء بهما، وتضجّره من تردّدهما إليه، واستغنائه عن صحبتهما وملاقاتهما، وغير ذلك ممّا يوجب تنزيه شأن الله والرسول عنده.

ومنها: أنّهم يمكّنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم، ويستحلون ذلك بل يعتقدون بأنّه خير.

ومنها: أنّهم يصرّحون بأن لا فائدة من الصلاة، ولا بأس في تركها، وهي ليست واجبة، بل الواجب طهارة القلب وصفائه.

ومنها: أنهم يعتقدون أن «لالش» أفضل من الكعبة، وأنّه لا فائدة في زيارتها لمن يقدر على زيارة لالش.

ومنها: انهم يسجدون للالش ولكل مكان شريف بزعمهم، وخصوصاً لعلم

---

(1) صدرت هذه الفتوى سنة 974 هـ الموافق 1566م.

«سنجق» عدي، فإنهم يدّعون أن من لم يسجد له فهو كافر، ومعلوم أن هذا السجود كالسجود للصنم والشمس، لا كالسجود للأمراء والعلماء والمشائخ، فإنّه يحتمل وجهين دون هذا، وإن كان هذا مكابرة ظاهرة.

ومنها: أنهم يعتقدون أن عدياً يجعل أمّته في طبق يوم القيامة، ويحمله على رأسه ويذهب به إلى الجنّة رغم الله والملائكة.

فهذه هي بعض أقوالهم الفضيحة، وأعمالهم القبيحة، وقد تواترت عندي ممن خالطهم واستخبر أحوالهم. ثم أنّي سمعت غير واحد ممّن استكشف مضمرات صدورهم الخبيثة يقولون أنهم ثلاث فرق:

إحداها: غلاتهم الذين قالوا أن عدياً هو الله نفسه.

وثانيها: الذين يقولون أنّه ساهم الله في الألوهية، فحكم السماء بيد الله وحكم الأرض بيده.

وثالثها: هم الذين يقولون ليس هو الله، وليس هو شريكاً له، ولكنه عند الله بمنزلة الوزير الكبير، لا يصدر من الله أمر من الأمور الا برأيه، فكلهم متفقون على الكفر الشديد والضلال البعيد.

والظاهر أن مذهبهم على ما استقرأت وفحصت يؤول إلى الحلول، ولذلك يوالون النصارى ويستحوبون بعض اعتقاداتهم، ولا خفاء في أن هذه المذكورات جميعاً، ممّا تستوجب أشنع الكفر وأقبحه. فهم إذا كفرة أصلية كما نقل عن بعض كتب المذهب ونسبة إلى أصل المذهب فإنّه نقل عن كتاب «المتفق والمختلف» أن الظاهر من مذهب مالك أنّه إذا ظهرت أحكام الكفر في بلد تصير دار حرب هو مذهب الشافعي وأحمد «ر.ع» واتفقوا على أنّه تغنم أموالهم.

وفي الصغير عن أبي حنيفة أن البطن الأول مرتدون، والبطن الثاني، إما كفّار أصليون أو مرتدون بارتداد آبائهم الأولين، وبقوا على ذلك قرناً بعد قرن. ومن لم يكفرهم الا لجهله بحالهم فمعذور: وشفاء الغي السؤال، وأما لعدم التمييزبين أسباب الكفر والإيمان، أو لخوفه منهم، أو لطمع بما في أيديهم، أو لرضا بمذهبهم، أو لمراء جبل عليه فأمره أن يخفي حالهم في قانون الشرع.

ثم أنّهم قد يظهرون الإسلام ويتلفّظون بالشهادتين، ويصلون تقية وستراً لمذهبهم عند أهل الحق، فهم يصيرون بمجرّد ذلك مسلمين، ويعصمون دماءهم أم لا بدّ من الرجوع عمّا اعتقدوه من الأباطيل كلها والندامة عليها والإقرار ببطلانها؟

والجواب: إن الظاهر من عبارة الفقهاء في باب توبة المرتد وإسلام الكافر اعتبارها وعدم القبول دونها.

قالوا في الأنوار: «توبة المرتد وإسلام الكافر أن يشهد أن لا إله الا الله ومحمداً رسول الله، ويتبرّأ من كل دين يخالف الإسلام ويرجع عن كل اعتقاد هو كفر «هذا ومعلوم أنهم لو أجبروا وأكرهوا وأوعدوا بكل مكروه يتبرأوا عن معتقدهم في عدي ويزيد ولالش وغير ذلك من شيوخهم، ومنه رأيهم على أنهم زنادقة وتوبة الزنديق لا تقبل في وجهه». وإذ لقوا الذين أمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا أنا معكم» الآية.

وفي الصغير: وعليه مالك واحمد وأبو حنيفة في أحد روايتيه. قال في الروضة قال الروياني في الحلية: والعمل على هذا.

وفي التقديرين لا نزاع في حرمة مناكحهم وأكل ذبيحهم وتقريرهم في البلاد الإسلامية بالجزية وغيرها، ومباشرة أنكحتهم وفي وجوب قتلهم وقتالهم حيث لهم شوكة، وفي إهدار دمائهم وغير ذلك.

وأما حكم الاموال الكائنة بين أيديهم، فإن قلنا أنهم كفرة أصليون، فعلى ما نقل من المتفق والمختلف «أنها غنيمة»، وإن قلنا بارتدادهم فما تلقاه صغيرهم عن كبيرهم بالموت فهو فيء، إذ لا توارث بينهم كما لا يخفى، وما اكتسبوه بالمعاملات من البيع والشراء، والإجازة وغيرها والغضب والنهب والسرقة ونحوها، فإن كانت هذه التصرّفات صادرة منهم مع بعضهم فهو تصرّف إما بالفيء، أو إما في المال الضائع، إذا ما في أيديهم لا يخلو من هذين القسمين، كما سينكشف وليس لهم التصرّف فيهما، وإن كانت صادرة منهم مع المسلمين والذميين، فما عرف المأخوذ منه وجب ردّه إليه عند القدرة لفساد معاملاتهم، كما تقرّر في باب الردة، وإن لم يعرف المأخوذ منه فهو من الأموال الضائعة.

فعلم أنّه لا يتصوّر لهم مال في الغالب، ويحتمل ان يجعل موقوفاً على رجوعهم أو قتلهم. وإما ما اشتهر في الكتب من أن مال المرتد يكون موقوفاً، فذلك يتصوّر في مرتد كان مسلماً زمناً وحصل بيده حال إسلامه مال هو له بحكم اليد والمقابل، ثم شقي أو قطع الإسلام، فإن تاب استمر ملكه، وإن مات أو قتل على كفره صار فيئاً أو ضائعاً. وإما الذين نحن بصددهم فليسوا كذلك، فإنه لو فرض إسلامهم وحسن حالهم، كان حكم الأموال الكائنة بايديهم على ما ذكر، فكيف حكم حال إصرارهم على كفرهم، وهذا ما لا ينبغي أن يناقش فيه عند الإتفاق وترك المراء.

وإن قيل صبيانهم محكوم عليهم بالإسلام، فما حصل لهم حال صبائهم يجب أن

يكون موقوفاً، فلو قلت لا يتصوّر لهم موقوفاً؟ قلنا القول بإسلام صبيانهم مرجوح زيفه صاحب الروضة وجزم بأنهم مرتدون كآبائهم. وبتقدير التسليم تكون تصرّفاتهم أيضاً باطلة لكونهم غير مكلفين، ولا ولي لهم يمكّنهم من التصرفات، ويتصرّف لهم أو يقبل لهم شيئاً بالإيهاب والوصيّة غير ذلك، وحال آرائهم كما ذكر فلا يتصوّر لهم أيضاً ما لم يجعل موقوفاً كالبالغين.

وأما القول بأنه يحتمل أن يكون فيهم ليس منهم من المسلمين والذميين، أو يكون مال مسلم بغضب أو لسبب غير ذلك، ومال الفيء والغنيمة يجب قسمته، والمال الضائع يجب ان ينظر فيه الامام، فمسلم لا ينكره أحد لكنه غير مختص بها في أيدي هؤلاء، ولا ما يؤخذ منهم، إذ يتصوّر ذلك في سائر الكفّار الحربيين، مثلاً يمكن أن يكون في الكرج مسلم أو يكون بأيديهم مال مسلم، بل هو واقع، فإن أوجب ذلك الكف عنهم وعمّا بأيديهم، أوجب، الكف عن الحربيين عما بأيديهم، ولا قائل به على ان الكلام في من علم انه منهم. ووجوب قسمة الغنيمة ووجوب نظر الإمام في المال الضائع أن أوجب الأعراض عما بأيديهم، أوجب الإعراض عن الأموال المأخوذة من أهل الذمّة في زماننا هذا، فإنها إما مال ضائع أو مال فيء، مع أنه لا يقع فيه قسمة أصلاً ولا ينظر الأئمة فيها كما هو حق النظر.

ثم إنها تؤخذ بالباطل بل أنواع الظلم، وأكثر فقهاء النواحي لا يتحاشون عن تعاطيها، ولا يبحثون كيف أخذت، وممن أخذت، وعلى أي وجه أخذت، بل لا يتطرّق ببالهم شبه في ذلك، فضلاً عن الحرمة. وإذ سئلوا عن حكم هذه الأموال وأموال أمثالهم من المشركين، فتارة يقولون أنّهم مسلمون ويتكلمون بالشهادتين وتارة يقولون أموالهم موقوفة على قتلهم إلى غير ذلك من الإعتذارات البادرة من غير تأمل واعمال روية. والحال أنّي مأمورون بأن نقول الحق انّى كنّا ولا نخاف في الله لومة لائم. وفقنا الله لما يجب ويرضى»[1].

وقد شكّلت هذه الفتوى انعطافاً في العلاقات اليزيدية العثمانية، جعلتهم يتعرضون

---

(1) للمزيد: أنظر. عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان الملحق رقم (1) ص 279 - 283.

* هناك من ينسب هذه الفتوى إلى الشيخ «عبدالله الرتبكي» المتوفي 1746. ومنهم إسماعيل حقي بك الأزميري.

- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 429 وما بعد...

- دار صدام للمخطوطات. مخطوط رقم 30580. بغداد (تاريخ المخطوط 947 هـ).

لأقسى الحملات وأشرسها على مناطقهم التي اعتبرت دار حرب من الوجهة الشرعية. ممّا أجبر الكثير منهم إلى الإلتجاء في جبل سنجار، واستخدام حرب عصابات ضد الجيش النظامي العثماني، عرّضت هذا الجيش لهزيمة لم يكن بانتظارها[1].

هذه الحملة دفعت باليزيديين والأكراد إلى التخفيف من ولائهم ودعمهم للعثمانيين في مقاومة هجوم القوّات الإيرانية بقيادة الشاه «عبّاس الصفوي»، بحيث تمكّن هذا الأخير من الإستيلاء على بغداد في 14 تموز 1623، والإنتقام من اليزيديين فيما بعد. فألحق بهم خسائر فادحة بالأرواح والممتلكات، لا سيّما في منطقة سنجار، حيث قتل عدد كبير من اليزيديين، وسبيت النساء والأطفال، وأصيبت المنطقة بأضرار جسيمة.

وهكذا أصبح اليزيديون بين نارين. الدولة العثمانية من جهة، والدولة الصفوية من جهة ثانية. وفي الحملة التي شنّتها الدولة العثمانية سنة 1638، على يزيدية جبل سنجار، يقول قائدها «ملك أحمد باشا»: «قتلت ما يقارب عشرة آلاف، كما أسرت الكثير منهم، وبعد الحصول على غنائم كثيرة رجعت إلى ديار بكر».

لكن اليزيديين رغم هذه الحملات وهذه التحدّيات من قبل الدولة العثمانية والدولة الصفوية، حافظوا على نفوذهم في كردستان الجنوبية، بزعامة الأمير اليزيدي «ميرزا داسني»، حتّى القرن السابع عشر. وفي أواخر عهد السلطان مراد الرابع 1623 – 1640، أخذت أحوال اليزيديين بالتحسن، بعد أن ساندوا هذا الأخير في حربه ضد الصفويين، واسترداد مدينة بغداد سنة 1638. ومنح أميرهم «ميرزا بك الداسني» ولاية الموصل بدرجة باشا، أيام الصدر الأعظم مراد باشا[2].

لكن السياسة العثمانية تجاه اليزيديين لم تكن ثابتة، فكانت تتغير بتغيّر السلاطين والوزراء. وهكذا، بعد عزل الصدر الأعظم مراد باشا من منصبه سنة 1650، ساءت

---

(1) حسين حزني المكرياني. موجز تاريخ امراء سوران. ترجمة محمد الملا عبد الكريم ص 9. مطبعة سلمان الأعظمي. بغداد.
- محمد أمين زكي. مشاهير الكرد وكردستان. ترجمة سانحة محمد أمين زكي جـ 2 ص 683. مطبعة السعادة. القاهرة. 1947.
- سعيد الديوه جي: اليزيدية ص 226. مؤسّسة دار الكتب للطباعة والنشر. الموصل 1973.

(2) خليل علي مراد. الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي 1516 – 1726. موسوعة الموصل الحضارية. المجلّد الرابع ص 18. دار الكتب للطباعة والنشر الموصل.
- عباس العزاوي. تاريخ العراق بين احتلالين جـ 5 ص 43 – 44 شركة التجارة والطباعة المحدودة. بغداد. 1953.

أحوال اليزيديين مع الصدر الأعظم الجديد، وعزل أميرهم ميرزا باشا الداسني، واستدعي إلى الآستانة حيث حكم عليه بالموت، في أعقاب قيامه بحركة مضادة للدولة العثمانية. فأوقف اليزيديون دعمهم للدولة العثمانية، ورفضوا دفع الضرائب المتوجّبة عليهم. فأصدر السلطان العثماني محمود الرابع 1648 - 1687، أمراً بمعاقبة اليزيديين، وتوجّهت القوات العثمانية بقيادة الوالي «شمس باشا» على «وان» وقتلت وقضت على الكثير منهم. وبذلك طويت صفحة العلاقات الودّية بين الدولة العثمانية واليزيديين. وأصبح اليزيديون محل سخط السلطات العثمانية، كما أضحوا منبوذين وموضع احتقار من لدن المسؤولين العثمانيين.

وقد تمثّلت سياسة الدولة العثمانية تجاه اليزيديين في الفترات اللاحقة بالقسوة الفائقة، وبتوجيه الحملات العسكرية المتتالية إلى مناطقهم، متسلحة بشتّى الذرائع، باعتبارهم كفرة ومرتدين، وأنهم خارجون على القانون، ويمارسون أعمال السلب والنهب، وقطع الطرق، كما أنّهم لا يدفعون الضرائب والأتاوات المترتبة عليهم. ومن جهة ثانية، كان تمسكّ اليزيديين الشديد بحرّيتهم واستقلالهم سبباً آخراً لتعرّضهم للحملات العثمانية[1].

كانت أكثر الحملات توّجه إلى جبل سنجار، ولكنها لم تكن تحقق أهدافها، وكانت حملات ولاية بغداد تتميّز بالضخامة والتنظيم، يرافقها القسوة والبطش والتنكيل، وهتك الأعراض، وسلب الممتلكات، وتهديم القرى.

وقد تولّت ولاية بغداد طيلة القرن الثامن عشر هذه المهمة. ويذكر عبدالرحمن

---

(1) محمود الدرّة. القضية الكردية. الطبعة الثانية ص 186.
- كارستن نيبور. رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر. ترجمة. محمود حسين الأمين ص 92 - 93. بغداد 1965.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 38 - 39.
- هلموت فون كارل مولتكه: «الرسائل» ترجمة عبدالفتاح علي يحيى. مجلّة الأديب الكردي عـ4، ص 13 - 14 تموز 1992.
- الأب أنستاس الكرملي. ورقة 52 - 53. أرشيف مركز لالش الثقافي والإجتماعي دهوك رقم 34.
- عباس العزاوي. تاريخ اليزيدية ص 115 - 130.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 485 - 500.
- عبدالرحمن السويدي. تاريخ بغداد. حديقة الزوراء في سيرة الوزراء جـ 1 ص 65 - 71 مطبعة الزعيم. بغداد 1992.
- أبي طالب خان. رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبة 1213 هـ. ترجمة مصطفى جواد. ص 353 - 354. مطبعة الإيمان بغداد.

السويدي في تاريخ بغداد ما يلي: «بعد إنتصار الوالي حسن باشا على اليزيديين، وحققهم بسيف الإنتقام، وحصل بذلك للمسلمين الإنتظام، وأسر النساء والأطفال، واغتنم الجند الأموال، وابتاعوا النساء وبناتهم وأماءهم وعاد الوزير منصوراً»[1].

وبعد نجاح الحملة قام الوزير حسن باشا بتفويض أمر اليزيديين في منطقة سنجار إلى رئيس قبيلة «طيء» العربية «محمد الذياب»، كإجراء لتثبيت دعائم الحكم العثماني على اليزيديين.

لكن الحملات تواصلت على يزيدية جبل سنجار طيلة القرن الثامن عشر والتاسع عشر، وتبادلت السلطات العثمانية في بغداد والموصل دور قيادة هذه الحملات، والتي كانت حملات حكومية أشبه بغارات عشائرية محدودة. هدفها أكثر الأحيان السلب والنهب والمغانم المادية. إضافة إلى اعتبارها حركات تأديبية مؤقتة، لم يحالفها النجاح في كثير من الأحيان، وبخاصة حملات حكّام الموصل[2].

لقد خلقت هذه الحملات العثمانية المتكرّرة حالة من فقدان الأمن والاستقرار في المناطق اليزيدية، في شمالي العراق، وكردستان الجنوبية، ومنطقة جبل سنجار، التي تلقت ضربات عسكرية متلاحقة، ممّا ترتّب نتائج خطيرة على مستقبل العلاقات مع الدولة العثمانية، وضعف ثقة اليزيديين بها مع استمرار سياسة الحملات العسكرية القمعية. وبهذه الوضعية، دخل اليزيديون القرن التاسع عشر، الذي لم يكن أفضل ممّا سبقه من قرون.

كانت إمارة الشيخان تمثّل الكيان السياسي لليزيديين، حتّى نهاية القرن التاسع عشر. فسيطرت على تلال جبل مقلوب وقراه، وعلى المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والخابور،

---

(1) عبد الرحمن السويدي. تاريخ بغداد. حديقة الزوراء جـ 1 ص 66.
- ستيفن همسلي لونكريك. أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر الخياط الطبعة السادسة. ص 157 بغداد 1985.
- محمد مهدي العلوي. تتمة عن اليزيدية. مجلّة لغة العرب جـ 7 ص 553 تموز 1929.
- علي شاكر علي. تاريخ العراق في العهد العثماني ص 110. مطبعة الشعب بغداد 1984.

(2) ياسين العمري: غرائب الأثر في حوادث القرن الثالث عشر «هـ» ص 33 مطبعة أم الربيعين. الموصل 1940.
- أحمد جودت. تاريخ جودت جـ 3 ص 223. المطبعة العثمانية استانبول 1303 هـ.
- يعقوب سركيس. مباحث عراقية جـ 1. ص 234 - 235. بغداد 1948.
- عباس العزاوي. تاريخ اليزيدية ص 119 - 123.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 144 - 147.

وعلى جبل سنجار غربي الموصل. وكان يتوارث حكم الإمارة فيها أسرة «شيخان بكري». وقد ورثت إمارة الشيخان عدداً من الإمارات اليزيدية، التي سبقتها، أهمّها: إمارة «داسني، ودونبلي» التي كانت تمارس الحكم في شمالي منطقة كردستان الشرقية. وقبيلة دونبلي كانت تقطن في الأصل، في جبال «بوتان» قرب الجزيرة الفراتية، ثم هاجرت إلى مناطق كردستان الشرقية، وسكنت «خوي، وسكمن أباد» في إيران، وخضعت لحكم الدولة الصفوية، واعترفت بسلطتها عليها، لذلك توّلت الحكم على الكثير من الثغور والقلاع والقصبات غرب بحيرة أورمية.

أما «إمارة محمودي» فكانت تشغل المنطقة الواقعة جنوبي بحيرة «وان». وقد هاجرت قبيلة محمودي مع الدونبلية من «بوتان» واتصل أميرها الشيخ محمود بمؤسّس الدولة «قره قدينلوية»، «قره يوسف»، فمنحه قلعة «أشوب وخوشاب» جنوب شرق بحيرة «وان» تكريماً لخدماته التي قدّمها له. ثم عرفت هذه المنطقة الخاضعة لحكم هذه القبيلة بإمارة «محمودي»[1].

هذا الكيان اليزيدي الجديد، إرتكز على اساس تجمّع عشائري ديني تميّز بعقائد دينية خاصة، ساعدت على تكوين شخصيته. وكان أمير الشيخان يهيمن على السلطتين، الدينية والدنيوية، ولم تكن للسلطات العثمانية أية سلطة على اليزيديين، كما أنها لم تكن تعترف بإمارة الشيخان، وكانت تعدّها متمردّة، وترى وجوب محاربتها، لأن الدولة العثمانية لم تعترف بالديانة اليزيدية من جهة، ولأن هذه الإمارة كانت إدارياً تابعة لولاية الموصل من جهة ثانية. وهذا ما كان يرفضه اليزيديون، لأن ذلك يعني إلغاء لوجود إمارتهم وديانتهم كذلك. ممّا كان يثير سخط الدولة العثمانية، وبالتالي يدفعها إلى اتخاذ موقف معادٍ منهم.

وقد استفادت إمارة الشيخان بحكم موقعها، حتّى اواخر القرن الثامن عشر من الحماية التي تؤمّنها لها القوى الكردية المجاورة، سيّما منها إمارة بهدينان للوقوف بوجه ضغوطات حكّام الموصل، التي كانت تابعة لها من الوجهة الرسمية. في الوقت الذي لم تكن تعترف بالسيادة على مناطقها، وترفض طاعة حكّامها، ولا تؤدي الضرائب المفروضة عليها، وبخاصة أن سكان الشيخان اليزيديين كانوا يتلقون معاملة سيئة من

---

(1) عماد عبد السلام رؤوف. إدارة العراق ص 222 - 224. دار الحكمة للطباعة والنشر بغداد 1992.
- شرف خان البدليسي. شرفنامه ص 314 و322 - 323.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 456.
- عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 52.

قبيل أهالي الموصل. لكن عندما تولّى حكم ولاية الموصل «محمود باشا الجليلي» سنة 1809، بدأت الأحوال بالتحسّن بين الفريقين، بعد ان اعتذر أمير الشيخان «حسن بك» عمّا قام به اليزيديون بزعامة أخيه «عبدي بك» من أعمال معادية لأهالي الموصل. وهنا لا تشير المصادر الموثوقة إلى أدنى تورّط لإمارة الشيخان في أعمال معادية ضد حكّام الموصل[1].

أما وضع اليزيديين في منطقة سنجار، فيختلف عمّا هو في الشيخان، وذلك بحكم موقعهم الجغرافي - الجبلي المنعزل، الذي منحهم أهمّية دائمة من حيث السيطرة على مجموعة الطرق التجارية، التي تربط ولاية الموصل بالمراكز الإقتصادية والحضارية المجاورة. ممّا جعل يزيدية سنجار يشكّلون إحدى المشاكل الرئيسية، التي كانت تجابه حكومة الموصل. وهذا ما كان يشكّل تهديداً لمصالح الدولة العثمانية في ولاية الموصل، التي يحكمها في تلك الفترة الاسرة الجليلية، والتي كان أفرادها يشاركون في الحملات العثمانية، وأحياناً كانوا يقودونها بأنفسهم ضد يزيدية سنجار حتّى أواخر الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. وقد كان الهدف الرئيسي من هذه الحملات تأمين طرق التجارة، وإمداد الموصل بما تحتاجه من أموال وغلال ومواشي، ممّا أدّى دائماً إلى سلب ونهب قرى اليزيدية في هذه المنطقة. ويقول بكنغهام: «وقد خاض اليزيديون الذين يسكنون هذا الجبل حروباً كثيرة، ضد باشاوات الموصل. وفي مثل هذه الحوادث، كانت تذهب ضحايا كثيرة من الطرفين. ثم ينتهي الأمر باتفاق على مبلغ من المال».

وتذكر وثيقة عثمانية «مؤرّخة 1804» أن الحملات التي كان تقاد من لدن حكام الموصل الجليليين. وتحديداً حملات «محمد باشا الجليلي»، لم تكن تخطّط وتوجّه من الموصل وبغداد فقط، بل أن الباب العالي نفسه كان يهتم بأمر توجيه مثل هذه الحملات، ضد يزيدي سنجار.

لكن الحملات التي قادها الحكام الجليليون، فشلت في تحقيق هدفها الرئيسي في كسر شوكة اليزيدية، الذين سرعان ما كانوا يستعيدون نفوذهم السابق، وسيطرتهم على

(1) 12 - عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان ص 56 - 58.
- ياسين العمري: غرائب الأثر ص 52 - 53.
- القس سليمان صائغ الموصلي. تاريخ الموصل جـ 1 ص 294.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 46
- عماد عبد السلام رؤوف. الموصل في العهد العثماني ص 91 - 93.
- السير ويليس بلج: رحلات إلى العراق. ترجمة فؤاد جميل جـ 2 ص 258 مطبعة شفيق. بغداد 1968.

المنطقة، حال إنتهاء هذه الحملات[1].

وعندما تولّى السلطان محمود الثاني عرش السلطنة العثمانية 1808 – 1828، انتهج سياسة جديدة، تقضي بإلغاء الحكومات المحلّية، وإحلال سيادة الدولة محلّها. فقضى على كل هذه الحكومات المذكورة. وفي سنة 1834، إنتهى الحكم المحلّي في الموصل، وأصبحت ولاية إعتيادية تخضع للحكم العثماني المباشر. وقد اتّسمت السياسة الجديدة في هذه الفترة لحكّام الموصل إزاء اليزيديين بالشدّة والحزم والمركزية الصارمة. وهكذا أصبح اليزيديون تابعين للسلطات العثمانية مباشرة في ولاية الموصل.

وقد باشر ولاة الموصل الجدد حكمهم بمنتهى القسوة ضد اليزيديين. وفي سنة 1835، وبعد إستيلائه على قلعة «العمادية»، قام الوالي «محمد باشا إينجه بيرقدار» في طريق عودته إلى الموصل، بجمع رؤساء وزعماء الشيخان اليزيديين في قرية «محمد عرب»، وفتك بهم فتكاً ذريعاً حتّى أبادهم عن بكرة ابيهم. وذلك بغية حمل التوابع والاقاليم المجاورة على الخضوع للحكم المركزي العثماني، وهذا كلّه كان بتوجيه من السلطنة العثمانية، التي حاولت قطع جذور بعض السكان والعشائر والأقلّيات عن معتقداتها الدينية وأساليبها ألإجتماعية الحياتية. وكان أبرز هذه الأقلّيات الطائفة اليزيدية.

وعندما تأخّر يزيدية سنجار عن دفع الضرائب، جاء وفد منهم إلى الوالي يحمل عرضاً للسلام والصفح، فما كان من الوالي «ينجه بيرقدار» الا أن قام بقتلهم وبتعليق رأس زعيمهم وستين شخصاً من مؤيّديه فوق أبواب الموصل، وبعد إخضاعه «تلعفر» المتمرّدة، أخذ بقطع رؤوس الأهالي ووضعها في «غرائز» وإرسالها إلى الموصل لأجل

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان القسم الثاني من المبحث الأول يزيدية سنجار وحكّام الموصل الجليليين ص 59 وما بعد.
- دائرة المعارف الإسلامية المجلّد 12 ص 244.
- سيار الجميل. حصار الموصل. الطبعة الأولى ص 253. مطبعة الجمهور. الموصل 1990.
- حسن ويس يعقوب. سنجار في العهد العثماني ص 13.
- موسوعة الموصل الحضارية. المجلّد الثالث ص 46.
- جليلي جليل. من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية. ترجمة محمد عبدو البخاري ص 29. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق 1987.
- عبد العزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث ص 129 دار الكاتب العربي القاهرة 1968.
- جعفر الخياط. صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة جـ 1 ص 200 مطبعة دار الكتب بيروت 1971.
- عبد العزيز سليمان نوّار. داود باشا والي بغداد. ص 119. دار الكاتب العربي القاهرة 1978.

العبرة والإرهاب.

لقد كانت الثقة المتبادلة بين اليزديين وولاة الموصل العثمانيين، سيّما في جبل سنجار مفقودة. فاليزيديون ظلّوا أغلب الأحيان متمسكين بموقفهم الرافض لكثرة طلبات هؤلاء الباشاوات المتكررة، والتي كانت تصيبهم في صميم حياتهم. وإن هؤلاء الباشاوات في أكثر حملاتهم المغلّفة بالتأديبية، إنما كان الطابع الغالب عليها هو جمع المال، والنهب، والسرقة، والسبي، والتشريد. وقد بقيت هذه المظالم، التي تعرّض لها اليزيديون على يد هؤلاء الولاة حيّة أمام أعينهم. منذ بداية ولاة الجليليين على الموصل، إلى نهاية ولاية «طيار باشا» العثماني. ومع ذلك، ورغم كل التدمير والنهب، والقتل، والسبي، إستطاعت العشائر اليزيدية أن تصمد في وجه هذه الحملات عامة، وبخاصة في منطقة جبل سنجار. ممّا جعل الدولة العثمانية في أواخر القرن التاسع عشر تتبع معهم سياسة «الجزرة والعصا» بانتهاجها سياسة عادلة ورشيدة، وقد أدركت أن الظروف الحاضرة آنذاك، لا تسمح لها بعد هذا بعمل غير إنساني، بحيث كانت الدول الأجنبية تراقب كل هذه الأعمال وتحاسبها عليها، كما أن بعض هذه الدول ولا سيّما «إنكلترا» منها، كانت تظهر عطفها على اليزيديين في الفترة الاخيرة[1].

وفي أوائل القرن الثامن عشر، قرّرت الدولة العثمانية إلحاق منطقة سنجار، ومقاطعة

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد في إقليم كردستان ص 67 - 68.
- سيار الجميل. زعماء وأفندية ص 157.
- موسوعة الموصل. المجلّد الرابع ص 82.
- إسماعيل جول: اليزيدية قديماً وحديثاً ص 115 - 116.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 500 - 501.
- القس سليمان الصائغ الموصلي. تاريخ الموصل ص 318.
- نورا كوبي. الطريق إلى نينوى. ترجمة الدكتور سلسل محمد الطائي ص 294 - 295. دار المأمون للترجمة والنشر. بغداد 1998.
- د. صلاح بابا شيخ ناصر. مجلّة لالش. العدد 16. ص 200 - 1 آب.
- عبّاس العزاوي. تاريخ العراق جـ 7 ص 271.
- بييردي فوصيل. الحياة في العراق منذ قرن 1814 - 1914. ترجمة أكرم فاضل. ص 80. دار الجمهورية. بغداد.
- عبد العزيز سليمان نوّار. تاريخ العراق الحديث ص 131 - 132.
- سيار كوكب علي الجميل. الموصل من نهاية الحكم الجليلي إلى الإدارة المباشرة موسوعة الموصل الحضارية. المجلّد الرابع ص 82.
- محمد أمين زكي. خلاصة تاريخ اليزيديين ص 234.

ماردين بولاية بغداد، بعد أن كانت تابعة لولاية ديار بكر (آمد). ممّا أدّى إلى تدهور العلاقات مجدداً بين اليزيديين والدولة العثمانية. وقد عدّ ولاة بغداد اليزيديين كفرة، يجب قتالهم، وذلك بناءً على الفتوى المار ذكرها سابقاً، والتي صدرت من قبل شيخ الإسلام «أبو السعود العمادي» مفتي الدولة العثمانية الرسمي، في عهد السلطان سليمان القانوني. يضاف إلى ذلك عمق الكراهية التي تولّدت بين الطرفين. وإن اليزيديين كانوا قادرين على قطع الطرق الهامة المارّة بين العراق والشام والأناضول. وقد عجزت السلطات العثمانية في الموصل عن السيطرة عليهم.

هذا، ولم يكن من السهل إخضاع اليزيديين في جبل سنجار بالمهمة السهلة، التي كان ينتظرها حكام بغداد. حيث كانت العشائر اليزيدية هناك قد جنّدت في صفوفها أكثر من ستة آلاف رجل مسلحين بالبنادق والرماح، إضافة إلى ان الجبل بحدّ ذاته كان حصناً طبيعياً، والحملات عليهم لم تكن بالسهولة في موضع. ممّا جعل حكّام بغداد خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، يشنّون عليهم حملات ضخمة.

ويبدو أن هذا التغيير الإداري العثماني، كان في صالح يزيدية سنجار فبدلاً من أن يسفر عنه تقويض نفوذهم، نراه يؤدي إلى استمرار سيطرتهم على مناطقهم وامتدادهم إلى المناطق المجاورة. ويصف الرحالة الفرنسي «روسو Rousseau» كما يلي: «ولاحظت هنا كيف جرّب باشاوات بغداد في مختلف العصور إخضاع اليزيدية، ومهاجمتهم بقوات كبيرة، لكنهم لم يصيبوا النجاح في ذلك دوماً، فعلى الرغم من تعدّد حملاتهم العنيفة، فإنها لم تكن لتنتهي أبداً بتحقيق أهدافها في إخضاعهم بشكل نهائي. وسبب ذلك أنهم كانوا قوماً أشدّاء، متحصنين في جبالهم المنيعة، فلا يلبثون أن يستأنفوا نشاطهم، الذي تراه الدولة العثمانية وسلطاتها في بغداد معادياً لهم. فهم الذين تمسّكوا بمعتقداتهم الخاصّة، بينما معظم كردستان سنّي المذهب».

وكان يتبع ولاية بغداد بعض القرى اليزيدية الواقعة على الزاب الكبير، حيث كانت القرى التي تحاذي الضفة اليسرى تتبع إدارياً ولاية الموصل. وإن يزيدية هذه القرى، على عكس يزيدية سنجار كانت أكثر خضوعاً للولاة العثمانيين، ويدفع رؤساؤهم الجزية بصورة إعتيادية. الا أن هذا لا يعني تسامح سلطات بغداد إزائهم، وخاصة أنها كانت تنظر إلى جميع اليزيديين، على انّهم كتلة واحدة. فكان أمراً طبيعياً أن تشملهم أيضاً سياسة الحملات العسكرية، كالحملة التي قادها والي بغداد «أحمد باشا» 1723 - 1747، حيث قامت عساكره بنهب وسلب هذه القرى. كما أن قرى منطقة الشيخان كانوا يتعرّضون

أيضاً للحملات العسكرية من قبل حكام بغداد. حيث قاد أحد أعوان والي بغداد «سليمان باشا الكبير» في مطلع القرن التاسع عشر حملة عسكرية ضدّهم. فقامت قوّاتة بنهب حوالي خمس وعشرين قرية من قراهم تلك، وسبوا النساء والأطفال وجميع ما عندهم من أموال وغلال، وقتل من يزيدية الشيخان أكثر من أربعين رجلاً.

لقد كانت وقائع اليزيديين أهم ما يشغل بال حكومات بغداد خلال القرن التاسع عشر. ولا سيّما منهم يزيدية جبل سنجار المتحصنين في مغاورهم وكهوفهم، وخلف صخورهم، والذين كانوا لا يتقيّدون بنظام أو قانون، وكانوا قد اقاموا لهم نوعاً من الإستقلال الذاتي خلال فترة والي بغداد «علي باشا». وكانوا في هذه الفترة يدينون في أحكامهم لأمير منهم، هو أمير الشيخان. وله عليهم الحكم المطلق.

وأثناء حكم والي بغداد «داوود باشا» 1817 – 1831، كان «علي بك» أمير اليزيدية متمتعاً بالإستقلال الذاتي. أما يزيدية جبل سنجار فكان نفوذهم قد توسّع إلى الحد الذي لم تكن فيه سلطات الموصل قادرة على إتخاذ الإجراءات اللازمة للحدّ منه. ممّا يبيّن ان سياسة بغداد تجاه اليزيديين، وخصوصاً تجاه يزيدية سنجار، وأن الحملات التي شنتها لاستئصال شأفتهم، كانت لها نتائج معاكسة. فقد زادت من إيمانهم في التمسّك بمعتقداتهم من جهة، واستقلالهم الذاتي من جهة أخرى[1].

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد اليزيديون في إقليم كردستان. الفصل الأول. المبحث الثالث الإيزيديون وحكام بغداد ص 79 وما بعد...

- عبد العزيز سليمان نوّار: داوود باشا ص 119.
- يعقوب سركيس ص 234 - 235.
- أوليفيه. رحلة أوليفيه ص 61 - 62.
- عبّاس العزاوي. تاريخ العراق بين إحتلالين جـ 5 ص 245.
- ياسين العمري. غرائب الأثر ص 52 - 53.
- Rousseau J. B. L. Description du Pachalik de Baghdad, p. 98 - 99, 1809.
- بطرس البستاني. دائرة المعارف. المجلّد العاشر. مادة سنجار ص 108 دار المعرفة بيروت.
- سليمان الصائغ الموصلي. تاريخ الموصل جـ 1 ص 149.
- حسين ناظم بك: تاريخ الإمارة البابانية. ترجمة شكور مصطفى، ومحمد عبد الكريم المدرّس الطبعة الأولى ص 174 - 175. مؤسّسة موكرياني للطباعة والنشر. أربيل 2001.
- عثمان بن سند الوائلي البصري. مطالع السعود تحقيق عبد السلام رؤوف. وسهيلة عبد المجيد.
- اليسي ص 247. دار الحكمة للطباعة والنشر الموصل 1991.
- صدّيق الدملوجي: اليزيدية ص 495.
- أحمد علي الصوفي. المماليك في العراق ص 112. مطبعة الإتحاد الجديد. الموصل 1952.

كانت منطقة الشيخان اليزيدية تجاور إمارة «بهدينان الكردية»، ومركزها مدينة «ئاميدي». وكان أمراء اليزيديين في الشيخان يخضعون لهذه الإمارة منذ فترة حكم الأمير «حسن بك البهديناني». وكان البهدينانيون يعتبرون اليزيديين من رعاياهم، حيث كانوا يعتبرونهم أكراداً، رغم اختلاف المعتقد. كما كان الفريقان معرّضان للاضطهاد من قبل الدولة العثمانية. أما يزيدية سنجار، فكانوا يقيمون علاقات صداقة مع حكّام «بهدينان»، حيث كان أمراء بهدينان يسعون دائماً إلى كسب ودّ اليزيديين الأشدّاء، والإعتماد عليهم ضد السلطات العثمانية مستغلّين عداءهم وكرههم لها.

لكن الصراعات بين أمراء بهدينان على السلطة من جهة، وبين العشائر الكردية من جهة ثانية، جعلت اليزيديين يتأثرون بهذه السياسة بشكل أو بآخر. كما أن دعم إمارة بهدينان لليزيديين ضد حملات الموصل العثمانية، وخاصة سنة 1807، والتي خلّفت دماراً واسعاً في مناطقهم، أدّى إلى فقدان يزيدية الشيخان الثقة بحلفائهم التقليديين، والإبتعاد عنهم حتّى العقد الثاني من القرن التاسع عشر، حيث بدأت الأحوال بالتحسّن.

وتشير المصادر إلى إتهام «علي بك» أمير اليزيديين في «رواندوز» بتحريض اليزيديين على الإنتفاضة ضد حكام الموصل وبعض الإمارات الكردية. ممّا دفع بـ «محمد باشا الكردي» لإصدار أوامره بقتل الأمير اليزيدي، بعد أن عرض عليه الإسلام أول الأمر، وأنّه إذا قبل ذلك، فإن باشا راوندوز سيجعله حاكماً على جبل سنجار. أما إذا رفض هذا العرض، فإنه لن ينل إلا السيف الذي يقطع أوصاله. ولما لم يقبل الأمير «علي بك» ترك ديانته، أمر محمد باشا بقتله، ثم أمر بقتل الآخرين من حاشيته. وقد نجا من الموت أحد أمرائهم، الذي قبل الإسلام مع الأسرى اليزيديين الآخرين، باستثناء مئة شخص منهم تمسكّوا بدينهم فذهبوا إلى دار القرار. ويذكر المكرياني أن الأمير «علي بك الداسني» تمّ إعدامه بتحريض من رجال دين مسلمين، لأنه امتنع عن اعتناق الإسلام، حيث يذكر أنّه بناء على سمعه من شيوخ رواندوز ومعمّريها، كان علي بك رجلاً شهماً ومقداماً، ولم يكن يستحق القتل.

وهكذا تم إعدام أمير اليزيديين بتحريض رجال الدين المسلمين سنة 1834، وعلّقت جثته لمدّة ثلاثة أيام، على جسر راوندوز[1].

رأت الدولة العثمانية أن توسّع الإمارات في منطقة كردستان سيّما إمارة سوران، أنّه يشكّل خطراً على سلطة الدولة، فقررت القضاء وإلى الأبد على الأمراء الكرد المستقلين في تلك المنطقة، وفي مقدّمتهم «محمد باشا الرواندوزي» فجهزت حملة عليهم سنة 1833. ومن سوء حظّ اليزيديين، أن قرار الدولة العثمانية على إمارة سوران الكردية، كان يتضمّن ضرب العشائر اليزيدية التابعة لها. وبالفعل، وجّهت الضربة الأولى إلى تلك العشائر وأخضعتها. ولشدّة ما أصاب اليزيديين من مظالم فإنهم رغم ذلك كلّه لم يتوقفوا في منطقة سنجار، بل استمروا بهجومهم على النواحي المجاورة، واستمرت غاراتهم على القوافل التجارية. وقد سببت أعمالهم هذه إستياء الحكومة العثمانية وغضبها عليهم، فأرسلت حملات للقضاء عليهم. ومنها حملات «رشيد باشا» 1834، وحافظ باشا 1835، التي حمّلتهم مصائب متعدّدة. وحسب الرواية العثمانية، أنهم امتنعوا عن الإنخراط في صفوف الجيش العثماني، وأعلنوا العصيان المدني، وقاموا بالثورات.

ويذكر عباس العزاوي: «أنّه وقبل أن يخوض رشيد باشا حملته على يزيدية سنجار، قدّم له بعض العلماء المسلمين كتاباً في تكفير اليزيدية، وذلك لتشريع قتلهم باسم الدين.

---

(1) شرف خان البدليسي. شرفنامه ص 138.
- صدّيق الدملوجي. إمارة بهدينان الكردية. ص 19 و 130 - اليزيدية ص 460 - 465.
- عبد السلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني ص 174.
- جليلي جليل. من تاريخ الإمارات ص 30 - 87.
- ياسين العمري. غرائب الأثر ص 23 و26 - 27.
- عبد الفتاح يحيى. الملايحي وسقوط إمارة بهدنيان. مجلّة كروان عـ42. ص 153 آذار 1968.
- القس سليمان الصائغ الموصلي. تاريخ الموصل جـ 1 ص 294.
- جيمس بيلي فريزر. رحلة فريزر إلى بغداد في سنة 1834 ترجمة جعفر الخياط. الطبعة الأولى ص 15 مطبعة دار المعارف بغداد 1964.
- يوسف بابانا. القوش عبر التاريخ ص 162. بغداد 1979.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 140.
- جمال نبز. الأمير الكردي مير محمد الرواندوزي ص 47. مطبوعات الأكاديمية الكردية اربيل 1994.
- عدنان زيّان فرحان الفصل الثاني المبحث الثاني من الكرد الإيزيديين في إقليم كردستان المبحث الأول ص 119 وما بعد.

وجاء في رسائل الفيلد مارشال «هلموت فون مولتكه»: أن أربعاً وثلاثين قرية في جبل سنجار، بالإضافة إلى مدينة سنجار تعرّضت إلى التدمير، على يد القائد العثماني رشيد باشا، بالإضافة إلى القبض على الكثير منهم وقتل الكثير الآخر، ونفي ما تبقى منهم».

ويذكر إسماعيل جول: «حضر حافظ باشا من استانبول 1837، وكان معه سبع فرق مع ثمانية عشر الف جندي ونفير عام، فنزل غربي سنجار أول الأمر، وبخاصة أن قوّته ليست على دراية كافية بطبيعته، وقد تنبأ قوّات حافظ باشا بانتصار القوات العثمانية وانكسار أيزيدية سنجار، وهذا ما رفع من معنويات حافظ باشا في الاستمرار بخوض الحملة، حيث باشرت القوات العثمانية بمحاصرة جبل سنجار من كافة جهاته، فلما راى أهالي الجبل هذه القوة الضخمة ملكهم الخوف. فالتجأوا إلى الكهوف والمغاور، ولم يواجهوهم، ولم يحاربوهم، وبما أن اليزيدية «المهركان» كانوا اقوى عشائر جبل سنجار، فقد أرسلوا للباشا بضعة رؤوس من جياد الخيل كهدية، وأعلنوا خضوعهم لسلطته، وطلبوا الأمان. لكن جواب حافظ باشا تضمّن إعطاؤهم الأمان مقابل قطيع من الغنم، وأن يرسلوا اثنين من رؤسائهم إليه كرهائن، حتّى ينهي حصار الجبل كضمان لعدم قتال رجال المهركان قوّاته. لكن لما كان العرض قاسياً، رفضه يزيدية مهركان، وقرروا المقاومة، فما كان من حافظ باشا الا أن هاجم الجبل بعسكره، حيث كان حجم الكارثة مرعباً حقاً، وقد مارس العثمانيون بحق اليزيديين أبشع الجرائم، التي أوقعت بهم المزيد من الدمار، وأدّت إلى تشتتهم».

ويروي رحّالة من القرن التاسع عشر: إن أكثر من نصف السكان قتلوا بالرصاص وبقنابل الجند، ومنهم من لجأوا إلى المغاور والكهوف، فحاصرهم الجند وأضرموا النار فيها، فماتوا حرقاً أو خنقاً بالدخان، ثم ساقوا النساء والأولاد لبيعهم في المدن. ويقول مولتكه عن فظائع الجيش العثماني الذي رافقته قطاعات من القوات الألمانية أثناء هذه الحملات: أنهم قتلوا الكثير من اليزيدية، وخاصة الرجال، وتمّ سبي النساء والأطفال، وأحدثوا فيهم الفظائع، كقطع الرؤوس والأذان، وبتر الأيدي والأرجل.

ويرى أكثر الباحثين: أن الدولة العثمانية لم تحسن إدارة اليزيديين، وكانت طريقتها في إدارتهم الحصول على الرسوم والأعشار الأميرية بالقهر والعنف والنهب والسلب باسم ضرائب الحكومة. والنتيجة أن الهم الوحيد هو السيطرة والنجاح والغلبة بأي وجه كان،

وإن أدّى إلى خراب الديار وتمزيق الأشلاء. لذا كانت الحكومة تراعي وقتها ولا يهمها مستقبلها، وما يتولّد عن هذا من النتائج القاسية والمهلكة، بل المدمّرة للحضارة[1].

بعد ذلك أصبح اليزيديون يدفعون مبالغ ضخمة كجزية للدولة العثمانية، إلى أن بدأ العثمانيون بتطبيق الخدمة العسكرية عليهم. وقامت الدولة العثمانية حتّى منتصف القرن التاسع عشر وبعده، ولا سيّما في عهد والي بغداد مدحت باشا 1869 - 1872، بمحاولات لإجبار اليزيديين على الخدمة العسكرية العثمانية. وكانت الحكومة العثمانية تعتبر الطائفة اليزيدية فرقة إسلامية. لذلك كانت ترفض قبول البدل النقدي عوضاً عن الخدمة العسكرية الإلزامية، وهو البدل الذي يشمل مواطني الدولة العثمانية من غير المسلمين. وكان موقف اليزيديين إزاء هذه السياسة العثمانية الجديدة، يقضي برفض الإدعاء العثماني المذكور، بكونهم مسلمين في الديانة. فأرادوا أن يجدوا مخرجاً من هذه التكاليف الجديدة، يقنع الدولة العثمانية بعدم إمكان الخدمة في الجيش العثماني، بسبب التعارض مع معتقداتهم وديانتهم وبعض ممارساتهم وعاداتهم.

ومع حلول 1849، زادت الأمور تعقيداً من جديد، وذلك بسبب المطالب العثمانية في الخدمة المذكورة في «الخدمة العسكرية»، والتي تمّ إعفاء المسيحيين منها. فقدّم زعماء اليزيدية عريضة إلى الحكومة العثمانية، يطلبون فيها ضرورة إعفائهم من الخدمة العسكرية، مؤكّدين ولاءهم للسلطان، واستعدادهم للخدمة، مقترحين على الصدر الأعظم، أن يقبل الباب العالي إعفاءهم من الخدمة العسكرية لمدّة خمس سنوات متتالية، مقابل بدل نقدي، وأن تكون خدمتهم بعد هذه السنوات في وحدة مسيحية بدلاً من وحدة مسلمة.

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان الفصل الثاني المبحث الثاني ص 119 وما بعد.
- جليلي جليل من تاريخ الإمارات ص 95.
- زبير بلال إسماعيل. محمد الخطي ونهاية الأمارة السورانية مجلّة الحكم الذاتي عدد 4 ص 49 أبيل 1983.
- عبد المنعم الغلامي. بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل ص 49 الموصل 1950.
- صدّيق الدملوجي اليزيدية ص 467.
- إسماعيل جول: اليزيدية قديماً وحديثاً ص 113 - 114.
- زهير كاظم عبود. لمحات عن اليزيدية ص 75 مكتبة النهضة بغداد 1995.
- موسوعة الموصل. الموصل من الحكم الجليلي إلى الإدارة المباشرة ص 82.
- عباس العزاوي تاريخ اليزيدية ص 110.
- عبد العزيز سليمان - تاريخ العراق الحديث ص 132 دار الكتاب العربي القاهرة.
- عبد العزيز سليمان: داوود باشا والي بغداد دار الكتاب العربي القاهرة 1968.

وقد تمخّضت الوساطة الإنكليزية بهذا الشأن، عن صدور فرمان يحرّرهم من القيود غير القانونية، ومن بيع أطفالهم كعبيد، وعن منعهم حرّية العبادة، ومساواتهم بغيرهم من طوائف الدولة العثمانية.

لكن سنة 1854، حدثت تطورات في الدولة العثمانية كان من شأنها أنّه تمّ تنفيذ شامل للتجنيد الإجباري بحق كافة مواطني الدولة ومن ضمنهم اليزيديين، الا أن هذه التطوّرات الجديدة لم تعطِ ثمارها، ممّا جعل الدولة العثمانية تتراجع عن سياستها تجاه الأقلّيات، وتعيد التأكيد على حقوقهم بموجب فرمان عرف بإسم «خطي همايون» سنة 1856.

لكن السياسة العثمانية غير المستقرّة، والسياسة التي كان يتبعها الولاة بمعزل عن مرجعيتهم العليا، جعلت الأمور تسوء بين الفريقين. ممّا حدا بوالي بغداد «مدحت باشا» 1869 - 1872، إلى إعادة العمل بمرسوم التجنيد الإجباري، وإعداد حملة عسكرية على منطقة سنجار، كان من أهدافها الأخرى جمع الضرائب، وتأمين خطوط المواصلات. وهكذا بقيت الأمور بين كرّ وفرّ بين الفريقين[1].

وبعد ولاية «محمد باشا»، لم تحدث مواجهة بين السلطات واليزيديين. فقد اقترح خلفه في ولاية حكم بغداد «رؤوف باشا»، بأن على اليزيديين تقديم عريضة، يوضحون فيها الإعتراضات الدينية التي تمنعهم من الخدمة الشخصية في الجيش العثماني. وكانت الدولة العثمانية قد أوفدت «محمد طاهر بك» القائد العام لجيش ولاية بغداد إلى اليزيدية، لتجنيد 1200 جندي يزيدي، لكنهم التمسوا منه أن يمهلهم عشرة أيام لكي ينظروا في أمرهم.

(1) هاشم البنّا: اليزيديون ص 165 مطبعة الأمة 1964.
- عبد الرحمن بدران ص 526.
- البرت.م. منتشا شبغيلي: العراق في سنوات الإنتداب البريطاني. ترجمة هاشم صالح التكريتي ص 62 بغداد 1987.
- عبد العزيز سليمان نوّار ص 132 - 133.
- جليلي جليل. الحركة الكردية في العصر الحديث. ترجمة عبدي حاجي ص 23 - 24. دار الرازي للطباعة والنشر بيروت 1992.
- عبّاس عزاوي: تاريخ العراق بين إحتلالين جـ 7 ص 172 - 173.
- زهير كاظم عبود. اليزيدية أموالهم معتقداتهم ص 69.
- علي الوردي. لمحات من تاريخ العراق الحديث جـ 3 ص 51 بغداد 1972.
- باقرياسين: تاريخ العنف الدموي في العراق ص 260 دار الكنوز الأدبية بيروت 1999.

وبعد انقضاء المدة المذكورة، قدّموا عريضة إلى «رؤوف باشا» والي بغداد، يلتمسون عرض مطاليبهم المذكورة فيها على الدولة العثمانية، فرفعها الوالي إلى الآستانة في 28 شباط 1872، في عهد ولاية السلطان عبد العزيز. عرفت هذه الوثيقة بطلب عام 1872. وأهم ما جاء فيها: (هذه الوثيقة تنشر كما هي وعلى علاتها اللغوية).

البند الأول

بحسب ديانتنا اليزيدية، لازم على كل فرد من طايفتنا صغير وكبير، وامرأة وبنت. في كل سنة ثلاث مرّات. يعني أولاً من ابتداء شهر نيسان الرومي إلى آخره، وتانياً من ابتداء شهر أيلول إلى آخره، وثالثاً من ابتداء شهر تشرين الثاني إلى آخره، إذ لم يزر شكل طاووس ملك جلّ شأنه، يكفر.

البند الثاني

كل نفر من طايفتنا صغير وكبير إذا ما زار حضرة الشيخ عادي بن مسافر قدّس الله أسراره العالية في السنة مرّة واحدة، يعني خامس عشر من شهر أيلول الرومي إلى العشرين بحسب ديانتنا يكفر.

البند الثالث

لازم على كل فرد من طايفتنا كل يوم في وقت طلوع الشمس، أن يزور موضع شروق الشمس، بشرط أن لا يوجد واحد من المسلمين والنصارى واليهود أوغير ذلك، وإذا ما يعمل واحد منهم ذلك يكفر.

البند الرابع

يلزم على كل فرد من طايفتنا، كل يوم أن يبوس يد أخيه، أخ الآخرة. يعني خادم المهدي، ويد شيخه، أو بيره، وإذا لم يؤدي ذلك، يصير عليه كفر.

البند الخامس

شيء ما يمكن احتماله، بحسب ديانتنا، عند الصباح لما يبدون المسلمين في الصلاة يقولون كلام حاشا، أعوذ بالله إلى آخر، وإذ سمعها واحد منّا يلزم أن يقتل نفس القايل، أو يقتل نفسه والا يصير كافراً.

البند السادس

وقت الذي يموت واحد من طايفتنا إذا ما كان موجود عنده أخو الآخرة، وشيخه وبيره، أو واحد من القوّالين يقول عليه ثلاثة أقوال، يعني يا عبد الطاووس ملك جلّ شأنه، لازم تموت على دين معبودنا وهو طاووس ملك جلّ شأنه، ولا تموت على دين غيره، وإذا جاك أحد وقال لك من دين الإسلام، أو دين النصارى، أو دين اليهود، أو على أديان غير ذلك من الملل، لا تصدقهم ولا تؤمن بهم، وإذا صدقت، أو آمنت من دون دين معبودنا طاووس ملك جلّ شأنه، فتموت كافراً.

البند السابع

عندنا شيء يسمّى «بركة الشيخ عادي» يعني تربة الشيخ عادي قدّس سرّه، لازم على كل نفر من طايفتنا يكون موجود عنده مقدار وموضوع في جيبه. ويأكل منه عند كل صباح، وإذا ما أكل منه تعمّداً يكفر. وأيضاً يموت عن قرب الموت، إذا لم يكن موجود من ذلك التراب المبارك تعمّداً يموت كافراً.

البند الثامن

من خصوص صيامنا كل فرد من طايفتنا إذا أراد أن يصوم، يلزم أن يصوم في محلّه، لا في غير محل، من سبب كل يوم من أيام الصيام وقت الصباح يروح إلى بيت شيخه وبيره يمسك الصيام. ثم وقت الإفطار وأيضاً يروح إلى بيت شيخه وبيره، يفطر على الخمر المقدّس مال ذلك الشيخ أو البيير. وإذا ما شرب مقدار قد حين ثلاثة من ذلك الخمر، صيامه غير مقبول ويصير كافراً.

البند التاسع

إذا واحد من طايفتنا سافر إلى غير محل، وبقي هناك أقل المدّة سنة كاملة، وبعده رجع إلى محلّه ذلك الوقت امرأته تحرّم عليه، وما أحد منّا يعطيه امرأة، وإذا أحد أعطاه يكفر.

البند العاشر

من خصوص ملبوسنا، مثل ما ذكرنا في بند الرابع، على أنّه كل فرد من طايفتنا له أخ الآخرة أيضاً له أخت الأخرة. فبناء على ذلك واحد منا إذا أراد أن يعمل له قميص جديد، يلزم أن المذكورة أخته الأخرة تفتح زيفه بيدها، أي ذلك القميص، وإذا لم تفتح في يدها زيفه إذا لبسه يكفر.

البند الحادي عشر

إذا واحد من طايفتنا عمل له قميص، أو لباس جديد، من غير ما يعمدّه في الماء المبارك الموجودة في حضرة الشيخ عادي قدّس سرّه، ما يمكن لبسه، وإذا لبسه يكفر.

البند الثاني عشر

لباس الكحلي ما نقدر نلبسه قطعاً. وفي مشط المسلم والنصراني واليهودي، أو غير ذلك ما نقدر نمشّط رأسنا أبداً، ولا في موسى الذي يستعمله غيرنا نحلق رؤوسنا فيه، إلا إذا اراد أن نغسله في الماء المبارك، الموجود في حضرة الشيخ عادي، ذلك الوقت، إذا حلقنا رؤوسنا فيه جايز، وإذا لم يكن مغسولاً في ذلك الماء المبارك وحلقنا رؤوسنا نكفر.

البند الثالث عشر

من طرف الأكل كثير فرق بيننا وبين ساير الملل، مثل لحم السمك، وقرع، وبامية وفاصولية، ولهانة، وخس، ما نأكلهم حتّى مكان الذي مزروع فيه خس، ما يمكن أن نسكنه.

لأجل هذه الأسباب وغيرها، ما نقدر بأن ندخل في الخدمة العسكرية.

رئيس طايفة يزيدية، أمير الشيخان حسين الإمضاء:

شيخ روحاني طايفة يزيد ناحية شيخان، شيخ ناصر، مختار موسكان مراد، مختار قرية مام رشان. بير سليمان. مختار حتارة أيوب. مختار بيبان، حسين. مختار دهكان، حسن. مختار خورزان، نعمو. مختار باقصره، علي. مختار باعشيقة، حمّو. مختار خوشبا، الياس. مختار كرى بحن، صفد. مختار كباره، كوجك قاسو. مختار سينا، عبدو. مختار عين سفني، كركو. مختار قصر عز الدين، شيخ خيرو. مختار كبرتو، طاهر[1].

---

(1) أنظر عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وما فيهم ص 101 - 104.
- د. محمد التونجي: اليزيديون ص 106 - 110.
- الأب أنستاس ماري الكرملي: القول الفصل في أصل اليزيدية. اليزيدية مجلّة المشرق عـ2.
- علي الوردي: لمحات إجتماعية تاريخ العراق الحديث جـ3 ص 5 وما بعد... بغداد 1972.
- باقر ياسين: تاريخ العنف الدموي في العراق دار الكنوز الأدبية بيروت 1999.
- سعيد الديوه جي: ص 221 وما بعد.
- صدّيق الدملوجي: اليزيدية.

وعندما تولى السلطان عبد الحميد الثاني حكم الدولة العثمانية 1876 - 1909، نقضت الحكومة العثمانية هذه الوثيقة، وأفتى رجال الدين المسلمين بأن اليزيديين، لا يجوز معاملتهم كأهل الكتاب، وإنما هم فرقة من الإسلام انحرفت، وينبغي إعادتهم إليه. ثم فرض التجنيد الإجباري عليهم كسائر المسلمين. وبناء على ذلك، وسنة 1887، أرسلت الدولة العثمانية البعثات الدينية إليهم، برئاسة نقيب ديار بكر، الحاج «مسعود أفندي» وعضوية الشيخ «سليم الخالدي» يرافقهم عدد من أمراء العساكر السلطانية، وعدد آخر من العلماء (المشايخ). لكن هذه البعثات لم يكتب لها النجاح.

وقد فشلت الحكومة العثمانية في الوصول إلى هدفها هذا، فلجأت من جديد إلى العنف، وذلك بإرسال حملات عسكرية لإجبار اليزيديين على اعتناق الإسلام، وبالتالي فرض قانون التجنيد الإجباري عليهم، مستعملة شتّى صنوف القسوة مع الذين لم يقبلوا الإسلام ديناً، حتّى أن البعض منهم قتل بالرصاص.

ولما باءت هذه الخطة بالفشل، قامت الحكومة العثمانية باتخاذ إجراءات جديدة بغية تسهيل عملية إدخال اليزيديين إلى الدين الإسلامي، وجاء في وثيقة عثمانية مؤرّخة في 8 كانون الثاني سنة 1891، بأن رجال الدين الإسلامي في المشيخة العثمانية قاموا بتعيين عدد من المعلمين والموجهين والمرشدين للدين، وذلك لتعليم اليزيديين القاطنين بولاية الموصل أصول الدين الإسلامي. لأن الحكومة العثمانية عدّت هذه الطائفة الدينية اليزيدية طائفة مارقة، ومن الضروري إرشادها إلى الأصول الصحيحة للديانة الأسلامية.

وقد أرسل الفريق عمر وهبي باشا فريقاً من المعلمين إلى منطقة الشيخان لتعليم اليزيديين أصول الدين الإسلامي، إضافة إلى تعليمهم مبادئ القراءة والكتابة.

وتشير وثيقة عثمانية مؤرّخة في آب سنة 1892: «إن الدولة العثمانية باشرت بفتح المدارس الدينية، وإنشاء المساجد في قرى اليزيديين، وتربيتهم وفق شريعة الديانة الإسلامية. إلاّ أن اليزيديين قاطعوا أولئك المعلّمين وطردوهم وهدّدوهم بالقتل إذا عادوا ثانية. ممّا حدا بالفريق عمر وهبي إلى العودة إلى سياسة العنف والإرهاب. ويذكر سليمان الصائغ الموصلي عن أعمال القوات العثمانية في قرى الشيخان ما نصّه: «فحملوا عليها ونهبوها وإستاقوا مواشيها، وسبوا نساءها وأولادها، وذبحوا من رجالها خلقاً كثيراً، وأضرموا النار في أربع قرى من الدنادية» فاحترقت بأهاليها ومواشيها، وقد ظلّت الحكومة العثمانية تحتفظ بقوة عسكرية كبيرة في جبل سنجار».

لكن غياب وجود سياسة ثابتة للحكومة العثمانية في العهد الحميدي تجاه اليزيديين، جعل هؤلاء يستخفون بها ويعصون أوامرها، ويغتالون أحياناً موظفيها، ويهاجمون مقراتها[1].

وعن ردود الفعل الدولية لأعمال الفريق عمر وهبي المناهضة لليزيديين، وتقارير المقيمين الأجانب في الموصل، وبغداد، والمناطق اليزيدية والذين كانوا يتابعون الأمور بدقّة، فإن السفير البريطاني في الآستانة، كان ينبّه الدولة العثمانية دائماً عن الأخبار السيئة الواردة من الموصل حول اضطهاد اليزيديين في الولاية.

وبعد إستدعاء أمير اليزيديين ميرزا بك، وأخيه بديع بك وعدد كبير من وجهاء اليزيديين في منطقة الشيخان، وأجبار بعضهم على إعتناق الإسلام قسراً وبالقوة، وقتل عدد من الذين رفضوا ذلك، وسجن البعض الآخر. بعد هذه الحادثة مباشرة، تلقّت وزارة الخارجية البريطانية تقريراً من «هرمزد رسام» نائب القنصل البريطاني السابق بالموصل، حول هذه الأحداث. كما وجّه «أندروس» ممثّل بريطانيا في الموصل تقريراً يشير فيه إلى ما يقوم به الجيش العثماني وأعوانه حول الموضوع. الأمر الذي كان يشير إلى قلق الدوائر البريطانية ومتابعتهم الدقيقة للأمور الخاصة بالطائفة اليزيدية.

وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909، وتسلّم الإتحاديين الحكم، لم تختلف سياستهم تجاه اليزيديين عما كانت عليه في العهد الحميدي. وقد رفض اليزيديون الإمتثال للقانون الذي أصدرته الحكومة الإتحادية العثمانية سنة 1909، والذي يقضي بتوسيع نطاق الخدمة العسكرية الإلزامية. بحيث يشمل السكان غير المسلمين، رغم الزيارات التي كان يقوم بها أمراء اليزيديين إلى الآستانة من حين إلى آخر.

إذ ظلت الأحوال بين الفريقين غير واضحة وغير ثابتة حتّى مطلع الحرب العالمية

---

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان الفصل الثالث المبحث الأول. ص 143 وما بعد.
- جاسم محمد العدول. الموصل في العهد الحميدي 1876 - 1909.
- موسوعة الموصل الحضارية المجلّد الرابع ص 102.
- داوود الجلبي الموصلي. مخطوطات الموصل ص 252 مطبعة الفرات. بغداد 1927.
- عبّاس العزّاوي: تاريخ اليزيدية ص 160.
- محمد عبد الرحمن يونس العبيدي: السلطان عبد الحميد الثاني والجامعة الإسلامية.
- محمد التونجي: اليزيديون ص 106 المكتبة الثقافية بيروت 1999.
- علي شاكر علي. ونمير طه ياسين: الفريق عمر وهبي قائد القوّة الإصلاحية في ولاية الموصل 1892 - 1893 مجلّة التربية والعلم عـ21 ص 165 الموصل 1998.

الأولى. حيث بدأت الدولة العثمانية بتطبيق التجنيد الإلزامي. وفرضه على رعاياها من غير المسلمين، بموجب قانون التجنيد الإجباري الذي صدر قبيل الحرب 1914.

وعندما بدأ اللاجئون الأرمن بالفرار من درب الاضطهاد التركي، لجأ قسم كبير منهم إلى جبل سنجار. وقد وجهت الدولة العثمانية إنذاراً إلى زعماء اليزيديين في جبل سنجار جاء فيه:

1 - تسليم الأرمن اللاجئين إلى المناطق اليزيدية.

2 - حضور 22 من كبار رؤساء اليزيدية إلى عين غزال على سبيل الدخالة.

لكن اليزيديين رفضوا هذا الإنذار. كما كانوا، كأغلب بقية الإنزارات السابقة. وكان يقابل ذلك، حملات إبادة عليهم من قبل الدولة العثمانية كان من نتائجها التهجير والسلب والنهب وإحراق القرى.

وبعد إنكسار الدولة العثمانية، وتوقيع معاهدة الهدنة مع دول الحلفاء في 30 تشرين الأول سنة 1918، دخلت القوات البريطانية إلى الموصل في تشرين الثاني من العام نفسه، برفقة أمير اليزيدية «إسماعيل بك جول». وبعد إستسلام القيادة العثمانية في هذه المنطقة، عيّن «حمو شرو» أبرز زعيم يزيدي في جبل سنجار رئيساً للجبل براتب شهري مع وكيل مأجور في بلد مركز سنجار. وكان حمو شرو يتلقّى أوامره من معاون الحاكم السياسي البريطاني في تلعفر[1].

---

(1) عزيز الحاج: القضية الكردية في العشرينات. الطبعة الثانية ص 93 مطبعة الإنتصار بغداد 1985.
- عبد المنعم الغلامي. ثورتنا في شمال العراق 1919 - 1920 جـ 1 ص 34 بغداد 1960.
- هنري فوستر: نشأة العراق الحديث. ترجمة تسليم طه التكريتي جـ 1 ص 77 منشورات المكتبة العالمية بغداد 1989.
- إسماعيل جول: اليزيدية ص 67.
- أحمد عبوش التلعفري. ثورة تلعفر 1920 والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة ص 43 بغداد 1969.
- صدّيق الدملوجي: اليزيدية ص 512 - 513.
- تحسين أمين العمري: العراق خلال الحرب العظمى 1914 - 1918 جـ 3 ص 116 - 117 سنة 1938.
- لوران شابري - آني شبري. سياسة وأقلّيات ص 138.
- كمال مظهر أحمد. كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة محمد الملا عبد الكريم. ص 298 بغداد 1977.
- المس بيل: فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الخياط الطبعة الثانية ص 160 مطبعة دار الكتب بيروت.
- إسحق أرملة. القصارى في نكبات النصارى. ص 372 بيروت 1920.

كانت الحكومة العثمانية تعتبر الطائفة اليزيدية فرقة من الفرق الإسلامية الضالّة، وتطبّق بحقها أحكام الشريعة الإسلامية، وتنظر إلى أفرادها نظرها إلى بقيّة المسلمين. لهذا كانت ترفض قبول البدل النقدي عن الخدمة في الجيش العثماني، وهو البدل الذي كان يجوزون أخذه من الأمم غير المسلمة أو «أهل الذمّة» ويمكن الاعتقاد بأن فرض الوصاية على سوريا أبطأ أسلمة التجمّع اليزيدي في جبل سمعان. كما أن اليزيديين بسبب عددهم القليل، وبسبب سؤ معرفتهم، لم يتمكّنوا قط من إستثمار حقوقهم. فقد إمتنع القانون عن الإعتراف بقانون أحوال شخصية لهم[1] وليس لهم ممثلون في المجالس المحليّة، ممّا يفقدهم أية مكانة لدعم مطالبهم. ولم تمنح لهم أية مكاسب كان يمكنهم أن يطمحوا إليها بصورة شرعية.

كذلك يبدو أن كل شيء يسير ضد هذه الأقلّية فهناك بصورة مستمرّة خلافات خطيرة أحياناً، تجعل اليزيديين يقفون في وجه جيرانهم المسلمين. ولكن إذا كان الأمر يتعلّق بمجرد شجار أو إختطاف[2]، أو دعوى عقار، فإن الطرف اليزيدي نادراً ما ينال الرضى[3]، إن هذه المصاعب اليومية تحافظ على نوع من العصبية ضمن المجتمعات اليزيدية[4].

إن هذه المصاعب اليومية التي عاشها اليزيديون بين الحربين العالميتين، كانت تحافظ على نوع من العصبية ضمن المجتمعات اليزيدية، لا تمرّ دون أن تسبب حركات ردة جديدة في الفترات المضطربة، كذلك التي يعيشها أنذاك شمال سورية بأكمله.

---

(1) حسب القانون المعمول به. فإنه يجب عليهم أن يتزوّجوا أمام القاضي لأن الزواج الذي يتم أمام أصحاب الرتب الدينية لديهم يعتبر باطلاً.

(2) كثيراً ما يتكرّر إختطاف الفتيات اليزيديات.

(3) تعد وصل التخوّف باليزيديين إلى درجة أنهم حتّى في القرى التي يشكّلون فيه الأغلبية، يفضلون أن يمثلهم مختار مسلم يصطفونه عموماً من بين أبناء ملتهم الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً.

(4) في تشرين الأول وتشرين الثاني من سنة 1936. جرت إنتخابات تشريعية. وتزايد لحركة المريدين في كرداغ. وقد ظهرت المرودية لأول مرّة بعد الحرب العالمية الأولى، بين نقشبندية تركيا. وهي حركة سنّية ذات ميول إسلامية أصولية طالبت بمنع التدخين والكحول والموسيقى. وفي كرداغ حيث انتشرت إنتشاراً واسعاً، كان لها وجه ديمقراطي، حيث عارضت كبار الملاكين، واتخذت ذريعة في العديد من عمليات قطع الطرق. وقد عقد حلف حقيقي بين قاطع طريق مشهور هو «رشيد أيوب». الذي تم توقيفه سنة 1936، وعدّة رؤساء دينيين. واليزيديون لا يجدون أنفسهم في مواجهة الخطر مباشرة إلا أنهم كانوا يخشون للمرودية أن تؤدّي بهم إلى القلق.

وبالنسبة إلى عملية الدخول في الإسلام، التي تثير هذه المخاوف المستمرة، فقد تغير السلوك اليومي ليزيدية سورية تغيّراً عميقاً، بسبب حالة التساهل التي يعيشونها من هذه الناحية.

لكن اليوم وكما ذكرنا سابقاً، كل شيء قد تغيّر بالنسبة لليزيديين. فمنذ أمد تخلوا عن إظهار خصوصيتهم بصورة بادية للعيان. فتركوا لباسهم التقليدي، ولم يعد هناك أي شيء في لباسهم يميّزهم عن باقي أكراد المنطقة، وهم مثلهم يضعون على رؤوسهم قبعة بيضاء. تحيط بها عمامة سوداء من قماش مطبوع بزهور حمراء وبيضاء، ويرتدون سروالاً فضفاضاً شبيهاً بسراويل السنجاريين، وكذلك يرتدون لباساً على الطريقة الأوروبية. كما اتخذ بعضهم سراويل الفلاحين والحضر السوريين. وكذلك العقال و«الكفّية». مع ذلك فإنهم يحتفظون بورع بالقميص اليزيدي ذي الياقة المفتوحة تحت هذه الملابس الغربية. وقد كفّ الفقراء عن إرتداء لباس الشيخ عدي منذ أكثر جيلين. أمّا المسنّون من هذه الطبقة، فمازالوا يحتفظون به كعلامة لمرتبتهم الدينية، ويحتفظون كذلك بلحاهم الطويلة التي يمنع عليهم قصّها، لكن الشباب يفضلّون حلاقة ذقونهم. وما عادو يطلقون سوى «الشوارب». كذلك فإن التقليد والتلاؤمية لم تدّخر حتّى التقاليد الدينية. فاليزيديون بأعمالهم هذه يسعون إلى أن ينساهم الناس بإظهار أقل إهتمام ممكن بالإعياد اليزيدية، وبالإشتراك في الإحتفال بالأعياد الإسلامية.

ومع هذا نلاحظ أنه في الوقت الذي تنبئ فيه بعض المظاهر بزوال قريب للطائفة اليزيدية، نجد ردود فعل تظهر أن بعضاً من آخر ممّثلي هذه الطائفة سيحافظون حتّى النهاية على إرادة العيش وفقاً لعقيدتهم.

وعلى الرغم من أن أغلبية يزيدية جبل سمعان يخفّضون إلى الحد الأدنى العبادة التي يقتضيها دينهم، فإن نخبة صغيرة منهم تحافظ على إيمان كامل. وبعض الشيوخ منهم اشتهروا فعلاً بعلم الدين والورع. حتّى أن بعض المريدين يقيمون لديهم لتحصيل العلم. وإن بعض الشباب الذين تلقّوا التعليم، يثابرون على جمع المأثور اليزيدي المتواضع.

الفصل العشرون

اليزيديون بعد الحرب العالمية الأولى

أثناء الحرب العالمية الأولى، لدى الاعلان عن اقتراب الانكليز، وصل إسماعيل بك ابن عم أمير الشيخان إلى بغداد. ووضع نفسه تحت تصرّف الحلفاء. وبعد توقيع معاهدة الصلح، وعلى منوال أكثر الاقليات الأخرى، التي اضطهدتها الدولة العثمانية. وقف اليزيديون في العراق وفي سوريا إلى جانب السلطات المنتدبة. وتطوّعوا في الجيوش الخاصة، التي اوجدتها بريطانيا وفرنسا.

ومنذ القرن الثامن عشر، بدأ النقصان في الجماعة اليزيدية المقيمة في تركيا، عندما انهكت المذابح معظم العصبيات والاقليات غير المسلمة. انطلاقاً من هذا القرن، والتحولات إلى الاسلام. فدخلت في حماية قبائل مسلمة اقوى منها. وآلت سياسة التتريك، التي اتبعها الاتحاديون، وقمع السلطات للأكراد واليزيديين والمسيحيين، إلى اخلاء الطائفة اليزيدية، وراح الذين ما زالت روح الاستقلال باقية فيهم من هذه الجماعة، والرغبة في الاستقلال والانعزال عن الشعوب المحيطة بهم، يسعون إلى الملاذ باستمرار في جبل سنجار في العراق، وفي جبل سمعان في شمال سورية. وقد جرت هذه المهاجرة على نطاق واسع، وإلى حدّ يمكن القول معه، بأن اغلبية سكان هاتين المنطقتين الحاليين أصلهم من تركيا[1].

وبعد تنصيب «حمو شرو» زعيماً على سنجار. كان أحد الواجبات التي تكفّل بها البريطانيون هو المشاركة في الاستفتاء في كل العراق، حول موضوع مستقبل الحكومة المقبلة، والدولة العراقية الجديدة تحت لواء الانتداب[2].

وفي ولاية الموصل، دُعيت كل أقلّيّة للتعبير عن رأيها. والبيان اليزيدي الموقّع باسم مجموع الشعب اليزيدي في ولايات ديار بكر والموصل من قبل حوالي خمسين شخصاً، بما فيهم كل الزعماء اليزيديين، رغب أن يكون اليزيديون من رعايا بريطانيا العظمى، رافضين الحكم العربي.

---

(1) لورانت شابري - آني شبري. سياسة وأقلّيات ص 138.

(2) إسماعيل جول. اليزيدية ص 68 - 70.

- نالدر (الضابط السياسي في الموصل) تقرير قسم الموصل للعام 1919.

- الحكم الذاتي في العراق. مذكرات جرترود بل. لشهر شبط. ص 27 - 1919.

لكن الخلافات العائلية على الزعامة اليزيدية، أثارت بلبلة بين صفوف الشعب اليزيدي. ممّا ادّى إلى نفي الزعيم اليزيدي «إسماعيل بك» إلى بغداد لمدّة سنتين ونصف، عاد بعدها إلى سنجار/ 1921/ ليستعيد مكانته. في حين احتفظ «حمو شرو» بلقب زعيم الجبل إلى حين وفاته/ 1932/ . وكانت له آراء منفتحة وتقدّمية. حيث دعم فكرة فتح المدارس للأطفال اليزيديين في بلدة سنجار، باقناعه الشعب اليزيدي بفائدة العلم. والانفتاح على العالم. ورتّب بان يتم تنقيح النصوص المنهجية للكتب المدرسية، لحذف الكلمات والحروف التي يعترضون عليها[1].

وفي تموز/ 1924/ عرضت قوّة الليفي LEVIES «العراقي» وهي فرق محلّية دفاعية، نظّمت من قبل البريطانيين، من الاشوريين، والكرد والمتطوّعين الآخرين، على اليزيديين الانضمام إلى كتيبة خيّالة مؤلّفة كلياً من اليزيديين. ورغم ان الزي الرسمي كان «خاكياً» فان رجال القبائل تردّدوا في التخلّي عن ثيابهم البيضاء. لكن الزعيم اليزيدي إسماعيل بك، الذي كان يحمل شارة القوّة الجوية الملكية البريطانية منذ أيام الحملة العسكرية على الاتراك/ 1918/ ، تطوّع لفتح الطريق أمام الآخرين. وهكذا تمكّن من تجنيد 200 من رجال القبائل. لكن البريطانيين اهملوا المشروع، لكون اليزيديين لا يخضعون بسهولة للتدريب والانضباط.

وقد بقي اقليم سنجار تحت الانتداب البريطاني هادئاً بصورة استثنائية، لأن البريطانيين، بخلاف الاتراك الذين كانت سياستهم تقدم على تغذية الشقاق والتفرقة بين سكان الجبل، سعوا إلى وضع حدّ للصراعات الداخلية في كردستان. وأصبح الحصول على الاسلحة أصعب تحت اشرافهم. وكان رؤساء القبائل يتعاملون مع إرادة أشد صلابة من إرادة الاتراك، ويشعرون فضلاً عن ذلك، بانهم مرتبطون بالجزايات التي تمنح لهم، والتي يخشون فقدانها في حال الخروج على النسق العام. الا ان فترة ما بين الحربين العالميتين إتسمت بالمنافسة بين اقوى اثنين من اغاوات اليزيدية في الجبل هما «داوود داوود» «اغا» «قبيلة» ميهيركان، و «هاروشورو اغا» زعيم قبيلة «فكيران».

ومنذ اعلان الاستقلال، أظهرت الدولة العراقية انها أقل استعداداً لتدبير الخصوصية اليزيدية بوجه خاص والأقلّيات الباقية بوجه عام من البريطانيين. فالمدرسة التي كانت

(1) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين ص 396 – 397.
– كنليف أوين. عبر بوابات الذاكرة من البوسفور إلى بغداد ص 156 – 157.

قد فتحت في بلاد سنجار اقفلت، والغي راتب المعلمين، والزم اليزيديون بالخضوع لقانون التجنيد الاجباري المقّر في اواخر/ 1934/ ، فاستقبل اليزيديون باستياء شديد هذا الاجراء، الذي كان يرمي إلى ان يفرض عليهم خدمة كانوا قد نجحوا في الماضي، من الافلات منها، عندما اعفاهم منها تحت ضغط البريطانيين في الامبراطورية العثمانية فرمان/ 1849/ .

وقد أعرب اليزيديون عن رغبتهم في الاندماج في وحدة خاصّة فتكوّنت من اعضاء الفرقة. فكانوا يظهرون بذلك، من جديد إرادتهم في «الانكماش والانعزال» يعززها بعد الانتداب البريطاني، شعورهم بعلاقتهم الطيّبة مع البريطانيين. فان عدداً من اليزيديين والاشوريين قد تطوع في الفرقة «Levies ليفي» التي شوّهت سمعتهم في اعين القوميين العرب.

ولكن منظور الحكومة العراقية، ولا سيّما إرادتها في ان تجعل من الجيش العراقي البوتقة لوحدة الدولة المطلوب بناؤها، كان على طرفي نقيض لهذا التصّور «التعدّدي» لهيئات الدولة الكبرى، وبقصد فتح الطريق لسياسة أكثر شدّة استبدلت قائمقام بلد سنجار، الذي كان مسيحياً دائماً، حتّى في أيام العثمانيين. بمسلم. فكان من شأن هذا الاجراء، الذي نُظر اليه بانه اثارة تحد، اطلاق أول تمرّد قبلي مسلّح في تشرين الأول/ 1935/ تقوده قبيلة «الميهيركان» بزعامة «داوود داوود»، قمعه الجيش العراقي بقوّة وقسوه. فأحرقت معظم قرى قبيلة ميهيركان، وعُقدت المحاكم العسكرية لاسابيع عدّة، وأصدرت أحكاماً في أكثر من 400 قضية. واعدم الجنرال بكر صدقي، القائد الذي كان يدير العمليات تسعة منهم، ولقي مسيحيان من اعيان الموصل نفس المصير بتهمة التواطؤ، مع زعيم الميهركان، داوود داوود. كما صدرت احكام بالسجن، تتراوح بين العشر سنوات والمؤبّد على 300 شخص. وابعد الذين لم يستطيعوا عبور الحدود إلى سوريا إلى جنوب العراق.

وبدلاً من ان يهدأ النزاع فانه باعلان اقطاع جزء كبير من سنجار للشيخ العربي «عجيل الياور» شيخ قبيلة شمّر، اشتعل من جديد، كما فاقمه مشروع التوطين في الجبل لعناصر مسلمة عربية، مثيراً هذه المرّة تمرّد الاغاوات، الذين ظلّوا مخلصين للحكومة. وتحصّلت أزمة ثانية اشدّ حدّة من الأولى، كانت تتهيأ وتهدّد لانتفاضة هذه المرة بان تكون شاملة. في حين صحت بغداد مؤقتاً لتجنب الاخفاق، فارجأت السوقة اليزيدية.

وبقيت الادارة والاحكام العرفية معلنة في منطقة الحركات العسكرية في سنجار من

12 تشرين الأول/ 1935/ إلى 14 تشرين الثاني من السنة نفسها. فلما هدأت الاحوال، وعادت الامور إلى مجاريها الطبيعية، استصدرت الحكومة ارادات ملكية منفردة بإعفاء المحكومين عما تبقّى من مدد محكوميتهم، والسماح للمبعدين عن مناطق اقامتهم بالعودة اليها. وأثناء صيف/ 1936/ ، كان على اليزيديين الذين اخذوا بالتسليم تدريجياً، ان يقبلوا بتقديم أول حصّة (كوتا) من شبابهم للخدمة العسكرية.

وقد قلب افول نجم قبيلة الميهيركان، التجمع الأهم والأشد بأساً في الحرب، توازن القوى في سنجار، واضطر الباقون من هذه القبيلة إلى التفرّق واللجوء إلى كنف القبائل اليزيدية الأخرى. وفيما بعد، تمسّكت السلطات العراقية بفكفكة القبائل الباقية في مكانها. باعتقال رؤسائها خاصة، فآل هذا المناخ من اختلال الأمن بقبائل الغرب وبسكّان بلد سنجار والجوار المعرّضين كثيراً إلى الهجرة باتجاه الشمال، وبعيداً إلى الغرب في شمال سورية، محدثين بذلك تفرّقات جديدة.

وكان من شأن ثورة/ 1935/ ، أن تكون آخر العصيانات الكبرى، التي قامت بها اليزيدية. كما كان من شأنها أيضاً ان أصبحت هذه الطائفة أكثر تفرّقاً من أن تواجه وحدها القوى الحكومية.

أما في سورية فقد وقف اغاوات «عرشا كيبار» إلى جانب الانتداب الفرنسي، فجنّدوا شباباً من الموالين للتعاون مع الجيوش الفرنسية، آملين بذلك الافلات من السيطرة المسلمة المحافظة، أو ادامة، وتأييد انعزالهم، بل وربما تعديل علاقات القوى في منطقتهم.

وفي الحقيقة أن يزيدي سوريا، لا يحتفظون بذكرى اية مذبحة من نمط تلك المذابح التاريخية، التي كان يقع ضحيتها اخوانهم الآخرون في الدين من جبل سنجار. ولكن لأنهم لم يعرفوا القمع العسكري، فانهم لم يكونوا أقل معاناة لشكل آخر من القمع أشد مكراً، اقتصادي واجتماعي في آن واحدى. فعلى الصعيد الاقتصادي، حتّى اعيان اليزيديين ولا سيّما في السهل حيث يُعكف على زراعة الحبوب والسمسم والقطن، ظلّوا زمناً طويلاً فقراء ومستغلَين من السّنة في المدن، الذين يملكون أخصب أرض القرى، التي لم يكونوا سوى فلاحين فيها. وهكذا لم يعد في وسع الطائفة اليزيدية وقد تحوّلت إلى بروليتاريا، أن تأمل في القيام بدور سياسي.

وبخلاف أعضاء جماعة سنجار العراقي، الذين قدروا بإنعزالهم النسبي عن العالم الخارجي على المحافظة على تقوقع ما. فإن يزيدي سورية قد إمتزجوا منذ زمن طويل في جمهور السكان وتفرّقوا. والجماعة التي إحتفظت بشيء هي جماعة جبل سمعان، الأبعد

كثيراً عن حالة البداوة من أخوانهم العراقيين، وبالتالي الأقل منهم إستعداداً للحرب، والأكثر منهم تعرّضاً للإستسلام. كانوا في الماضي، ولو أنهم لم يعانوا المذابح، أكثر عرضة للإذلال المتكرّر. وخشية الإزعاجات، توجّب عليهم منذ زمن طويل، التخلّي عن كل مظهر خارجي للشعائر الدينية. وقد أخذت هذه الطائفة هنا تفقد تجمّعها بتأثير الهجرة نحو المدن، ومنذ زمن البعد بالتحوّل إلى الإسلام السنّي، يسهّله كون مبادئ الدين لدى هذه الطائفة أصبحت حرفاً ميتاً في نفوس معظم أتباعها، ولم يبق إلاّ طبقة المشايخ مستمرة في معرفة تقاليد الدين اليزيدي وممارسته. ولكنها بذلك، تشكّل حقيقة إستثناء. إلى جانب أن الزيجات المختلفة قادت كذلك إلى أعداد كبيرة من الإرتداد عن الطائفة[1].

وفي أرمينيا، حافظ اليزيديون على هيكلهم القبلي ونمط حياتهم الرعوية. ولكن مرسوم إستملاك الأراضي الذي أعلن 1920، عزّز صلاحيات موظّفي الحكومة الذين شجعوا بدورهم اليزيديين على الاستقرار في القرى، ومنحوهم حقوقاً في تملّك الأراضي ضد إجحاف زعماء القبائل. وحرم الكثير من زعماء القبائل من موقعهم. وعبر كل سنوات ما قبل الحرب وأثناءها، أفلح اليزيديون في الإبقاء على ديانتهم حية، وذلك من سبعة قوّالين، كانوا أتوا إلى ما وراء القوقاز برفقة سنجق موسكو سنة 1914. وعندما أقفلت الحرب الحدود العثمانية، انتشروا بين الطوائف اليزيدية في مقاطعات «تفليس، ويريڤان، والكسندرو بول، وباكو، وباطوم» وإلتجأ رئيسهم القوّال «حسين» ومعه السنجق إلى قرية في مقاطعة «الكسندرو بول».

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، بعث القوّالون عدداً من الرسائل والبرقيات إلى الأمير «سعيد بك» لكنهم لم يحصلوا على جواب، فإنتهوا إلى الاعتقاد بأنه بإستثناء ما وراء القوقاز، فإن الطائفة اليزيدية قد أبيدت بكاملها في الحرب.

---

(1) لورانت شابري – آني شابري. سياسة وأقلّيات الفصل الرابع. اليزيديون وعبدة الشيطان ص 138 - 144.
- عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 144 - 148.
- جون. س. كيست. تاريخ الإيزيديين. الفصل الثاني عشر. عهد ميان خاتون ص 386 وما بعد.
- تقرير هيئة أركان القوات البريطانية في العراق حول «ميسو بوتاميا» المنطقة رقم (1) شمال الجزيرة ص 141 - 142 سنة 1922.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 512 - 514.
- كونل: الإيزيدية في التاريخ. أصول الأيزيدية وتاريخهم الديني والسياسي والإجتماعي ص 164.
- روجر ليسكوت: تحقيق حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار. مذكرات المعهد الفرنسي في دمشق جـ 4 سنة 1938.

وبعد أن أخذ الشيوعيون بزمام الحكم، بدأ القوّالون يدركون بأن السلطات السوفياتية كانت تمنع رسائلهم من الخروج من البلاد ووصولها مقصدها. ولم يفلحوا حتّى 1926 في إيصال صوتهم إلى «باعذري» ليبيّنوا أنهم لا زالوا على قيد الحياة. وفي سنة 1926. توجّه قوّالان آخران لإعادة الباقين، وإسترجاع السناجق، لكنهما إختفيا دون أثر. وأخيراً، وصلت باعذري رسالة من القوّال «حسين» مفادها، أن خمسة من مجموعة سنة 1914. واثنين من مجموعة 1927، لا زالوا على قيد الحياة، لكنهم غير قادرين على مغادرة الإتحاد السوفياتي. فطلبت الزعيمة اليزيدية «ميان خاتون» وابنها مساعدة القوات البريطانية. لكن بريطانيا كانت قد قطعت العلاقات الدبلوماسية مع الإتحاد السوفياتي، فأحيل الطلب إلى السفارة النروجية، التي كانت تدير المصالح البريطانية هناك في ذلك الوقت. وقد إستطاعت الحصول على الإذن للقوالين بمغادرة البلاد برفقة سنجق موسكو. فسافروا عن طريق البحر إلى لندن، ووصلوا إلى العراق في سنة 1929 بعد غياب دام «خمسة عشر عاماً» وبعد قطع مسافة «11» ألف كلم.

وقد تأسّست المزرعة التعاونية اليزيدية الأولى في أرمينيا سنة 1928، على الضد من بقية أرمينيا والإتحاد السوفياتي ككل لكن التغيير كان بطيئاً حتّى سنة 1940 حيث تحوّل كل الفلاحين في هذه المنطقة إلى أعضاء في المزارع التعاونية. كما أن اليزيديين، إبتداءً من سنة 1930، بدأوا يخسرون موقعهم كمجموعة عرقية مميزة، وعوملوا كبقية الكرد، وألغيت ضريبة العشر الدينية، وعانى الشيوخ والبيرة الكثير من الصعاب، وإختفت طبقة الفقراء.

وقد تحقّق في هذه الأثناء حلم الزعيم اليزيدي «إسماعيل بك» في فتح المدارس لليزيديين في ما وراء القوقاز، وكان لا يزال على قيد الحياة حينما حلّت السلطات الشيوعية في «يريفان» محل الكنيسة الأرمنية. ولتسهيل التعليم غيرت الألفباء الكردية من العربية إلى الحروف اللاتينية سنة 1928، ثم إلى الكيريكية سنة 1945.

وفي جيورجيا حيث كان اليزيديون يشكلون أقلّية داخل أقلّية، تمكّنوا من الحفاظ على مكانتهم على هوامش طبقة البروليتاريا في «تفليس». وفي أيلول سنة 1934، زار الباحث الأميركي في علم الإنسان «هنري فيلدزار» تفليس، وتمكّن من إجراء أبحاثه على واحد وخمسين يزدياً، يتذكر زعيمهم رؤية سنجق موسكو، وهو في طريقه إلى لالش سنة 1928.

ولمّا إحتلّت ألمانيا القسم الأكبر من الإتحاد السوفياتي في حزيران سنة 1941، ووصلت جيوشها إلى أقصى شمال القوقاز، أنخدعت بعض المجموعات العرقية بوهم إنهيار الإتحاد

السوفياتي، وإحتلال تدخّل تركيا، لكن اليزيديين بقوا على ولائهم لحماتهم الأرمن.

وبعد إنسحاب الألمان من الإتحاد السوفياتي 1942 - 1943، أعاد الجيش الأحمر السيطرة على الإتحاد السوفياتي بكامله. وحينما انتقلت جبهة المعارك إلى الغرب، بقيت ما وراء القوقاز موضعاً خلفياً في الصراع، إلى أن تحقّقت هزيمة ألمانيا الحاسمة 1945.

كان قد حقق إثنان من اليزيديين ما يميزهم خلال السنوات الخمس والعشرين الأولى من الحكم السوفياتي ما وراء القوقاز هما:

1 - عرب شاميلون، الذي كان إنضم إلى الحزب الشيوعي سنة 1917، وعمل مترجماً لدى الجيش الروسي أثناء الحرب العالمية الأولى. وأصبح لسنوات عديدة اليزيدي الأوحد في الحزب الشيوعي. وخلال السنوات القصيرة لإستقلال أرمينيا، خدم شاميلون في الجيش الأحمر في شمال القوقاز. وقد أناط به الشيوعيون الأرمن دمج اليزيديين في المجتمع السوفياتي.

2 - سامند عليفيج سيابندوف، الذي ولد في قرية «بتي أفو ما كاروفيتج» من منطقة قارص، وبعد الدراسة في «لينينغراد» أصبح ممثلاً لمقاطعته في برلمان يريڤان. وخلال الحرب العالمية الثانية، خدم في الجيش الأحمر بصفة مفوّض سياسي، وميّز نفسه في العمل، وفي مناسبات عديدة، من الدفاع عن موسكو سنة 1941، إلى المعارك التي نشبت في شرق بروسيا في ربيع سنة 1945، وعاد إلى الحياة المدنية بارمينيا، برتبة مقدّم. وحصل على لقب بطل الإتحاد السوفياتي.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين، حيث بدأ الإنحدار البطيء نحو الهاوية في الإتحاد السوفياتي، ليصل إلى السقوط المفاجيء في أواخر الثمانينيات، كان اليزيديون قد تمكنوا من التقدّم الإجتماعي والإقتصادي والثقافي أبعد بكثير من أحلام «إسماعيل بك».

وفي أرمينيا، الهيكل التقليدي القبائلي للمجتمع اليزيدي، تحوّل فيه اليزيديون تدريجياً إلى طائفة مندمجة وموحّدة، من الشيوخ والبيرة والمريدين. وإستمرت السلطات في تصنيفهم ككرد حتّى 1989، ولكن منذ ذلك الوقت غادر العديد من الكرد المسلمين أرمينيا، نتيجة الخلاف على مقاطعة «كراباخ» والخلاف مع آذربيجان في حين بقي اليزيديون، وعادوا يُعرفون مرّة كمجموعة قومية.

وكان اليزيديون قد استفادوا من التسامح الديني في السنوات الأخيرة للحكم السوفياتي، فاعتمدوا على التقاليد الدينية المنقولة شفاهاً، واستمروا في ممارسة شعائرهم الدينية في بيوتهم. وفي غياب الإتصال مع لالش، مثّل الشيوخ الطبقات الثلاث، بينما

حافظ البيرة على وحدة العقيدة.

وفي 1977، قام «بايزيد بك» ابن إسماعيل بك بزيارة الطائفة اليزيدية في ما وراء القوقاز، بعد سبعين سنة من جولة والده، وخمسين سنة بعد أن غادر آخر قوّال الإتحاد السوفياتي. وقد أجرت السلطات السوفياتية ترتيبات خاصّة للمطران الأرمني «فاسجين» لإستقبال الأمير اليزيدي، والترحيب به في كاتدرائية «أجمادزين».

وفي نهاية سنة 1980، وخلال إرتخاء الحكم في الإتحاد السوفياتي، تمكّنت الطائفة اليزيدية من إختيار وفد يمثلها لدى السلطة التشريعية الأرمنية. وفي أيام إحتضار الإتحاد السوفياتي، حقّق اليزيديون الإعتراف بهم كأقلّية قومية. وتسعى الزعامة اليزيدية في هذا البلد لتعزيز موقعها القومي، الذي تمّ الحصول عليه مؤخّراً. وذلك بالإبتعاد عن الكرد المسلمين والتأكيد على إرتباطهم بالأرمن المسيحيين. وعلى بعث الطائفة اليزيدية إلى الحياة من جديد. لكن مصائرهم في الجمهوريات السوفياتية السابقة في ما وراء القوقاز غير مضمونة، حتّى في ألمانيا ملجأ وجنّة العديد من اليزيديين القادمين من تركيا. فهناك علائم لا تبشّر بالخير في ما يتعلّق بعدم التسامح، بدأت بالظهور حديثاً.

واليوم لا يزال اليزيديون يواجهون التمييز في العديد من المناطق والبلدان، وإن التعليم عرّفهم إلى كثير من أخطار المجتمع العلماني المعاصر. بينما يلجون قرناً جديداً في تاريخهم[1].

---

(1) جون. س. كيست. تاريخ اليزيديين الفصل الثالث عشر. اليزيديون في ما وراء القوقاز ص 412 وما بعد...
- كافكازي كالندر: الأعداد 68 - 72 سنة 1913.
- شاتوين: كرد أرمينيا السوفياتية. ص 30.
- سيركي أفاناسيان: إنتصار سرادار أباد.
- ريجار هوفانيسيان. جمهورية أرمينيا جـ 1 ص 449 و475 جـ 2 ص 17.
- تقرير لازفيريق: الممثل السوفياتي في باطوم عن جيش أرمينيا. 25 تشرين الأول 1920.
- شيرين أكينار: المسلمون في الإتحاد السوفياتي ص 208/ 215.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 310 - 314.
- هنري فيلد. إيزيدية العراق ص 13.
- عبد الرزاق الحسني اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 142 - 148.
- إدموندز. حجّة إلى لالش ص 54.
- الأمير معاوية بن إسماعيل اليزيدي. حدثنا زرادشت ص 29 - 95 - 97.

الفصل الحادي والعشرون

الحياة الإقتصادية

في النظر إلى العوامل الإقتصادية، التي تؤثّر إلى حدّ ما في نمط حياة اليزيديين، نجد أن ليست هناك مصادر مختصّة، أودراسات معيّنة، تناولت النشاط الإقتصادي والموارد في المناطق اليزيدية. ويمكن تقسيم النشاطات الإقتصادية القائمة في مناطق اليزيديين إلى ثلاثة أقسام.

1 - منطقة سنجار: إن النشاط الإقتصادي الرئيسي في هذه المنطقة، هو الزراعة وتربية الماشية. فإن السكان هنا يتكلون على زراعة الأشجار المثمرة من مختلف الأنواع. وهذا يعود إلى كثرة المياه والينابيع وغزارتها في هذه المنطقة، ثم إلى المناخ الملائم لمختلف المزروعات والنباتات. وقد وصف الرحّالة العرب والأجانب على السواء أرض سنجار بحكم موقعها الجغرافي، بالخصوبة وملاءمتها لزراعة مختلف أنواع الفاكهة، «سيّما أنها غنية بالعيون والينابيع، تكتنفها بساتين كثيرة وقطع مزروعة كبيرة، وهي مكلله بالأشجار المختلفة من السنديان والبطم، إضافة إلى أشجار التين والزيتون، واللوز والحبّة الخضراء».

وفي تقارير ولاية الموصل العثمانية تذكر: «أن هواءه في غاية اللطافة، وأراضيه خصيبة كثيرة الإنبات. وما ساعد على ذلك هو وفرة الينابيع وكثرة «الكهاريز» فيها، وإلى وجود 400 عين ماء. وذكرت أسماء بعض هذه العيون والينابيع. لذلك، فإن المحاصيل كانت وفيرة، وبخاصّة، أن الأرض في الكثير من الحالات، لم تكن بحاجة إلى سقاية إصطناعية. وجاء في هذه التقارير عن وجود 2300 بستان، و22821 مزرعة، و «مرعى، 26 مطحنة». ويشير قاموس الإعلام لشمس الدين سامي إلى أهم المحاصيل الزراعية هناك وهي الحنطة، والشعير، والعدس، والحمّص، والسمسم، والرز، والماش والذرة، والقطن، ومن الفواكه: العنب والتوت، والتفاح، والرمان، والجوز، والإجاص، والخوخ، والمشمش[1]. بالإضافة إلى الاشجار الحرجية على مختلف أنواعها».

---

(1) شمس الدين سامي. قاموس الإعلام المجلّد الثاني - إستانبول 1706 هـ.
- سالنامة ولاية الموصل ص 222. سنة 1330 هـ. 1308 هـ، ص 121 - 131.
- محمود القزويني. أثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر ص 393، بيروت 1960.
- ياقوت الحموي. معجم البلدان. المجلّد الثالث ص 216 - 262. دار صادر بيروت.

أما التين فيعتبر من أبرز المنتوجات في هذه المنطقة، ويتميّز بالجودة وكثرة الحلاوة. ومن القرى المشهورة بزراعة التين: «بردهلي، راشد، وكرس». ويذكر حسن ويس يعقوب عن الرحالة طالب خان قوله: «وفي هضاب سنجار تين فائق الجودة... والإجاص فيها كثير جدّاً، ولم أرَ إجاصاً يساويه في كبر الحجم ولذّة الطعم»[1]. وقد أشار الرحّالة التركي أوليا جلبي: «إن خبزهم هو من حبوب الذرة البيضاء».

أما تربية الماشية فتعتبر ركناً إقتصادياً أساساً في حياة اليزيديين السنجاريين. وخاصة الأغنام والأبقار، والجمال، والخيول والبغال، والحمير وغيرها من الحيوانات... ويذكر تقرير ولاية الموصل: إن أغنام سنجار كانت مشهورة بأنها تلد مرتين في أكثر السنوات[2]. وكانت عشائر «الخركان، والسموقة، والهسكان»، يهتمّون بتربية الماشية. وكانت أغلب هذه العشائر ترحل بأغنامها الكثيرة في موسم الشتاء والربيع إلى أراضي الجزيرة الفراتية، وذلك للرعي[3].

2 - **منطقة الشيخان**: يتمثّل نشاط يزيدية هذه المنطقة بالزراعة وتربية الحيوان أيضاً. وتذكر جرترود بل: «إن هؤلاء يحترفون الزراعة بالكليّة». كما يذكر الرحالة بكنغهام: «إن يزيدية الشيخان يستقرّون في قرى وبلدات، ويمارسون الزراعة»[4]. ويذكر الكثير من الرحالة: أن حياتهم الإقتصادية بسيطة، وأنهم يمتهنون الزراعة، فيزرعون التبغ، والقطن، والأعناب، والحنطة، والشعير، والذرة، والحمص، والعدس، وأنهم لا يعنون بغرس الأشجار. في حين يذكر الأب أنستاس الكرملي، بأن الحياة الإقتصادية في القرى اليزيدية بالشيخان: «أنها تشتمل على بيوت لا يتجاوز عددها الـ60 بيتاً، وفيها المزارع والبساتين، التي تكثر فيها أنواع الفواكه»[5].

كما يذكر تقرير ولاية الموصل **1907**: «بأن قرى اليزيدية في الشيخان ولاسيّما بعشيقة، وبحزاني، وعين سفني، وباعذري، وبيرستك وشيخ عادي، مشهورة بزراعة التين، والليمون، والحمضيات، والفواكه الصيفية. كما أن بعشيقة وبحزاني هي إحدى

---

(1) حسن ويس يعقوب. ص 99 - 102.
(2) سالنامة ولاية الموصل. ص 309 - 1308 هـ، وص 424 سنة 1310.
(3) صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 226 - 227.
(4) بكنغهام. جـ2. ص 18.
(5) الأب أنستاس الكرملي: اليزيدية. ورقة 51 - 52.

أهم القرى في إنتاج الزيتون وزراعته في ولاية الموصل، وإن زراعة الزيتون تكتسب أهمّية خاصّة لدى يزيدية الشيخان نظراً لاستخدام زيته في بعض الشعائر الدينية، ويزرع أيضاً في سهول الشيخان، الحنطة والشعير، والعدس والذرة»[1].

ويذكر روجيه ليسكو: «أن اليزيديين بستانيون أكثر منهم مزارعين. فكل قبيلة تملك بساتين تزرعها. وأن هذا التفضيل للبستنة يفسّر بسهولة، فمن أجل حصد زروع الحبوب، يجب النزول إلى السهل، والبذور المزروعة بالبذر تبقى تحت رحمة أول غزوة معادية. أما البساتين فهي على عكس الحقول، يمكن لها أن تختفي في ثنايا الجبل، وتصبح أقل ظهوراً بشكل عام، وتبعد البساتين قليلاً عن القرى. ولكل عائلة قطعة صغيرة خاصّة بها، إضافةً إلى كوخ يمكن النوم فيه عندما يقتضي الأمر ذلك، أو عندما تكون هناك حاجة إلى مطاردة المغيرين بقصد السلب»[2].

وتكثر في منطقة الشيخان تربية الماشية، وان هناك عشائر، ليست لها مهنة الاّ تربية الماشية، كالغنم، والماعز، والبقر، والجاموس، والإنتفاع بلبنها أو صوفها، إضافةً إلى الكدش والحمير والبغال، وأن هذه العشائر كانت تلجأ في فصل الصيف إلى المناطق الجبلية، مصطحبة معها خيامها المؤلّفة من الشعر والوبر بأشكاله المختلفة. ومن أهم عشائر الشيخان المشهورة بتربية الماشية عشيرة «الهويري»[3].

إن أهم منتوجاتهم كانت من الزراعة وتربية الحيوانات وهي العفص، والسمن، والجبن، والصوف، والجلود، وبعض المنسوجات الحرفية الصوفية. ويذكر الرحالة الروسي «بريزين»: «إن نساءهم كانت تحيك الكتان، وتبعن ما ينتج منه، من أقمشة في أسواق المدينة، وكانت المقايضة في أغلب الأحيان سيّدة الموقف»[4].

وإن جماعات أخرى من اليزيديين، كانوا يستغلّون مواقع قراهم الواقعة على نهر الزاب الكبير، في العمل على مساعدة القوافل التجارية في عبور بضاعتها بين جانبي النهر

(1) سالنامة ولاية الموصل: ص 102 - 104 سنة 1907م 1325 هـ.

(2) روجيه ليسكو: اليزيدية في سورية وجبل سنجار. الفصل الثالث. الحياة المادية ص 159.

(3) الأب أنستاس الكرملي. اليزيدية. ورقة 48.
- شاكر خاصباك. ص 187.

(4) بريزين ص 107.
- عبد الرحمن بدران ص 520.

بواسطة مراكب صغيرة صنعوها محلياً، وتسمّى الأكلاك[1]. ويذكر الرحالة الألماني نيبور: «أن العثمانيين وبقيّة المسلمين والنصارى واليهود أصحاب القوافل، مجبرون على إئتمان هؤلاء اليزيديين على أرواحهم وبضاعتهم في اجتيازهم الزاب الكبير، وليس من واسطة أخرى غير هذه الواسطة»[2].

ويشير الكثيرون من الرحّالة، إلى أن أهالي قرى الزاب الكبير كانوا يعملون أيضاً في حراسة القوافل التجارية، لا سيّما تلك التي يرافقها الرحّالة الأجانب. أما علاقتهم التجارية مع الخارج فكانت مع المناطق المجاورة، بحيث كانوا يبيعون إنتاجهم المحلّي من التين المجفّف، والزيت والزيتون، والزبيب، والحرير الخام، والقطن إضافة إلى السمون والأجبان والألبان، والمواشي. وكانت أهم أسواقهم ماردين والموصل، وبغداد، رغم المضايقات التي كانوا يلقونها من عامة أهل المدن. كما تذكر المصادر المختلفة أن اليزيديين كانوا أحياناً يمارسون الأعمال المخلّة بالعلاقات الإقتصادية الخارجية، من بينها: عمليات السلب والنهب والسطو، وقطع الطرق. ويذكر إسماعيل جول: أن الإغارة والغزو كانت عادة عشائرية في منطقة جبل سنجار، تنتج من جرّاء الصراع بين العشائر. يضاف إلى ذلك موقع سنجار المتقاطع مع الطرق التجارية آنذاك. بحيث كانت تشهد جميع الطرق التجارية هناك حوادث السلب والنهب. وممّا ساعد على ذلك، كثرة الحروب والغارات والإبادة، التي مارستها الدولة العثمانية على اليزيديين، والتي حوّلت الارياف إلى مساحات شاسعة من الفقر واليبوسة، وهجر الأراضي. حيث فقد أصحاب هذه القرى كل ما يساعدهم على العيش.

لكن اليزيديين ليسوا الوحيدين الذين مارسوا السلب والنهب وقطع الطرقات في تلك المنطقة، فقد شاركهم أيضاً في هذه العمليات القبائل العربية والكردية المسلمة، وتركمان تلعفر.

ويذكر الرحّالة أبي طالب خان، إن سيرة اليزيديين في جبل سنجار ليست سيّئة بالشكل الذي يقال عنهم في الآستانة، وأنهم لا يسلبون الا القوافل التي تهمل أداء الأتاوات. وأن الأتاوة هي مقابل حراستهم للقافلة حتّى تجتاز مناطقهم بسلام. وان

---

(1) الأكلاك جمع كلك. والكلك يتكوّن من 32 قربة أو ضرفاً منفوخاً من جلد الشاة توضع فوق بعضها بالطول وبالعرض. وكلها مرتبطة بحبل واحد، تحمل فوقها قطعة من الخشب.

(2) رحلة نيبور ص 93 - 94.

سلب القوافل لم تكن مهنتهم الرئيسية كما ادعى بعض الرحالة[1].

أما بالنسبة للصناعة، فليس لليزيديين صنائع يمتازون بها، ولا عهد لهم بالبيع والشراء، أو بالتجارة بشكل عام، لانهم يعلمون أن مثل هذه الأعمال تدفع المرء منهم إلى الغش والكذب والمكر. وهم يخشون عمليات التجارة بأجمعها، حتّى لا يسمعون الكلام النابي، والسب واللعن. ومؤدّى ذلك كلّه إلى طاووس ملك. وهم إذا سمعوا من أحدهم إهانة وجّهة إلى طاووس ملك، هدروا دمه. ولهذا فإنهم يرتزقون بالزراعة وتربية الماشية. وهذه هي حرفتهم الأساسية. لكن اليوم تغيّر كل شيء، وأصبحوا يتعاطون التجارة والصناعة والبيع والشراء في المتاجر.

أزياء اليزيديين ولباسهم

لا يرتدي اليزيديون ألبسة زرقاء، فهي محرّمة في طقوسهم وعاداتهم. ويعتقدون أن البياض لباس أهل الجنّة، فلا يرتضون عنه بديلاً. فألبستهم بيضاء ذات أزرار جانبية، إلى جانب الرقبة، بمعنى أنّه لا يجوز أن تكون ألبستهم مفتوحة الصدر. ويلبسون كذلك السراويل القطنية المحاكة محلياً، وحزاماً من الصوف. وهذا لبس العامة. أمّا رجال الدين فغالباً ما يرتدون اللون الأسود، والفقراء يرتدون القمصان والسراويل وفوقها قطعة من الصوف الأسود المحاك محلياً، ويدعونها «خرقة الفقير». وهذه الخرقة مقدّسة، ولا

(1) عدنان زيّان فرحان. الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان وجبل سنجار ص 157 - 158.
- جليلي جليل. من تاريخ الإمارات ص 30.
- حسن ويس يعقوب. ص 99 - 104.
- أبو طالب خان. ص 354.
- ياسين العمري. غرائب الأثر ص 37.
- جرترود بل ص 159.
- شاكر خصباك. العراق الشمالي ص 187. مطبعة شفيق. بغداد 1987.
- كلوديدس جيمس ريج. رحلة ريج في العراق 1820. ترجمة بهاء الدين نور جـ 1 ص 248 سنة 1951.
- عماد عبد السلام رؤوف. الموصل في العهد العثماني ص 176 - 180.
- صدّيق الدملوجي. اليزيدية ص 179 - 180.
- عباس العزاوي: تاريخ العراق جـ 6 ص 28 وما بعد.
- عبد الرزاق الحسني: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 134.
- إبراهيم خليل. أوضاع الموصل الإقتصادية من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن العشرين مجلّة آداب الرافدين عـ 7 ص 220. الموصل 1970.
- علي خليل مراد. تجارة الموصل. موسوعة الموصل الحضارية المجلّد 4 ص 270.

يجوز للمرء منهم أن يقسم بها بهتاناً وزوراً. كما لا يجوز أن تؤخذ منه الخرقة حتّى يموت، أو ليلبسوه غيرها إذا اهترأت. أما غطاء رأس الرجل، فهو الكوفية «اليشماغ»[1] الأحمر والعقال، أو الكوفية الحمراء وحدها ملفوفة على الطريقة البغدادية ويسمّونها «جرّاوية».

أما لباس النساء، فعمّة بيضاء أو سوداء، والسوداء تسمّى «بوشي» ومعناها بالكردية غطاء رأس المرأة الملفوف، من الفارسية «بوشيدن» بمعنى الإرتداء والتغطية. ويلبسن سراويل طويلة تحت الدناداشة (الدشداشة)، وتكون من القطن الأبيض المحاك محلياً. وإذا رُئيت المرأة منهم قد خلعت سراويلها البيضاء دلّ ذلك على أنها عافت الديانة اليزيدية أو ليست منهم. ثم تلبس ملحفة «المئزر» فترسل الطرف الواحد منها تحت الإبط الأيسر، ويترك الجانب الأيمن من المرأة من فوق إلى تحت غير محجوب. والفقيرات من النساء يمشين حافيات. أما الغنيات فيلبسن «الأجداك»[2].

أما نساء الأمير فيرتدين ما يحلو لهن من الملابس، الحرير والسندس وغيرها... وأن اللون الأزرق محرّم على النساء أيضاً. لكنّ اليوم تغيّر كل شيء. فقد نجد من يرتدي منهم اللون الأزرق، ومن يفتح قميصه على صدره. وهذا ليس دليلاً على أن رجال الدين تسامحوا معهم، بل على أن بعضهم أخذ يتحرّر من تقاليده أو أنه يجهلها. وإن الفئة المتعلّمة منهم تخطت أمثال هذه العادات والتقاليد، التي ليست أساساً في معتقداتهم.

وقد وصف مارك سايكس[3] أثناء مروره في أطراف جبل سنجار 1906 ملابس اليزيديين على الشكل التالي:

«ملابسهم غاية في الغرابة، فعلى الرأس قبعة طويلة مخروطية بنّية الشكل، وملفوف عليها عمامة سوداء أو حمراء، وأجسادهم ملفعة بقمصان بيضاء، مربّعة الشكل عند الرقبة، وعباءة بنّية قصيرة، وأحذية مدبّبة ملفوفة تكمّل الزيّ. عندما شاهدت هذه الأشكال الغريبة حولي بدا لي وكأنني رجع الزمن بي أربعة آلاف سنة إلى الخلف»[4].

(1) اليشماغ كلمة تركية الأصل، وهو غطاء الراس للنساء أصلاً.

(2) الأجداك مفردها جدك. وهي جزمة نسائية مع بابوج فوق الجزمة. ومعنى جدك الخف الداخلي.

(3) مارك سايكس بريطاني كان يعمل أنذاك ملحق شرف في السفارة البريطانية في الآستانة ملحق شرف في طريق القوافل من حلب إلى الموصل، حيث كان المهندسون الألمان يعملون في مدّ سكة الحديد إلى بغداد.

(4) عبد الرزاق الحسني اليزيديون في حاضرهم وماضيهم ص 126 - 127.
- د. محمد التونجي. اليزيديون ص 98 - 100.
- سهيل قاشا: اليزيدية ص 328.
- روجيه ليسكو: اليزيدية في سورية وجبل سنجار. ص 160 - 161.

مآكل اليزيديين

لا يختلف طعام اليزيدي عن طعام جاره في المنطقة، فالكل في الهواء سواء. لكن اليزيدي يكثر من أكل الجبن والبصل[1]. كما أنّه يأكل «الكشك»[2] في الشتاء بكثرة. ويفضل خبز الشعير على خبز القمح كما أنّه أيضاً يأكل خبز الذرة البيضاء أو «الدخن» إمعاناً منه في التقشّف، وإنكار الذات. كما يمتنع عن أكل الخس، والملفوف، والقرنبيط لأنها تسمّد بعذرة الإنسان. أما اللحم فلا يأكله الا نادراً، الا إذا حلّ السنجق في الديرة أو المنطقة التي هو فيها، حيث تنحر الخراف دون حساب، وتقام الولائم إكراماً لطاووس ملك.

أما في القرى والأرياف، فالزهد والتقشّف هما أهم ميزة تلاحظ في غذاء اليزيدي، حتّى أنّه يجمع سمن أبقاره وأغنامه فيبيعه ولا يستعمله لنفسه. أما لحم الخنزير فحرّم تحريماً مطلقاً، وهم لا يأكلون السمك، إحتراماً ليونان النبي، ولا الغزال غنم أحد أنبيائهم. ويحرّم على الشيوخ وتلامذتهم أكل الديك، إحتراماً لطاووس ملك.

ويشرب اليزيديون الكحول، ولا سيّما العرق، وسائر المشروبات الروحية بإفراط، إذ لا تتم أعراسهم وأفراحهم وطوافاتهم بغير المشروب[3].

التقويم

إستخدم اليزيديون في تقويمهم الحسابات البدائية، كالظل، أو شروق الشمس وغروبها، كما استخدموا التقويم الشرقي الشمسي، والحساب القمري، واستفادوا من النجوم. وهم ما زالوا إلى عهد قريب، يؤرّخون لحوادث بارزة وأحداث تاريخية مهمّة. واليوم عندهم يبتدئ بالغروب وينتهي به.

---

(1) للبصل والجبن قيمة كبرى عند اليزيديين. وذلك أنهم يحملون معهم البصل والجبن ويتخذونهم غذاءهم.

(2) الكشك في الهلال والخصيب نوعان. الأول: يصنع بمزج اللبن الحامض مع البرغل. ثم يجفف ويطحن ويطبخ. والثاني يصنع من اللبن المجفف. وعند الأكل ينقع في الماء، أو يطحن وينثر في الماء. (المؤلّف).

(3) عبد الرزاق الحسني المرجع السابق ص127 - 128.
- محمد التونجي. المرجع السابق ص 101 - 102.

الأحوال الشخصية لليزيديين في العراق في العهد الملكي

كانت الحكومة العثمانية تعتبر الطوائف اليزيدية كما سبق وذكرنا في فصول سابقة، فرقة من الفرق الإسلامية الضالة، وتطبّق بحقّها أحكام الشريعة الإسلامية. وتنظر إلى أفرادها نظرها إلى بقية المسلمين. لهذا كانت ترفض قبول البدل النقدي عن الخدمة في الجيش. وهو البدل الذي كان يجوّزون أخذه من الطوائف غير المسلمة أي «الذمّية».

ولما تألفت الحكومة الملكية العراقية في 23 آب 1921، وهي التي ورثت حكم العراق من العثمانيين، نهجت منهجاً آخر تجاه الأقلّيات غير المسلمة في العراق، فنصّت المادة 13 من الدستور العراقي على ما يلي:

«الإسلام دين الدولة الرسمي، وحرية القيام بشعائره المألوفة في العراق على اختلاف مذاهبه محترمة لا تمس، وتضمن لجميع ساكني البلاد حرية الاعتقاد التامّة، وحريّة القيام بشعائر العبادة، وفقاً لعاداتهم، ما لم تكن مخلّة بالأمن والنظام، وما لم تناف الأداب العامة».

وبهذا النص الصريح نفت الحكومة العراقية عن الطائفة اليزيدية الإسلام، لأن الطقوس اليزيدية لا تعد مخلّة بأمن الدولة ونظامها، ولا منافية للأداب العامة.

الفصل الثاني والعشرون

الباحثون والمخطوطات المقدّسة اليزيدية

بقيت المخطوطات والكتب اليزيدية ردحاً طويلاً من الزمن، طي الكتمان والخفية، ولم يكشف النقاب عنها بشكل علمي وواضح الا في أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين. ويعود ذلك إلى الملاحقات والاضطهادات والتشتّت الذي طارد اليزيديين أينما كانوا، وأينما حلّوا في الديار العثمانية، ولا سيّما من قبل الإسلام السنّي، الذي كان اشّد قسوةً عليهم من غيره، بحيث اعتبرتهم الدولة العثمانية طائفة إسلامية مارقة على الدين.

هذه الاعمال، جعلتهم ينكمشون على ذاتهم، ويمارسون نوعاً من التقيّة في الدين والعبادات، كسائر الطوائف والأقلّيات الأخرى الملاحقة من قبل الحكومات الإسلامية المتتالية منذ الإنشقاق السنّي الشيعي في الإسلام أيام الخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، والخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان. وقد بقي حال اليزيديين بهذا الشكل، حتّى بداية القرن العشرين وإلى ما بعد الحرب العالمية الأولى. حيث بدأوا بالتقاط أنفسهم وجمع ما تبقّى لهم من مخطوطات ورموز دينية، كان قد تعرّض معظمها للتلف والإندثار على يد الغزاة.

لكن هذا كلّه، لم يمنع بعض الباحثين والمؤرّخين، وبعض رجال الدين المسيحيين وقلّة من قناصل ومعتمدي الدول الأجنبية من البحث في شؤون الطائفة اليزيدية، التي كانت تبدو للبعض منهم غريبة آنذاك، لا سيّما، وقد ألصق باتباعها عبدة الشيطان. ممّا جعل هذا راسخاً في كثير من أفكار وعقول الناس حتّى بدأ ينكشف اللثام عنه وتظهر الحقيقة معاكسة لما اعتقد هؤلاء ورسخ في عقولهم.

في السنة 1880 قام البروفسور «إدوار زاخاو» برحلة إلى العراق، موّلت من الميزانية الشخصية للإمبراطور الألماني، لجمع مجموعات من الكتب المشرقية بلغاتها المختلفة إلى برلين، لمعادلة تلك الموجودة في بريطانيا، وفرنسا. فحصل بواسطة الشمّاس السرياني «إرميا شامير» سنة 1883، على نص عربي لالتماس عام 1872 اليزيدي المقدّم إلى الحكومة العثمانية.

وفي سنة 1882، قام «والس برج» المسؤول في المتحف البريطاني برحلة إلى الموصل،

وهناك التقى ببائع المخطوطات «إرميا شامير». فاشترى منه مخطوطاً متعلقاً باليزيدية مكتوباً باللغة العربية يحتوي على أشمل تاريخ لهذه الطائفة حتّى ذلك الوقت. فإن ستة عشرة صفحة من مجموع 230 صفحة، التي يتألّف منها هذا المخطوط، تخصّ الطائفة اليزيدية. أما بقية الأجزاء فهي عبارة عن نسخ من الكتابات النسطورية والإسلامية.

- **القسم الأول** من هذا المخطوط يحمل عنوان «تاريخ الإيزيديين في الموصل». يصف معتقدات اليزيدية والطقوس والمراسم، وأنظمتهم الخاصة بهم. ويتضمّن نصاً لالتماس 1872. والقسم الثاني يحتوي على نصوص من الكتابين اليزيديين الجلوة، والكتاب الأسود «مصحف رش».
- **القسم الثاني** من هذا المخطوط مكتوب باللغة السريانية، تحت عنوان «مقتطف من تاريخ اليزيديين». ويفيد بأن إستنساخ هذا المخطوط تمّ في الموصل من قبل «كبريا جريا» ابن «جرميا شامير».

وفي آذار سنة 1891، نشرت الموسوعة الأميركية مقالاً حول اليزيديين، من قبل مبشّر الهيئة الأميركية في ماردين. تناول تراجم نصوص حرفية لكتاب الجلوة، والكتاب الأسود.

وفي أيلول سنة 1891، حصلت المكتبة الوطنية في باريس، مقابل 150 فرنكاً فرنسياً على مخطوط مؤلّف من 121 صفحة «BN. Syr. MS. 306». إستنسخت من قبل «عبد العزيز»، وهو يعقوبي من طور عبدين. وقد عاش في القرية اليزيدية «بعشيقة».

- **القسم الأول** من هذا المخطوط يحتوي على مواد تاريخية تتعلّق باليعاقبة.
- **القسم الثاني** يتألّف من وثائق نسطورية مقتطفة من تاريخ البغدادي، ومواد حول اليزيديين. وهذا المخطوط باللغة السريانية.

وعندما غادر «أوزوالد باري» الموصل في تشرين الثاني سنة 1882، إلى ماردين، أخذ معه كتاباً صغيراً يحتوي على ست مواد:

- **المادة الأولى**: هي من قصّة الوزراء العشرة.
- **المادة الثانية**: هي مقتطف من تاريخ اليزيديين، تفيد بانها استنسخت من قبل عبد العزيز سنة 1889.

والجدير ذكره ان هاتين المادتين مكتوبتان باللغة السريانية. في حين كتبت بقية

المواد بالكرشوني.

- **المادة الثالثة**: تتعلق بخرافة القطة التي أواها فار صالح، وعندما استعادت صحتها وقوتها، حاولت أكل مضيفها، لكنها أطلقت سراحه عندما داهمها كلب صيد.

المواد الثلاثة الأخيرة من المخطوط، تشكّل التاريخ اليزيدي، ونصوص كتاب الجلوة ومصحف رش أو الكتاب الأسود.

وفي سنة 1894، إنتهى الكاهن الكاثوليكي السوري «إسحق البرطلي»، الذي عاش لسنوات عديدة في قرية قريبة من بعشيقة، من مخطوط طويل من اليزيديين.

- **القسم الأول**: من هذا المخطوط، هو وصف أصل الشيخ «آدي» وانتقاله إلى لالش، كما يحتوي أيضاً على قصة مفادها، إن الشيخ عبد القادر الكيلاني أتى من بغداد لإزالة الشيخ آدي. لكنه اقتنع فيما بعد بالعودة حينما جاء، نتيجة لحلم رآه.
- **القسم الثاني**: يصف اعتناق الطائفة النسطورية على جبل سنجار للعقيدة اليزيدية.
- **القسم الثالث**: هو في وصف التقاليد اليزيدية، والمراسيم والإحتفالات.

وفي بغداد كانت للكنيسة الكاثوليكية ممثلية على ما يقارب 300 عام. البعثة الأولى أسّست من قبل «كابوجينوس» في سنة 1628، وفي سنة 1721، نقلت تبعيتها إلى الآباء الكرمليين، الذين كانوا يديرون بعثة دينية في البصرة منذ 1622. وكان بعض هؤلاء الآباء يعمل كقناصل للحكومة الفرنسية في بغداد. وقد ركّز الآباء الكرمليون على عملهم التبشيري. وفي أواخر القرن التاسع عشر، أدار ستة رهبان منهم تساعدهم إثنتا عشرة راهبة كلية ومدرستين في بغداد.

ومن الآباء الكرمليين الذين بحثوا في شؤون الطائفة اليزيدية الأب «أنستاس ماري الكرملي». وقد ساعده على ذلك أحد الشبّان اليزيديين، ويدعى «حبيب عبد المسيح» الذي اعتنق الديانة المسيحية على يد الأب أنستاس المذكور. ويروي الأب أنستاس أنه طلب من حبيب عبد المسيح أن يفشي له بكل أسرار الديانة اليزيدية وطقوسها، ووعده بأنه سيحافظ على سرّه هذا طالما بقي حبيب على قيد الحياة. وبعد تنصير حبيب، وإفشائه بأسرار الديانة اليزيدية، بدا الأب أنستاس بنشر سلسلة من المقالات عن اليزيدية في جريدة المشرق البيروتية، والتي كان يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت، متكلاً على ما عرفه من تلميذه حبيب، من أعمال غير منشورة للراهب الكلداني في بغداد

«قرياقوس مهنوت»، وكذلك من المعلومات العامة المتوفرة لدى الناس هناك.

المقالات المنشورة هذه لم تقل الكثير عن الكتب المقدّسة لدى اليزيديين، لكنّه تم التعريف بالكتاب الأسود. وأشار الكاتب بأنّه كان فقط بمقدور قارئ واحد الوصول إليه.

وقد أخبر عبد المسيح الأب أنستاس الكرملي، بأن الكتب المقدّسة اليزيدية كانت قد كتبت بالأصل باللغة الكردية، وأنها منزلة من عند الله إلى اليزيديين في أيام آدم، وتمت ترجمتها إلى العربية للتغطية على الكتب الأصلية من أعين ولمسات الإنسان. وصرّح بأن صديقاً يزيدياً كان قد تعلّم العربية في المدرسة المسيحية بالموصل، استنسخ له من النص العربي الأصلي الذي يملكه مسؤولو الديانة اليزيدية.

وكان عبد المسيح هذا، قد سبق له وأن أفشى بعض المعلومات عن الكتب المقدّسة عند اليزيديين إلى الأب أنستاس الكرملي. وكانت هذه الكتب المخطوطة تحفظ في صندوق من خشب الجوز، مدفون في كهف من جبل سنجار. وأكّد بأن الصندوق مغطّى بمخمل أبيض وسخ مخيّط مع قطع مسطحة من الفضة تمثل الطاووس، والشمس، والقمر ورموزاً أخرى.

وكتاب الجلوة وفقاً لرواية عبد المسيح، كان مكتوباً على قطع رقيقة من جلد الغزال. بينما الكتاب الأسود مدوّن على لفة رقيقة من جلد الغزال أيضاً. ولكن الأب أنستاس لم يخبر أحداً بهذا في أول الأمر. لكنّه ما لبث أن نشر هذه المعلومات في جريدة المشرق المذكورة فيما بعد.

وبحلول بداية القرن العشرين، كانت هناك على الأقل ست مخطوطات موجودة حول الكتب المقدّسة اليزيدية، إثنان منها في المكتبة الوطنية بفرنسا. وكان «إي. ك. براون» قد أعلن نيته في طبع نصوص «باري» لكتاب الجلوة والكتاب الأسود. لكنّه لم يفعل ذلك، رغم أن المقتطف السرياني من مخطوطات «BN»، كان قد نشر في باريس في سنة 1896، مع ترجمة لها من قبل المستشرق الفرنسي «ج. ب. جابور»، نصوص ترانيم الشيخ آدي، والتماس 1872 كان قد نشر وترجم بألمانيا في العامين 1853 و 1897.

وكان بحوزة «إيسيا جوزيف» أستاذ الدراسات السامية في جامعة «هارفرد» ثلاث مخطوطات عربية عن اليزيديين. إثنان منها يحتوي على نصوص من الكتب المقدّسة.

واحتوى ملحق «إيسيا جوزيف» على 5 مواد : مجموعة مواد حول المعتقدات

اليزيدية، وترنيمة الشيخ آدي، والدعاء اليزيدي الرئيسي مكتوب باللغة الكردية ضمن المخطوط العربي، ووصف قصير للنظام الهرمي في الديانة اليزيدية، ونص التماس 1872 [1].

وكان من أبرز المهتمين بالشؤون اليزيدية نائب القنصل الفرنسي في الموصل «ليون كراجنسكي» من العام 1903 إلى 1906، الذي زار لالش في إحدى المناسبات. وكان قد تناهى إلى سمعه قصص وأخبار عن المكتبة اليزيدية في جبل سنجار. ورغم أنّه كوّن صداقة جيّدة مع أحد الزعماء المحليين اليزيديين، إلا أنّه لم يفلح في الحصول على أية تفاصيل. لكن ترجمان القنصل «عزيز قاس يوسف» تمكّن من استنساخ نص عربي للكتب اليزيدية المقدّسة من أوراق قديمة كانت ذات مرّة بحوزة زعيم يزيدي في القسم الشمالي من موطن الداسنيين، استولى عليها فيما بعد الجنود العثمانيون. وعندما مرّ الأب أنستاس الكرملي بالموصل سنة 1904، أطلعه الترجمان على هذا النص وسمح له باستنساخه.

وفي شهر حزيران من ذلك العام، وصل الأب أنستاس إلى سنجار، وذهب لمقابلة أحد شيوخ اليزيدية الذي وصفه بـ: «شيطان طويل القامة، له عيون سوداء كبيرة،

---

(1) أنظر: جون س. كيست. تاريخ اليزيديين. الفصل العاشر ص 323 وما بعد.
- أوزالد هـ. باري. ستة أشهر في دير سوري ص 252 - 253.
- أ. والس بدج: عبر النيل ودجلة. المجلّد الثاني ص 71.
- ر. ي. عبيد. تاريخ وشعائر إيزدي الموصل. مخطوطة سريانية ص 481 - 522.
- ألفس. ن. أندروز. الإيزيديون. موسوعة البعثات. 1811 المجلّد 2 ص 524 - 528.
- إيسيا جوزيف: نصوص إيزيدية AJSL العدد 25 ص 247 - 248 سنة 1909.
- Chabot J. B. Notice sur les yézidis. p. 131, 252 - 253.
- محمد أمين بن خير الله العمري. منهل الأولياء جـ 2 ص 149 - 150.
- بروفسكي. الإيزيديون دينهم.
- جان موريس فيه. مخطوطة إسحاق الاصلية في مكتبة القوش.
- أنيس فريحة. نصوص إيزيدية جديدة من بلد سنجار (JAOS) العدد 66 ص 18 - 43 سنة 1946.
- مجلّة المشرق عدد 47. ص 571 - 588 سنة 1953.
- الأب أنستاس الكرملي. مجلّة المشرق عـ2 سنة 1899.
- أرشيفات الهيئة الأميركية لإرسالات البعثات الأجنبية 16، 9، 7. المجلّد 8. بعثة شرق تركيا 1880 - 1890 المجلّد 3 المادة 295.
- رسالة إيسيا جوزيف في 19 حزيران 1919 إلى نيويورك تايمز التي نشرتها في 22 حزيران 1919.
- إيسيا جوزيف. الإيزيديون أو عبدة الشيطان. كتابهم المقدّس وتقاليدهم. سنة 1908.

وشعر مسدل طويل». كان يرتدي ثوباً أبيض اللون طويلاً مع فتحة كبيرة لدى منطقة العنق، تكشف عن صدر مغطّى بالشعر. وبعد مناقشات طويلة اتفق بأن أمين المكتبة «حمو» الذي كان يستطيع الكتابة والقراءة باللغة العربية، سوف يأتي لمقابلته لإجراء إتفاق بهذا الخصوص.

ولكن بعد موت «حبيب عبد المسيح» لم يعد الاب أنستاس الكرملي مرتبطاً بالوعد الذي قطعه على نفسه بكتمان السرّ، فأفشى إلى «حمو» بكل شيء عرفه في ما يتعلّق بالكتب، وأخيراً تم الإتفاق بأن يقوم الاب أنستاس بدفع 20 فرنكاً عن كل صفحة من الجلوة و300 فرنكاً عن لفّة الكتاب الأسود بالإضافة إلى إكرامية تقدّر بـ40 فرنكاً. ثم أعطاه الأوراق الخاصة واللازمة للإستنساخ مع تعليمات مشددة بمراعاة الدقة والأمانة وعدم الإهمال أو نسيان أي شيء دون إضافة أي شيء أو تحريف أي شيء، وبعدها غادر الأب الكرملي إلى روما.

لكن عملية الإستنساخ استمرت سنتين. وقد برر «حمّو» ذلك بأنه لم يكن بمقدوره الوصول إلى الكتب الا في أوقات محدودة ومعيّنة. وقد وصف الاب أنستاس المحصلة النهائية لهذا النتاج بـ«إحدى أعظم كنوز الأدب في قرننا، والأكثر سرّاً وكتماناً في العالم». وتتألف النسخ من ثماني صفحات تمثل كتاب الجلوة، مزخرفة برموز يكتنفها الغموض، وأربع عشرة صفحة تمثل الكتاب الأسود. ونصوص هذين الكتابين كانت مدوّنة بكتابة غير معروفة، وبعد دراسة مطوّلة وجد الأب أنستاس بأنها من الأبجدية العربية المستخدمة في كتابة اللغة الفارسية.

لكن تبيّن فيما بعد، أن اللغة التي دوّنت فيها الكتب الكردية، والأب أنستاس الذي كان له إلمام قليل باللغة الكردية، ولا يعرف شيئاً عن الفارسية والتركية، سعى في طلب مساعدة الدكتور «ماكسيميليان بتنر» أستاذ اللغات الشرقية في جامعة ڤيينا.

وقد أعلن الأب أنستاس عن اكتشافه هذا في مقالة نشرت في مجلّة نمساوية سنة 1911. وفي آذار من ذلك العام، قرأ البروفسور «بتنر» رسالة على قسم الفلسفة والتاريخ في الأكاديمية الملكية للعلم في ڤيينا، التي شغلت فيها بعد سبعة وتسعين صفحة مطبوعة، أكّد فيها، بأن النسخة المشفّرة التي سلمّت إلى الأب أنستاس الكرملي، كانت قد أخذت من نصوص كردية مكتوبة بالأبجدية العربية المستخدمة في الكتابة الفارسية. والنصوص نفسها، كانت مكتوبة في لغة أدبية كردية جيّدة. وقرر

بأن نص الكتاب الأسود قد تمّ ترجمته من أصل عربي. في حين كانت ثقته أقل في ما يتعلّق بالنص الأصلي لكتاب الجلوة.

لكن البحوث اللاحقة من قبل المختصين في اللغة الكردية، أثبتت بأن نصوص الأب أنستاس الكرملي كانت مكتوبة باللهجة السليمانية، التي هي الآن سائدة في الكتابة الكردية في العراق، وإن إثنين من هذه النصوص كانا قد ترجما من أصل عربي[1].

---

(1) أنظر: سي. جي. أدموندز حجة إلى لالش ص 50.
- الأب أنستاس الكرملي: «أنتروبوس» العدد 6 ص 8 سنة 1911.
- Krajewski Léon. Le culte de Satan. Mercure de France, p. 92 - 99.
- بتنر مكسيميليان. اليزيديون أنتروبوس عـ6 ص 628 - 639.
- ألفونس منكنه. ينابيع سريانية. عـ1 ص 1 - 9.
- مجلّة المجمع العلمي العراقي، الهيئة السريانية عـ5 ص 303. 1979 - 1980.
- همفري بورمان: نافذة الشرق الأوسط ص 196 - 197.
- ذكرت الأميرة «ونسة الأموي» في مقابلة مع «جون كيست» في تشرين الأول سنة 1983 أنها شاهدت كتاباً دينيا ببلد سنجار مكتوباً بالإملاء الفارسي لكنها لم تتمكن من قراءته (جون كيست ص 358).
- جون كيست: تاريخ اليزيديين ص 344 - 358.

ملحق (1)

مهمة الدين الخلقية

الدين دعامة الأخلاق، فهو ليس الأخلاق لكنه عون لها. فقد يمكن تصوّر الأخلاق بغير الدين، وليس بالأمر النادر أن تتطوّر الأخلاق في طريقها إلى التقدّم، بينما يبقى الدين لا يأبه لها، أو يقاومها مقاومة عنيدة. ففي الجماعات الأولى، وفي بعض الجماعات المتأخّرة، كانت الأخلاق فيما يظهر أتم الإستقلال عن الدين. وفي مثل هذه الحالة لا يعنى الدين بقواعد السلوك، بل يعنى بالطقوس وتقديم القرابين، والرجل الطيب عندئذٍ من يؤدي محافل الدين أداء المطيع، ويمدّها بما له في ولاء وإخلاص. والدين بصفة عامة لا يرعى الخير المطلق، إذ ليس هناك خير مطلق، بل يرعى معايير السلوك التي وطّددت نفسها بحكم الظروف الإقتصادية، الإجتماعية. وهو كالقانون يلتفت إلى الماضي ليستمد منه أحكامه، وهو قمين أن يتخلّف في الطريق كلما تغيرت الظروف وتغيّرت معها الأخلاق. فالعوامل الأرضية هي التي تسود في آخر الأمر، والأخلاق توائم فيما بينها وبين الإستحداثات الإقتصادية شيئاً فشيئاً، ثم يتحرّك الدين كارهاً فيوفق بين نفسه وبين الأخلاق الجديدة. إن الوظيفة الخلقية للدين هي أن يحافظ على القيم القائمة، أكثر ممّا يخلق قيماً جديدة.

ذلك، أنّه كلما تقدّمت المعرفة أو تغيّرت تغيّراً متصلاً، اصطدمت بالاساطير واللاهوت اللذين يتغيران تغييراً بطيئاً لا يحتمل. وعندئذٍ يشعر الناس برقابة رجال الدين على الفنون والأداب كأنّها أغلال ثقيلة وحائل ذميم. ويتخذ التاريخ الفكري في هذه المرحلة صبغة النزاع بين الدين والعلم. والأنظمة التي تبدأ في أيدي رجال الدين مثل: القانون والعقاب، والتربية والأخلاق، والزواج والطلاق، تميل نحو الإفلات من رقابة الدين لتصبح أنظمة دنيوية، حتّى ليعدّها الدين أحياناً خارجاً عليه. والطبقات المستنيرة تطرح وراء ظهرها اللاهوت القديم، ثم - بعد شيء من التردّد - تطرح معه التشريع الخلقي. عندئذٍ تصبح الفلسفة والأدب مناهضة لرجال الدين، وترتفع حركة التحرير إلى عبادة العقل عبادة المتفاني. ويتدهور السلوك الإنساني إذا ما سلبت دعائمه

الدينية، فينقلب ضرباً من الفوضى الأبيقورية، بل إن الحياة نفسها، وقد حرمتها ما فيها من إيمان يبعث العزاء في النفوس، تصبح عبئاً للفقير الشاعر بفقره، والغني الذي ملّ غناه آناً معاً، وفي النهاية ينحدر المجتمع، وتنحدر معه عقيدته الدينية نحو السقوط معاً في ميتة واحدة، كأنّهما الجسد والروح؛ على انّه سرعان ما تنشأ أسطورة أخرى بين الناس إذ همّ ينوءون تحت هذا العبء الفادح، أسطورة تصب الأمل الإنساني في قالب جديد، وتمد الجهد الإنساني بحماسة جديدة، ثم تبنى مدنية جديدة، بعد أن تنقضي قرون في حالة الفوضى[1].

ملحق (2)

سلسلة نسب الشيخ عدي حسب النصوص اليزيدية

... الشيخ الإمام الحبر الهمام والبحر الطام شيخ مشايخ العراق والشام علم علماء الحقيقة وسلك مسالك الطريقة إلى كل إشارة دقيقة أنيقة قبلة الوافدين كعبة الواردين بدر الدنيا والدين حسين ابن الشيخ الإمام العالم القدوة أبي الحسن يوسف بن الشيخ الإمام المحقق المدقق برهان الدنيا والدين إبراهيم ابن الشيخ الإمام العابد الزاهد زين الدنيا والدين يوسف ابن الشيخ الإمام شرف الدنيا والدين موسى ابن الشيخ الإمام والقدوة الهمام الناسك السالك الولي علاء الدنيا والدين علي ابن الشيخ الإمام قدوة أهل مصر والشام صاحب الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة زين الدنيا والدين نزيل القرافة بالقاهرة وضريحه بالزاوية العدوية ظاهر المدينة ولو لم يكن البحر حقيقة لما علت فوق قبته السفينة الشهير بلقبه زين الدين يوسف ابن الشيخ

(1) ول ديورانت: قصّة الحضارة. نشأة الحضارة الشرق الأدنى. الجزء الأول من المجلّد الأول. ص 119 - 121. دار الجيل بيروت - لبنان.

شرف الدنيا والدين محمد ابن الشيخ الإمام بدر الدنيا والدين حسن ابن سلطان العابدين وإمام الزاهدين وحيد دهره وفريد عصره الشيخ عدي ابن الشيخ الإمام على الإعلام بركة الأنام الشيخ أبي البركات ابن الشيخ الإمام صاحب الكرامات التي هي كالبحر الشيخ صخر وهو أخو الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام الغوث الرباني والقطب الحمداني الشيخ عدي الأعزب الذي قال في حقه السيّد عبد القادر الكيلاني لو أن النبوة بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر وقال رضي الله عنه وقد صحبه الخضر عليه السلام أنت الذي موسى لم يستطع معك صبراً لكن ها هنا رجل لا أنت ولا موسى تستطيعان معه صبراً الا وهو عدي ابن مسافر وكراماته أكثر من أن تحصى نفعنا الله تعالى ببركاته في الدارين ابن الشيخ مسافر المدفون ببقاع العزيز من أرض الشام بقرية تسمّى بالبيت فار والبيت الذي ولد فيه الشيخ يزار إلى الآن من جميع البلاد قد عمّر عليه البدري الشيخ حسين المبدا بذكره مسجداً تقصده الجيرة رجاء لاستجاب دعائهم فيه واستخلف عليه النقباء ومريده في أخذ العهود بالتوبة فتاب على يده كثير من الناس نفعنا الله ببركاته آمين ولنعد إلى نسب الشيخ الإمام عدي بن مسافر ابن الشيخ إسماعيل ابن شرف الدين موسى ابن صحرا عبد العزيز ابن شاذان ابن عمر ابن عبد العزيز ابن دقان ابن الحكيم ابن العاص ابن أمثه ابن عبد شمس ابن مناف ابن قصي كلاب ابن مرّة ابن كعب ابن لوى ابن غالب ابن فهر وهو قريش ابن مالك ابن النظر واسمه قيس ابن كنانه ابن خزيمة ابن مدركه ابن الياس ابن مضر ابن يزد ابن معد ابن عدنان ابن آد ابن أدد ابن أليسع ابن الهميسع ابن سلامان ابن نبت ويقا نابت ابن حمل ابن قيدار ابن إسماعيل الذبيح ابن إبراهيم الخليل ابن تارخ وهو آزر ابن ناحوا ابن ساروع ابن أرغوا ابن مالع ابن غابر وهو هود النبي ﷺ بن شالخ أبي أرفخشد ابن سام ابن نوح النبي ﷺ ابن الملك ويمك ابن متشولح ابن أخنوخ وهو إدريس النبي ﷺ ابن بادر مهلائيل ابن قينان ابن أنوش ابن رهبة الله شيت ابن أبي محمد آدم ﷺ.

ملحق (3)

نسبة فتوة الشيخ عدي

شرّب الفتوة لحميد الأندلسي، حميد الأندلسي شرّب لجعفر البالسي، جعفر البالسي شرّب لمحمد الفاروقي، محمد الفاروقي شرّب لعلي العزازي، علي العزازي شرّب لموسى الدُنيسري، موسى الدنيسري شرّب لأبي فتح الحمصي، أبو الفتح الحمصي شرّب لأسد العيني، أسد العيني شرّب لجعفر الكوفي، جعفر الكوفي شرّب من الشيخ موسى، الشيخ موسى شرّب للقاضي شريح بالبصرة، القاضي شريح شرّب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، الإمام علي شرّب للنبي ﷺ، النبي عليه صلاة والسلام شرّب لله، وجبرائيل كان النقيب والبروانا[1] والسلام[2].

(1) البروانا: تعني السفير.

(2) روجيه ليسكو. اليزيدية في سورية وجبل سنجار ص 264.

ملحق (4)

ذكر الأربعين مريد الذين صحب الشيخ عدي بن مسافر في حياته[1]

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ

أولهم الشيخ عدي ابن مسافر - ثم مريده محمد ابن ارش[2] - وحسن ابن مم[3] - وقايد البوزي - وأبو بكر الحمصي - وعمر القبيصي - وعيسى ابن أبيه - ومحمد النبكي[4] - وعبد العزيز الثرثاري[5] - وجنيد الناخروري - والشيخ جروان - ومحمد الترنبوسي - وسعد الباهلي - وحسن الحصري - وخشف الدنيسري[6] - وداود التخومي - وعمار الكلبي - ورسلان الهراس - وجمال ابن سلام - وقضيب البان الموصلي[7] - والشيخ نعمان. ومظفر السلامي - وإسحاق الكردي - وسعيد البدوي - وعلي التوكل (المتوكلي) - وخضر الهكاري - وأحمد ابن قايض - وإبراهيم الرومي - ومحمود القلانسي - وريحان عبد الشيخ - وداوود الخزنيد - وحماد البوازنجي (البوازيجي)[8] - وبشير ابن غنيم - وحسن البوزي - والحاج رجب البارسنقي - والشيخ فتيان - وعمار المزرعي - ومبارك ابن أخيه[9] - وإبراهيم القولسي - والشيخ جواب[10] - ومحمد الذاراني - وأبو بكر القرقوري - وداوود التخومي - وحسن أبو عراجه - في مكارم الأخلاق كنوز الأرزاق[11].

---

(1) إسماعيل جول: اليزيدية ص 108.

(2) المرجع السابق ص 107.

(3) بخصوص محمد السنبكي: راجع بهجة الاسرار ص 134 والطبقات الكبرى للشعراني ص 147.

(4) ورد في كتاب الناقب عن عمر القبيصي (قايد النوري).

(5) الثرثاري: نسبة إلى نهر الثرثار أحد روافد نهر الفرات في منطقة الموصل.

(6) الدنيسري: نسبةً إلى دونيسر وهي مدينة صغيرة في ولاية ماردين في تركيا اليوم.

(7) يبدو أن قضيب البان الموصلي لم يكن من مريدي الشيخ عدي، وإنما كان أحد رفاقه في الدراسة، وكان على صلة بعبد القادر الجيلاني أيضاً، توفي في الموصل سنة 570 هـ.

(8) هو حماد البوازيجي. نسبة إلى بوازيج. وبوازيج تقع بالقرب من تكريت في العراق.

(9) يعني ابن أخ الشيخ عدي، وهو أبو البركات.

(10) هو جواب البكر مريد وهاب السنجاري، وليس مريد الشيخ عدي، راجع بهجة الأسرار ص 230.

(11) روجيه ليسكو. اليزيدية في سوريا وجبل سنجار ص 265.

ملحق (5)

قصة شيخو بكر في التاريخ اليزيدي كما يحفظها يزيدية جبل سمعان ويؤمنون بها

كان شيخو بكر عزيزاً على رب العالمين، الا أن الله غضب عليه. فارسله إلى بغداد وأبقاه فيها مدّة سبع سنوات، فعاش خلالها حياة بائسة قضاها في التسوّل. بعد ذلك أمر رب العالمين جبرائيل أن يأخذ سبعة صبيان ويضعهم في بيت شيخو بكر. وكان هؤلاء الصبية جميعاً إما ضريرين، أو معوقين أو مشلولين. فاشفق الله عليه. وحين عاد إلى منزله رأى الأطفال السبعة فقال: «يا رب ألم يكفِ ما فعلته بي حتّى أرسلت لي هؤلاء الصبيان». ورأى الأطفال يبكون من شدّة الجوع، فعاد إلى بغداد يتجوّل في شوارعها وهو يبكي. كانت ابنة القاضي تنظر من نافذتها، فلمحت فقيراً يبكي في الشارع فاشفقت عليه ونادته: «تعال إلي أيها الفقير أعطيك طلبك». فقال شيخو بكر: «لا لن آتي فلست من هؤلاء الناس». وصرخت الفتاة: «ناشدتك بالله أيها الفقير أن تأتي فأنا أعرف ما تريد وسأعطيك طلبك». فذهب شيخو بكر إليها. أدارت له الفتاة ظهرها وقالت: «قص جديلتي ايها الفقير واشتر بها ما يلزمك». وكانت جديلة الفتاة من الذهب والياقوت والألماس. وفي هذه الأثناء كان رجل يهودي يراقبه.

أخذ شيخو بكر الجديلة إلى الخبّاز وقال له: «خد هذه واعطني خبزاً بها، وعندما رأى الخباز هذه الجديلة أدرك أنها لا تباع ولا تشترى، فهي ثمينة جداً. قال: عزيزي الفقير اريد منك أن تأتي كل يوم وتأخذ حملاً من الخبز لبيتك طوال سنة، وإذا بقي لك بعدها شيء في ذمّتي فعليك أن تسامحني به».

عندما رأى اليهودي شيخو بكر يقص جديلة ابنة القاضي، ذهب إلى والدها وأخبره بذلك وقال له: «لقد وقعت ابنك في هوى رجل فقير متسوّل». حمل القاضي سيفه وانطلق ليقتل ابنته، وعندما وصل إليها ارتعدت الفتاة لمرآه، واصابها هلع شديد فأسرعت إلى يد والدها تقبلها وتقول له: «ما سبق لك أن جئت إليّ يا أبت!». ثم صارت تتضرع إلى الله وهي تقول: «يا رب العالمين: لقد عملت خيراً وها أنا ألقى الشرّ». فأرسل الله جبريل إليها، فضرب جبريل بيده على ظهر الفتاة فعادت جديلتها كما كانت.

قال القاضي لابنته: «أديري إلي ظهرك» فرأى جديلتها كاملة، فنادى اليهودي قائلاً: «تعال وانظر إلى جديلة ابنتي، إنها الجديلة التي صنعتها أنت» وعندما جاء اليهودي ونظر إلى جديلتها عرف فيها الجديلة التي صنعها بيده. قال له القاضي: «هذه الجديلة صنع يدك أم لا؟» قال اليهودي: «بلا، إنها صنع يدي» حينها وضع القاضي سيفه وضرب اليهودي فأرداه قتيلاً.

وبعد هذه الحادثة أخذ شيخو بكر أطفاله إلى بيت الشيخ آدي، وما زال مقامه في لالش إلى اليوم[1].

---

(1) يوجد الآن في بعشيقة مكان مقدّس مخصص لشيخو بكر.

ملحق (6)

هوية الطائفة اليزيدية بين التاريخ والسياسة

... نحن يزيدية ونبقى يزيدية، ونعتز بأصولنا الدينية العراقية. إن اليزيدية في كل أنحاء العالم مكان حجمهم ومركز ديانتهم المقدّس منذ الإمبراطورية الآشورية البابلية هو في منطقة نينوى. وإن اليزيدية مرتبطة بأرض العراق دنيا وارضاً وشعباً.

إن جميع الإستكشافات الأثرية التي جرت في مناطق السنجار والشيخان، وكل الآثار والمسكوكات واللقى الأثرية، التي تمّ العثور عليها في مناطقنا، جميعها بابلية أشورية ولم يعثر حتّى الآن على قطعة أثرية واحدة تدل على وجود ميديين أو زرادشتية أو مجوسية أو أي شيء آخر يخص الحضارة الإيرانية. حتّى الكتابة اليزيدية التي استخدمها اليزيديون لتدوين كتبهم المقدّسة «الجلوا والكتاب الأسود» مكتوبة بنوع من الخط الأرامي، وهي موجودة في متاحف أوروبا.

علماً بان هذا التوجه المتأخّر نحو طائفتنا لم يكن بأسباب علمية ولا دينية بل بأسباب إستراتيجية تتعلّق بالمشاريع الخطيرة التي تمّ طبخها في الكواليس الغربية والصهيونية بخصوص بلدنا العراق وعموم منطقة الشرق الأوسط.

بهذه المناسبة نحن ندعو جميع المثقّفين العراقيين وجميع الجهات الحريصة على وحدة العراق وشعبه بكل فئاته، وبالتنسيق مع المثقّفين اليزيديين من أجل تكوين المؤسّسات الثقافية واللجان الدراسية الجادة والوطنية التي تحترم خصوصيتنا اليزيدية وهويتنا العراقية من دون مزاودات قومية مهما كانت كردوية أو عربية... فنحن يزيديون عراقيون[1].

الأمير اليزيدي أنور معاوية الأموي

(1) آشور نصيبينويو: اليزيدية في ما بين النهرين ص 115 - 116.

ملحق (7)

المسيح في العقيدة اليزيدية

يعتقد اليزيديون أن عيسى قتل على أيدي اليهود ثم أحياه طاووس ملك. ولمّا أحياه قال له: «قم. فقال له عيسى من أنت؟ قال له طاووس ملك أنا «العم» واذا سالك أحدهم من أحياك؟ فقل: إن العم هو الذي أحياني».

ولا يوافق اليزيديون على قول اليهود بأن عيسى ولد من زنى. إنما خلق بقدرة الله.

ولليزيدية قول بعنوان «قول ولادة عيسى» وهذه بعض المقتطفات منه:

في يوم من الأيام، نزل جبريل إلى الأرض، ونفخ في ثوب مريم، فأصبحت مريم من شدّة الخوف في غيبوبة. رفعت مريم طرفاً من ثوبها فنفخ فيه جبريل، فخلق عيسى من ذلك النفخ. فاسندت مريم ظهرها إلى تلك الشجرة وولد عيسى هناك. كان عيسى نبياً صالحاً. لم يكن له أب، وكانت مريم أمّه، وخلق بقدرة الله تعالى دون شك. عيسى هو ابن مريم، أكرمه الله بأنواع الكرم لذلك فإن روحه خرجت من الأرض إلى السماء[1].

---

(1) أنظر الأب سهيل قاشا اليزيدية ص 387 - 388.

ملحق (8)

اليزيديون وبقية الطوائف

اليزيدية من بين كل الطوائف نجحت بأن تخفي طبقاتها التاريخية، بحيث تبدو وكأنها موزاييك رائع للتراث الديني والأقوامي لبلاد ما بين النهرين. يمكن ملاحظة هذا التنوع العجيب في اليزيدية من خلال الأمور التالية:

1 - اعتقادهم بانّهم من نسل آدم فقط وليس من نسل حواء، وأنّهم أتوا بعد الطوفان.

2 - اعتقادهم بالكواكب السبعة المقدّسة لدى العراقيين. لكنهم غيّروا أسماء الآلهة البابلية بأسماء الملائكة السريانية المسيحية: يودائيل، إسرافيل، ميكائيل، وجبرائيل، وشمنائيل، ونورائيل، أما زعيم الملائكة الأكثر قدسية فهو عزرائيل «طاووس ملك» الذي تصوّره البعض على أنّه «الشيطان» ويمثل هؤلاء الملائكة سبعة شيوخ مقدسين مثل الشيخ عدي، والشيخ حسن وأبو بكر.

3 - يحتفلون بأول أربعاء من شهر نيسان بهبوط الملاك «طاووس» إلى الأرض، مثلما كان يحتفل أهل النهرين في بابل وأشور بشهر نيسان أول أشهر السنة حسب التقويم البابلي، لأنه شهر الربيع والخصب والميلاد والبداية. وهو عيد الإله «تموز»، ويبدو جلياً أنّه هناك تشابه بين اسمي «طاووس وتموز». نفس هذا الشهر كان يحتفل المانويون البابليون بصلب «ماني البابلي» وخلوده في الأبدية، وكذلك هو عيد الفصح وعودة المسيح للحياة.

4 - أنهم اقتبسوا من المانوية مسألة تناسخ الأرواح وانتقال البشر بين حيوات عدّة.

5 - إنهم يشتركون مع المسيحيين في الكثير من المناسبات والأعياد مثل عيد الفصح والقيامة، وكذلك التعميد بالماء وقطع الخبز. ثم زيارة الكنائس والحج إلى مزار الشيخ عدي المقدّس أيضاً لدى المسيحيين في العراق.

6 - إنهم يشتركون مع المسلمين بالصيام والختان وتقديس القرآن وبعض رجالات الدين.

7 - إنهم يحتفلون بعيد «القربانط» أي عيد الأضحى حيث ضحّى النبي إبراهيم بولده إسماعيل.

8 - يعتمدون التقويم الشمسي الشرقي الذي كان يعتمده من قبلهم أهل النهرين في بابل وأشور.

9 - إنهم يمتلكون تنظيماً دينياً هرمياً مثل نظام الكنيسة المسيحية والمانوية وكذلك الشيعة الجعفرية. بالإضافة إلى تقديسهم أحفاد عدي والحسن البصري مثلما يقدّس الشيعة أحفاد الإمامين علي والحسين[1].

ملحق (9)

إبراهيم الخليل في الديانة اليزيدية

قول إبراهيم الخليل

سلام من الواحد المعبود
لم يكن في ذلك الزمن تحيات ولا سجود
في زمن آزر ونمرود
سأل إبراهيم الخليل أباه وأمّه
من الذي تعبدونه؛
قال: الذي يعبده أبوك وأمك
هو نمرود نفسه
يا أمي لا تقولي: إن إبراهيم طفل صغير
أدعو الله أن لا يميتني على عقيدتكم
إن شاء الله تعالى
لأن عقيدتكم باطلة
لا خير فيها ولا صواب
وفي يوم القيامة
كل ذلك محسوب عليكم
أبو الذي يسمّى آزر

(1) آشور نصيبينويو. اليزيدية في ما بين النهرين. منطقة سنجار واليزيدية ص 106. بقلم سليم مطر.

ذهب إلى نمرود الكافر
وقال له: قتل هذا الولد ضروري
لأنه خرج عن عقيدتنا
فارسلوا في طلب إبراهيم وأحضروه
فقال إبراهيم: أيها الملك
إذا كنت صادقاً أنك أنت الله
أنزل عليّ مطراً في يوم صحو
وارجع الشمس عند الظهر إلى مكانها
وبعد ذلك
سوف أؤمن بعقيدتك
فقال نمرود يا إبراهيم
أنا قادر على ذلك ولكن لا أفعله
فجمعوا ألف حزمة من حطب
وصبّو عليه خمسماية صندوق من الزيت
وبعد ذلك
صنعوا المنجنيق لسارة وإبراهيم
فالقوا إبراهيم وساره في النار
فقال إبراهيم: يا رب أنا عبد من عبادك
الذي لا جناية له ولا إثم
نجّني من نار
نمرود الكافر
وسوف اقدّم لك
أعز ما عندي قرباناً
جبرائيل هو رسول الملك المعبود
فقال: أيتها النار كوني ناراً على نمرود
فتحوّل أطراف إبراهيم الخليل
إلى رياض وبساتين
كان إسماعيل طفلاً صغيراً

رجع يوماً إلى البيت
رآه أباه مهموماً حزيناً
قال: يا أبي لا تحمل همّاً
إجعلني قرباناً لله
وقال إسماعيل لأمّه العجوز
سامحيني يا أمي
لقد فرض عليّ مرسوم الباري تعالى
أمّه التي تسمّى هاجر
قامت بغسل رأسه وملابسه
يا ابت هات الحبل
واربطوا أيدي وأرجل إبراهيم الخليل
وكان إبراهيم الخليل في ضيق شديد
قال إسماعيل: يا أبي كفى بكاءً وأنيناً
وامسح دموع عينيك
فلا يستطيع أحد أن يردّ قدر الله
فجاء إبراهيم بسكينة حادّة
ومررها على رقبة إسماعيل ثلاثاً
فلم تقطع من إسماعيل ولا شعرة
فقام إبراهيم بتمرير السكين
على جلد حيوان
فقطعت السكينة الجلد مثل الخيار
فقالت السكينة: أنا لا أقتل الأنبياء
لئلا أحرق بالنار يوم القيامة
ينزل الكبش من السماء
وكان ذلك الكبش يسمّن في الجنة
سبع سنين من قبل الحور العين
فجعله الله قرباناً لإسماعيل

ملحق (10)

العدالة الإلهية في الديانة السومرية

لقد كانت العدالة الأرضية والميزان الأرضي منشقين من العدالة الإلهية. ولذلك كانت الأخطاء التي ترتكب ضد هذا الناموس الشامل هي بمثابة محاولة ثلم هذا الناموس، وإيذاء الطبيعة التي تحميه. وتحت هذا الفهم نمت الأخلاق السومرية بهدوء وطمأنينة وسلام. ولم يعكّر صفوها إلا تدخّل الأقوام المجاورين بها أو الذين كانت تنتابهم غرائز المركزية والتوسّع والحكم.

كان السومريون يميّزون بين الخطيئة التي تثير غضب الآلهة وتوصم الضمير ويسمّونها «سيبيدا»، ويفرقونها عن الخطيئة السياسية والأخلاقية، التي يسمّونها «نام تاك» التي تعني المعصية المرتكبة ضد قوانين المدينة.

وكان السومريون يعتقدون أن الخطيئة وجدت مع وجود الإنسان، فهو معرّض لها دائماً حيث تذكر أحد النصوص السومرية ما يلي:

إنهم يقولون، أي «الحكماء» كلاماً صادقاً: «ما ولد لأم طفل بلا خطيئة قط، وما وجد طفل بلا خطيئة منذ الأزل».

والآلهة فقط هي التي تعرف بهذه الخطايا كاملة، أما الإنسان فيدرك بعضها، ولذلك يقع في العقاب لأسباب يجهلها هو، وتعرف بها الآلهة. حيث تذكر إحدى التعاويذ السومرية:

«أيها الإله إن أخطائي فادحة، وذنوبي كثيرة. الناس صامتون لا يعرفون ماذا يجري، والإنسان - مهما كان - ماذا يعرف؟ إنّه لا يعرف فيها إذا قام بعملٍ خيّر أو عملٍ شرير».

هذا هو الإنسان في العرف السومري، إنّه إنسان معرّض للخطئية، وإنسان لا يعرف خطاياه، والآلهة عنده هي التي تعرف كل شيء.

ويعتقد أن المعبد كان البؤرة التي تلتقي فيها خيوط العدالة سواء كانت إلهية أو ملكية عامة. لأن المعبد السومري يعد أكبر مؤسّسة روحية وأخلاقية وتشريعية ومن شأن

هذه المؤسّسة ضبط الحقوق والواجبات للملوك والبشر أمام الآلهة، ولم يزاحم القصر المعبد الا حين ألّه بعض الملوك الاكديين أنفسهم، فأدّى ذلك إلى اضطراب هذا العرف السومري[1].

(1) أنظر صموئيل نوح كريمر: السومريون ترجمة فيصل الوائلي. منشورات وكالة المطبوعات الكويت ص 128 وما بعد.

- خزعل الماجدي. الدين السومري. ص 177 - 178. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان الأردن 1998.

ملحق (11)

الفلسفة البراهمانية

تقوم الفلسفة البراهمانية على قطبين رئيسين هما:

1 - الذات البراهمانية، وهي تقمّص الروح الفردية في الروح الأزلية، تقمصاً هو خلاصة الروحانية البرهمانية.

2 - التناسخ، وهو تنقل الأرواح باستمرار، حسب عقيدة نابعة من الأعماق العجيبة للمعتقدات الشعبية، عرف البراهمانيون كيف يقولبونها في عقيدتهم.

من هنا، إن «الذات مفهوم شخصي». إنها «الأنا» التي في كل موجود، والتي تربطه بالأزلي السرمدي. إذا، فهي ليست لفظة سيكولوجية بل ما ورائية، أي ليست إيمان الوعي الفردي باستقلاله، بل أهلية الروح في سكنى الداخل المشترك.

هكذا، تقوم الروحانية البراهمانية مرتكزة على وحدوية الذات في البراهما. على أن لهذه النظرة، رؤيوات غير ضئيلة. فمن جهة، يتخذ الكائن معها معنىً روحياً، إذ تتواجد الروح الأزلية، عندها، في جميع ظاهرات الحياة، ويعبق الكون آنئذٍ بمناخ روحي شامل. ومن جهة أخرى، يتخذ كل مخلوق طابعاً لا إلى زوال، إذ، كما الأنهار تصب أخيراً في البحر الكبير، هكذا الأرواح الفردية تصبّ في الروح الأزلية:

«إن روح المخلوقات، واحدة لكنها ماثلة في كل مخلوق، إنها في الوقت نفسه وحدة ومجموعة، كما القمر الذي يتلألأ على صفحات المياه... هي هذي الحقيقة: كما من اللهب تتطاير ألوف الشرارات المتوهجة مثله، هكذا من الكائن الأبدي تولّد الكائنات التي لا تلبث أن تعود إليه من جديد».

من هنا، إن ضمانة البراهمي في العودة من جديد إلى الروح الأزلية تتجسّد في هذه العبارة المشجعة: «هو هذا، أنت. ومهما أحسست نفسك ضعيفاً وبائساً ووحيداً. تبقى جزءاً حيّاً من الأرواح الأزلية».

«والتناسخ هو جريان دائم، هو سلسلة لا إلى انتهاء، من تغييرات الحالات لدى الكائن. على أن لكل حالة ظروفاً خاصاً بها، ممّا يخلق للكائن دائرة وجودات لا يجوِلها الا مرّة واحدة. وعلى ان الوجود الأرضي أو عامة، الجسدي، ما إلا حالة خاصّة بين حالات أخرى لا حصر لها».

هكذا تقوم الفلسفة البراهمانية على الخوف من تناسخ الأرواح إلى لا نهاية. إذ معه يبقى الإنسان مسجوناً في دائرة الولادات المتعاقبة التي تضاف واحدة إلى أخرى، كما حلقات سلسلة هائلة ضخمة لا تنتهي. وهكذا، إزاء انحباسها في العالم المادي، تتوق الروح إلى الإنقاذ. هذا الهرب كان للفلسفة البرهمانية الهندية، لكي تؤمنه، أن تعتبر عالم الظاهرات هذا، وهماً يكفي خرق طابعه التخيّلي، كي يندثر.

وعقيدة السلوك هي المتممة حكماً لعقيدة التناسخ. فبعد مبدأ الولادات المتتالية ابداً، يجب توضيح لماذا قدر الإنسان، في هذا الجحيم الماورائي. وما الوسائل للتخلّص منه؟ الحل يأتيه السلوك الذي، في براعة وتوافق، يجمع الحرّية إلى الحتمية، والعذاب إلى الخلاص.

ولكل كائن ان يمرّ بسلسلة من «الوجودات» بشكل تصاعدي أو بشكل إنحداري، أي أنّه يتسلّق أو يهبط درج يعقوب (طريق الملائكة حسب الرواية التوراتية)، طريقاً إلى الله، إنطلاقاً من جسد بشري أو من جسم حيواني. يعني، ان موقف الفرد، يتوقف على سلوكه، الذي هو حصيلة أعماله في وجوداته السابقة، كما يقوم الإنسان بالأعمال، يكون وجوده الأقدم في حياته التالية. هكذا يتخذ السلوك أهمّية العدل المتوازي الإنصاف، فليست العقوبات والثوابت محصورة فقط في حياة واحدة، بل موزّعة على الموجودات التعاقبة... والبشر يختلفون باختلاف الأعمال، والسلوك، أفضل إرث للبشر والناس، متوارثو سلوكهم، وسليلوه واهلوه وتوابعه. إذا، فالسلوك، وازع البشر بين متفوقين ومنحطين[1].

---

(1) أنظر: إنجيل بوذا. ترجمة سامي سليمان شيّا. دار الحداثة. الطبعة الأولى. بيروت 1991.
- قصّة الديانات: سليمان مظهر. الفصل الثاني. عقيدة الهندوس ص 79 وما بعدها..
- هنري آرفون، البوذية ترجمة هنري زغيب. التوزيع مؤسّسة نوفل. المنشورات العربية. ماذا أعرف رقم 36. الطبعة الثانية 1985. الفصل الأول ص 11 - 22.
- جفري بارندر. المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة: د. إمام عبد الفتاح. الفصل السادس. الهندوسية ص 135 وما بعد. عالم المعرفة. رقم 173. شهر أيار 1993 الكويت.
- جون كولر. الفكر الشرقي القديم. ترجمة كامل يوسف حسين. الفيدا والأوبانيشاد الفصل الثالث. ص 44 وما بعد. عالم المعرفة الكويت رقم 199 تموز 1995.

وفي ترنيمة الخلق يكافح الحكيم لتعرّف أصول الوجود:

1 – في البدء لم يكن هناك وجود ولا عدم،
لا وجود للعالم ولا سماء في ما وراءه
ما الذي اسدل عليه ستار؟ أين؟ من الذي منحه الحماية؟
أكان هناك واد عميق لا يسبر له غور؟

2 – آنذاك لم يكن هناك موت ولا خلود
وما من أثر لليل أو نهار
لم يكن هناك سوى الواحد الذي يتنفس، دونما نفس، بدافع من ذاته،
وعدا ذلك لم يكن ثمة شيء على الإطلاق.

3 – كان هناك ظلام، يلتف بالظلام،
وكل هذا كان طاقة لا تمايز فيها،
ذلك الواحد الذي حجبه الخواء،
كشف النقاب عنه من خلال قوّة الحرارة – الطاقة.

4 – في البدء كان الحب
الذي كان البذرة الأولى للعقل
وفي سعي الحكماء الحكمة في أفئدتهم،
إكتشفوا الصلة بين الوجود والعدم.

5 – لقد انقسموا بالعرض،
فما الذي كان أسفل وما الذي كان أعلى؟
كان هناك حاملون للبذرة والقوى الهائلة
دافع من أسفل وحركة إلى الأمام من أعلى.

6 – من ذا الذي يعرف حقاً؟ من ذا الذي يمكنه أن يقول هنا؟
متى ولد الخلق؟ ومن أين جاء؟
لقد جاءت الآلهة بعد خلق هذا العالم،
فمن الذي يعرف من أين جاء؟

7 – ذلك الذي من رحابه جاء الخلق،
سواء كان يضمّه معاً أم لا،
هو الذي يراه في السماء العلا
هو وحده الذي يعرف – أو ربما حتّى لا يعرف[1].

ملحق (12)

من ملحمة جلجامش

«إلى البيت الذي لا يغادره من يدخله،
إلى الطريق الذي لا عودة منه،
إلى المكان الذي لا يرى ساكنه،
حيث الغبار طعامهم والطين قوتهم،
عليهم أجنحة بدل الملابس،
يعيشون في الظلام فلا يرون النور.
في بيت التراب شاهدت الملوك.
وتيجانهم مطروحة على الأرض والأمراء
الذين حكموا في القرون الخوالي».
«أعبد إلهك كل يوم،
وقدّم له القرابين والصلوات،
التي تتم على أكمل وجه مع تقديم البخّور.
قدّم قربانك طائعاً لإلهك،
لأن ذلك يتناسب مع الألهة،
قدّم له الصلاة والضراعة والسجود كل يوم،
وسوف تثاب على ما تفعل.
عندئذٍ سيكون بينك وبين الله اتصال كامل،
إن التبجيل يولد الحظوة،
والقربان يطيل الحياة.
والصلاة تكفر عن الذنب»[1].

---

(1) ملحمة جلجامش. اللوح السابع 34 - 42.
- نصائح الحكمة 135 - 145.

ملحق (13)

رسالة موجّهة إلى السفير البريطاني في الأستانة

«ستراتفورد كننك»

مثال الزعماء العظام، فخر النبلاء ذوي الصيت، السفير الرفيع المقام البك، أطال الله عمره آمين. نكتب إلى سعادتكم أنه قبل أيام قليلة، عاد القوّال يوسف إلى منطقتنا، وسرد علينا كل ما لاحظه في الإستقبال المضياف الذي اقامه سعادتكم له، والدعم والتشجيع والنصائح المخلصة بشأن رفاهيتنا نحن الطائفة الإيزيدية، جميعاً نقدّم شكراً لسعادتكم، إنّه من عطف سعادتكم الذي لا حدود له أن تمدّوا يد المساعدة إلينا والتي لم نكن نحلم بنيلها، وتأكدنا من إخلاصكم تجاهنا عند تسلّمنا للمراسيم الملكية التي فيها أمرت الدولة العلية بموجبها أن لا يتعرّض أحد لأبنائنا وبناتنا، والتحريم المطلق على بيعنا كعبيد، وإن الدولة العلية مصممة على حماية أرواحنا وممتلكاتنا، من يكون من الدناءة والوضاعة أو عاقاً بحيث لا يقدر لطفكم الفائق؟ لا، لقد أصبح كرمكم محفوراً في أفئدتنا، فيما يتعلق بما نقله إلينا القوّال يوسف عن أن الدولة العلية قد عقدت العزم على رفض التجنيد العسكري الإلزامي على طائفتنا، جوابنا أن مرسوم سيدنا السلطان مطاع ولا أحد سوف يخرج عن طاعة هذا المرسوم الهام، ولكن نأمل في أن الدولة العلية سوف تستثنينا لمدّة خمس سنوات إلى أن تتحسّن أحوالنا وطائفتنا - التي كانت تتضطهد من قبل الوزراء السابقين - ان تنمو وتزدهر بعد ذلك متى ما طلبت الدولة العلية منا أداء الخدمة الإلزامية، فسيكون شبابنا على استعداد تام في خدمة الإمبراطورية. فقط نامل أنّه عند فرض التجنيد علينا بأنكم سوف لا تخلطون ابناءنا بالجنود المسلمين، ولكن يتمّ فصلهم في وحدات خاصّة مع الجنود المسيحيين وإن السلطات سوف لن تهدد عقيدتهم. ليس لدينا ما نرد به أفضال سعادتكم، لكننا ندعو الله دائما بأن يحميكم ويطيل من أمدكم، لشهرتكم في دعم البؤساء والفقراء والتعساء.

14 ذي القعدة 1265 هـ. 1 تشرين الأول 1849م.

الصف الأعلى: الموقعون: حسين خرتو شيخ خالد شيخ لا شكي، مراد قاسم، الياس وايا، تمو كالو. شيخ باريان شيخ عبدال. شيخ دالو شيخ كوجك، شيخ ميرزا شيخ إسماعيل، عبدي أمير الدانادية، حسين أمير الشيخان الإيزيدية، الشيخ ناصر شيخ الإيزيدية. (الأخيران وقعا بالأختام)

الصف الوسط: الموقعون: قوّال يوسف قوّال خدر، قوّال نادو قوّال خدر، قوّال خليل قوّال حميد، قوّال علي قوّال سليمان، قوّال إسماعيل قوّال جيم، قوّال محمد قوّال خدر، قوّال مراد قوّال يوسف، قوّال بيير سنيو بيير حسني بيير نابو، سالو شالو.

الصف الأدنى: التواقيع: إبراهيم هوشابا أترشتا جبل لايلون، درويش باتي، مراد بازو، شيخ سليمان إسماعيل، خدر محمد[1].

(1) جون س. كيست تاريخ اليزيديين. ص 459 - 463.

ملحق (14)

رسالة اليزيديين إلى الباب العالي

نموذج النبلاء رفيعي المستوى، فخر البابات العليّة من الشامة الرائعة والأصل النبيل، سموكم الباب الأعظم، حفظكم الله دوماً ورعاكم بفضل أنبيائه ورسله آمين.

يقدّم هذا الإلتماس إلى سموكم الرؤوف: نحن الطائفة الإيزيدية خدمكم، بعثنا إليكم خادمكم الشيخ يوسف لإيضاح همومنا على عتبة شفقتكم وعطفكم. وسررنا كثيراً عندما سمعنا بأن سيادتكم يتعاطف مع وضعنا، وبأنكم تدخلتم نيابة عنّا لدى مولانا وسيدنا السلطان عبد المجيد - نصره الله - لتمدوا حمايتكم على عقيدتنا، وطائفتنا ورفاهنا كما هو الحال مع بقية رعاياكم الآخرين، المسيحيين واليهود. كان موضع بهجتنا (أعلمنا الشيخ يوسف بأن مولانا السلطان شعر بالعطف تجاهنا) وأصدر أمراً بتحريم بيعنا واستعباد أطفالنا، وأن لا يسمح لأحد بالتدخل في أمور ديننا. نحن الطائفة الإيزيدية قاطبة نقدّم إمتاننا كمثل بقية رعاياكم، نحن المعدومون والفلاحون البسطاء ندعو الله دوماً أن يشمل مولانا السلطان عبد المجيد بتفضيله وأن يطيل في عمره ويمنحه النصر على كل أعدائه وان يقوّي الدولة العليّة. نحن نتوسّل إلى رأفتكم بأن تنظروا إلينا بعين الشفقة والرحمة، لأن الحماية التي أضفتموها علينا وعلى عقيدتنا، لم ننلها من قبل أبداً من أي وزير سابق. بالإضافة إلى أن الشيخ يوسف قد أطلعنا على أنّه في نيّة الدولة العليّة أن تفرض علينا نظام التجنيد الإلزامي، نحن عبيدكم، وهذه فكرة لا نخجل منها، عالمين أنّه في الماضي وخاصة في عهد السلطان مراد - أنار الله ضريحه - نحن قدمنا الخدمات العسكرية إلى سمو مقامه عندما طلب منا الجنود. وكنا دوماً على استعداد في خدمة مولانا السلطان، لكننا نلتمس من تقديركم الواسع الحكمة بأن يتم استثناؤنا من الخدمة الإلزامية لمدّة خمس سنوات، إلى أن تتحسّن أحوالنا وتنمو وتزدهر طائفتنا التي اضطهدت من قبل الوزراء السابقين. بعد ذلك متى طلبت سيادتكم منا أداء الخدمة العسكرية فإن شبابنا سيكون على استعداد أتم في خدمة الدولة الإمبراطورية. نحن فقط نستعطف الفهم والتقدير الرؤوف للدولة العليّة بأن عند تجندون من صفوفنا فسوف لن تخلطوا أبنائنا مع الجنود المسلمين، ولكن تفصلونهم في وحدات خاصة بهم أو الإندماج مع الجنود المسيحيين، وبأن لا أحد سيهدد عقيدتهم. إننا من رعاياكم ومنذ أمد طويل، عندما كنّا نتعرّض للملاحقة والاضطهاد

إفترضنا بأننا نعتبر قطيعاً مهملاً دون مالك، لكننا على ثقة تامة أننا رعايا مخلصون لفخامة مولانا السلطان وعلى يقين بأن أي غبن يلحق بنا فإن لنا دولة ستعمل على إزالة ذلك الظام والإجحاف بحقنا. وكذلك كنا شبيها بالغنم المفقود والضائع ولكننا الآن لدينا من يحمينا ودولة نفخر بها. سوف لن ننسى الأعمال الصالحة التي قام بها سيدنا الذي نكن له الإعجاب والتقدير سعادة كامل باشا (والي الموصل) الذي في يوم وصوله إلى منطقتنا أظهر عطفاً عظيماً بحالاتنا وحقق العدل بين صفوفنا، عطفه تجاهنا كان عظيماً، ونحن ندعو الله الجبار أن يحمي لنا سعادة مولانا عبد المجيد خان ويحميه وينصره على أعدائه ويديم إلى الأبد الدولة العلية ويقويها[1].

هذه الرسالة دون تواقيع

(1) جون كيست. تاريخ اليزيدية ص 463.

ملحق (15)

مقابلة مع زعماء الدين الإيزيديين[1]

س. بابا قوّال، كيف نعبد الله القوي الجبّار؟

ج. ألله هو الخالق، ليس المخلوق. خلق الله الأرض والسماء والكون. خلق المخلوقات. عبادة الله واجب على كل مخلوقاته. نحن نتبع الله بنفس النحو الذي تتبع فيه الأديان الأخرى الله. خلق الله كل الملائكة، البشر، الطيور، وكل أنواع المخلوقات. نحن وكل المخلوقات ملك الله.

س. كم مرّة يؤدي الإيزيدي فيها الصلاة وما هي الوجهة التي يتبعها في كل مرة؟

ج. واجب علينا أداء الصلاة ثلاث مرّات في اليوم، ونحن نواجه الشمس. نواجه الشرق في الصباح والغرب والمساء. وفي الليل نواجه الشرق.

س. كم عدد الملائكة الذين خلقهم الله القهّار؟

ج. بصورة رسمية هناك سبعة ملائكة. ملك طاووس بالطبع هو زعيمهم.

س. ما هو موقع الملك طاووس بالنسبة للملائكة وتجاه الله؟

ج. الملك طاووس هو بالطبع زعيم الملائكة. بعد الله يأتي الملك طاووس لكن الله هو الخالق بينما الملك طاووس مخلوق.

س. وفقاً لعقيدتنا فإن الله خلق الأرض والسماء، هذا العالم، هذه الأرض والسماء، كيف خلق الله كلّها؟

---

(1) هذه المقابلة أجراها جون. س. كيست، في 6 أيار 1990. ونشرها في كتابه «تاريخ اليزيديين» في الملحق الثالث ص 467 - 477.

والأشخاص الذين أجريت معهم هذه المقابلة هم على التوالي:

أ - الشيخ إلياس بابا شيخ.

ب - القوال سليمان ابن القوال شلو. زعيم القوالين.

ج - بابا جاويش، خادم معبد الشيخ عدي.

هـ - الفقير حاجي بن الفقير شامو. فقير الشيخ عدي.

و - حسين ابن الفقير حسين. ابن مضيف مطبخ الشيخ عدي.

ز - الشيخ درويش شيخ الأمراء. راعي لمعابد عشيرة الشيخ حسن.

كانت كل الأسئلة موجهة إلى بابا قوال.

ج. وفقاً لديانتنا فإن الله خلق اللؤلؤة، ووقف الله على الشمس، ودعا الشمس لتحرق اللؤلؤة فتدفقت المياه وأصبحت بحراً. عندها ألقى الله بقطعة من اللؤلؤة في البحر حيث تصاعد الدخان من البحر، وتحوّل إلى السماء. كل هذا طبقاً لديانتنا الإيزيدية، وخلق الله الملائكة، خلق آدم وصنع العالم.

س. خلق الله جهنّم والجنّة لماذا؟

ج. عندما خلق الله الإنسان، أدرك أن الإنسان سوف يقترف الذنب. لو لم يكن هناك في يوم الآخرة مكاناً جيداً وآخراً يشبه السجن - لا جنّة ولا نار - فكيف يخشى الناس الله؟ دونهما فإن الإنسان لا يخشى الله، لذا خلق الله الجنّة للصالحين والنار للطالحين.

س. حسب أديان عديدة الإنسان هو سليل آدم وحواء. هل نحن الإيزيديين من سليلي آدم وحواء، أو من سلالة أخرى؟ لو كنا من سلالة أخرى فما هي؟

ج. العقائد الفردية لديها معتقدات فردية. نحن لا نعتقد بآدم، لأننا لم ننحدر من آدم.

س. بالإشارة إلى مكة، هل تتمتّع بأية أهمّية لدينا، في الماضي أو الحاضر؟

ج. فيما يتعلّق بديانة المسلمين، لكن ليس لها أيّة أهمّية بالنسبة إلينا، لا علاقة لنا بها، لكن نكنّ بعض الإحترام لها وذلك يعود إلى إبراهيم (الخليل) لأنها بيت إبراهيم.

س. إذا كان إبراهيم مرتبطاً إلى حدّ ما بمكة، فما هو ارتباطنا بإبراهيم؟

ج. قدّم إبراهيم قرباناً لله، كان أول من عرف الله. إبراهيم سابق على كل الديانات، اليهود، المسيحيون، والمسلمون جاءوا من بعده، وبالطبع جاء الشيخ آدي من بعده. لذا تكن كل الأديان الإحترام لإبراهيم، لأنه كان على استعداد للتضحية بابنه قرباناً لله، ونحن أيضاً نكن له الإحترام بسبب ذلك.

س. نحن نصوم لثلاثة أيام في الصيام الرسمي. لمن نحن نصوم؟

ج. حالياً نحن نصوم باعتبارنا إيزيديين، صيامنا أقدم من الديانة الإيزيدية. الصيام بالطبع هو لله. العبادة والصيام لله. نحن نصوم فردياً وكإيزيديين، لكن الصيام لله، صام الشيخ آدي، كما نصوم نحن لأجل الله.

س. من هو الشيخ آدي وماذا فعل لأجل هذا القوم؟

ج. دعني أوضح بأن الشيخ آدي، عندما يكون هناك حاكم جديد أو يستبدل والٍ، يتغيّر عدد من القوانين، ولكن بالطبع ليس كلها. وُجدنا قبل الشيخ آدي، كنا موجودين في

هذه الجبال، جاء الشيخ آدي من سوريا، وعثر على هذا المكان وتتبّع ديننا، تمكّن من أن ينال قبول أهل هكاري. والله - بالطبع - منحه الفضيلة ومعرفة إنجاز المعجزات، قبل هذا الدين واعترفنا به زعيماً لنا.

س. يوم الحج الإسلامي يصادف يوم الحج لدينا. لماذا؟

ج. كان ينبغي أن لا يكون كذلك، يوم حجنا لا علاقة له بيوم حج المسلمين، يوم الحج لدينا هو تكريم للملكوت شيخ حسن، قبل شعبنا هذا لأن يوم الحج لدى المسلمين هو لتكريم إبراهيم، وليس للمسلمين أو لمحمد، يوم الحج هو لأجل إسماعيل وإبراهيم.

س. عقيدتنا غالباً ما تذكر أسماء مثل شمساني، تاداني، قاتاني، وبيراني، من هم هؤلاء، متى وجدوا وعاشوا؟

ج. نحن بالطبع منقسمون إلى شيوخ وبيران، وشيوخنا منقسمون إلى طوائف: شمساني، تاداني، قاتاني. الشمساني بالطبع من عائلة الشيخ شمس، الآداني من عائلة الشيخ آدي، القاتاني ينحدرون من عائلة الشيخ أبي بكر، هذه الطبقات أنشئت في عهد الشيخ آدي. أبيراني يشير إلى طائفة ابيران، وهذه الطائفة وجدت عقب عهد الشيخ آدي.

س. تصادف سنتنا الجديدة أول أربعاء من شهر نيسان، منذ متى ولماذا؟

ج. سنتنا الجديدة أقدم من الشيخ آدي، إنّه يوم مقدّس، كان ينبغي أن لا يكون يوم الأربعاء، المرة الأولى التي تم الإحتفال به في يوم الأربعاء عندما صادف ذلك اليوم السنة الجديدة وبقي كذلك، يقال أنه عطلة نحتفل بها تكريماً لطاووس ملك.

س. عند وفاة شخص إيزيدي، ما هي المراسيم والإجراءات الواجب إتباعها؟

ج. عند وفاة إيزيدي، أو عندما يعرف بأنّه في طريقه إلى الموت، يتوجّب إستدعاء أخيه الأبدي (أخ الآخرة) أو شيخه. وقبل رحيله يجب أن تمس شفاهه كرات التراب (برات) والماء من معبد الشيخ آدي. يتوجّب نقل الجسد إلى غرفة لغسله، في الماضي كان يغسل الجسد على لوحة خشبية أو يستخدم باب خشبي لهذا الغرض، وفي حال غياب شيخ الشخص المتوفي، أي شيخ في المنطقة يستطيع القيام بغسله، وعند الإنتهاء من عملية الغسل يلف الجسد بقطعة من القماش، يفضّل أن يكون من اللون الابيض، الملابس الداخلية والثوب يجب أن تكون من قماش أبيض، البنطلون وما

شابه غير مقبولة. يجب إستخدام الروب التقليدي والملابس الداخلية والغطاء الأبيض. نحن لا نستخدم الأكفان، يتوجّب حمل الجسد على قطعة من الخشب إلى مكان الدفن، بالطبع مع المراسيم الضرورية لدى وضع الجسد في القبر، أما أخوه الأبدي أو شيخه ينبغي أن يقوم بوضع روب فوقه قبل نثرالثرى عليه، الأحذية غير مسموح بها، لأنه في الأرض المقدّسة في بيت الله، وتعتبر الأحذية ذنباً، لكن الذهب مسموح به هناك، ومع ذلك نحن لا نترك الذهب في القبور لأن ذلك غير مسموح به.

س. لا يجوز دفن طفل ما لم يتم اختتانه أولاً. فلماذا؟

ج. طبقاً لقوانينا فإن الرجل الإيزيدي ينبغي أن يختن، من عهد الشيخ آدي وجب ختان الرجال الإيزيديين.

س. يتوجب على الرجل الإيزيدي أن يلبس قميصاً تحتياً أو داخلياً مع حافة دائرية عند منطقة العنق لماذا؟

ج. هذه قاعدة ديانتنا في السابق لم تكن خياطة فتحة العنق للقميص الداخلي عادة لدى العائلة، كان فتحة العنق تقطع وتخيط من قبل الاخت الأبدية (أخت الآخرة) أو من قبل الشيخ، لكن وضع هذا التقليد جانباً والعائلة تقوم بذلك أيضاً.

س. يفترض بالرجال الإيزيديين أن يربوا الشوارب، لكن منذ احتكاكهم بالآخرين يقوم البعض منهم بحلاقة شواربهم، لماذا لا يصح لهم القيام بذلك؟

ج. واجبنا تربية الشوارب، في السابق كان هذا مطلوباً في كل الديانات، وبمرور الزمن ضعفت التقاليد الدينية، وهذا أمر طبيعي في العالم بالنسبة لنا نحن الإيزيديون، كان هذا ولا زال واجب علينا تربية الشوارب.

س. عندما أنظر إلى البابا فقير وهو يجلس بيننا، أرى أنّه يلبس كساءً على شعره، ما أهمّيته؟ ولماذا يتوجب على الفقيران إرتداء هذا الغطاء للشعر؟

ج. أغطية الشعر تلبس عادة من قبل الدرويش، الشخص الذي يرتدي غطاء الشعر، عليه الإبتعاد عن ملذات هذا العالم وأن يعاني الالم من أجل التقرّب إلى الله، في الأيام الخوالي كان هذا الغطاء الصوفي الثقيل يلبس لمعاناة الألم والتقرب إلى الله، كلما ابتعد الشخص على الملذات والغرائز. كلما تقرّب إلى الله. لذا فإن الدراويش يرتدون هذا الغطاء لأجل المعانات والإقتراب من الله.

س. الكرات الترابية (برات) تعطى في دار الشيخ آدي لماذا؟

ج. تعتبر هذه الكرات طلاسم الشيخ آدي، وفقاً لعقيدتنا، عندما يكون الشخص في وضع حرج أو موقف خطر، إذا حمل كرة في يده ودعا الملك طاووس، فإن المساعدة آتية حتماً.

س. لاحظت بان الكرات موضوعة بالقرب من طاووس الشيخ آدي، إذا كان هذا ما يدعون به، منذ متى يجري الأمر على هذا المنوال، وماذا يعني ذلك؟

ج. بدأ هذا بعد فترة الشيخ آدي، تضاء شمعة وتنصب إلى جانب كل طاووس. الطواويس يحتفظ بها دوماً في الداخل أنها تشكّل رموزاً للشيخ آدي، مقدّسة وقيمّة جدا لذا ترسل لتعرض على الناس من قبل القوّالين، لنرشدهم إلى طريق الشيخ آدي، نهج قدمهم، يؤخذ كل طاووس إلى كل من المواطن السبعة.

س. قبل فترة رأينا ينبوع زمزم، ما أهمّية زمزم لدى الإيزيديين؟

ج. عند وصول الشيخ آدي إلى هذه المنطقة، كان هناك فقط كهف عديم المياه، وكان هذا مكان الشيخ آدي، حيث كان يدعو ويصلّي، وعندما وصل شيوخ بغداد لاختيار قابلياته أو ملاحقته خارج المنطقة، سألوه عن المياه للوضوء. فوقف الشيخ آدي ودعا الله والملك طاووس في طلب المساعدة، عندها أصدر أمراً إلى الجبل الذي انفتح وتدفقت منه المياه، لذا فالمكان الذي يستخدمه الشيخ آدي للصلاة والذي خرجت منه المياه دعي بزمزم، وهي كلمة عربية.

س. هل بإمكانك أن تخبرنا عن البناء الهرمي للدين الإيزيدي وواجبات كل مسؤول أو المختص بتلك الدائرة؟

ج. يأتي أمير الشيخان بعد آدي في المرتبة، هناك مجلس ديني، وأمير الشيخان بمثابة رئيسه وزعيم كل الإيزيديين. في المجلس الديني هناك الأمير حاج. الذي هو نائب عن أمير الشيخان في رئاسة المجلس الديني. يتألّف المجلس الديني من البيشمان. البابا شيخ، وزير الشيخان، ورئيس القوّالين. كل واحد من هؤلاء لديه مسؤوليات منفصلة. على سبيل المثال، البيشمان تنحصر مسؤوليته في كونه زعيماً لطائفة الآداني، (سليلو) الشيخ، البابا الشيخ مسؤول عن الخدم، الكوجك والمعمرين.

وزير االشيخان تقع على عاتقه مسؤولية طائفة الشمساني، ورئيس القوالين مسؤول عن كل القوالين، هذا المجلس الديني هو سلطة كل المسؤولين عن الدائرة اليزيدية وأمير الشيخان هو زعيم الجميع.

س. في دار الشيخ آدي هناك مضيف مسؤول عن المطبخ، وكذلك البابا جاويش، ما هي واجبات هؤلاء؟

ج. القائمون على المطبخ هم من الفقيران الذين يقومون بخدمة هذه الدار، المضيف مسؤول عن العناية بالدار، إشعال القناديل وما شابه، أما الجاويش فيتوجب عليه أن يكون ذكراً وغير متزوج. وجرت هذه العادة منذ القدم، وظيفته هي بصورة دائمة حيث يقوم بالإشراف على رعاية أمور الدار وخاصة الجانب الديني منها، وهذه الوظيفة قديمة جداً في هذه الدار.

س. رأينا الينبوع الابيض وطالما كنا نسمع به، ما مدى أهمّية هذا الينبوع بالنسبة لنا؟

ج. إنّه ينبوع مقدّس، وشكّل دائماً جزءاً من الأرض المقدّسة، ويعتبر الينبوع الأبيض سمة من سمات الإيزيدي، على كل إيزيدي أن يتم تعميده بهذه المياه قبل مماته، ولو عاش الإيزيدي بعيداً من هنا ولم يكن بمقدوره المجيء إلى هنا، فذلك بالطبع شأن آخر.

س. ماذا عن مراسيم الزواج.

ج. أحد أعضاء طائفة الشيخ حسن ينبغي أن يقوم بتلاوة مراسيم الزواج، بعد ذلك يتوجب تسجيل الزواج لدى الدوائر الحكومية.

س. على الشخص الذكر الإيزيدي أن يكون له شيخ، والشيخ يأتي لأول مرّة إلى بيته عندما يكون الطفل في الشهر التاسع أو الحادي عشر من عمره ويقطع خصلات من شعره فلماذا؟

ج. منذ عهد الشيخ آدي، يتوجب على كل مريد أن يدّبر قطع خصلات شعر ابنه من قبل شيخ. كما أن الإختتان واجب في ديننا فكذلك قطع (البسك)

س. يمكن أن يقال بأن لكل دين كتاب مقدّس، كالتوراة والإنجيل والقرآن، هل لدينا مثل هذا الكتاب المقدّس أم لا؟ إذا كان لدينا مثل هذا الكتاب فماذا حصل له؟ وما هو اسم الكتاب.

ج. بالطبع يتوجب أن يكون هناك كتاب لكل دين، كتبنا المقدّسة تدعى الجلوة ومصحف الأسود في الـ600 أو 700 سنة الأخيرة نحن عانينا من اضطهاد مستمر بسبب هذا القمع والملاحقة فقدنا كل كتبنا، أخذها الأخرون وبقينا صفر اليدين، طالما تعرّض موطننا وقرانا إلى النهب والسلب، وغالباً ما لجأ مواطنونا إلى الكهوف

أو الغابات وبسبب الاضطهاد المستمر والجرائم التي ارتكبت خلالها فقدنا كتبنا، فقدنا الكتب لكن تعاليم الدين بقيت حيّة.

س. نحن الإيزيديون لا يوجد عندنا شغار في الزواج «Pêguhûrk» ويجب أن يتم الزواج قبل حلول شهر نيسان، لماذا؟

ج. هذه عادة قديمة لدينا، أعتقد أنها وجدت قبل الشيخ آدي، لقد قيل لنا دوماً في بعشيقة وباهزاني بعدم حرث الأرض قبل منتصف نيسان، وكان الأمر كذلك قبل فترة الشيخ آدي.

س. هنا كلمة يمتعض منها الإيزيديون كثيراً إذا ما تفوهت بها في حضورهم، فلماذا يمتعض الإيزيديون لدى سماعهم هذه الكلمة؟

ج. هذا واضح فالملك طاووس ليس شخصاً عادياً، إنه ملاك، بل رئيس الملائكة، يأتي بعد الله في المرتبة، أعماله جديرة بالثناء، لم يفعل أي شيء فيه تحدٍّ لله، نحن لا نقبل أن يطلق عليه أسماء لا تليق به، له اسم رائع، ليس من العدل إعطاءه اسماً سيئاً، هذا الأمر بمثابة إطلاق اسم اللص على شخص عظيم ونبيل، نحن نعترف باسمه الحقيقي وليس هذا الاسم الخاطئ القبيح.

س. ذات مرّة كان هناك العديد من الكواجك من هو الكوجك؟ ما هي الواجبات الملقاة على عواتقهم، فيما إذا كانت هناك أية واجبات؟

ج. نحن لا نعلم إذا كان أصل هذه الكلمة فارسياً أو كردياً، كان الأشخاص الحاملون للقب الكوجك يؤدون الخدمات الدينية في دار الشيخ آدي، كانوا يقومون بالإعتناء بالناس في دار الشيخ آدي. وكانوا يعلمون الغيب، على سبيل المثال، إذا فقد أحدهم ابناً، أو كان ابنه مريضاً، كان يأتي إلى الكوجك، على كل حال، لم يبق العديد منه في هذه الايام.

س. في بعشيقة وبهزاني لدى كل شخص، شخص آخر مسن (إختيار) لماذا هكذا هو الأمر هناك وليس هنا؟ وليس الأمر كذلك في الشيخان. ماذا يعني ذلك؟

ج. من حيث الأهميّة لدى الإيزيديين، هذه القرى تأتي بعد معبدنا الرئيسي، إنها مراكز قديمة، لأنه تمّ تدمير معبدنا ذهب الملاك شمس إلى باهزاني والملاك شيخ حسن توجه إلى بعشيقة، القوالون ينتمون إلى المركز الديني في بعشيقة والذي يغطي كل من بعشيقة وباهزاني، إثنان من المسنين يعتبران أعضاء في المركز، أحدهم يمثل المسنين في باهزاني والآخر يمثل المسنين في بعشيقة.

س. إحصائياً ما هو عدد الإيزيديين في العراق؟

ج. لا نملك إحصائيات دقيقة، لدينا عدد تقريبي، فالحكومة لا تصدر الأعداد الصحيحة.

س. ما هي أعيادنا الرسمية؟

ج. الأعياد الإيزيدية الرسمية هي، قبل كل شيء، إحتفال السنة الجديدة الذي هو عيد مقدس يقام في أول أربعاء من شهر نيسان، بعد ذلك يأتي عيد أيزيد، بعده إحتفال الصيف وإحتفال الشتاء وعيد خضر إلياس، هذه هي الأعياد الرسمية.

س. فيما يتعلق بمهور العرائس، يجدها الإيزيديون غالية جداً ممّا يسبب مشاكل، هل دفع المهر مسموح به في الديانة أم لا؟

ج. تقريباً كل الأديان تحرم دفع المهر للعروسة، من الجائز أن الأديان تسمح بقضايا رمزية، لكن المهور الغالية تعتبر إثماً.

س. ما هو التعريف «القيّم» (المجيور)؟

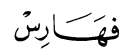
ج. إذا كان هناك معبد في قرية، فالقيم هو الشخص الذي يقوم على رعاية أمورها كإشعال القناديل، والحفاظ على النظافة وكذلك إلاء الإهتمام بالأمور الدينية في القرية. كما أن مختار القرية مسؤول عن الشؤون الحكومية، فإن القيّم مسؤول عن الأمور الدينية.

س. في لالش هناك ممثلون لطبقات عديدة، متى وجد هؤلاء كلهم؟

ج. وجدوا في عهد الشيخ آدي، كل الشيوخ والبيران أينما وجدوا، جاءوا أصلاً من هذا المكان، على سبيل المثال شخص يعيش في السهل ويأتي إلى هنا يتم تعينه رسمياً كـ«بير». سيدخل المدرسة هنا، ويعيش هنا لمدّة عشرة أو عشرين سنة ويعود بعدها مدّة أخرى إلى موطنه القديم حيث يصبح الزعيم الديني في منطقته[1].

---

(1) جون. س. كيست. الملحق (3). أجريت هذه المقابلة باللغة الكردية في معبد الشيخ آدي بلالش، شمال العراق في 6 أيار سنة 1990. وسجلت على شريط فيديو من قبل ديني فيلم متوقفاً إطلاق نسخة رسمية، أذن للمؤلّف بنشر هذه الترجمة بالإنكليزية باعتبارها بدائية وغير رسمية. ترجمها إلى اللغة العربية. مترجم هذا الكتاب «عماد جميل مزوري».


فهارس

فهرس المراجع العربية

- أ -

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ. الجزء. 11. دار صادر بيروت 1965.
- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. دار صادر. بيروت 1960.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار المكتبة المصرية. القاهرة. 1935.
- ابن تيمية: فتاوى ابن تيمية: الجزء الثاني.
- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات. منشورات دار الآفاق الجديدة: بيروت الطبعة الثانية 1980.
- ابن جميل: ردّ على الرافضة واليزيدية المخالفين للملّة الإسلامية المحمدية. دائرة المعارف الإسلامية.
- ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. دار الكتب العلمية. بيروت 1992
- ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة. الجزء 5. تعليق صدقي جميل العطّار. بيروت 2001.
- ابن حديد: شرح نهج البلاغة. الجزء الأول.
- ابن حوقل: صورة الأرض: مكتبة الحياة. بيروت 1979.
- ابن خلدون: المقدّمة. الكتاب الأول، في العمران. دار الكتاب اللبناني. بيروت 1967 – 1978.
- ابن خلكان: وفيّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الجزء 3. تحقيق إحسان عبّاس. دار الثقافة. بيروت 1970.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى. الجزء 5. طبعة لايدن 1905.
- ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات. مطبعة بولاق. مصر 1283 هـ.
- ابن العبري: تاريخ مختصر الدول. تحقيق الأب أنطوان صالحاني اليسوعي. المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1955.
- ابن عربي محيي الدين: محاضرات الأبرار ومسامرات الأخيار. الجزء 1 القاهرة 105 هـ.
- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة. تحقيق بشّار عوّاد معروف، وعماد عبد السلام رؤوف. دار المغرب الإسلامي. بيروت 1997.
- ابن الفوطي: تلخيص مجمع الأداب في مجمع الألقاب: تحقيق مصطفى جواد. وزارة الثقافة

والإرشاد القومي. مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم: دمشق 1962 - 1963.

- ابن كثير: البداية والنهاية. الجزء 12. منشورات مكتبة صادر. بيروت 2005.
- ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. تحقيق ونشر أحمد زكي باشا. الجزء 13. القاهرة. دار الكتب المصرية 1924.
- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهاني: في حلبة الأولياء. الجزء 9 و 10. القاهرة 1351 هـ.
- أحمد سعيد سامي: اليزيدية. نشر هنري فيلا.
- أحمد سعيد سامي: اليزيدية، أحوال ومعتقداتهم الجزء 1 - 2. بغداد 1971.
- أحمد مظهر كمال: كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى. ترجمة محمد الملا عبد الكريم. بغداد 1977.
- أرملة إسحق: القصارى في نكبات النصارى. بيروت 1920.
- أرڤون هنري: البوذية. ترجمة هنري زغيب. توزيع مؤسّسة نوفل. المنشورات العربية. سلسلة ماذا أعرف. رقم 36. الطبعة الثانية. بيروت 1985.
- الأسدي: موسوعة حلب. الجزء الخامس.
- الأسفرياني: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين. تحقيق محمد زاهر الكوثري. القاهرة 1955.
- إسحق حسّان د. الميتولوجيا ونشوء العبادات القديمة. دار الأبجدية، دمشق. 1993.
- إسماعيل بلال زبير: محمد الخطي ونهاية الإمارة السورانية. مجلّة الحكم الذاتي. عدد 4. أربيل العراق 1983.
- إسماعيل نوري: الديانة الزرادشتية. الزديستا.
- الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة. الخطبة 163.
- الأموي بايزيد الأمير: مجلّة التراث الشعبي. العدد 5. السنة الرابعة 1973.
- أندوز. ن. ألفس: الإيزيديون. موسوعة البعثات. المجلّد الثاني 1891.
- أومريكو حسّو: مجلّة روز. العدد 7 - 8. 2000.
- إنجيل بوذا. ترجمة سامي سليمان شيّا. دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى. بيروت 1991.
- الألوسي محمود: نشوة المدام. في العود إلى مدينة السلام. مطبعة الولاية بغداد 1293 هـ.
- أوليفيه: رحلة أوليفيه إلى العراق. ترجمة الدكتور يوسف حبّي. مطبعة المجمع العلمي العراقي. بغداد 1988.
- أوين كنليف: عبر بوابات الذاكرة من البوسفور إلى بغداد.

• إيهار أندريه: أبو بداية حنيني: تاريخ الحضارة. الجزء 1. الطبعة الثانية. منشورات عويدات. بيروت. باريس. 1981.
• أينج. د. ر.: الوثنية والفلسفات تاريخ العالم. الجزء الثالث. الفصل السابع والستون. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

- ب -

• بابانا يوسف: القوش عبر التاريخ. بغداد.
• بارندر جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. عالم المعرفة. رقم 179. الكويت. أيار 1993.
• باري. هـ. أوسوالد: ستة أشهر في دير سوري.
• بالوف بخينوف: الموسوعة الفلسفية. ترجمة سمير كرم. دار الطليعة. بيروت.
• بخش تاج أحمد: تاريخ الصفويين. شيراز 1372 هـ.
• بدج وليس السير: رحلات إلى العراق. ترجمة فؤاد جميل الجزوح. مطبعة شفيق. بغداد 1968.
• بدران عبد الرحمن: مجلّة الجنان البيروتية. الجزء 7، 1876.
• بدليسي خان شرف الأمير: شرفنامه. ترجمة محمد جليل الملا أحمد الروزباني. دار المدى للثقافة والنشر. دمشق. الطبعة الثالثة. 2007.
• بدوي عبدالرحمن: تاريخ التصوّف الإسلامي. الطبعة الثانية. وكالة المطبوعات. الكويت 1978.
• براور أريك: يهود كردستان. ترجمة شاخون كركوي وعبد الرزاق بوتاني.
• برصوم الأول أفرام اغناطيوس: اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية. الطبعة الثالثة. مطبعة الشعب. بغداد 1976.
• بروسكي. د. مجلّة المقتطف المصرية. عدد 13. 1889.
• بريديل كيث. الأديان الناشئة في الشرق الاقصى. تاريخ العالم. الجزء الثاني. الفصل الأربعون. نشره بالإنكليزية السير جون هامرتن. ترجمة وزارة المعارف المصرية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
• البستاني بطرس. دائرة المعارف. المجلّد العاشر. مادة سنجار. دار المعرفة. بيروت.
• البصري الوائلي سند بن عثمان: مطالع السعود. تحقيق عبد السلام رؤوف، وسهيلة عبد المجيد القيسي. دار الحكمة للطباعة والنشر. الموصل. العراق. 1991.
• بصري مير: إعلام الأدب في العراق. دار الحكمة. لندن. 1994.
• بطي رفائيل: عبادة الشيطان عند اليزيدية. جريدة البلاد البغدادية 16 تشرين الأول 1939.

- بارندر جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. مكتبة مدبولي القاهرة 1996
- باعذري زيدو: نتف من المراسيم الإجتماعية لدى اليزيدية «الزواج» مجلّة لالش. العدد 11. دهوك. العراق. 1993
- البغدادي «بن مسافر» عدي بن مسافر الهكاري. هدية العارفين وأسماء المؤلّفين وأثار المصنفين. إستانبول. 1951.
- البغدادي: تاريخ بغداد. دار الفكر. بيروت.
- البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق. دار الجيل والآفاق الجديدة. بيروت 1978.
- البلاذري: فتوح البلدان. مراجعة وتعليق محمد رضوان. مصر. مطبعة السعادة 1959.
- بل ألفرد: تاريخ الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي. ترجمة عبد الرحمن بدوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت 1958.
- بن متّى عمرو: أخبار بطاركة كرسي المشرق. كتاب المجدل. روما. 1896
- البنّا هاشم: اليزيديون. مطبعة الأمة. 1964.
- بهنام الراهب الموصلي السرياني. مجلّة المشرق البيروتية. 1952.
- بوا توما الاب: اليزيدية. نبذة تاريخية واجتماعية في أصلهم الديني. مجلّة المشرق. العدد 55. 1939.
- بهجة المعرفة. الجزء الثاني. الإنسان والمجتمع. الطبعة الثانية، المجموعة الثانية. الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. دار المختار. جنيف. سويسرا.
- بيل جرترود: اليزيديون: فصول من تاريخ العراق القريب. ترجمة جعفر الخياط. دار الكشاف.
- بيدا ويد روفائيل المطران: اليزيدية. الموصل في القرن الثامن عشر. مذكرات دومينيكو لانزا. الطبعة الثانية 1953.

- ت -

- ثابت محمد: اليزيديون عبدة الشيطان. جولة في ربوع الشرق الأدنى بين مصر وأفغانستان. القاهرة 1934.
- التطيلي بنيامين: رحلة بنيامين التطيلي. ترجمة عازار حداد. بغداد 1945.
- تقرير هيئة أركان القوات البريطانية في العراق حول «ميسوبوتاميا» المنطقة رقم 1. شمال الجزيرة 1922.
- التلعفري عبّوش أحمد: ثورة تلعفر 1920 والحركات الوطنية الأخرى في منطقة الجزيرة. بغداد. 1979.

- تمبل ريتشار السير: عبدة الشيطان في العراق. جريدة بغداد العراقية. 25 كانون الأول 1928.
- تنينكجي ناووجي. ن. ب. أ. دراسات حول اليزيدية. مجلّة Roc العدد 2 المجلّد العاشر. باريس 1914 - 1915.
- تور أندريه: التصوّف الإسلامي. ترجمة عدنان عبّاس علي. الطبعة الأولى. منشورات الجمل. كولونيا، ألمانيا. 2003.
- تونجي محمد. د. اليزيديون. واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم. الطبعة الأولى. المكتبة الثقافية. بيروت. 1999.
- تيمور أحمد: اليزيدية وبحث في منشأ عقيدتهم. مجلّة المقتطف المصرية. عدد 8 و11. 1916.

- ج -

- الجراد محمد خلف: اليزيدية واليزيديون. الطبعة الأولى. دار الحوار للطباعة والنشر. اللاذقية. سوريا 1995.
- جرندي. ب. ج. الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم. تاريخ العالم. الفصل السابع والثلاثون.
- جريدة الإتحاد العراقية. العدد 375.
- جليلي جليل: من تاريخ الإمارات في الإمبراطورية العثمانية. ترجمة محمد عبود البخاري. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق 1987.
- جليلي جليل: الحركة الكردية في العصر الحديث. ترجمة عبدي حاجي. دار الرازي للطباعة والنشر. بيروت 1992.
- جواد مصطفى د. : العلي اللاهية واليزيدية. مجلّة العدل الإسلامي العدد 4 و5. النجف. العراق. 1992.
- جواد مصطفى. د. في اليزيدية، أي عبدة الشيطان، مجلّة الإخاء، القاهرة 1931.
- جواد مصطفى. د. تاريخ الإسلامي الذهبي. مجلّة سومر.
- جودت أحمد: تاريخ جودت. الجزء 3. المطبعة العثمانية. استانبول 1303 هـ.

- ح -

- الحايك يوسف اسكندر: اليزيدية. بيروت 1936
- حبيب جورج: اليزيدية بقايا دين قديم. بغداد. مطبعة المعارف. 1978.
- حبّي يوسف: كنيسة المشرق. بغداد 1988.
- الحسني عبدالرزاق: اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. المكتب العربي لتوزيع المطبوعات. الطبعة العاشرة. بغداد 1984.

- الحسني عبد الرزاق: العراق قديماً وحديثاً. الطبعة الثالثة. مطبعة العرفان. صيدا. لبنان 1958.
- حسّو درويش: الإزداهيون الإيزيديون. بون. ألمانيا. 1992.
- الحمد الحميد عبد محمد: الرهبنة والتصوّف دمشق. 2004.
- الحموي ياقوت: معجم البلدان: الجزء الخامس. دار صادر. بيروت 2007.
- حميد محمد فوزي: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة. دار حطين. دمشق. 1993.
- الحنبلي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة. 1351 هـ.

- خ -

- خاصباك شاكر د. : العراق الشمالي. مطبعة شفيق. بغداد. 1973.
- خان طالب أبي: رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا. 1213 هـ. ترجمة مصطفى جواد. مطبعة الإيمان. بغداد.
- خان عبد المعين محمد: الأساطير والخرافات عند العرب. الطبعة الثالثة. بيروت 1981.
- خطاب شيت محمود: بلاد الجزيرة قبل الفتح الإسلامي مجلّة المجمع العلمي العراقي. المجلّد 36. بغداد 1985.
- الخلف جاسم محمد: جغرافية العراق. القاهرة. 1965.
- خلف الجدعان: اليزيديون. 1966.
- الخوري يعقوب. اليزيدية. دليل المملكة العراقية. 1935 – 1936 – المالية. بغداد 1935.
- الخياط جعفر: صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة. مطبعة دار الكتب. بيروت 197.

- د -

- دائرة المعارف الإسلامية: المجلّد 12. اليزيدية.
- دائرة المعارف الإسلامية: طهران المجلّد 4.
- دار صدام للمخطوطات: مخطوط رقم 30580، تاريخ 974 هـ. بغداد.
- الدرة محمود: القضية الكردية. الطبعة الثانية. دار الطليعة. بيروت. 1966.
- درور ليدي: في بلاد الرافدين. صور وخواطر. ترجمة فؤاد جميل. الطبعة الأولى. مطبعة شفيق. بغداد.
- درور ليدي: اليزيدية وعبدة الشيطان. ترجمة فؤاد جميل. مطبعة شفيق. بغداد. 1961.
- درويش محمود فهمي: الدليل العراقي الرسمي. 1936. اليزيدية. مطبعة دنكور. بغداد 1936.
- الدنادي حسن ميرزا: جوانب من حياة اليزيديين في سنجار. مجلّة الثقافة الجديدة. المجلّد 268. دمشق. شباط. آذار. 1996.

- الدملوجي صديق: اليزيدية مطبعة الإتحاد. الموصل. العراق. 1949.
- الدملوجي صديق: الشيخ حسن الأموي القرشي. مجلّة الجزيرة 1 الموصل حزيران 1946.
- الدملوجي فاروق: تاريخ الأديان. الألوهية وتاريخ الألهة. الأهلية للتوزيع والنشر. بيروت. 2004.
- الدين شمس سامي: قاموس الإعلام. الجزء الثالث.
- الدناني شمو قاسم: حسين بك الداسني. مجلّة لالش عـ8 دهوك. العراق. 1997.
- ديورانت ول: قصة الحضارة الجزء الأول. ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود. دار الجيل. بيروت. لبنان.
- دي كوفان: اليزيدية. مجلّة لالش. دهوك. العراق. نيسان 1994.

- ذ -

- الذهبي: الحافظ شمس الدين أبي عبدالله: إعلام النبلاء، العبر في خبر من غبر. الجزء 5. تحقيق صلاح الدين المنجّد، وفؤاد سيّد. دار التراث العربي. الكويت. وزارة الإرشاد والانباء. 1960 - 1963.
- الذهبي: دول الإسلام. الجزء 2. حيدر أباد. مطبعة دائرة المعارف النظامية. 1337 هـ.

- ر -

- رابنسون جارلس الكسندر: تاريخ بستان. ترجمة د. إسماعيل دولتشاهي طهران.
- رازي عبد الله: التاريخ الكامل لإيران. طهران 1378 هـ.
- راندل جونثان: امة في شقاق. ترجمة فوزي محيلي. دار النهار للنشر. بيروت
- الربيعي غانم عماد: من تاريخ اهالي نينوى. الموصل. العراق 1999.
- رزوق عيسى: مرقد الشيخ عدي. مختصر جغرافية العراق. المطبعة السريانية الكاثوليكية. بغداد. 1922.
- رؤوف عبد السلام عماد: ادارة العراق. دار الحكمة للطباعة والنشر. بغداد 1992.
- روبنسون. هـ. تيودور: اسرائيل في ضوء التاريخ. تاريخ العالم. الجزء الثاني. الفصل السابع والعشرون. ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية مكتبة النهضة المصرية. شارع عدلي باشا. مصر.
- رولنس. س. هـ. ملاحظات حول رحلة من تبريز. مجلّة الجمعية الملكية البريطانية. لندن.
- ريج كلوديوس: رحلة ريج في العراق 1820. ترجمة بهاء الدين نور. 1951.

- ز -

- زاده صفي صديق: تاريخ كردستان. طهران. 1378 هـ.
- الزركلي خير الدين: موسوعة الإعلام. الجزء الخامس. القاهرة 1955. دار العلم للملايين. بيروت.
- زريق قسطنطين: اليزيدية. قديماً وحديثاً. المطبعة الأميركية. بيروت 1934. المقدّمة، لأن الكتاب نشر إسماعيل جول.
- الزعبي علي محمد: وصايا الشيطان. مؤسّسة الزعبي للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
- زكي أمين محمد: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان. ترجمة محمد علي عوني. الطبعة الثانية 1946.
- الزهيري: كتاب الجغرافيا وما ذكرته الحكمة فيها من فن العمارة. تحقيق محمد صادق. دمشق. 1968.
- زودو لوقا: اليزيديون وجدّهم نبوخذ نصّر. أهل المذهب اليزيدي وعلاقته بالأديان الأخرى. بيروت 1979.
- ز. ينغون: كتاب الصعود. ترجمة يعقوب أفرام منصور. مجلّة المورد. عدد 4. بغداد 1975.

- س -

- سانس هنري: عظمة آشور. ترجمة خالد أسود وأحمد غسان. الدار السورية. دمشق. 2002.
- ستيغلي منتشا.م. ألبرت: العراق في سنوات الإنتداب البريطاني. ترجمة صالح هاشم التكريتي. بغداد 1978.
- السخاوي محمد بن عبد الرحمن: تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والمباركات. القاهرة 1937.
- سركيس يعقوب: مباحث عراقية: الجزء الثاني. بغداد 1947.
- سلمان خدر: مجلّة التراث الشعبي. عدد 15 أيار. 1973 العراق.
- السماك زاهر محمد: العراق، دراسة إقليمية. الموصل. العراق 1985.
- السلمي خدر بير: الملائكة في الديانة اليزيدية. ترجمة خدر شنكاري. لالش. العراق.
- سليمان وجندي: ئيزيدي. بغداد.
- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم: كتاب الأنساب. المجلّد الأول. نشر المستشرق د. س. مرجليوت. مكتبة المثنّى، د. ت. لندن. لوزاك 1912.
- سميث أليوت: فكرة الإنسان عن خوارق الطبيعة وأثرها في تطوّره. تاريخ العالم. الناشر جون هامرتن. الفصل العاشر. الجزء الأول. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.
- سون ميجر: رحلة متنكر إلى بلاد ما بين النهرين وكردستان. ترجمة فؤاد جميل. الجزء 1. الطبعة

الأولى. مطابع الجمهورية. بغداد 1970.

- سي. جي. أدموندز. كرد وعرب. ترجمة غريس فتح الله. الطبعة الثانية. دار راس للطباعة والنشر. أربيل. العراق. 1999.
- سيوفي. ن. ملاحظات عن الطائفة اليزيدية. المجلّة الآسيوية. العدد 7. المجلّد 20. باريس 1882.

- ش -

- شابري لورانت. شابري آني: سياسة وأقلّيات في الشرق الأدنى. مكتبة مدبولي. القاهرة 1991.
- الشابشتي أبو الحسن علي بن محمد: كتاب الديارات. تحقيق كوركيس عوّاد. بيروت 1986. هذا الكتاب كانت قد نشرته مكتبة المثنى في بغداد 1951 - 1960.
- شابو: كتاب المجامع الشرقية. باريس. 1902.
- شامير جرميا: رسالة إلى أ. ن. أندروس. المجلّة الأميركية للغات والآداب. العدد 25. 28 تشرين الأول 1892.
- الشرقي علي: مجلّة العرفان. عدد 11. صيدا. لبنان. 1925.
- الشهرستاني محمد عبد الكريم: الملل والنحل. الجزء 1. المكتبة العصرية. بيروت.
- شميساني حسن. د. مدينة سنجار من الفتح العربي الإسلامي حتّى الفتح العثماني. الطبعة الأولى. دار الآفاق الجديدة. بيروت 1983.
- شمدت أدامز دانا: رحلة إلى رجال شجعان. ترجمة جريس فتح الله. الطبعة الثانية. دار ئاراس للطباعة والنشر. أربيل. العراق 1998 - منشورات مكتبة الحياة. بيروت. لبنان.
- الشنتاوي أحمد: دائرة المعارف الإسلامية. مادة سنجار. دار المعرفة. بيروت.
- الشنطوفي: بهجة الأسرار. مساهمات في سيرة عبد القادر الكيلاني. مجلّة المكتبة الآسيوية 1907.
- شوريز ألفونس القس: اليزيديون. جريدة السمير. نيسان وأيار 1944. بروكلن. نيويورك.
- شير آدي: أشهر شهداء المشرق. الجزء 1 الموصل 1904.
- شير آدي: التاريخ السعردي الباترولوجية الشرقية. 1907 - 1918.
- شير آدي: تاريخ كلدو وآشور جزء 2. المطبعة الكاثوليكية. بيروت 1905.

- ص -

- صادر قيصر: اليزيدية، عقائدهم وتقاليدهم. مجلّة المقتطف المصرية. آذار 1936.
- الصائغ الياس بن داوود: اليزيدية تاريخهم واعتقادهم وأسرار ديانتهم وبعض كتبهم. مركز لالش الثقافي والإجتماعي. دهوك. العراق. رقم 33. 1883.

- الصائغ سليمان: تاريخ الموصل. مصر. المطبعة السلفية 1923.
- صديق عبدالله. المجلّة. عدد 1. الموصل العراق.
- الصوفي أحمد: خطط الموصل: الجزء الثاني. الموصل. العراق. 1953.
- الصوفي أحمد: المماليك في العراق. مطبعة الإتحاد الجديد. الموصل. العراق. 1952.
- صيداوي أنيس: الطوائف في العراق. مجلّة الكلية عدد 8. بيروت 1922.

- ط -

- طومسون كامبل: دولة بابل أيام حمورابي. تاريخ العالم. الجزء الأول. الفصل الثامن عشر. نشر جون هامرتن. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.

- ع -

- عابد علي: مجلّة مواسم. العدد 5 – 6. القامشلي. سوريا. 1995.
- عبود زهير كاظم: التنقيب في التاريخ الإيزيدي القديم. دار سبيرز للطباعة والنشر. دهوك. العراق. 2006.
- عبدال إفرام الخوري: اللؤلؤ النضيد في تاريخ مار بهنام الشهيد. مطبعة الإتحاد الجديد. الموصل. 1951.
- عبيد. ر. ويونك. ل. ج. تاريخ وطقوس إيزيدية. الموصل. العراق.
- عثمان ممو بيير. د. الديانة اليزيدية بين عبادة الشمس والتصوّف. فصلية لالش. العدد 21. العراق. 2004.
- العدول محمد جاسم: الموصل في العهد الحميدي: 1876 – 1909.
- العمري امين تحسين. الموصل خلال الحرب العظمى 1914 – 1918.
- العمري ياسين: غرائب الأثر في حوادث القرن الثالث عشر هجري. مطبعة أم الربيعين. الموصل. العراق. 1914.
- العمري محمد. منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء. الجزء 1. تحقيق سعيد الديوجي. مطبعة الهدف. الموصل. العراق. 1955.
- عزت محمد فائز: الكرد في إقليم الجزيرة وسهرزور في صدر الإسلام. جامعة صلاح الدين. أربيل. العراق. 1991.
- العلوي مهدي محمد: تتمة عن اليزيدية. مجلّة لغة العرب. الجزء 7. تموز 1929.
- علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني. مطبعة الشعب. بغداد. 1948.
- العزاوي عباس: تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم: مطبعة بغداد. بغداد 1935.

- عوّاد كوركيس: دار صدّام للمخطوطات. مخطوط رقم 39918. ورقة 3.
- عوني علي محمد: خلاصة تاريخ الكرد وكردستان. مطابع زين الدين. بيروت 1985.
- العهد القديم: سفر التكوين. المكتبة الشرقية. جمعية الكتاب المقدّس في المشرق. الطبعة الثالثة. بيروت. لبنان. 1994.
- العهد القديم. الأخبار الأول. زكريا. أشعيا.
- أعمال الرسل.
- عيدو محمود: الإيزيدية في منطقة عفرين. مجلّة لالش عدد 8. دهوك العراق. آب 1997.

- غ -

- غرنو فيسز: تاريخ الشعب اليزيدي وديانته. ترجمة فرهاد إبراهيم. مجلّة لالش عدد 2 – 3. دهوك.
- غريبو صبري فرماز: الإيزيديون في سوريا. منطقة الجرّاح. مجلّة لالش عـ4 دهوك. 1994.
- الغلامي المنعم عبد: بقايا الفرق الباطنية في لواء الموصل. الموصل. العراق 1950.
- الغلامي المنعم عبد: ثورتنا في شمال العراق 1919 – 1920. الجزء 1. بغداد 1960.
- الغمراوي سامي: قصّة الأكراد في شمال العراق. دار النهضة العربية. القاهرة 1967.
- غوست جون: اليزيديون في ما وراء القوقاز وما بعدها. لندن.

- ف -

- فتاح شاكر: اليزيديون والديانة اليزيدية. ترجمة دخيل شمو حكيم. الطبعة الأولى. بيروت. 1997.
- فرحان زيّان عدنان: الكرد الإيزيديون في إقليم كردستان. مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية. السليمانية، العراق. 2004.
- فريحة أنيس: نصوص يزيدية من بلد سنجار. JAOS. العدد 66. 1946.
- فريزر بيللي جيمس: رحلة فريزر إلى بغداد في 1834. ترجمة جعفر الخيّاط. الطبعة الأولى. مطبعة المعارف. بغداد 1964.
- فوربس: زيارة إلى جبل سنجار. 1883. المجلّة الجغرافية الملكية البريطانية عدد 9.
- فوستر هنري: نشأة العراق الحديث. ترجمة تسليم طه التكريتي. الجزء الأول. منشورات المكتبة العلمية. 1989.
- فوصيل دي بيير: الحياة في العراق منذ قرن 1814 – 1914. ترجمة أكرم فاضل. دار الجمهورية. بغداد.

- فوكارو نيلدا: جوانب من حياة اليزيديين في سنجار. مجلّة الثقافة الجدية المجلّد 265. دمشق آب وأيلول 1995.
- فوكارو نيلدا: حول تاريخ اليزيديين الإجتماعي في العراق. مجلّة المواسم العدد 35 - 36. هولندا 1998.

- ق -

- قادرية لويس، وجورج قنواتي: فلسفة الفكر الديني في الإسلام والمسيحية. الطبعة الثانية. ترجمة صبحي الصالح وجورج جبر. دار العلم للملايين. بيروت 1938.
- القاذفي محمد بن يحيى الحنبلي: قلائد الجواهر في مناقب الشيخ عبد القادر. القاهرة 1303 هـ.
- كتاب القرآن.
- قاشا سهيل الأب: اليزيدية. مكتبة السائح. طرابلس. لبنان. 2004.
- القس إسحاق: اليزيدية: تعريب الياس خوشا باشكوانا. 1932.
- القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان): الرسالة القشيرية في علم التصوّف. دار الكتاب العربي. بيروت.
- القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. دار الكتب الخديوية. المطبعة الأميرية. القاهرة 1918.
- قنواتي جورج الأب: المسيحية والحضارة العربية. الطبعة الثانية. المؤسّسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. المكتبة العالمية. بغداد 1984.

- ك -

- كتاب الجلوة. الكتاب الديني عند اليزيديين.
- الكتبي محمد بن شاكر: فوات الوفيّات. تحقيق إحسان عباس. دار صادر بيروت.
- الكحلاوي محمد: الحقيقة الدينية من منظور الفلسفة الصوفية. دار الطليعة بيروت 2005.
- الكحلاوي محمد: مقارنات وبحوث التصوّف المقارن. دار الطليعة بيروت 2008.
- الكرملي أنستاس الأب: مجلّة المشرق. 1899. بيروت.
- الكرملي أنستاس الأب: اليزيدية. أرشيف مركز لالش الثقافي والإجتماعي. رقم 34. دهوك العراق.
- الكرملي أنستاس الأب: مركز لالش الثقافي والإجتماعي. ورقة 52 - 53. دهوك. العراق.
- كروزيه موريس: تاريخ الحضارات العام. الجزء 1. الكتاب الثاني. منشورات عويدات. بيروت - باريس. الطبعة الثانية 1980.

- كريمر صموئيل: السومريون: ترجمة فيصل الوائلي. منشورات وكالة المطبوعات الكويت.
- كوبي نورا: الطريق إلى نينوى. ترجمة الدكتور سلسل محمد الطائي: دار المأمون للترجمة والنشر. بغداد 1998.
- كوكر جون. الفكر الشرقي القديم: ترجمة كامل يوسف حسين. عالم المعرفة عدد 199. شهر تموز 1995. الكويت.
- كوفان: الإيزيدية: مجلّة لالش. العدد 4. 1994. العراق.
- الكوراني رشيد علي: من عمان إلى العمادية، أو جولة في كردستان الجنوبية. الطبعة الثانية. دار البشير. عمان 1996.
- كوسفين أ.م. د: دراسات في تاريخ الحضارات. ما قبل التاريخ المكتوب. تعريب مروان عبود. دار المأمون. بيروت. 2000.
- كيث بريديل: الأديان الناشئة في الشرق الأقصى: تاريخ العالم. الفصل العشرون. نشر جون هامرتن. مكتبة النهضة المصرية.
- كيست س. جون: تاريخ اليزيديين. ترجمة عماد جميل مزوري. الدار العربية للموسوعات. الحازمية. لبنان 2006.
- كيلاني سيّد محمد: اليزيدية أو عبدة الشيطان. ملحق الجزء الثاني من كتاب الملل والنحل للشهرستاني. بيروت. دار المعرفة 1984.
- كينه مكدنل جون: الإنتشار الجغرافي لليزيديين في بلاد فارس. لندن 1814.

- ل -

- لازفيريق: تقرير لازفيريق الممثل السوفياتي في باطوم عن جيش أرمينيا. 25 تشرين الأول 1920.
- لايرد أوستن هنري: إكتشافات في خرائب نينوى وبابل. لندن 1849.
- لوك تشارلز: الأقلّيات في الموصل. لندن 1925.
- لونكريك هيمسلي ستيفن: العراق الحديث. ترجمة سليم طه التكريتي. الجزء 1. الطبعة الأولى. منشورات الفجر بغداد 1988.
- لونكريك: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث: ترجمة جعفر الخيّاط. الطبعة السادسة بغداد. 1985.
- ليسكو روجيه: اليزيدية في سوريا وجبل سنجار: ترجمة أحمد حسن. الطبعة الأولى. دار المدى بيروت 2007.
- ليسكوت روجرز: تحقيق حول اليزيديين في سوريا وجبل سنجار: مذكرات المعهد الفرنسي في

دمشق الجزء 4. 1938.
• لير خ. ب. دراسات حول الأكراد وأسلافهم الخالدين الشماليين. ترجمة د. عبدي حاجي. الطبعة الأولى. منشورات مكتبة خاني. حلب 1994.

- م -

• ماريون. ر. أ. ج. فكرة الإمبراطورية وكيف شكلت المدنيات الأولى. تاريخ العالم. الجزء 1. الفصل الثالث عشر. نشر جون هامرتن. مكتبة النهضة المصرية.
• المائي أنور: الأكراد في بهدينان. الطبعة الثانية. طه بات. دهوك. العراق. 1999.
• الماجدي خزعل: الدين السومري. دار الشروق للنشر والتوزيع. عمّان الأردن. 1998.
• متشا شفيلي م. ألبرت: العراق في سنوات الإنتداب البريطاني. ترجمة هاشم صالح التكريتي. بغداد 1978.
• مجلّة Roc. العدد 2 المجلّد 10. 1915 - 1917. باريس. مقتطفات ودراسات حول اليزيديين.
• مجلّة أخبار الأدب. عدد شباط 1997. اليزيدية في العراق.
• مجلّة لالش. العدد 2. ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية وأصلها. دهوك. العراق. 1994.
• المجلّة الآسيوية. العدد 8. المجلّد 5. 1885.
• مجلّة المقتطف المصرية. المجلّد 48. 1916. اليزيدية وبحث في منشأ عقيدتهم.
• مجلّة الضياء المصرية عدد 1
• مجلّة الجنان البيروتية الجزء 7. 1876.
• مجلّة لغة العرب. العدد 10.
• مجلّة التراث الشعبي: العدد 5. السنة الرابعة. بغداد 1973.
• مجلّة المجمع العلمي العراقي. الهيئة السريانية. عدد 5. 1979.
• مجلّة سومر. الجزء 9. رحلة نيبور في العراق. ترجمة محمد الأمين.
• مجلّة المشرق. اليزيدية. 1889.
• المحاسبي. الرعاية لحقوق الله. دار الكتب العلمية. بيروت 1986.
• محمد إسماعيل خليل: إقليم كردستان العراق. أربيل. العراق.
• محمد إسماعيل خليل: البعد القومي للإستيطان الريفي في قضاء سنجار. مجلّة لالش عدد 15. دهوك العراق 2001.
• مخول موسى: الحضارة السريانية حضارة عالمية. دور السريان في النهضة العربية الأولى: العصر الأموي والعباسي. مكتبة بيسان. بيروت. 2009.
• مراد علي خليل: الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي: موسوعة الموصل

الحضارية. المجلّد الرابع. دار الكتب للطباعة والنشر. الموصل. العراق.

- المرجي توما: كتاب الرؤساء. المطبعة العصرية. الموصل. العراق 1966.
- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار صادر. بيروت. 2005.
- مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب: تجارب الأمم. الجزء 7. تصحيح هـ. ف. أمدروز. مكتبة المثنى. بغداد. 1919.
- مصحف رش. الكتاب الديني عند اليزيديين.
- مظهر سليمان: قصة الديانات. مكتبة مدبولي. القاهرة 2002.
- المعلوف اسكندر عيسى: مجلّة المشرق. العدد 57. بيروت 1963.
- المقريزي: كتاب السلوك. الجزء 4. دار الكتب المصرية. القاهرة 1972.
- المكرياني حزني حسين: موجز تاريخ أمراء سوران. ترجمة الملا عبد الكريم. مطبعة الأعظمي. بغداد.
- مكري محمد. ولادة الكون عند الأكراد. مجلّة أحداث. العدد 13.
- الملاح عبدالله صديق: الأعياد الدينية عند اليزيديين. مجلّة المجلّة العدد 1. 1939.
- ملحمة جلجامش. اللوح السابع. نصائح الحكمة.
- ممو بيير: ضوء على فلسفة الديانة اليزيدية وأصلها. مجلّة لالش عـ2 – 3 دهوك 1994.
- الموسوعة العربية الميسّرة. بإشراف محمد شفيق غربال. مؤسّسة فرانكين للطباعة والنشر. دار الشعب. القاهرة.
- مودي أ. مارغاريت: السحر والقضاء عليه. تاريخ العالم. الفصل الثامن والعشرون بعد المائة. أشرف على ترجمته إدارة الثقافة والتربية والتعليم مصر. مكتبة النهضة المصرية.
- الموسوعة البريطانية. Britanica. الجزء الثاني. اليزيدية.
- الموصل الجلبي داوود: مخطوطات الموصل. مطبعة الفرات. بغداد. 1927.
- مولتكه كارل فون هلموت: الرسائل: ترجمة عبد الفتاح علي يحيى. مجلّة الأديب الكردي. العدد 4. 14 تموز 1992.
- المولى يعقوب ويس حسن: سنجار في العهد العثماني. جامعة الموصل. 2000
- موسوعة بهجة المعرفة. التأمل والوعي فكرة الشخص. دار المختار. سويسرا.
- مورتكات أنطوان: عقيدة الخلود والتقمّص في فن الشرق القديم: ترجمة توفيق سليمان. دار المجد. دمشق 1985.
- ميتز آدم. الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري. ترجمة عبدالهادي أبو ريده. الدار التونسية للنشر بالإشتراك مع المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر. 1986.

- ميرزا ئاماد: العشائر اليزيدية في كردستان العراق. مجلّة لالش العدد 6. 1998.
- ميناس يوسف ميناس: قرية معلثايا وكنيسة مار زيعا ودير مار عوّاد. مجلّة الصوت الكلداني. دهوك. العراق.

- ن -

- نالدر «الضابط السياسي في الموصل» تقرير قسم الموصل للعام 1919.
- ناصر شيخ بابا صلاح د. - مجلة لالش العدد 16.
- نبز جمال: الأمير الكردي مير محمد الرواندزي: مطبوعات الأكاديمية الكردية. اربيل. العراق 1994.
- النبهاني يوسف بن إسماعيل: عدي بن مسافر جامع كرامات الأولياء. الجزء 2. القاهرة. 1929 هـ.
- النشّار سامي علي. نشاة الفكر الفلسفي في الإسلام. الطبعة التاسعة. الجزء 3. القاهرة 1992.
- نصيبينويو اشور: اليزيدية في بلاد ما بين النهرين. منشورات مجلّة فورتونو، ودار سركون للنشر. السويد 2002.
- النظام إسماعيل حيدر: طبقات اليزيديين الروحانية. مجلّة التراث الشعبي. العدد 6. السنة الرابعة. بغداد 1973.
- نغرين جيووايد: الزندقة. ترجمة دكتور سهيل زكّار. دار التكوين للنشر والتوزيع. دمشق 2005.
- النقشبندي أمين محمد أزاد: مناخ إقليم كردستان العراق. مجلّة متين عـ63. دهوك العراق 1997.
- نوار سليمان عبد العزيز: تاريخ العراق الحديث. دار الكاتب العربي. القاهرة 1968.
- نوار سليمان عبد العزيز: داوود باشا والي بغداد. دار الكتاب العربي. القاهرة 1968.
- نقاشة افرام. عناية الرحمن في هداية السريان. بيروت 1915.
- نيكلسون رينولد: في التصوّف الإسلامي وتاريخه. ترجمة أبو العلاء عفيفي. القاهرة 1969.
- نيبور كارستي: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر. ترجمة محمود حسين الامين. بغداد 1965.
- نيكيتين باسيلي. الكرد. ترجمة نوري طالباني. دار الساقي. بيروت 2001.

- هـ -

- هارفي موريس، وجون بلوج: لا أصدقاء سوى الجبال. ترجمة راج آلا محمد. دمشق 1996.

- الهجويري «علي بن عثمان» كشف المحجوب. دراسة وتعليق عبد الهادي قنديل. دار النهضة العربية. بيروت 1980.
- هرمز أ. هنري: الطائفة اليزيدية في ميسوبوتاميا. مستودع الكتاب المقدّس والنقد الكلاسيكي: عدد 2. المجلّد السابع 1842.
- هروري يوسف درويش: بلاد الهكاري. الدار العربية للموسوعات. بيروت. 2006.
- هستد كورد: الأسس الطبيعية لجغرافية للعراق. ترجمة جاسم محمد مخلوف. بغداد 1948.
- هومي جرجيس جبرائيل: الطائفة اليزيدية العراقية. القوميات العراقية. ماضيها وحاضرها. مطبعة الإرشاد. بغداد. 1959.
- هيغل: موسوعة العلوم الفلسفية. ترجمة د. إمام عبد الفتاح. دار التنوير. بيروت. لبنان. 1983.
- وهبي توفيق: عبدة الشيطان عند اليزيدية. جريدة البلاد العراقية. بغداد 16 تشرين الأول 1939.

-و-

- الواقدي. فتوح الشام. الجزء 2. المكتبة التجارية الكبرى بمصر. دار العهد الجديد للطباعة والنشر.
- ولتر ستيس: الزمان والأزل. ترجمة. د. زكريا إبراهيم. المؤسّسة الوطنية للطباعة والنشر. بيروت 1967.
- ويكرا أي دبليو، وإدغارتي أي ويكرام: مهد البشرية. الحياة شرق كردستان. ترجمة جرجس فتح الله. مطبعة الزمان. بغداد 1971.

-ي-

- اليازجي إبراهيم الشيخ: هذه هي اليزيدية. مجلّة الضياء. العدد 1. القاهرة 1899.
- ياسين طه نمير، وعلي شاكر علي: الفريق عمر وهبي قائد القوة الإصلاحية في ولاية الموصل. 1892 – 1893. مجلّة التربية والعلم. العدد 21 الموصل. العراق 1998.
- ياسين باقر: تاريخ العنف الدموي في العراق. دار الكنوز الادبية. بيروت 1999.
- اليافعي «أبو محمد عبدالله بن أسعد»: كفاية المعتقد ونكاية المنتقد. تحقيق إبراهيم عطوي عوض. القاهرة 1961.
- يحيى الفتاح عبد: الملا يحيى وسقوط إمارة بهدينان مجلّة كروان عـ42 العراق.
- يزيد خان إسماعيل: هذه هي اليزيدية. مجلّة العربي. العدد 31. الكويت حزيران 1961.
- يشوعنداح: الديورة في مملكتي الفرس والعرب: ترجمة بولس شيخو. الموصل. العراق 1939.

فهرس المراجع الفرنسية

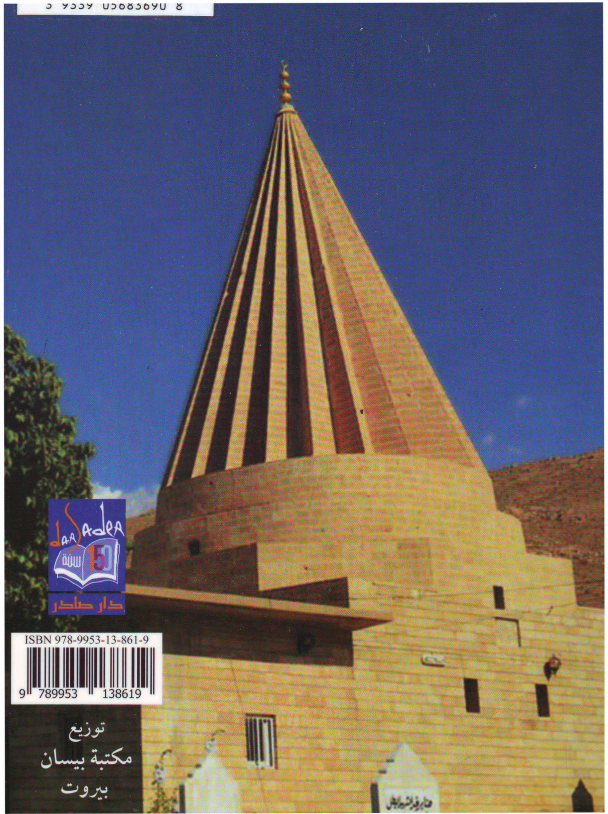
- Abou Taleb Khan Mirza: Voyages du Price Persan Mirza Abou Taleb Khan. en Asie, en Afrique, en Europe. 1819.
- Alen. J. P.: Les Yézidis. L'Auberge de Mimas. Paris. 1946.
- Bois père Thomas, O. P.: Al - Machriq. LV. 1961.
- Bois père Thomas. 1900. Le Djebal Sindjar au début du XIX siècle. Roja Nu Beyrouth, N°. 56. 1945.
- Bedé. E. L.: Les Yézidis. Bulletin des Anciens Elèves du Séminaire Syro - Chaldée 1ère année. N°. 3 Juillet. 1933.
- Bédir Xan, l'émir celadet: Quatre priéres authentiques inédites des kurdes yézidis. Kitêbscana hawarê N°. 5 Damas 1933.
- Belin: Essai sur l'histoire économique de la Turquie d'après les écrivains originaux. Paris 1865.
- Boré Eugène: Correspondences et Mémoires d'un Voyageur en Orient. Paris. 1840.
- Bouvat. L.: A propos des yézidis. R.M.M. 1908.
- Brunel. A.: Chez les Yézidis Adorateurs du Diable. Le Suicide de cheikh gama "Gulusar" Paris 1946.
- Chabot. J. B.: Notice sur les yézidis. Paris 1896.
- Chantre Ernest: De Beyrouth à Tilis. Tour du Monde. Paris 1889.
- Chantre Ernest: Notes ethnologiques sur les Yézidis. Bulletin de la Société d'Anthropologie de Lyon XIV, 1985.
- D'Arle. M. A Sindjar chez les adorateurs du demon. Revu du Liban. N°. 4. et. 8 Fév. Mars. Avril 1954.
- De Baye Borom Jos: Yézidis. Au Sud de la chaîne du Caucase. Paris 1899.
- Dufaur. J. P: Visite au peuple le plus oublié du monde. Les Yézidis. L'orient 4 et 5 Mars 1953.
- Fiey. J. M: Le Temple Yézidi de Cheikh Adi. 1960.
- Grégoire M: Yézidis. Histoire des sectes réligieuses. Vol. 4. Paris 1828 - 1829.
- Harry Miriam pseud. Yézidis. Les adorateurs de Satan. Paris. Flammarion. 1937.
- Hessling Peter: Au Cœur de l'Iraq, en pays yézidis, il y a encore des adorateurs du diable. Journal d'Orient. Istanbul. 1956.

- Jovelet Louis: Yézidis. L'évolution social et politique des pays arabes. 1930 - 1933 REI VII. 1933.
- Lammens. H. Le massif du gebel Sim'an et les Yézidis de Syrie. MFO. II. 1907.
- Lammens H. Une visite aux Yézidis ou adorateurs du diable. Relation d'orient. 1929.
- Lycklama. A. Nijeholt. Yézidis. Voyage en Russie, au Caucase et en Perse de la Mésopotamie Kurdistan. Vol. 11. Paris 1875.
- Martin M. L'allé. P.: Yézidis ou schamanistes. La Chaldée esquisse historique. Rome 1867.
- Massignon Louis: Les deux livres sacrés des Yézidis R.H.R. LXIII. 1911, LXIV 1911.
- Massignon Louis: Al-Hallaj, le phantasme crucifié des daucèles et Satan selon le Yézidis. RHR. XIII. 1911.
- Massignon Louis: les Yésidis du Mont Sindjar, adorateurs du diable.
- Masson Paul: Yézidis. Element d'une biblio - graphie Francaise de la Syrie. Paris - Marseille 1919.
- Menant. J.: Les Yézidis Episodes de l'histoire des adorateurs du diable. Paris. 1892.
- Muller. Simonis. P.: Yézidis du Caucase au Golfe Persique à travers l'Arménie. Le Kurdistan et la Mésopotamie. Washington 1892.
- Nau. F.: Note sur la date et la vie de Cheikh Adi, chef des Yézidis. Roc. 2[e] sec. XIX 1914.
- Olivier. G. A.: Yésidis. Voyage dans l'empire Ottoman et la Perse. vol. II. Paris 1804.
- Perdriz et Paul: Documents du XVII siècle relatifs aux Yézidis. Bulletin de la société géographique de L'Est. Paris. 1903.
- Rousseau. J. B. L: Notice sur les Yézidis. Description du Pachalik de Baghdad. Paris 1809.
- Siouffi. N.: Le chef de Yésidis. JA. 7[e]. sec 1880.
- Siouffi N.: Notice sur le Cheikh Adi et la secte des Yézidis. JA. VIII sur. T.V. 1885.

فهرس المحتويات

المقدّمة 5
توطئة 11
الفصل الأول: الإنسان والدين والشيطان 13
الفصل الثاني: الفلسفات والديانات الشرقية 18
الفصل الثالث: الواقع الجغرافي والسكاني 24
الفصل الرابع: منطقة الهكاري 35
الفصل الخامس: أصل اليزيديين 43
الفصل السادس: القبائل اليزيدية 55
الفصل السابع: مدخل إلى الديانة اليزيدية من خلال الديانات العالمية الكبرى 67
الفصل الثامن: الديانة اليزيدية 78
الفصل التاسع: عدي بن مسافر 100
الفصل العاشر: النصوص والكتب اليزيدية المقدّسة 116
الفصل الحادي عشرة: «كتاب الجلوة» النص الحرفي 127
النص الحرفي لمصحف رش 130
ترنيمة الشيخ عدي 133
الفصل الثاني عشر: واقع العقيدة اليزيدية 136
الفصل الثالث عشرة: الصلة بين اليزيدية والديانات القديمة «الزرادشتية» 149
الفصل الرابع عشر: الطقوس والعبادات 163
الفصل الخامس عشر: الطقوس والاعراف الإجتماعية 180
الفصل السادس عشر: المراتب اليزيدية والتنظيم الإجتماعي 195
الفصل السابع عشر: الأعياد اليزيدية 216

الفصل الثامن عشر: المراقد والمزارات اليزيدية 228
الفصل التاسع عشر: اليزيديون والدولة العثمانية 242
الفصل العشرون: اليزيديون بعد الحرب العالمية الأولى 270
الفصل الحادي والعشرون: الحياة الإقتصادية 278
الفصل الثاني والعشرون: الباحثون والمخطوطات المقدّسة اليزيدية 286
ملحق (1): مهمة الدين الخلقية 295
ملحق (2): سلسلة نسب الشيخ عدي حسب النصوص اليزيدية 296
ملحق (3): نسبة فتوة الشيخ عدي 298
ملحق (4): ذكر الأربعين مريد الذين صحب الشيخ عدي بن مسافر في حياته 299
ملحق (5): قصة شيخو بكر في التاريخ اليزيدي كما يحفظها
يزيدية جبل سمعان ويؤمنون بها 300
ملحق (6): هوية الطائفة اليزيدية بين التاريخ والسياسة 302
ملحق (7): المسيح في العقيدة اليزيدية 303
ملحق (8): اليزيديون وبقية الطوائف 304
ملحق (9): إبراهيم الخليل في الديانة اليزيدية 305
ملحق (10): العدالة الإلهية في الديانة السومرية 308
ملحق (11): الفلسفة البراهمانية 310
ملحق (12): من ملحمة جلجامش 314
ملحق (13): رسالة موجّهة إلى السفير البريطاني في الأستانة
«ستراتفورد كننك» 315
ملحق (14): رسالة اليزيديين إلى الباب العالي 317
ملحق (15): مقابلة مع زعماء الدين الإيزيديين 319
فهرس المراجع العربية 329
فهرس المراجع الفرنسية 346


dar Sader
150 سنة
دار صادر
ISBN 978-9953-13-861-9
9 789953 138619
توزيع
مكتبة بيسان
بيروت